جوامع الكلم

شيخ المتألهين الأوحد

الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي

أعلى الله تعالى مقامه

تقديم

توفيق ناصر البوعلي

الجزء التاسع

مؤسسة الاحقاقي



تراث الشيخ الأوحد ١٩

جوامع الكلم

شيخ المتألهين الأوحد
الشيخ أحمد الشيخ زين الدين الأحسائي
أعلى الله تعالى مقامه

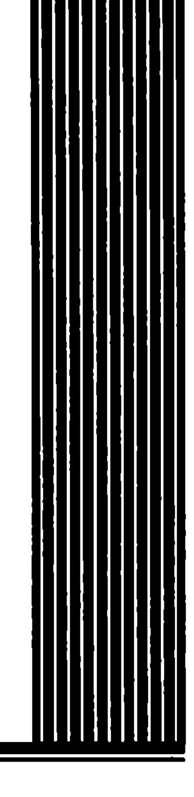
تقديم
توفيق ناصر البوعلي

الجزء التاسع

الأعيرة

الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م



هويـــة الكتـــاب

اسم الكتـــاب:	جــوامــع الكـــــلم
المؤلــــف :	الشيخ احمد الأحسائي
تقــــديم:	توفيق ناصــر البوعلي
الناشــــر:	مؤســسة الإحقـــاقي
عني بطباعـته:	الأميرة للطباعة والنشر



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان
هاتف: ٠٣/٩٤٦١٦١ - ٠٣/١١٥٤٢٥ - تلفاكس: ٠١/٢٧٦٩٨٨
http://www.Dar-Alamira.com
e-mail:zakariachahbour@hotmail.com

مؤسسة الإحقاقي
للتحقيق والطباعة
والنشر
alehqaqe@hotmail.com

الرسالة الرشتية
في جواب الملا علي ابن الميرزا خان الجيلاني الرشتي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وبه نستعين

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إن المحترم الأكرم العلي الملا علي ابن الميرزا خان الجيلاني قد أرسل إليّ بمسائل عظيمة وأنا وإن لم أكن أهلاً لذلك مع ما أنا الآن عليه من تفرق القلب في جهات لا أجدها تنتهي ولقد قلت قصيدة في مرثية سيد الشهداء عليه السلام ذكرت في غزلها هذه الحال فقلت مشبباً فيهم عليهم السلام :

إن الأحبة أيقظو
ني فانتبهت بعزم جاذب
فرأيت أوطاري بأطـ
ـواري وأحوالي قوالب
أو ما ترى يتجاذبو
ني نحوهم من كل جانب
أو ما تراني كل حا
لاتي مع الراحات دائب

ولكن لا بدّ من الإتيان بما يحصل في البال حال الكتابة إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور .

قال أيده الله تعالى : بسم الله الرحمٰن الرحيم ـ الحمد لله رب العالمين والصلاة على أصفيائه وأمنائه محمد وآله والمكملين من أصحابه وأحبائه وعجل الله تعالى فرجهم وسهل مخرجهم ، وبعد فهذه هي المعروضة من المسائل المشكلة أو المستشكلة على أذهان أمثال السائل من القاصرين أو المقصود منها سماع الجواب من ذلك المرجع لأولي الألباب تحصيلاً لمزيد الاطمئنان وتقوية لآثار اليقين .

أقول : في هذا الحرف الأخير وهو وقوله سلمه الله أو المقصود منها إلخ ، شيء والإشارة إليه من وجهين :

الأول : أن يقال لا ينبغي لمن عرف شيئاً أن يسأل عنه وطلب الاطمئنان إنما يكون لمن لم يطمئن قلبه ، وذلك لا يجتمع مع المعرفة وقول إبراهيم عليه السلام : (**ليطمئن قلبي**) لم يرد على ما علم ، بل أراد ليحصل لي العلم بما أظنه من الخلة التي أوحى سبحانه إليه من جهتها أن لي خليلاً لو سألني إحياء الموتى لأجبته فظن أنه ذلك ولم يحصل له القطع الذي هو العلم ، فسأله إحياء الموتى ليطمئن قلبه على أنه خليل الله كما روي أو إنه أراد الاطمئنان المستند إلى الرؤية البصريّة فيكون المعنى ، بلى ولكن ليطابق علمي بذلك حسي .

الثاني : إن الذي ينبغي أن يسأل الإنسان عن الحق في المسألة ولا يلزم من علمه بالكلام علمه بالحق فيها [فيه] كما يأتي بعض الإشارات إلى هذه إن شاء الله تعالى .

قال سلمه الله تعالى : ذكرت بعنوان سؤال ، سؤال وإن كان مرجع بعض إلى بعض في المآل أو له مدخلية فيه في الإكمال : سؤال المسموع من مشايخ الطريقة المعروفة بالمتصوفة أو العرفاء على الحقيقة وليس لنا كلام على إبانة حالهم أو تصويب مقالهم أو تحريف عقائدهم أو تحقيق مقاصدهم .

أقول : أما نحن قلنا كلام في ذلك وهو من الواجبات العينية تنبيهاً للغافلين وإرشاداً للمسترشدين ، فإن المتصوفة ممن نزل فيهم تأويل قوله سبحانه : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ وبيان الإشارة إلى ذلك التأويل أنهم أرادوا مقابلة أئمة الهدى عليهم السلام لأن علماءهم صرحوا بأن هذه الطريقة شرطها أن تكون على مذهب السنّة والجماعة ، فأرادوا خلاف الحق بمقابلته بما يشابهه من الباطل لأن الباطل مشابه للحق في الصور الظاهرة وفي بادىء الرأي وقد أشار سبحانه إلى ذلك في كتابه العزيز في مواضع كثيرة منها قوله تعالى : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ فشبه الحق بالشجرة بل هو شجرة الخلد والحق وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴾ فشبه الباطل بالشجرة ، بل هو شجرة الزقوم شجرة تنبت في أصل الجحيم ، ﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ ، بل هو رؤوس الشياطين فلعن الله طلعها وهي الشجرة الملعونة في القرآن وقال تعالى : ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ فجعل الحق زبداً ثابتاً ماكثاً في الأرض ، وجعل الباطل زبداً رابياً مجتثاً ولهذا قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ

يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ﴾ وقال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ ، فشبه الحق بالماء للظمآن والباطل بالسراب للظمآن وأمثال ذلك ، فلما طلبوا مخالفة الحق ومقابلته بمثله تقدم سبحانه إليهم فسبقهم فأمرهم بالحق وبيّن أدلته وحججه بأكمل بيان في أنفسهم وفي الآفاق وسبقهم فنهاهم عن الباطل ، وأبان لهم السبيل ، فاختاروا ارتكاب مناهيه لشؤون أنفسهم ابتغاء الفتنة ، فوهب لهم القوة على معصيته بقبولهم لها لسبق علمه فيهم ومنعهم إطاقة القبول منه وهو معنى قوله تعالى : ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ يعني في الذر الأول والذر الثاني وقال تعالى فيهم : ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُواْ لِيُؤْمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن يجبرهم بأن يمنعهم القوة على معصيتهم فإنه قادر على ذلك ولكن لو فعل ذلك بهم ما تحققت منهم الطاعة لأن شرط تحقق الطاعة التمكن من تركها وفعل ضدها حتى يكون مطيعاً بأن يفعل الطاعة باختياره وهو قادر على خلافها ، وإذا لم يتمكن من المعصية لم تحصل منه الطاعة .

وإذا كان كذلك لم يحسن تكليفه ، وإذا كان كذلك لم يحسن إيجاده ، ثم إنه أبان الحكمة في ذلك في حقهم فقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ﴾ يعني مثل مميت الدين بن عربي ، والجن يعني مثل قرينه من الشياطين كما في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ وقال : ﴿يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ وذلك أنه مكنهم من المعاصي بأن خلق لهم الآلات

الظاهرة والباطنة للطاعة وجعلها صالحة لاستعمال المعصية ، لتتحقق لهم الطاعة كما قلنا ، فإذا مالوا إلى المعصية فإن شاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل كما يفعل بأهل اللطخ من المؤمنين وإلا مد لهم بمعونة المعصية وهي الخذلان وتركهم في ضلالتهم كما قال : ﴿وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ ، واعلم أنه سبحانه يمد أهل الطاعة بالفعل المتعدي فيقول : ﴿أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ﴾ ، وهو يدل على الإمداد الوجودي لمكان الفعل المتعدي وأهل المعصية بالفعل اللازم كما قال تعالى : ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا﴾ فأتى باللازم إشعاراً بأن مددهم تخليتهم وتركهم وهو مدد عدمي فافهم ، ثم قال تعالى : ﴿فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ ثم بيّن سرَّ الحكمة الذي به يجري النظام على الحق القراح فقال : ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ .

واعلم أن بيان ما ورد فيهم من الآيات والروايات وما اشتملت عليه من الأسرار لا يسع الوقت حصره وذلك لأنهم لما انقطعوا في رياضاتهم كشف لهم عما أودعت ضمائرهم وهذا واجب في الحكمة ، وقد قال تعالى في الحديث القدسي حديث الأسرار ما معناه : (**من أخلص لله العبوديّة أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه فإن كان مؤمناً كان نوراً له وإن كان كافراً كان حجة عليه**) ، فلما راضوا أنفسهم ظهرت ينابيع حكمة الجعل الإلهي من قلوبهم على ألسنتهم ، فنطقوا بما قبلوا وأجابوا في عالم الذر من أحكام الإنكار بعد التعريف ، فيأتون بالباطل مزخرفاً مموهاً مؤيداً بالأدلة الباطلة المزخرفة ، فيأتي كثير من العلماء الذين ما شربوا من حوض أمير المؤمنين عليه السلام

وقلوبهم ناشفة عطاشى فيرون هذا السراب يلوح كأنه ماء فلجؤوا إليـه ، ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ ، ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ كالغزالي وتلميذه محمد بن علي الطائي المعروف عندنا بمميت الدين بن عربي لعنهما الله (**على ملك سليمان**) وهو في التأويل رسول الله محمد بن عبدالله صلّى الله عليه وآله الطاهرين ، حتى أحدثا المناكر العظيمة مثل قول ابن عربي أنا الله بلا أنا وفي فصوصه أنشد :

فلولاه ولولانا

لما كان الذي كانا

فأنا أعبد حقًّا

وأنا الله مولانا

وأنا عينه فاعلم

إذا ما قيل إنسانا

فلا تحجب بإنسان

فقد أعطاك برهانا

فكن حقاً وكن خلقاً

تكن بالله رحمانا

وغذ خلقه منه

تكن روحاً وريحانا

فأعطيناه ما يبدو

به فينا وأعطانا

فــصــار الأمــر مــقــســومــاً
بــإيــاه وإيــانــا
وأحــيــاه الــذي يــدري
به فينا وأحيانا [بقلبي حين أحيانا]
وكــنــا فــيــه أكــوانــاً
وأعــيــانــاً وأزمــانــا
ولــيــس بــدائــم فــيــنــا
ولــكــن كــان أحــيــانــا

فتأمل في كلامه لعنه الله حيث جعل كل ما كان فهو منا ومنه لا بمعنى ما نقوله ، من أن الله فاعل الإيجاد والعبد قابل للإيجاد حين الإيجاد كالكسر والانكسار ، والعبد مركب من الفعل والانفعال ، أي من الوجود المحدث المخترع لا من شيء ومن القابليّة أي الماهيّة ولم يوجد أحدهما قبل الآخر ، بل وجدا معاً كالكسر والانكسار بل يريد أن الإنسان وجوده عين الحق سبحانه ومشخصاته أمور وهميّة ، وفيما انتخبه أبو حيان الطبيب الشيرازي من الفتوحات المكيّة في أول الباب المائتين واحد وثمانين قال في معرفة منزل الصنم [الضم] وإقامة الواحد مقام الجماعة من الحضرة المحمديّة :

صــلاة الــعــصــر لــيــس لــهــا نــظــيــر
لــنــظــم الــشــمــل فــيــهــا بــالــحــبــيــب
هــي الــوســطــى لأمــر فــيــه دور
يــحــصــلــه عــلــى أمــر عــجــيــب

فسماها العصر لأنه ضم الشيء إلى شيء [الشيء] لاستخراج مطلوب فضمت ذات عبد مطلق في عبودية لا تشوبها ربوبية بوجه من الوجوه إلى ذات حق مطلق في ربوبية لا تشوبها عبودية بوجه من اسم إلهي لطلب الكون ، فلما تقابلت الذاتان بمثل هذه المعاني كان المعتصر عين الكمال للحق والعبد كان المطلوب له وجه العصر إلخ ، وهو صريح فيما ذكرنا عنه ولهذا قال في شعره المتقدم فكن حقاً وكن خلقاً تكن بالله رحمانا ، ولهذا يمثلون بالبحر وهو الواجب والأمواج وهي الخلائق فهي عبارة عنه وبالحروف من النفس وبالنقوش من المداد وقد قال شاعرهم :

وما الناس في التمثال إلا كثلجة

وأنت لها الماء الذي هو نابع

ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه

ويوضع حكم الماء والأمر واقع

وقال هو في شعره المتقدم : وأنا عينه فاعلم ، وأمثال ذلك ومع هذا قبله منه أكثر من يطلب المعرفة إذا لم يقتصر على هداية أهل البيت عليهم السلام مثل الملا صدرا ومثل الملا محسن حتى أنه قال في الكلمات المكنونة : إنه سبحانه ما أوجد إلّا ذاته وغيرهما ممن لبس عليهم دينهم محيي الدين بن عربي بتمويهاته بحيث لا يقدرون على رد كلامه ، بل قبلوه وزعموا أن هذا مراد أهل البيت عليهم السلام وزعم مميت الدين بن عربي لعنه الله أن علم الله سبحانه تابع لنا ومستفاد منا لأنا معلوماته والعلم نسبة تابعة للمعلوم وذكر ذلك الملا محسن في الوافي في باب السعادة والشقاوة من

كتاب العقل وبنى المعرفة عليه ، ثم إنه أوّله بما يظهر منه أنه غير راضٍ به وبعد كم من سطر قال به حيث يقول في المشيّة : وهي نسبة تابعة للعلم ، والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنت وأحوالك انتهى ، وهو من قول ابن عربي في الشعر المتقدم :

فـــأعـــطـــيـــنـــاه مـــا يـــبـــدو

بـــه فـــيـــنـــا وأعـــطـــانـــا

ومن بدعه : أنه قال : إن أهل النار يؤول أمرهم إلى النعيم والتلذذ بالعذاب وتبعه على ذلك الملا صدرا وغيره ، وتبعه الملا محسن وقرر ذلك في آخر كتابه النوادر لأنه ألف كتاباً جعله الخامس عشر للوافي وجمع نوادر الأخبار ، وذكر هذا في آخره كما ذكر ابن عربي (**ومما ذكروا**) ، أنه ليس لله إن شاء فعل وإن شاء ترك لأن الذي علمه لا بدّ أن يكونه فمشيّته تابعة للعلم ، فهي أحدية التعلق وذكر الملا محسن هذا في الموضع المذكور من باب السعادة والشقاوة من الوافي حيث قال ، فإن قلت : فما فائدة قوله تعالى : ﴿فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ؟.

قلنا : لو حرف امتناع لامتناع فما شاء إلا ما هو الأمر عليه ولكن عين الممكن قابل للشيء وضده في حكم دليل العقل ، وأي الحكمين المعقولين وقع فهو الذي عليه الممكن في حال ثبوته في العلم ، فمشيّته أحدية التعلق وهي نسبة تابعة للعلم ، والعلم نسبة تابعة للمعلوم والمعلوم أنت وأحوالك فعدم المشيّة معلل بعدم إعطاء أعيانهم هداية الجميع لتفاوت استعداداتهم وعدم قبول بعضهم للهداية ، وذلك لأن الاختيار في حق الحق يعارضه وحدانية

المشيّة ، فنسبته إلى الحق من حيث ما هو الممكن عليه لا من حيث ما هو الحق عليه قال تعالى : ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾ وقال : ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ﴾ وقال : ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ فهذا هو الذي يليق بجناب الحق والذي يرجع إلى الكون ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ فما [مما] شاء فإن الممكن قابل للهداية والضلال من حيث ما هو قابل فهو موضع الانقسام ، وفي نفس الأمر ليس للحق فيه إلا أمر واحد انتهى كلامه .

فتدبر في هذا الكلام الذي قد أعكر فيه الظلام وما ظهر وبطن فيه من المفاسد العظام ، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فإنه صريح في أن الله سبحانه ليس له اختيار وإنما ينسب ، إليه الاختيار بملاحظة حال الممكن في نفسه أنه قابل لأمر ولضده وليس لله إلا أحد الوجهين وهو صريح أيضاً أن العلم مستفاد من المعلوم وفي أن حقيقة زيد صورة علم الله وليست بمجعولة وأن ليس لله في الخلائق كلها إلا إفاضة الوجود عليهم ، يعني إظهار تلك الحقائق لا إحداثها واختراعها لا من شيء ، بل هي أزلية وأن قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَأٓتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ يراد منه بالنظر إلى حال الممكن في نفسه لا أن القدرة تتعلق بذلك .

ولهذا كثيراً ما يقولون ليس في الإمكان أبدع مما كان ونسمع من أشخاص ممن يتبعون أهل هذا المذهب يقولون لا يصح أن يخلق الله شيئاً إلا ما خلقه وما يخلقه فلا يصح أن يخلق زيداً حيواناً فقلت له : إنه سبحانه قادر على أن يخلق [من يقول بهذا] هذا جماداً وقد فعل وأنا أعنيه فينكرون قدرة الله على هداية الجميع ولم يفهموا قول الله سبحانه : ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ

﴿مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ وهذه شهادة من الله على من لم يعتقد ذلك أنه من الجاهلين ، وأنت إذا تأملت هذا الكلام ظهر لك منه أن الله سبحانه موجب لا مختار وأنه إنما يمكن تعلق قدرته ببعض الممكنات دون بعض .

وبيانه أن هذا الشيء في نفسه يمكن أن يكون متحركاً وأن يكون ساكناً إلا أن الله سبحانه يخلقه كما علمه مثلاً علمه ساكناً فيخلقه ساكناً ولا يمكن أن يخلقه متحركاً وإن كان قبل أن يخلقه ساكناً يمكن أن يخلقه متحركاً مع أنهم يقرون بأن الطرفين ممكنان ولا تتعلق قدرته بهما وإن كان على التعاقب لا من حيث إن الجسم لا يكون متحركاً ساكناً في حال واحد ، بل من حيث إنه علم أحدهما فلا يمكن إيجاد الآخر ، وإن كان في حال آخر فيكون عندهم أنه قادر على بعض الممكنات دون بعض ، وإن علمه تبع للمعلوم الذي هو أنت وأحوالك وإنك أنت الذي تعطيه علمه بك ، وإن الحقائق ليست مجعولة بل هي قديمة وإنه سبحانه ليس له إن شاء فعل وإن شاء ترك لأن مشيّته أحدية التعلق وأمثال ذلك مما هو خلاف الحق وليس من مذهب أهل الحق ولا أئمتهم عليهم السلام في شيء .

ومع هذا فمن يقول به من هذه الفرقة يزعم أنه مذهب أهل البيت عليهم السلام ، فيردف الباطل بالكذب واعتقاد حقيّته وأمثال ذلك من الاعتقادات الفاسدة والدعاوى الباطلة مما أسسه لهم محيي الدين بن عربي واتخذوه لهم إماماً من دون الإمام الحق عليه السلام ، وهم لا يعلمون وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً وقد وقفوا على معتقداته وعباراته مما معناها أن السامري جرى في معصيته بصنعه العجل ودعوى أنه إلههم وإله موسى على محبة الله

سبحانه لأنه سبحانه يحب أن يعبد في كل صورة ، وحكمه على أن فرعون لعنهما الله مؤمن لأنه تاب لقوله تعالى : ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾ حتى نقل عن بعض من يقتدي به من الشيعة من العلماء المحققين أنه قال ما معناه : إن هذا الكلام يعني كلام ابن عربي في حكمه بإيمان فرعون يشم منه رائحة التحقيق أو كما قال ، فتأمل رحمك الله في هذا الكلام الباطل الذي يوجب الكفر لرده لمحكم كتاب الله فإنه سبحانه يقول : ﴿ وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّى تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ ﴾ ، فسوى بينهما ومميت الدين فرق بينهما وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ ﴾ ومحيي الدين قال : ينفعهم إيمانهم وإن رأوا بأس الله وقال سبحانه في فرعون قال : ﴿ فَأَوۡقِدۡ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجۡعَل لِّى صَرۡحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِى ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةً يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةًۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ ﴾ ، فبالله عليك هل تجد احتمالاً لمن أنزل الله فيه مثل هذه الآيات للإيمان بوجه ما وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتۡبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعۡنَةً وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ﴾ ، فاحتمل بعض

القائلين بذلك أن فرعون يورد قومه النار ويرجع عنهم ويدخل الجنة وهذا الكلام ردّ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ﴾ وفرعون قد عبد من دون الله راضياً بذلك طالباً له قد وتد من أنكر الإلهية [إلهيته] بالأوتاد فإن قيل : إنما قال الله : ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ ﴾ ولم يقل ومن تعبدون ليخرج عيسى عليه السلام والملائكة ، قلنا : إن ما كما تستعمل في غير العقلاء تستعمل في العقلاء مثل قوله : ﴿ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾ وإنما خرج عيسى عليه السلام والملائكة بقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴾ فهل سبقت لفرعون من الله الحسنى ؟ .

وأما ما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله لما اعترضه عبد الله بن الزبعرى بذلك الكلام أنه قال له : (**ما أجهلك بلسان قومك إن الله تعالى قال وما تعبدون ولم يقل ومن تعبدون**) الحديث ، فمراده صلى الله عليه وآله قطع حجة ابن الزبعرى لا حصر الحكم في غير العقلاء لإجماع المسلمين على أن من ادعى الربوبية وطلب أن يعبد من دون الله أنه في النار من جميع الخلق كما قال سبحانه : ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾ الآية ، وبالجملة إن الصوفية قد ورد في ذمهم أخبار كثيرة :

منها ما رواه الأردبيلي رحمه الله في حديقة الشيعة بسنده عن محمد بن الحسين بن أبي الخطاب قال : كنت مع الهادي علي بن محمد عليه السلام في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله فأتاه جماعة من أصحابه منهم أبو هاشم الجعفري وكان رجلاً بليغاً وكانت له منزلة عنده ، ثم دخل المسجد جماعة من الصوفية وجلسوا في

ناحية مستديراً وأخذوا بالتهليل فقال عليه السلام : (**لا تلتفتوا إلى هؤلاء الخداعين فإنهم حلفاء [خلفاء] الشياطين ومخربو قواعد الدين يتنزهون لإراحة الأجسام ويتهجدون لتصييد الأنام ، يتجوعون عمراً حتى يذبحوا للإيكاف حمراً ، لا يهللون إلا لغرور الناس ولا يقللون الغذاء إلا لملء العساس واختلاس قلوب الدفناس يكلمون الناس بإملائهم في الحب ويطرحون بأدلائهم في الجب ، أورادهم الرقص والتصدية ، وأذكارهم الترنم والتغنية فلا يتبعهم إلا السفهاء ولا يعتقدهم إلا الحمقاء ، فمن ذهب إلى زيارة أحدهم فكأن [فكأنما] أعان يزيد ومعاوية وأبا سفيان**) ، فقال له رجل من أصحابه : وإن كان معترفاً بحقوقكم قال : فنظر إليه شبه المغضب وقال : (**دع ذا عنك من اعترف بحقوقنا لم يذهب في عقوقنا ، أما تدري أن أخس الطوئف الصوفية ، والصوفية كلهم مخالفونا فطريقتهم مخالفة لطريقتنا وإن هم إلا نصارى أو مجوس هذه الأمة أولئك الذين يجهدون في إطفاء نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون**) انتهى .

بيان بعض ألفاظ هذا الحديث : الإيكاف ككتاب وغراب الحمار والغساس كغراب داء في الإبل والدنفاس بكسر الدال والدنفس بكسرها الحمقاء والأحمق الدني والإحلاء من الحلى أو من الحلاوة والأدلاء جمع دلاء جمع دلو ومن الكتاب المذكور بإسناده عن الرضا عليه السلام قال : (**لا يقول أحد بالتصوف إلا لخدعة أو ضلالة أو حماقة وأما من سمى نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه**) ، ورواه المفيد في كتاب الرد على أصحاب الحلاج وفي آخره ، (**ومن سمى نفسه صوفياً للتقية فلا إثم عليه وعلامته بأن**

يكتفي بالتسمية ولا يقول بشيء من عقائدهم الباطلة) انتهى .

ومن الكتاب المذكور بسند صحيح عن الرضا عليه السلام : **(من ذكر عنده الصوفية ولم ينكر عليهم بلسانه أو بقلبه فليس منا ومن أنكرهم فكأنما جاهد الكفار بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله)** وبسنده قال : قال رجل للصادق عليه السلام : قد خرج في هذا الزمان قوم يقال لهم الصوفية فما تقول فيهم ؟ فقال : **(إنهم أعداؤنا فمن مال إليهم فهو منهم ويحشر معهم وسيكون أقوام يدّعون حبنا ويميلون إليهم ويشبهون بهم ويلقبون أنفسهم بلقبهم ويؤولون أقوالهم ألا فمن مال إليهم فليس منا وأنا منه براء ومن أنكرهم وردّ عليهم كان كمن جاهد الكفار مع رسول الله صلى الله عليه وآله)** انتهى .

وروى شيخنا البهائي في كشكوله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(لا تقوم الساعة على أمتي حتى يخرج قوم من أمتي اسمهم صوفية ليسوا مني وأنهم يهود أمتي يحلقون للذكر رؤوسهم ويرفعون أصواتهم للذكر ، يظنون أنهم على طريق الأبرار ، بل هم أضل من الكفار وهم أهل النار لهم شهقة كشهقة الحمار وقولهم قول الأبرار وعملهم عمل الفجار وهم منازعون للعلماء ليس لهم إيمان وهم معجبون بأعمالهم ليس لهم من عملهم إلا التعب)** انتهى .

وقال الشيخ الحر محمد بن الحسن في جواب بعض المسائل : إن الأحاديث الواردة في ذم الصوفية عموماً وخصوصاً وفي لعنهم وتكفيرهم وبطلان كل ما اختصوا به متواترة تقرب من ألف حديث وليس لها معارض انتهى .

فإن قلت : إن هذه الأخبار يراد منها العامة ، وأما علماؤنا فلا قلت : إن من أشرت إليهم مالوا إليهم وقالوا بما اختصوا به مما هو مخالف لمذهب الحق ظاهراً وباطناً كما مر وأنت تأمل في هذه الأحاديث وانظر كيف حال من مال إليهم وأول كلامهم أو اعتقد معتقدهم يظهر لك الجواب هذا ، وقد ذكرنا لك سابقاً أن التصوف أصله مبني على مذهب العامة ملحوظاً فيه مضادة أئمة الهدى عليهم السلام ، وأما العرفاء فاعلم أن الفرق بين العارف والصوفي يعرف بالعلم والعمل ، أما العلم فإن رأيت الرجل العارف المدرك للحقائق تكون جميع معتقداته ومعارفه لا تخالف شيئاً مما عليه الأئمة عليهم السلام ، ولا شيئاً مما عليه ظاهر العوام إلا أن العارف يقول بقول كقول العوام ويعرف المراد والعوام قد يخفى عليهم المراد ، فإذا كان كذلك فهو العارف وإن خالف ظاهر الملة فهو جاهل أو معاند وليس في شيء من المعرفة لأن الشارع عليه السلام ما ترك شيئاً إلا وأبانه لسائر الناس وما لم يبنه لم يجز لأحد بيانه وإنما كان هذا هو الفرق والعلامة لأن الباطن لا يخالف الظاهر .

فإن خالفه دلّ على بطلان الباطن لأن الظاهر حق وهو الذي بني عليه الإسلام والإيمان وهو المحسوس والمتواتر فلا يحتمل الخطأ ، وأما غيره فيحتمل الخطأ والصواب ، ودليل الصواب مطابقته للظاهر المقطوع به ، فكما أن روح الإنسان التي هي الباطن لو وضعت في بدن حيوان لما طابقت معه وبالعكس ، كذلك المعتقدات الظاهرة والباطنة فافهم الإشارة ، وأما العمل فظاهر لأن العارف يعمل بما وضع له الشارع عليه السلام كما أمر لأنه عليه

السلام قدر التكاليف بهيئات تطابق هيئات الموجود المكلف ، بل الوجود التكليفي الشرعي أصل للشرع الوجودي والشرع الوجودي فرعه وظاهره ، فالعارف إن كان عارفاً عرف أن المراد من باطن المكلف العبادة الباطنة التي هي المعارف والمعتقدات الحقة وأن المراد من ظاهر المكلف المعرفة الظاهرة التي هي العبادة والأعمال كما قرر الشارع عليه السلام ، لأن التكليف كما توجه إلى القلب والروح والنفس والفؤاد كذلك توجه إلى الجسد من رأسه وعينيه وأذنيه ويديه ورجليه وسائر جسده .

فإذا رأيت العارف مقصراً في العبادة الظاهرة فهو جاهل لا عارف ، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ ﴾ لأنه ترك العبادة طلباً لراحة بدنه فإن قيل : إن الاعتبار بعبادة الباطن ، قلنا : تريد أن باطنك يؤمن وظاهرك يكفر فأي شيء منك غير مكلف ، ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ ، وبالجملة الاستقصاء في أمثال هذه يطول بها الكلام والعاقل تكفيه الإشارة ولو كان قلبي مجتمعاً لأذنت للقلم يجري في هذا الميدان حتى يقطع الزمان ويسير في الدهر حتى يفنى العمر ويسير في السرمد إلى أن ينقطع المد ويفنى الحد وهذا من بعض ما قلنا إن لنا كلاماً في ذلك .

قال سلمه الله تعالى : إن المريد لقطع الطريق بمقتضى الرفيق ثم الطريق لا بدّ له من رفيق للإيصال ومراد للإكمال ولا يتيسر الوصول من دونه غالباً أهو شيء تفوهوا به وتقولوا على الله رب العالمين وأسسوا من الأساس في مقابل المعصومين عليهم صلوات المصلّين من وجوب إطاعة المريدين أو له أصل في الحقيقة وإن اختلط في الآخرين الغث بالسمين .

أقول : المريد بقطع الطريق يأتي البيوت من أبوابها والأبواب هم أهل العصمة عليهم السلام ، وأقرب الطرق إلى الله سبحانه ما أسسه الشارع عليه السلام من الاعتقادات والصلوات المفروضة والمندوبة وإسباغ الطهارات وما ذكر فيها من الأدعية والآداب وحسن العمل وتلاوة القرآن والتفكر في ملكوت السماوات والأرض ، وما خلق الله من شيء وذكر الموت والاستعداد للرحيل من هذه الدار وأمثال ذلك مما ذكره الائمة عليهم السلام لأصحابهم وهو ما عندكم من كتب الشريعة والطريقة والحقيقة هذا أصح الطرق وأقربها إلى الله وأعدلها ، ولقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (**ليس العلم بكثرة التعلم وإنما هو نور يقذفه الله في قلب من يحب فينشرح فيشاهد الغيب وينفسح فيحتمل البلاء**) ، قيل : وهل لذلك من علامة ؟ قال صلى الله عليه وآله : (**التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله**) فبيّن صلى الله عليه وآله (**أن العلم نور يقذفه الله في قلب من يحب**) .

وفي رواية من يشاء ، وبيّن الله سبحانه في الحديث القدسي حال من يحب فقال : (**ما زال العبد يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها ، إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن سكت ابتدأته**) وروي عن علي عليه السلام أنه قال : (**ليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيصعد إليكم ولكن العلم مجبول في قلوبكم تأدبوا بآداب الروحانيين يظهر لكم**) .

والحاصل أن العلم قد عرض على الخلق في عالم الذر ، فلا يقبل أحد شيئاً من العلوم إلا ما قَبِله هناك ، وأما المعلمون في الدنيا فإنهم في الحقيقة منبهون للمتعلم على ما غفل عنه ومذكرون له ما نسيه ، ألا ترى أنك إذا أخبرك معلمك بمسائل لا تقبل منها إلا ما أدركته وإدراكك الآن فرع على إدراكك في عالم الذر ، وهو معنى قول جعفر بن محمد عليهما السلام : (**ثبتت المعرفة ونسوا الموقف**) وفي رواية (**وسيذكرونه يوماً ما ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ولا رازقه**) ، فقال عليه السلام : (**وسيذكرونه يوماً ما**) ولم يقل وسيتعلمون فافهم وأيضاً فإنهم عليهم السلام قالوا : (**نحن العلماء وشيعتنا المتعلمون**) يعني من أخذ عنا وسلك الطريق الذي فتحنا للسالك علمناه ما أراد من العلوم على حسب قابليته .

ففي الحقيقة ظاهراً وباطناً هم المرشدون إلى كل خير من اقتدى بهم وهم الذائدون عن ورود الحق من لم يقبل واتخذ دونهم الولائج لأنهم هم أبواب الله فلا ينزل من الله سبحانه خير من وجود ونور وخلق ورزق وحياة وممات إلى أحد من سائر المخلوقات إلا بواسطتهم ولا يصعد عمل ولا دعاء ولا شيء من المخلوقات إلى الله إلا بواسطتهم ، وقد قرروا الحق وأوضحوا السبل وبيّنوا أنه لا يصاب الحق بغيرهم وإنما بهم يعرف الله ، قال أمير المؤمنين عليه السلام : (**نحن الأعراف الذين لا يُعرف الله إلا بسبيل معرفتنا**) ، وكلامه عليه السلام هذا له ثلاثة معانٍ عند آل الله :

أحدها : إن قوله لا يُعرف الله إلا بطريق ما نعرفه أو نعرّفه بتشديد الراء بمعنى ما نصفه به من الصفات التي تليق بعز جلاله

لشيعتنا ولمن يقبل منا ، إذ كل ما لم نصفه به فهو باطل لا يجوز إطلاقه عليه .

وثانيها : إن من عرف الله ولم يعرفنا ، لم يعرف الله وإنما عرف غير الله لأنّا أركان توحيده وهياكل معرفته وصفات تعرفه وتعريفه والشيء لا يعرف إلا بصفات تعرفه أو تعريفه ، فكانت تلك الصفات مثل معرفته وهيكل ظهوره بتعرفه وتعريفه .

وثالثها : مما أمر أهل العصمة عليهم السلام بكتمانه ونهوا عن إظهاره ، بل هم الذين يعلمونه من شاؤوا بأمر الله الخاص فالطريق طريقهم والسير إليهم ، فهم عليهم السلام الأدلاء وهم المطلوبون وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك بقوله : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴾ ، فعلى رواية أنهم قرى الظاهرة وقد أمر الله جميع خلقه أن يسيروا فيها لأنهم الأدلاء إلى القرى التي بارك فيها وهي علاماته ومقاماته التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفه بها من عرفه ، وأما على الرواية الأخرى فالقرى الظاهرة العلماء من الشيعة أمر الله الرعية أن يسيروا فيها إلى الأئمة عليهم السلام وهم القرى التي باركنا فيها وعلى كل حال فهم الأدلاء على الله تعالى لا غيرهم إلا بسبيل هداهم .

فإذا تقرر ما أشرنا إليه فاعلم أنهم عليهم السلام قد أذنوا لأتباعهم في جميع ما أسسوه من جميع الأعمال ، فإذا عمل الشخص بما أمروا به عليهم السلام فهو يسير بدلالتهم فلا حاجة لأحد إلى مرشد غيرهم والمرشد إلى طريقتهم كما أسسوا ليس واسطة وإنما هو منبه ومذكر كما ذكرنا سابقاً وعلى ما ذكرتم من

مقتضى الرفيق ، ثم الطريق لا يدل على اتخاذ المرشد كما زعموا لأن الرفيق هو المصاحب في السير لا الحامل ، والمرشد عندهم هو السفينة النجاة وهو الحامل وهو الذي يسيرهم في البر والبحر ومما ندبهم إليه الشيطان أنه قال لهم يجب استحضار صورة المرشد عند نية العبادة وإلا لم تقبل.

واعلم أن المعبود سبحانه ليس في مكان ولا يخلو منه مكان ولا جهة في الغيب والشهادة وصورة المرشد محدودة مميزة في خيال المريد في أسفل الدهر من عالم الملكوت أو في أوسطه على أحد الاعتبارين ، فإذا كان الباب الموصل إلى رب الأرباب مميزاً محدوداً أوصل المريد إلى مميز محدود بإشارة ملكوتية ، والمعبود جلّ وعلا لا يشار إليه بإشارة حسئية ولا ملكوتية ولا جبروتية ، وإنما يطلب بكشف سبحات الجلال من غير إشارة ، فإذا محى الموهوم صحا المعلوم والعابد على ما علموه أئمة الهدى عليهم السلام ، يتوجه إلى الله لا إلى جهة ولا بإشارة فيظهر له الوجه ذو الجلال والإكرام ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ، فلا يجوز عندهم أن يستحضر العابد عند نيّته صورة أبداً لا فرق بين صورة محمد وعلي وآلهما صلّى الله عليهم أجمعين ، وبين صورة غيرهم لأن الصورة محدودة والمحدود لا يوصل إلى غير محدود وإنما يوصل إلى مثله قال عليه السلام : (**إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها**) .

فالمراد لا يوصل إلى الإكمال ولا إلى كمال وإنما يوصل إلى النقص والإضلال والضلال وما ذكروه ، فإنما هو شيء تفوهوا به وتقوّلوه ورووا في إسناده إلى الأئمة عليهم السلام روايات عامية

مكذوبة يضلون بها الطالبين ، وقد تقدم فيما ذكرنا أن أصل هذا المذهب عامي ومبني على مذهب العامة والداعي لتأسيسه مقابلة أئمة الهدى عليهم السلام لينصبوا لهم حجة من أنفسهم يعدلون بها الحجة التي نصبها الله لعباده وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ وكما قال تعالى : ﴿وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ فلما أرادوا ذلك خذلهم الله سبحانه ، ﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ ، وهذا المذهب ليس له أصل في العلم ولا في العمل وإنما هو من تلك الشياطين المتلونين المموهين الذين مزجوا اليقين بالتخمين والغث بالسمين فهو طعام من غسلين وضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ، فإياك أن تميل إليهم ظاهراً أو باطناً أو تصحح شيئاً من أقوالهم وإن كان حقاً يجب العمل به فخذه عن أهله المحقين فلو أخذت من المبطلين إنه منهم كان باطلاً فافهم وفقك الله تعالى لما يحب ويرضى .

قال أيده الله تعالى : وعلى الأول فمن المراد من الشيخ المقتدى أهو من كان عالياً على السالك في الجملة للزوم المناسبة بين المهتدي والمهتدى به ، ولأن العالي الكامل لا نظر له إلى السافل أو هو من كان قاطعاً لعقبات الطريق ومنتهياً لا مقيماً هناك ، بل راجعاً ثانياً لإيصال القوافل فرداً فرداً بلا واسطة لجامعيته وإحاطته ومناسبته للكل وتمكنه من النزول في مرتبة السافل كما هو حال النبيّ صلى الله عليه وآله البالغ إلى الأعالي المبعوث على الأدنى أو بواسطة لامتناع الطفرة في الفيض كالمكان والزمان .

أقول : لا نقول بقولهم ولا نريد مرادهم ولكن لما كان لكل

مسألة جواب ، والجواب قد يتوقف على بيان السؤال ، قلنا : المفروض من الشيخ المكمل على ما يدعيه أولئك ليس مجرد من كان أعلى من المريد في الجملة لأن مثل ذلك هو سائر والسائر إنما يسير بين طلول ممحلة وعقبات كؤود وأمواج هائلة في بحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب فيه ظلمات ورعد وبرق ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾ ، ولقد أشار عبد الله بن القاسم السهروردي في قصيدته في وصف هذا الطريق والسائرين من فحول الرجال والواصلين فيه قال :

حملوا حملة الفحول ولا يصـ
ـرع يوم اللقاء إلا الفحول
بذلوا أنفساً سخت حين شحت
بوصال واستصغر المبذول
ثم غابوا من بعد ما اقتحموها
بين أمواجها وجاءت سيول
قذفتهم إلى الرسوم فكل
دمه في طلولها مطلول
نارنا هذه تضيء لمن يسـ
ـري بليل لكنها لا تنيل
منتهى الحظ ما تزود منه الـ
ـلَّحظ والمدركون ذاك قليل

فالطريق التي هذه حالها لا يهدى فيها إلا واحد الوقت الواصل

الذي كانت نفسه كاملة ، بعد أن كانت مطمئنة راضية مرضية لأن من ليس كاملاً في نفسه لا يكمل ، وإن كان قد يحصل من غيره تكميل لشخص أنقص بما عنده من الزيادة عليه إلا أنه قد يحصل منه نقص يصل إلى ذلك الشخص التابع لما فيه من النقص ، فلا بدّ أن يكون المتبوع كاملاً ليكمل بفاضل كماله نقص غيره وبيان حال ذي الفضل ، إن الأشياء على ثلاثة أقسام :

قسم تزيد لطيفته من ربه على حقيقته كالنور ، فإن استضاءته تزيد على حقيقته فهو بما يخص حقيقته ظاهر في نفسه وبفاضله مظهر لغيره .

والثاني : لطيفته بقدر حقيقته كالجمرة فإنها بها ظاهرة في نفسها وليس فيها فاضل يظهر به غيرها .

والثالث : كالأشياء الغاسقة كالحجر فإن لطيفته تنقص عن حقيقته فلهذا لا يكون بنفسه ظاهراً وإنما يظهر لغيره ولا يظهر غيره ، لأنه يعجز عن إظهار نفسه ، فالمطلوب من الشيخ من كان من القسم الأول ، ليكمل بفاضل كماله الناقصين ولا يلزم منه عدم المناسبة ولا الطفرة في الوجود ولا أن العالي لا نظر له إلى السافل لأن الموصوف بما ذكرنا له مع من يريد تكميله أحد حالين الأول له أن ينزل في مظاهره إلى أن يقرب من السافل كما كان تفعله الأئمة عليهم السلام في بعض الأحوال ، إذا أرادوا أن يخاطبوا بعض الحيوانات يهمهم كما يفعل ذلك الحيوان المخاطب بحيث يفهم الحيوان خطابه عليه السلام كما في رواية محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام في خطاب الورشان مع أنثاه ومراتب نزوله عليه السلام من رتبته إلى رتبة الطيور هي مظاهر له فلا طفرة في الفيض

ولا عدم مناسبته ، بل الوجود على هذا متصل متناسب ، الثاني أن يرفع الناقص بفاضله فيكمله أما حال الخطاب خاصة ثم يسلب منه ذلك الفاضل كما ينطق الجماد والحيوانات بالكلام الفصيح ، وكما أمر الرضا عليه السلام صورتي السبع اللتين في مسند المأمون فقاما سبعين فأكلا خادم المأمون وأمرهما فرجعا صورتين وكذلك الهادي عليه السلام حين أمر الصورة فقامت سبعاً فابتلع الهندي ثم أمره فرجع صورة فبفاضل لطيفته كمل الصورة حتى كانت سبعاً ، ثم سلب عنه ما أعطاه ولو شاء أبقاه على حالته وبيان حقيقة هذا يحتاج إلى تطويل ولا يقدر على النزول في المظاهر حتى يصل إلى السافل أو يكمل السافل حتى يقرب من العالي إلا الكامل المتصرف .

ومن كان هذا حاله فله نظر إلى السافل لأن هذا الموصوف علة للناقص والمعلول الذي مادته وصورته من العلة أو بالعلة يكون قائماً بعلته قيام صدور أو قيام تحقق ، وهذه الحال لا يكون من المرشد وعلامة مثل ذلك أنه إذا مات ، مات المعلول كالضياء فإنه لا وجود له بدون المنير وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (**وخلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها فإذا اعتدل مزاجها فارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد**) انتهى .

فإذا تقرر هذا تبيّن لمن عرفه أن العالي إن كان له نظر إلى السافل جاز أن يقال : إنه يكمله ولا يستغني عنه وإلا فلا ، وإن علمه شيئاً فهو مذكر ومنبه كما ذكرنا سابقاً ، ثم إن العالي المشار إليه لا بدّ أن يكون قبل السافل وبعده وإلا فلا يكون مكملاً بل هو

رفيق ومشارك ومذكر ومنبه ، وأما كيفية تكميله لكل فرد فلأنه باب المدد والقابلية شرط في حصول المدد وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ﴾ .

قال سلمه الله تعالى : وعلى الثاني فالاستهلاك الذي يلتزمونه ويعبرون عنه بالفناء في الشيخ لا بأس به كثيراً إلا ما يتراءى من كون الشيخ حجاباً يلزم قطعه أيضاً ، إن لم يمنعه الاستهلاك فيه وعلى الأخير وربما كان مآله إلى الأول يلزم شهود المطلوب تحت ألف حجاب مثلاً ، إذا كان الوسائط بهذا العدد وحصل الاستهلاك والفناء بين المريد والمراد وإن كان الأخير ممتازاً عن الأول إذا كان نظر السالك في الأخير إلى المراد الحقيقي بواسطة أو بوسائط فهو في الجملة شهود الوحدة في الكثرة ، فلا يلزم فيه ما يتوهم وروده في الأول من عبادة العجل والوجود المقيد حيث كان المنظور هو المراد لا غير .

أقول : أشرنا إلى أن الذي يوافق مرادهم هو الثاني لأنهم يدعونه في كل مرشد وإن كان جاهلاً لأن أصل هذا المذهب وضع لمقابلة أهل العصمة عليهم السلام ، ولقد وقفت لهم على دعاوى عظيمة من بعضها أن شخصاً منهم كتب في كتاب صنفه أنه لو شئت لأظهرت من القرآن ألف ألف علم كل أدلتها من القرآن ، ولكن يمنعني أني لو أظهرت شيئاً من تلك الأدلة لما قبلتها عقول الناس لجهلهم بأسرارها ، وقال شخص : لو شئت لأوقرت سبعين بغلاً من تفسير ألف الحمد لله وكل هذا في مقابلة ما ذكره أمير المؤمنين عليه السلام في باء بسم الله ، وأرادوا بتلك الأدلة وتلك العلوم أشياء يحرمها الشارع عليه السلام وينهى عنها وليقولون إنما نهى

ذلك العوام حتى إن منهم من جوز النكاح المردان بالعقد والصداق واستدل عليه أن التزويج حقيقة شرعية في العقد والصداق ، وذلك مما قال في محكم كتابه : ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ فلو قلت له : ليس هذا مراد الله لقال لك : إني قد قلت لك : إن هذه الأشياء من العلوم وأدلتها لا تفهمها العوام وتنكرها ، وإنما هي للخواص وكل هذه الضلالات والتكلفات التي ابتدعوها لأجل معارضة أئمة الهدى عليهم السلام ويدعون كل فضائل الأئمة عليهم السلام فالمرشد عندهم بهذه الحال وإن كان جاهلاً وذلك ما قال الله سبحانه : ﴿الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ الآية ، وأما الاستهلاك والفناء الذي ذكروه في الشيخ حتى أن شاعرهم يقول في حق المريد بالنسبة إلى الشيخ :

اعدم وجودك لا تشهد له أثراً
ودعه يهدمه طوراً ويبنيه

ففيه بأس كثير وضلال كبير ، وذلك لأن هذا الشيخ إذا كان المريد يعلم أنه ليس بمعصوم بل يجوز عليه الخطأ فالواجب في الحكمة أن يقبل المريد كل ما لا يخالف الضرورة من الدين والمذهب إذا عرف من شيخه دليله ، ويرد كل ما خالف الضرورة من الدين والمذهب هذا في الأصول ، وأما في الفروع إذا كان الشيخ من أهل الاستنباط وأهل الاستفتاح بشروطها جاز أن يأخذ عنه الحكم الذي لا يخالف إجماع أهل المذهب من غير دليل ، وأما إذا كان للمريد ميل إلى شيخه فلا يجوز له الاعتماد على مجرد الميل ، ثم إنّا نقول : أما المعصوم عليه السلام فلا إشكال في إصابته الحق في كل أقواله وأعماله وأفعاله وأحواله وذلك معلوم ،

وأما غيره فإنما اشترطنا في جواز الأخذ عنه في المعتقدات الدليل الذي يكفي المريد وإلّا يكون مخالفاً لظاهر الملة الحنفية من الإسلام والإيمان لأن الشخص في عالم الذر خاطبه الله بإيجاده في إجابته بمعنى أن الإيجاد مادة والإجابة صورة والحقيقة في بطن الصورة التي هي الأم لا في صلب المادة الذي هو الأب ولهذا قال عليه السلام : (**السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه**) ، فالسعادة والشقاوة في الصورة لا في المادة ، أما ترى إلى السرير والصنم فإن مادتهما واحدة وهو الخشب وطيب السرير في صورته ومن صورته وخبث الصنم في صورته ومن صورته ، وكذلك المداد فإنه صالح لأن تكتب به الاسم الشريف والاسم الوضيع وإنما يتحققان في الصورة ونظير ذلك ما قال الشاعر :

أرى الإحسان عند الحر ديناً
وعند النذل منقصة وذما
كقطر الماء في الأصداف درّ
وفي بطن الأفاعي صار سمّا

فلما خاطب الله الشخص بإيجاده بقوله : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ كانت إجابته للسؤال صورة حقيقته وماهيته من السعادة والشقاوة ، فإن أجاب بالطاعة والانقياد كانت السعادة ، وإن أجاب بالإنكار والجحود كانت الشقاوة مع أن المادة التي هي الإيجاد واحدة وهي ألست بربكم وأجاب بالإنكار والجحود خلق الله طينته من ذلك وهو من صورة الحيوانات والشياطين وهي طينته خبال من سجين ﴿ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴾ .

واعلم أن الشخص عبارة عن هذه المادة وهذه الصورة وليس شيء منهما قبل الآخر لا في الوجود ولا في الظهور وإنما هما متلازمان في الوجود كالكسر والانكسار وجميع الخلق أجابوا بقولهم بلى ، وهي صورة الإجابة فمن قالها بلسانه وقلبه خلق إنساناً ظاهراً في صورته وباطناً في حقيقته ، ومن أجاب بلسانه وأنكر بقلبه خلق إنساناً ظاهراً في صورته وحيواناً أو شيطاناً في حقيقته ، فلما رجعهم إلى الطين وخلقهم في هذه النشأة على ما هم عليه في عالم الأظلة والذر ، فإذا كبر الرجل وطلب العلوم واستعمل الرياضة كشف له عن حقيقة إجابته في عالم الذر ، فالكشف الذي يدعونه أهل التصوف ، إنما يكشف للشخص عن حقيقة إجابته لا عن حقيقة الأمر الواقع ولهذا ذكر محيي الدين بن عربي في فتوحاته المكيّة في ذكر الأولياء أن منهم من له الخلافة الظاهرة والباطنة مثل أبي بكر لعنه الله وعلي عليه السلام ومعاوية لعنه الله ويزيد بن معاوية وعمر بن عبد العزيز لعنهما الله والمتوكل لعنه الله من بني العباس .

فتأمل في هذا الكشف الذي ظهر على هذه المرآة السوء فإن خلافة يزيد بن معاوية لعنه الله الباطنة لعل المراد منها شرب الخمور ونكاح المحارم وقتل الحسين عليه السلام ، وأما مثل خلافة المتوكل لعنه الله الباطنة فلعل المراد أنه إذا أراد الزنى واللواط في النهار ما يفعل ذلك في الأسواق وإنما يفعله في البيوت مستخفياً عن عامة أهل البلد لا عن البعض وهذه خلافة يصدق عليها أنها باطنة لعن الله ابن عربي بعدد ما في علم الله ، فالكشف الذي يكشف عن هذه الحقائق وأمثالها مما ذكر بعضه سابقاً كيف

يجوّز العاقل المتقي أن يركن إليه ويقبله وكيف لا يكون فيه بأس كثير ما لم يكن القدوة معصوماً ؟ وأما على ما يتراءى من كونه حجاباً يلزم قطعه .

فنقول : إن كان حجاباً علياً امتنع قطعه بل لا يمكن الوصول إلى حقيقته لأن المعلول لا يصل إلى رتبة العلة أبداً ، لأن هنا سراً خفياً أشير لك إلى بيانه فأقول : اعلم أن العلة في الحقيقة إظهار الفاعل مفعوله بمادة فيضه وهو وجود ذلك المفعول من اختراع فعل فاعله وبماهيته وأكوانه الستة المقومات لماهيته ، وهي الوقت والمكان والجهة والمرتبة والكم والكيف وما يتبع ذلك كله ، وذلك الإظهار هو علة ذلك المفعول ، والمفعول قائم به قيام صدور وهذا الإظهار هو صفة الفاعل سواء كان نفس الإظهار أو محله المعبّر عنه والمشار إليه في أحاديثهم عليهم السلام بقولهم : (**نحن محال مشيّة الله تعالى**) ، والذات إذا توجهت إليها غيبت الصفة وإن كنت لا تصل إلا إلى الصفة أو لا تدرك إلا الصفة مثاله ، إذا خاطبتك وقلت لك : يا قاعد فأنا لا أعني القعود ولا أخاطب إلا الذات الظاهرة لي بالقعود ، ولكني لا أصل إليك إلا بالصفة فأنا لم أتجاوز الصفة ولم أخرقها ، ولكن الذات ظهرت لي بالصفة ظهوراً غيبت الصفة ، فلو اشترطنا في معرفة الذات تجاوز الحجاب ، لكان لا يعرف أحد ربه حتى يكون أعلى رتبة من محمد وآله صلى الله عليه وآله لأن من خرق الحجاب فقد تجاوزه وكان أعلى رتبة منه وإن كان حجاباً غير العلة على نحو ما أشرنا يجب هتكه وإلا لم يعرف ربه كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لكميل بن زياد : (**هتك الستر وغلبة السر**) فإن استهل في مثل هذا الحجاب ولم يتجاوزه هلك .

وأما لزوم شهود المطلوب تحت ألف حجاب فكل هذه خرافات لأن المطلوب لا يشهد إلا بمحو كل حجاب حتى حجاب المحبة وحجاب الإشارة والكيف ظاهراً وباطناً غيباً وشهادة كما قال عليه السلام لكميل : (**كشف سبحات الجلال من غير إشارة**) وقول الصادق عليه السلام في تفسير عبدنا في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا﴾ الآية ، قال : (**العين علمه بالله والباء بونه من الخلق والدال دنوه من الخالق بلا إشارة ولا كيف**) .

وأما الفناء بين المريد والمراد فإن أريد من المراد الذات البحت فدون ذلك خرط القتاد ، وإن أريد به ظهور لك فهو حق ولكنه ظهوره لك بك ففناؤك فيك كما أشاز علي عليه السلام بقوله : (**لا تحيط به الأوهام ، بل تجلى لها بها وبها امتنع منها**) لأن أعلى مظاهره لك هو نفسك من فعله لأنه سبحانه تعرف لك بوصفه لك الذي هو ذاتك قال عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**) .

وأما قولكم وإن كان الأخير إلى قولكم فهو في الجملة شهود الوحدة في الكثرة فإن أريد بالوحدة المشهود في الكثرة الوحدة الواجبة الذاتية فهو قول الكفر أين التراب ورب الأرباب قال علي عليه السلام : (**انتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود**) وإن أريد بالوحدة وحدة أول الوجود المقيد المعبّر عنه بالماء الأول وهو المخترع بفعل الله لا من شيء وهو الذي قام به كل شيء وهو المساق إلى البلد الميت والأرض ، الجرز فكان أول ثابت فيها العقل الأول الذي هو أول

غصن من شجرة الخلد في جنان الصاقورة الذائق من حدائقهم الباكورة ، فإن أُريد به مطلق الوجود المقيّد من ظاهر ومظاهر وأعراض وجواهر مما ملأ العمق الأكبر فلا بعد في إدراك العارف لهذه الوحدة وهذا أحد معاني وجه الله في قوله تعالى : ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ ولا شك أن هذه الوحدة تفني الكثرات وإن أريد به الماء الأول نفسه أو الثاني نفسه أو الثالث نفسه بدون مظاهره فهو باطل للاتفاق على أن كل شيء لا يدرك ما قبل مبدئه فمن يدّعي أنه وصل إلى مقام الماء الأول الذي هو مس النار المذكورة في سورة النور أو إلى مقام الزيت هو أرض الجرز الأولى أو إلى المصباح الذي هو العقل الأول غير محمد وأهل بيته وهم أربعة عشر المعصومين عليهم السلام فقد افترى وقال زوراً وأتى غروراً إن نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى وهم أولو العزم من الرسل عليهم السلام ما ادعوا ذلك ، بل قال عيسى عليه السلام : ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ .

وأما قولكم : فلا يلزم فيه ما يتوهم وروده في الأول من عبادة العجل انتهى ، فاعلم أنه يلزم ذلك لما ذكرنا سابقاً أن الشيخ المذكور عند السالك في خياله محدود مميز ولا يشهد في المحدود إلا المحدود ، والمراد ليس بمحدود وكيف لا يكون كالعجل ، وهو يتصور صورته في نيته لصلواته أما أن هذا السالك أصم فلو فتح مسامع قلبه لسمع هذا المرشد كما يقولونه يخور كخوار العجل وإن أردت البيان فانظر بقلبك إلى النبيّ صلى الله عليه وآله كما رواه الفريقان يجمع بين الروايتين أنه : (**كل ما كان في بني إسرائيل أو**

في الأمم الماضية يكون في هذه الأمة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة) فإذا صدقت لهذا الحديث المتفق عليه المؤيد بقول الله : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ شَـٰهِدًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًا ﴾ ، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلۡجِبِلَّةَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾ فأنا أسألك أين العجل في هذه الأمة ؟ وأين الذين عبدوه ؟ وأين السامري الذي صنع العجل ؟ ، فإذا عرفت أن في هذه الأمة سامرياً وقد نصب عجلاً يُعبَد من دون الله تبين لك أن العجل رجل اتخذوه إماماً من دون الإمام الحق عليه السلام فكيف لا يلزم فيه ما يلزم في عبادة العجل وهو عجل هذه الأمة الذي عُبد من دون الله ؟ تأمل تأويل قوله تعالى حكاية عنهم : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌۚ ﴾ فموسى هو محمد صلى الله عليه وآله واتخذ قومه من بعده عجلاً جسداً أي من بعد ذهابه إلى ربه كناية عن موته صلى الله عليه وآله ، وأما الحلى في هذه الأمة فهو من الحلاوة أي الملائمة بين العجل وعابديه وهو من تفسير ظاهر الظاهر فافهم .

قال سلمه الله : إن قلت نظره إليه كنظر طالب العرفان إلى ملاحظة ما في الأنفس من الآيات كنظره إلى أي موجود من الموجودات تحصيلاً للآيات الآفاقية وهذا المعنى ، وإن كان لا اختصاص له بالشيخ لكن هو لكمالات نفسه وتحلية مرآة نفسه المنعكسة إليها لمحاذاتها شطر الحق الأمور الغيبية حقيق بملاحظة آيات الله فيه سيما وقد انفلقت حبة وجوده وتمت سنابله إلى أي موجود وإن كان في حيز عدم التفصيل والكون في الإجمال والتداني في الإدبار وعدم الإقبال ، فهو إذاً ككوة الشمس لانعكاس الأشعة وتمييز الحق من الباطل بملاحظة النور بخلاف من بعد في

الرتق وعدم الفتق وهذا معنى الحب في الله وموالاة أوليائه ، ولأن المرء مع من أحب ومحشور معه حتى (**إذا أحب الحجر حشر معه**) كما في الخبر فمحبة الكامل وفرط محبته يوجب الكون في درجته ، فمن فاز وتشرف بمحبة الكامل حق عليه بمجرد ذلك إطلاق اسم الواصل .

أقول : إذا كان نظر المريد إلى شيخه المصطلح عليه عندهم كالنظر إلى الآفاق والأنفس لتحصيل الآيات لم يكن ذلك الشيخ له مرشداً على زعمهم ولا دليلاً ولا مستدلاً للمريد ، بل المريد هو المستدل فكما أن العارف بالآيات ينظر في الجماد مثلاً ، ويشهد الآية ويسمع نطقها كذلك المريد ينظر إلى شيخه كما ينظر إلى الجماد وأنه إذا عرف الآيات فهو الواصل فلا حاجة إلى هذا الشيخ وإن كان كاملاً ، ثم إن هذا الشيخ إنما تحصل له كمالات النفس وتحلية مرآتها باستعمال الآداب الشرعية والتخلق بأخلاق الروحانيين من الزهد وتخفيف أثقال التبعات والتخلي من الأشغال حتى تكون مدينة حصينة وتنصرف روحه عن المحل الأدنى وتتعلق بالمحل الأعلى لمداومته على التقرب بالنوافل حتى أحبه الله كما قال تعالى : ﴿ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ فإذا كان كذلك كان هواية الله لا أنه حقيق أن يلاحظ الآيات فيه .

وأما إذا انفلقت حبة وجوده بالمحافظة على مودة سيدة النساء فاطمة الزهراء صلوات الله عليها وظهرت سنابله السبع سنبلة العقل وسنبلة العلم ، وسنبلة الوهم ، وسنبلة الوجود الثاني ، وسنبلة الخيال وسنبلة الفكر ، وسنبلة الحياة ، وكانت في كل سنبلة مئة حبة من مودة سيدة النساء عليها السلام وعلى أبيها وبعلها وبنيها فقد

شابه جواهر أوائل علله وهو من الآيات التي ترى في الآفاق وفي الأنفس لا أن الآيات تُرى فيه ، وأما شيخهم المدّعي فقد تخلّق بأخلاق الشياطين ولهذا تراهم يقارفون السيئات والمعاصي الموبقات ومثل هذا تنفلق حبة وجوده بماء الأجاج ، وتظهر سنابله السبع في النفوس السبع التي هي نفوس الأرضين السبع ، أرض النفوس ، وأرض العادات ، وأرض الطبع ، وأرض الشهوة ، وأرض الطغيان ، وأرض الإلحاد ، وأرض الشقاوة فلا تغتر بمثل هذا وإن ظهر لك أنه عالم لأنه كما قال الشاعر :

لو أن في العلم من غير التُّقى شرفاً

لكان أشرف كل الناس إبليسا

فإذا وجد مثل هذا فهو شيء من سائر الأشياء وكل شيء ، وإن كان في حيز عدم التفصيل والكون والإجمال انتهى ، فهو يصلح للنظر فيه ولحصول الدليل منه لكن للعارف لا للمريد الذي يحتاج إلى المنبه والمذكر .

وأما قولكم فهو ككوة الشمس انتهى ، إنما يكون كالكوة إذا كان باباً للوجود فهو حينئذٍ يكون باباً للمريد منه بدىء وإليه يعود ، وأما هؤلاء الذين يدعون فيهم ، فهم الذين ضُرب مثلهم في القرآن في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ صدق الله ورسوله .

وأما لزوم الحب في الله إلخ فأقول : كيف يكون حبهم حباً في الله وهم يحادون الله ورسوله في اعتقاداتهم وأعمالهم وأقوالهم تعالى ربي عما يقولون علواً كبيراً : ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ الآية ، وأدلة ما أشرنا إليه في الآيات والروايات وأدلة العقل كثيرة جداً ، ولكن لضيق وقتي أسلك سبيل الاختصار اعتماداً على معرفتكم وتكفيكم الإشارة .

قال سلمه الله تعالى : قلت : ما قلته وجيه لكنه اختيار للشق الأخير والكلام بعد في سهولة معرفته أو صعوبته لقصور السافل عن إدراك كمال الكامل ولا بأس بالإدراك في الجملة للموصل .

أقول : أما اختيار الأخير على فرض المماشاة معهم فلا ريب فيه ، وأما معرفته فأنت تنظر إلى قوله عليه السلام : (**اعرفوا الله بالله والرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) ، فأنت تستدل عليه بظاهر أعماله وتقلبات لسانه في أقواله وتعرف من تجب اتباعه بحيث لا يجوز لك أن تشهد لك عنده وجوداً بملازمة الحق في جميع الأحوال قال الله تعالى : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وأما أن السافل لا يدرك كمال انتهى ، فاعلم أنه إذا حصل له كمال إدراك كمال الكامل كان محيطاً به وكان أعلى منه فلا يكون سافلاً بل يكون عالياً ، وأما ما يكفي في المعرفة فهو أن تراه لا يخرج عن الحق أبداً .

قال سلمه الله : ثم على اعتبار كمال الكامل في لزوم الاقتداء وطي البيداء ، فهل يكفيه قطع المنازل وطي عقبات الطريق والإحاطة والجامعية لتكميل الناقصين ، وإن لم يروه ولم يرهم بل وإن لم يسمعوا به لأن الشمس بشروقها المحيط تزيل الظلمات وتجلي المبهمات ، ولأن دعوة لسان الاستعداد مستجابة أمّن يجيب المضطر إذا دعاه أو لا بدّ من الصحبة الظاهرة والحضور ليحصل

التقابل بين مرآة القابل والعكوسات المفاضة من الكامل أو بتوسط ممن لا يحبه بالرد السائل .

أقول : لا يكفي الأول إلا إذا علم المريد مقاصده وأعماله وأقواله وأحواله ولو بواسطة العدل أو واسطة عدول ، فإذا عملت بهديه واقتديت برأيه كان له تأثير عظيم إذا كان المريد طالباً لرضا الله تعالى وحده ويكون متفهماً بحقيقة فهمه على ما ينبغي ومعنى ذلك أن الطالبين على أربعة أقسام :

الأول : يريد الاستطالة والتشخص فهو مستنكف عن عبادة الله في نفسه وإن كان يظهر أنه يتعلم فهو لا يريد في نفسه التعلم وعلامته أنه يعارض الحق لئلا يقال : إنه لا يعلم وهذا لا يكاد يوفق للخير أبداً .

الثاني : ليس هذا حاله ولكن نفسه آنست بعلوم واعتقادات فيصعب عليها مفارقتها حتى أنه لو رأى الحق عند غيره لم تقدر نفسه على مفارقة ما أنست به لا من جهة التكبر والاستنكاف ، بل من جهة الاعتياد وهذا كثيراً ما يفوته الصواب والفوائد العجيبة وقل أن ينتفع بالتعليم .

الثالث : ليس كهذا ولا كذلك ولكنه يرجع في تفهمه إلى أصول وقواعد عنده فلا يقبل إلا ما وافق ما عنده من الأصول ، ولعل الخطأ في تلك الأصول كما هو أكثر أحوال أكثر العلماء وهذا غلطه كثير .

الرابع : ليس كهؤلاء ولكنه بممارسته للعلوم حصل له فهم وقوة إدراك لأنه لا يكون فهمه كفهم العامي البتة ، فإذا عرض له الحكم

والمسألة من الكتاب والسنّة ومن المعقول ومن آيات الله ومن كلام العلماء تفهمه بمحض فهمه وتدبره بقوة إدراكه ولم يلتفت إلى نفسه وتعززها ولا إلى عادتها ولا إلى قاعدته ، فإذا فهم مراده بمحض فهمه مريداً لرضا الله كان الله معه لأن أحسن التفهم وجاهد في الله تعالى لله ومثل هذا لا يكاد يخطىء وهو قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ فإذا سلك مع الشيخ الغائب عنه بهذا المسلك بالشروط التي ذكرناها سابقاً وهي أن تأخذ عنه ما لا يخالف الضرورة من المذهب ، إذا عرفت دليله في الأصول ، وأما في الفروع فإذا كان الشيخ من أهل الاستيضاح والاستنباط ولم يخالف قوله الضرورة من المذهب جاز الأخذ عنه وإن لم يعرف الدليل ، فإذا فعلت ذلك استنرت بنوره وفزت بهدايته وهذا حال من أخذ عن أئمة الهدى عليهم السلام وعن علماء شيعتهم .

وأما إذا اتفقت الصحبة الظاهرة فإن ذلك أولى وأقرب مسافة إلى الله تعالى وذلك لأن بعض العلماء قال : إن سكان الأرض الثالثة أرض الطبع شياطين همهم إدخال الشكوك والاحتمالات والشبهات على بني آدم وهم أضر الشياطين عليهم قالوا : فإذا كان في البلد عالم من أهل التحقيق قوي في قلبه ونفسه وكان مطاع الأمر في ذلك البلد لا يدخلها أحد من تلك الشياطين لأنهم لو دخلوها احترقوا بنوره وذلك لأن البعيد وإن كان مقتدياً إلا أنه لا يحصل من ذلك الشيخ ما يحتاج إليه وحاجته تتجدد كل حين وإذا صحبه كان به مستغنياً ، وأما ذكر العكوس المفاضة انتهى ، فهذا شيء قالوه وليس بمنقّح لأن العلم قد انبسط على جميع الخلق بانبساط

الوجود ، وإنما يظهر بإصلاح القابلية فالعالم معين للإصلاح لا أنه مفيض للأنوار ، ومثال ذلك أن الشمس إذا اشرقت على الأرض وعلى المرآة كان انعكاس النور عن المرآة أعظم من انعكاسه عن الجدار وليس ذلك لأن الشمس أشرقت على المرآة أكثر مما أشرقت على الجدار ، بل الإشراق واحد ولكن المرآة قبلت أكثر من الجدار فلو صقلت الجدار حتى كان صقيلاً كالمرآة انعكس عنه النور كما انعكس عن المرآة بلا تفاوت ولم تكن الشمس زادت في الإشراق عليه حين صقالته ، فالنور المقبول من الفيض لم يحتجب عن أحد ولم يحجب وإنما اختلفت الأشياء باختلاف قابلياتها وهذا معنى ما أشرنا إليه سابقاً في قول علي عليه السلام : (**ولكن العلم مجبول في قلوبكم تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم**).

وأما الاقتباس من نور الشيخ والاستضاءة منه إنما يراد به في الحقيقة التنبيه والتذكير المعبّر عنه بالإصلاح للقابلية ، وإلا فلا يمكن أن يصل شيء من النور إلى شخص لم يقبله في الذر ، نعم قد يكون الشيخ شرطاً في قبول شيء من ذلك على نحو ما قلنا لأن الشيخ قد يكون من متممات المشخصات للقابلية إلا أن يكون علة كما نعتقده في المعصوم ، فلا شكّ أن جميع ما يصل إلى شيعته من فاضل شعاعه ولهذا سموا شيعة لاشتقاقهم من الشعاع أو من المشايعة أي المتابعة والمآل واحد .

قال سلمه الله تعالى : ثم اختلاف كشوف السالكين والمكاشفين ووقوع معتقد في مرآة اعتقاد مريد ووقوع خلافه في مرآة معتقد الآخر كمشاهدة بعض شيوخ المتصوفة العامية خليفتهم الأول والثاني ، ذا رتبة على خلاف كشف أهل الحق هل لملاحظتهم

بمجرد عقائدهم في معارجهم على سماوات نفوسهم بها ، فيلزم طالب الحق قبل المجاهدة التعرية أولاً عن كل اعتقاد لا يتيقنه أو لوقوع معتقدات في مرآة قلب المريد فيحسبها صحيحة لانتقاش مرآة قلبه بها .

أما من حيث المقابلة بعد التصفية والتجلية أو من جهة تصرف المراد له أو عليه إذ هو كالميت بين يديه على ما اعتبروا من لزوم كون المريد على ذلك الحال لديه ، فربما يفاض عليه منه الكفر والإنكار فيزل عن المحجة وربما يحصل به الإيمان والإقرار ومزيد الحجة ولذا قيل بالفارسية :

أى بســا إبلــيــس آدم روكــه هــســتـــ

ـــس بــهــر دســتــى نــبــايــد داددســت

أقول : لهذه المسألة جوابان ظاهري وباطني :

أما الأول : فلأن الاختلاف إنما نشأ من ملاحظة عقائدهم في معارجهم لأنه أبداً يلاحظ طريقه الذي كان يعتقد حتى أنه لو انكشف له خلافه تكلف صرف المخالف وصاحب هذه الطريقة تنفتح له وجوه الاحتمالات بحيث لا تضيق عليه طريق صرف المخالف إلى وجه يوافق ، وعلة ذلك انقطاعه كما تقدم في حديث الأسرار : (**من أخلص لله العبودية أربعين صباحاً تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه ، فإن كان مؤمناً كان نوراً له**) ، وبيانه أن المؤمن قد وفق للحق وإنما جهل سرّ حقيقة طريقه قبل الانقطاع ، فإذا انقطع ظهر له سرّ ذلك الحق ثم قال ما معناه ، (**وإن كان كافراً كان حجة عليه**) ومعناه أنه قد سلك طريق الباطل قبل الانقطاع فإذا انقطع سلك ما يطابق طريقه فيظهر له سرّ ذلك

الباطل ، فهذا سر الاختلاف لا لوقوع معتقدات في قلب المريد فيحسبها صحيحة لأن هذه المعتقدات وإن كانت إنما حصلت له بعد التصفية والتخلية فإنه يجب أن تكون مطابقة للحق من كل أحد لأن الله سبحانه فطر الناس على فطرة الحق وإنما وقع التغير من تغيير تلك الفطرة وإذا خلقه الله على هيئة الحق المسماة بهيكل التوحيد باطناً وبفطرة الإسلام ظاهراً اقتضت من شأنها الحق لكنه غير تلك الفطرة كما أشار سبحانه إلى ذلك بقوله : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ﴾ والنفي بمعنى النهي أي لا تبدلوا خلق الله وقال تعالى حكاية عن إبليس لعنه الله : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِۚ ﴾ .

فإن سلك بها بعد التغيير سلكت به مقتضاها من القول بالنصب أو الغلو أو بالدهر أو بالشرك أو الجحود وغير ذلك على حسب التغيير في الخلق ، وإن صفاها وجلاها كما ذكرتم فظاهره إزالة التغيير فهذا لا شك في إصابته الحق وإن أريد خلاف الظاهر بأن صفاها وجلاها على ما هي عليه من التغيير ، فذلك ما قال : إنه يلاحظ مذهبه في عروجه فتشتد عليه الظلمة لأنه كان منكراً للحق عن جهل والآن منكر للحق عن علم فلا يكون سبب الخطأ مقابلته بمرآة نفسه بعد التصفية والتخلية ولا من جهة تصرف المراد لأنه لا تصرف له إلا في القابلية كما قلنا ، فإذا كان تغيير خلق المريد من المراد ، أحدث الله سبحانه في قلبه مقتضى ذلك التغيير من باب حكم الوضع كما يذكره أهل الأصول ، وهذا التغيير لا يكون قسرياً من المرشد وإن كان بسببه بل هو اختياري من المريد ، فإنه يأمره بأمور تخالف الحق إن كان المريد قبل ذلك محقاً فرضي المريد منه

بما يخالف حقه وإن كان المريد مبطلاً لم يكن مغيراً وإنما هو منبه له على سرّ معتقده الباطل فلا يكون التغيير من جهة تصرف المراد بأن أفاض عليه الكفر والإنكار أو الإيمان والإقرار لأنه حينئذٍ نبه غافلاً لم يتغير فطرة الله فيه وليس ذلك المراد المدّعى علة في إيجاد المريد ليقلب حقيقته إن شاء إلى ما يشاء فافهم الإشارة .

وأما الجواب الباطني : فلأن الاختلاف كان في الخلق الأول في التكليف الأول في المعاني والرقائق حين شاء أكوانهم وأراد أعيانهم ، وفي الخلق الثاني في الصور صور السعادة والشقاوة حين قدر هندستهم وذلك حين سألهم بما سألوه أن يسألهم به فقال لهم : ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي إمامكم ووليكم ، فقالوا : بلى فمنهم من قال : بلى بقلبه ولسانه معتقداً ومنهم من قال : بلى بلسانه وقلبه منكر ومنهم قال : بلى بلسانه وقلبه واقف لم يقر ولم يجحد فخلقهم على صورة إجابتهم من الإقرار والإنكار أو الوقف ، وبلغت حجته وتمت كلمته ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ فاختلفوا ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ أي على ما هم عليه من الإقرار والإنكار بالاختيار ، ولهذا جرى الإيجاد بصورة السؤال ولو جبرهم لقال : أنا ربكم ومحمد نبيكم وعلي إمامكم على سبيل الحتم والحكم ، ولكنه خيّرهم فاختاروا ما في سابق علمه بهم فكانت هداية المهتدين وضلالة الضالين باختيارهم .

وقد ذكرت في خطبة لي أنشأتها في عيد الأضحى كلاماً يناسب إيراده هنا وهو : بل خلق الخلق على مستقرهم إذ خلقهم بدعوة سرهم فأعطاه ما سألوه من حكمهم وفطرهم إذ شأن المختار اختيار

شأن أمرهم ولو كان موجباً لجرى فعله بقسرهم فتعالى في ذاته وعزة أفعاله وصفاته عن خيرهم وشرهم ، بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون .

فإذا عرفت هذا ظهر لك أن كل شيء من المخلوقات إنما يعمل ويعتقد بما هو عليه مما اختاره في الذر الأول والذر الثاني وهذا معنى قولنا : إن الشيخ ليس له دخل في الهداية والضلالة وإنما يكون له دخل في القابلية وفي الحديث النبوّي في رواية جابر أنه جاء سراقة بن مالك فقال : يا رسول الله بيّن لنا ديننا كأننا خلقنا الآن ففيم العمل اليوم فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل ؟ قال صلى الله عليه وآله : (**بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير**) قال : فبم الغنمل ؟ قال صلى الله عليه وآله : (**اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل غامل بعمله**) [بعلمه] انتهى .

ثم اعلم أن ما خلق له هو ما أجاب به باختياره كما مر ، فإذا خفي عليك فانظر في هذه الدنيا إلى من أطاع ومن عصى فإنه مطيع أو يعصي باختياره بعد البيان وما كان في الذر الأول والثاني هو عين ما ترى هنا بلا تغيير ولا مغايرة ، فالذي يحصل لأصحاب الكشف إنما يكشف لهم ما في حقائقهم ، وعلى كل تقدير فلا يلزم طالب الحق التعرية قبل المجاهدة عن كل اعتقاد لا يتيقنه لأن هذا للزوم يعتبر في تحصيل اعتقاده أولاً لا لأجل السلوك ، بل لأجل فهم الحق ابتداءً كما ذكرنا في المراد من قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ ﴾ لأن التعرية عن المعاندة وعما اعتادته النفس وعن الاعتماد على القواعد والأصول في فهم الحق هو أن يتعرى عن الأحوال الثلاثة وينظر بفهمه وذكائه خاصة وقد تقدم .

قال سلمه الله تعالى : وعلى هذا لا يجوز التعلق بذيل شيخ من الشيوخ لقصور السافل عن إدراك الكمال أو الضلال أو الإضلال سيما وقد اعتبروا من شرائط المراد كونه مكملاً بعلاوة الكمال إذ ليس كل كامل مستأهلاً للإيصال ، بل لا يمكن التشبث بذيل شيخ من شيوخ المتصوفة من أرباب الخرق المعروفة لعدم استنادهم إلى حجة الوقت ، بل لاعتقاد بعض كملهم كعلاء الدولة ارتحاله عليه السلام من هذه الدار نعوذ بالله من اعتقاد يوجب الخسارة والبوار أو لقصور المجاهدة وعدم الاعتصام بعروة المتابعة الحقة النبويّة والولاية الاثني عشرية لعبور السالك في معارجه مأوى شياطين الأهواء المستولة ونظر العقل والشهود بعد غير عادلة ولا مبدلة ، فإذاً لا اعتداد بالكشف إلا للنبيّ المجتنب قطعاً عن الجزاف والتخمين والوصي السالك على قدمه القاطع بالقطع للطريق والمكحل بصيرته بنور اليقين .

أقول : لا إشكال في عدم جواز التعلق بذيل شيخ من الشيوخ المعروفة إلا المتقين الذين سلكوا في تلك المعارج بظاهر طريق أهل العصمة عليهم السلام لا بباطن طريقهم من دون ظاهره ، بل كلّ ما يظهر لك من باطنه أنه مخالف لظاهره فإن الباطن عندك المخالف للظاهر باطل مضمحل لا يجوز التعويل عليه كما قال الصادق عليه السلام : (**إن قوماً آمنوا بالظاهر وكفروا بالباطن ، فلم يك ينفعهم إيمانهم ذلك شيئاً ولا إيمان ظاهر إلا بباطن ولا باطن إلا بظاهر**) انتهى .

فإذا رأيت الشيخ لا يخالف في جميع تحقيقاته وأسراره ظاهر الشرع فاعلم أن ذلك ممن يجوز التمسك بذيله لأن التمسك به عين

التمسك بأئمته عليهم السلام ، ولا تقول : إن كل واحد يدّعي ذلك ، لأن القول كله كذب إلا ما صدقه الفعل والعمل كما قال الشاعر :

وكـــل يـــدّعـــي وصـــلاً بـــلـــيـــلـــى
ولـــيـــلـــى لا تـــقـــر لـــهـــم بـــذاكـــا
إذا انـــبـــجـــســـت دمـــوع فـــي خـــدود
تـــبـــيّـــن مـــن بـــكـــى مـــمـــن تـــبـــاكـــى

وأما مشائخ الصوفية أصحاب الخرق الذين يدّعون صحتها برواياتهم الباطلة عن سلمان عن علي عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام وعن الله تعالى ، فكلهم هم ودعواهم فعلوا زخرف القول غروراً فذرهم وما يفترون ، وأما دعوى بعضهم عدم وجود الحجة عجل الله فرجه وسهل مخرجه فهذا مذهب العامة .

لكن ابن حجر ذكر في الصواعق المحرقة له أن فيه ثلاثة أقوال : فقيل هو محمد بن حسن العسكري عليهما السلام ، وقيل : هو عيسى ابن مريم عليهما السلام ، وقيل : هو مهدي العباسي ورجح هذا القول وعلى كل تقدير فقد أنزل في المنكرين لقيامه عليه السلام وحشر بعض الناس معه ممن محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً قرآناً وورد في تفسيره بهذا المعنى النص عن أهل العصمة عليهم السلام وهو قوله تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا

كَـٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَـٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ ، والوعد الحق في الباطن هو القائم عليه السلام والذي يختلفون فيه هو القائم فهؤلاء المنكرون له عليه السلام قد سماهم الله كافرين لأنهم كفروا بوجود حجة الله عليه السلام ولا شك أن هؤلاء وأمثالهم هم شياطين الإنس وهم طلع شجرة الزقوم وهم رؤوس الشياطين وإن من مال إليهم وقال بقولهم إنه يحشر معهم في أسفل درك من الجحيم ، بل في الفلق التي هي آخر درك من جهنم التي هي أسفل النيران نعوذ بالله من الضلالة والردى .

وأما إنه لا اعتداد بالكشف إلا للنبيّ وأهل بيته عليهم السلام فنقول : من كان يكاشف عن النبيّ وأهل بيته بمعنى لا يقول إلا بقولهم ولا ينكشف له إلا بكشفهم فمثل هذا يعتد بكشفه لأن كشفه إنما هو بما أصلوه في آثارهم وعلامته أنه لا يجاهد بمجاهدة أعدائهم من الرياضات والأذكار المخترعة ، بل بمجاهدة أئمته عليهم السلام من الصلاة والطهارة والتقوى وكثرة ذكر الموت وقراءة القرآن بالتدبر ومداومة السواك المعنوي ، وهو التوبة والإنابة والوضوء وهو الطهارة الحقيقية من الصدق مع الله بحسب جهده وكثرة النظر في العالم الملكوت من السماوات والأرض كما قال سبحانه : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ وقال صلى الله عليه وآله في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾ ما معناه ، **(ليس هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وإن كان ذكراً ولكن أن تذكر الله عند الطاعة فتفعلها وعند المعصية فتتركها)** ، فهذه وأمثالها مجاهدة أهل الحق لا أذكار الصوفية من

الشهقة والرقص والتصدية والغناء والأذكار الموضوعة والتفكه بالمردان والغيبة في الألحان الموسيقية بدعوى أن النفس خلقت من حركات الأفلاك وهذه الألحان وضعها فيثاغورس على حركات الأفلاك ، فإذا سمعتها النفس تذكرت عالمها وغابت عن هذا العالم وأدركت المعارف الإلهية لاتصالها بمبدئها ولم يسمعوا قول الله : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

والحاصل لا اعتداد بكشف أحد من الناس إلا من كشف عن بعض أسرارهم عليهم السلام بهدايتهم واتباعهم كما أشرنا إليه ، وأما النبيّ وأهل بيته صلّى الله عليهم أجمعين فأولئك ينظرون بالله والكلام هنا يضيق به المجال وفي الحديث ، (**إن الله أعطى وليه عموداً من نور يرى فيه أعمال الخلائق كما يرى أحدكم الشخص في المرآة**) انتهى .

ويكفيك قول الله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ لعن الله السالف والتالف والملحدين في أسماء الله .

قال أيده الله تعالى : ثم هل يكفي شوق السالك إلى الوصول لأن العمدة على جذبات العنايات بعد استعداد الفيض والقبول فعلى الله بمقتضى الرحمة العامة والعنايات التامة تتميم الأمْر وتهيئة ما عليه من الشرائط وإن كان شيخاً مرضياً أو جذباً معنوياً ، أو لا بدّ من الشيخ المصفي مرآة قلبه القريب منه ليرى فيها وجهه أو الوجه المطلوب على الحقيقة ولا يتيسر في مباديء الحال إلا بوسطة الحجب الرقيقة ثم يطوى كلما قوي بصر البصيرة على تفاوت مراتب الطي والوصول إلى الحضرة أو الحظيرة وهذا ما جرى به القلم في أسرع أوان بغير كلام مرتبط لغرائب الألفاظ وشوارد

المعاني ومقاصد الخطاب لاستعجال الحال للكتاب وأرجو من شيم الكريم العفو والإغماض عن الهفوات في السؤال وفعل القول وقاطع الكلام لسهولة الإيصال .

أقول : انتهى كلامه في هذه المسألة أدام الله إكرامه ، اعلم أن شوق السالك قسمان : شوق بشهوة نفسه وهذا لا يفيد شيئاً ولا يترتب عليه تتميم أمر ، بل ظواهر بعض الآيات والروايات تدل على أن صاحب ذلك مذموم وهو كثير مثل قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وكقوله تعالى : ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ وشوق بحقيقته وهو ما كان عن ميل فؤاده المعبّر عنه بنور الله في قوله عليه السلام : (**اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**) وهو وجوده الذي خلق منه وهو كونه المذكور به أول مرة ، وليس له ذكر قبل ذلك لا في علم ولا وجود وعن ميل ماهيته مع مشخصاتها الستة بميل وجوده ، فإنه إذا اقتضى حالاً بكله وجب في الحكمة أن يفاض عليه ما اقتضاه ، ومقتضى الرحمة العامة إعطاء ما اقتضاه من آثار الفضل أو العدل على نحو ما سبق ، ففي هذا الصنع سعد من سعد بفضل الله وشقي من شقي بعدل الله ومعنى قولنا : إنه يميل بكله إنه يعمل بجوارحه ولسانه وخياله وقلبه وفؤاده على نحو ما أشرنا إليه سابقاً .

وأما حصول بعض الجذبات لبعض مع عدم العمل ظاهراً كما قد يدّعى فالله سبحانه قادر ولكن أجرى عادته أن يفعل الأشياء بأسبابها لأن فعله واحد فلو فعل بمقتضى فعله لا غير لم يوجد إلا شخص واحد ولا تحصل كثرة ولا اختلاف لأن الكثرة والاختلاف إنما يكون ذلك بسبب اختلاف المشخصات الستة وتوابعها

ولوازمها وهو سبحانه سبب من لا سبب له ، وسبب كل ذي سبب ، ومسبب الأسباب من غير سبب ، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾ ولكنه سبحانه : ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ فأحب بأن يميز الخبيث من الطيب ولا يكون ذلك إلا بأن يكلفهم على الاختيار في الشرع الإيجادي فخلقهم كذلك ، وأن يوجدهم على الاختيار في الإيجاد الشرعي فكلفهم كذلك ، فإذا سأل العبد ربه بلسان حاله الصادق وهو سؤاله بالسنة جميع أوطاره في جميع أطواره وبألسنة جميع أفعاله وأعماله في جميع أدواره وأكواره وجبت له الإجابة في الحكمة على طبق ما سبق وهو قوله صلى الله عليه وآله في حديث جابر المتقدم : (**اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكل عامل بعمله**) .

وإذا أردت أن تعرف كيف ذلك فانظر في هذا العالم تجد المرزوق يرزق بطلبه ولا كل من طلب وجد ويحرم من لم يطلب ولا كل من لم يطلب يحرم هذا في الدنيا وأحوالها ، وأما في أحوال الآخرة فإنه البتة ينال أجر سعيه عند الله لا على ما يريد قال تعالى : ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ فقال في مريد الدنيا : ﴿ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ لا كل ما يشاء ولا لكل من أراد وقال في مريد الآخرة : ﴿ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ ، فشرط في تحصيله السعي والإيمان ، ولكن ليس على ما يحب بشهوة نفسه بل على ما بذل من الثمن من سرِّه وعلانيته فاعتبر أحوال الدنيا وأهلها يظهر لك أحوال الآخرة وأهلها قال تعالى : ﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا

بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴾ واعتبر أحوال هذا العالم عالم الشهادة يظهر لك أحوال عالم الغيب ، قال جعفر بن محمد عليهما السلام : (**العبودية جوهرة كنهها الربوبية فما فقد في العبودية وجد في الربوبية وما خفي في الربوبية أصيب في العبودية ، قال تعالى :** ﴿ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ **يعني موجود في غيبتك وفي حضرتك**) انتهى .

فكما أمر بالسعي في الشهادة لتحصيل الرزق كذلك أمر بالسعي في الغيب لتحصيل ذلك الرزق ، ثم اعلم أن السبب والشرط هو العمل بجميع ما أمر الله به وهو المذكور في هذه الشريعة الغراء كما أمر الله به من الإخلاص والتزام حدوده تعالى ، وأما الشيخ المرضي والجذب المعنوي ، فالمقصود الحق أن الشيخ المرضي معين لإصلاح القابلية كما مر بتذكيره وتنبيهه ودعائه وعمله وتسديده وكل هذه وأمثالها من متممات القابلية ، وأما جذب العناية فهو مقبول فإذا لم يحصل له قابل لا يتحقق بغير متعلق ، وفي الحديث عن علي بن الحسين عليهما السلام : (**إن القدر والعمل كالروح والجسد فكما أن الجسد لا حراك له بدون الروح ، والروح لا تحس بدون الجسد كذلك القدر والعمل فلو لم يكن القدر بموافقة العمل لم يعرف الخالق من المخلوق ، وكان القدر شيئاً لا يحس ولو لم يكن العمل بموافقة القدر لم يتم ولم يمض ولله العون فيه لعباده الصالحين**) انتهى .

نقلته بالمعنى على اختلاف في بعض الألفاظ ، وأما أن الشيخ المصفي مرآة قلبه فإنه يرى المريد فيه وجهه ، فهذا قد يكون في

بعض الشيوخ من هو صحيح المذهب صحيح العمل صادق اللسان صادق السر ، ولكن كما قلت لك : إنه إذا لم يكن العلة والواسطة في الشرع الوجودي والوجود الشرعي كالإمام عليه السلام ، لم يكن مفيضاً وإنما هو مكمل للقابلية كما ذكرنا مراراً ، وأما الإمام عليه السلام فكونه مفيضاً لكونه باب الله إلى جميع الخلق فلا يصل شيء من الله إلى أحد من خلقه ، إلا من فاضل إحسانهم وهذا معنى ما في دعاء رجب للحجة عليه السلام في قوله : (**أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد**) .

وأما قولكم : أو الوجه المطلوب انتهى فاعلم أن الوجه المطلوب ظاهر في كل شيء بل هو أظهر من كل شيء كما قال سيد الشهداء عليه السلام في مناجاة يوم عرفة قال : (**أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ومتى بعدت حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك**) ، فلا يختص بذلك الشيخ لأنه لا يسع مظهر الذات بتمامه إلا محمد وآله صلّى الله عليهم أجمعين قال تعالى : (**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**) نعم لا يكون شيء أقرب إلى المريد ولا أوسع من نفسه بالنسبة إليه ، فإنه إذا ألقى عنها جميع النسب وجردها عن كل شيء سواها حتى ما تقوّمت به فإنها يكون ذلك الوجه له خاصة قال عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**) وأما الوصول إلى حضرة الجلال والجمال أو إلى حظيرة القدس فطريقه الأقرب التجافي عن دار الغرور والترقي إلى عالم النور ، ولقد كررت العبارات للذكرى فإن الذكرى تنفع المؤمنين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين وكتب أحمد بن زين الدين حامداً مستغفراً .

قال سلمه الله : ثم أرجو من جنابكم الكشف الصريح لا الإيماء والتلويح عن بعض ما أورده مما استصعب على ذهني ، بل على الأذهان ولا معول إلا على ذلك الجناب وأعجوبة الزمان .

أقول : اعلم أن الأشياء جرت في جعل الله سبحانه على أكمل الوجوه ومن ذلك أنه لا يظهر الله تعالى شيئاً من كتم الإمكان إلى الوجود في الأكوان والأعيان إلا وهو يدل على شيء ، ويدل عليه شيء ، ومبتلى ومبتلى به ، وعلة لشيء ، ومعلول لشيء وعلم بشيء ، ومعلوم لشيء ، وعرض لشيء ، وجوهر لشيء ، ومتمم بشيء ، وكتاب لشيء ومكتوب في شيء ، ومنسوب إليه شيء ، ومنسوب إلى شيء ، ومتولد من شيء ، ومتولد منه شيء ، ومفتقر إلى شيء ، ومفتقر إليه شيء .

والحاصل أن كل شيء إنما يظهر مشروحاً مبيّن العلل فما ظهر في ذاته ظهر بيانه وما خفي في ذاته بطن برهانه فما بطن برهانه لا يزيده البيان إلا غموضاً ولا يسهل إدراكه إلا بالإشارة والتلويح ، بل قد يوجد ما لا يدرك بالإشارة كالمثل الأعلى لكل شيء ، فإنه بالنسبة إليه (**ليس كمثله شيء**) ، فإذا وجدت شيئاً استصعب على ذهنك فليس سبب ذلك خمود ذهنك ، بل لأسباب منها ، قد يكون العبارة عنه غير مأنوسة عندك ، ومنها قد يكون ما سمعت به ناقص العبارة عما يراد من المعنى ، ومنها ما استعمل التلويح فيما حقه التصريح وبالعكس ، ومنها ما لا يدركه العقل وإنما يدرك بالفؤاد ، ومنها ما يكون من دليل الحكمة وأنت تريده من دليل الموعظة

الحسنة أو دليل المجادلة بالتي هي أحسن ، ومنها ما هو قبل ذكرك الأول ، وكل أحد لا يدرك ما وراء مبدئه ، ومنها ما لا كيف له وتطلبه بالكيف ، ومنها ما لا صورة له وتطلبه بالصورة ، ومنها ما يتوقف بيانه على مقدمات كثيرة وأمثال ذلك ، فالتصريح لا أتمكن منه في كل مسألة ، إذ في بعض المسائل ما نهى عن بيانه أو لمثل الأسباب المتقدمة أو خوف التطويل أو دقة المأخذ أو عسره ، ولقد سأل الأشعث أمير المؤمنين عليه السلام : فقال له كم في رأسي من شعرة ؟ فقال عليه السلام : (**لولا أن برهانه يعسر لأجبتك**) انتهى.

وسئل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسألة فأجاب وسئل عن أخرى فأجاب وسئل عن أخرى فقال عليه السلام : (**ليس كل العلم يقدر العالِم أن يفسره لأن منْ العلم ما يحتمل ومنه ما لا يحتمل ومن الناس من يحتمل ومن الناس من لا يحتمل**) وقال الصادق عليه السلام : (**ما كل ما يعلم يقال ولا كل ما يقال حان وقته ولا كل ما حان وقته حضر أهله**) .

قال سلمه الله : سؤال ـ ما معنى ما ذكره أبو العباس البوني في شمس المعارف في تقريب مسافة السلوك وسرعة الوصول إلى المقصود وتجريد النفس دفعة واحدة بلا كلفة ومشقة قال : ولهم في ذلك مأخذ قريبة ونزعات عجيبة منها علم أسرار الحروف والاستعانة بها على تجريد نفوسهم وبينهم تفاوت وتفاضل في حقيقة السلوك في النحو الذي يستعمله كل واحد منهم والذي أومأ الكلام والإشارة إليها رمزوا ذلك وأخفوه .

أقول : اعلم أن أول ما خلق الله الإبداع وهو خلق ساكن لا يدرك بالسكون والمراد بالإبداع هو المشيّة والإرادة وهو محدث

خلقه الله بنفسه وكونه ساكناً ، أي أنه ذات بالنسبة إلى جميع المخلوقات قائم بنفسه يعني هو بالنسبة إلى من دونه ذات وهم آثاره وأعراضه وليس المراد منه المعنى المصدري لأن فعل الله تعالى ذات تذوّتت به الذوات وكلها أعراضه وآثاره ، وإن كان قائماً بالله قيام صدور أقامه الله بنفسه لا في شيء غيره وكونه لا يدرك بالسكون لأن السكون إنما حدث من مفعوله فهو مخلوق به ، والمراد بهذا السكون ضد الحركة فهو آدم الأول ، والإمكان الراجح والكاف المستديرة على نفسها ، ثم خلق الحروف وجعلها فعلاً منه يقول للشيء كن فيكون والألف اللينة صورة لا حركة فيها وهي آدم الثاني ، وطولها ألف ألف قامة والحروف الثمانية والعشرون بل الاثنان والثلاثون أولاده أولهم الألف المتحركة وهي حركة لا صورة لها وإنما صورتها صورة الألف اللينة ألبستها إياها وهي حركة الألف اللينة وطول الألف المتحركة ألف ألف ذراع ، والمدة صوت لا صورة لها ولا حركة وهذه الحروف هي الإبداع الثاني فهو [فهي] ظاهر الإبداع الأول ، فليس في العالم بأسره شيء إلا وهو موجود فيها ، ففيها الفعل والانفعال والحركة والسكون والتناكح والتناسل والتواخي والتباغض والتعارف والتناكر والتساوي والاختلاف والبسيط والمركب والمحدود والمهمل والناري والهوائي والمائي والترابي والنوراني والظلماني والعقلي والروحي والنفسي والطبيعي والمادي والصوري .

والحاصل أن الحروف عالم برأسه وكون مستقل بنفسه والحروف قائمة بالألف اللينة ولها على سائرها القيومية ، وأهل الجفر يقولون : الاختراع اختراعان والإبداع إبداعان ، فالاختراع الأول

هو فعله تعالى ، والإبداع الأول هو وجود الموجودات ، والاختراع الثاني من الاختراع الأول الألف المتحركة أو اعم عندهم لأن بعضهم لا يفرق وممن لا يفرق من اللغويين الجوهري حيث جعل الألف قسمين لينة ومتحركة وثاني مخترع من الاختراع الثاني ، الباء وهي تضعيف عدد الألف لأن الألف له من العدد الواحد وهو أس العدد وأصله ، فبوجوده وجدت الأعداد وبعدمه عدمت ، فالباء الثاني الألف إذ لا يتفرد الألف بل لا بدّ له من نظير ومن كل شيء خلقنا زوجين ، فالألف للنار والباء للهواء وهما العنصران الخفيفان ، وأشار تعالى بالاثنين إلى مرتبة الثانية وهي الباء مع ضم الألف ، ثم الجيم أول إبداع من الإبداع الأول إلا أنه أبدع منهما أي من الألف والباء في الصورة والعدد ، وأما الصورة فمن اجتماع الحرفين بأن مال الألف على الباء ، فإن الألف قائمة هكذا (أ) والباء [منبسطة] مبسوطة هكذا (ب) فخرج من ميل الألف على الباء الجيم هكذا (ج) لأنه لما مال على الباء حدثت الزاوية الحادة وهي الجيم ، وأما العدد فمن الواحد والاثنين صارت الثلاثة ولها عنصر الماء ، ثم الدال وهي ثاني إبداع من الإبداع الأول بأن انضم الألف إلى الجيم» .

وقيل : من الاختراع الثاني وهو الباء من ضرب اثنين في نفسه فصار له من العدد أربعة ، وهي عنصر التراب وأشير بالأربعة في النورانية إلى مرتبة الدال وهي المادة ثم الهاء وهي خامس حروف الأبجد ولها من العدد خمسة وليس ثم رتبة خامسة فرجعوا بها تحت الألف ولم توضع تحت الباء والجيم والدال لأن آخر المراتب الإبداع الثاني ، وعدده أربعة والهاء خمسة فأخذت الأربعة

من الدال واستمدت بالواحد لتكمل فوضعت تحته لاستمدادها التمام منه دون غيره ، فكانت في الحرارة تحته فهي أجل الأشكال المستديرة وهي الحركة الدورية وأتم الدوائر ومن خواصها في العدد أنها تحفظ نفسها في الرقوم التسعة وكذلك الواو وضعت تحت الباء لاستمدادها في تمامها منها ، فهي في الطبيعة الهوائية تحتها وكذلك الزاي تحت الجيم لما ذكرنا والحاء تحت الدال كذلك ، وأفعل في باقي الحروف لأجل هذه المناسبة الاستمدادية .

وأما إذا وقعت في مراتب الأعداد الآحاد والعشرات والمئات والألوف ناسبت ترتيب البروج ولما كان اليبس ضدًّا للقوة اختص بالأول وهو الألف ما كان حاراً وبالباء ما كان بارداً ، فالأول كالحمل والثاني كالثور ولما كانت الثالثة جامعاً وتراً كان أحق بما استمد به الأول ، فكان حاراً رطباً كالجوزاء وكان الرابع مستحقاً لما استمد به ما كان أصلاً كما مر فكان بارداً رطباً كالسرطان وباقي الحروف كما مر ذلك الترتيب بهذه الطبائع .

ثم اعلم أن الحروف كما قالوا على أربعة أقسام فكرية ولفظية ورقمية وعددية ، فالفكرية والعددية ، خافيان فيهما بمنزلة الروح ، فالفكرية بمنزلة الذات والعددية بمنزلة القوى ، واللفظية والرقمية كالجسد فاللفظية بمنزلة النفس النباتية والمادة ، والرقمية بمنزلة الصورة ، وهذا مما تنتفع به في مطلبك ، وأما عندنا فالمستفاد من كلام أئمتنا عليهم السلام أن الاختراع والابداع معناهما واحد وفي الحديث عن الرضا عليه السلام ، (**المشيّة والإرادة والإبداع معناها واحد واسماؤها ثلاثة**) ، وهذا فيما أخبر به عمران الصابي وفي رواية يونس بن عبد الرحمن عن الرضا عليه السلام : (**أفتعلم ما**

المشيئة ؟) قال : لا قال : (**هي الذكر الأول**) قال : (**أتعلم ما الإرادة ؟**) قال : لا قال : (**هي العزيمة على ما يشاء**) الحديث ، ففرق هنا بينهما لأن أحدهما يطلق على الآخر فإذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا وفي بعض الروايات أن الاختراع لا من شيء والإبداع لا لشيء .

ثم اعلم أن الحروف لها في الإطلاق في كل مقام معنى يعرف بسياق الكلام فالحروف العاليات الصور العلمية والأركان الأربعة التي بني عليها الإسلام ، (**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**) ، والأربعة التي قام بها الوجود : التوحيد والنبوّة والإمامة والشيعة ، والأربعة التي دار عليها الوجود : الخلق والرزق والحياة والممات ، والحروف الكونية الحقية الثمانية والعشرون الحرف : العقل والنفس والطبيعة والمادة ، والمثال وجسم الكل والعرش والكرسي ، وفلك البروج وفلك المنازل وفلك زحل وفلك المشترى وفلك المريخ ، وفلك الشمس وفلك الزهرة وفلك عطارد وفلك القمر وكرة النار وكرة الهواء وكرة الماء وكرة التراب والمعدن والنبات والحيوان والملك والجن والإنس ، وقطب العالم وهو المعصوم عليه السلام وأربابها الثمانية والعشرون : الاسم البديع الباعث الباطن الآخر الظاهر الحكيم المحيط الشكور غني الدهر المقتدر الرب العليم القاهر النور المعبود المحصي المبين القابض الحي المحيي المميت العزيز الرزاق المذل القوي اللطيف الجامع رفيع الدرجات ، كل حرف من هذه الأرباب مرب لحرف من تلك الحروف الكونية وهي على الترتيب المذكور فالبديع مرب للعقل الأول والباعث مرب للنفس الكلية وهكذا .

وأما الحروف الكونية غير الحقة وأربابها فلا حاجة لذكرها هنا ، وإنما ذكرت هذا الكلام وإن لم يكن مسؤولاً عنه للحاجة إليه مما يأتي .

قال سلمه الله نقلاً عن البوني : وها أنا أصف لك على وجه الإشارة والتلويح دون الإيضاح والتصريح وذلك أن السالك يعتمد على قوى عزه وقوى محبته أيهما شاء مالت إليه نفسه ، وذلك أن النفس الإنساني عندهم قوتين قوة قهر وعز وقوة محبة وشوق ، وأصل هاتين القوتين هو أن الجواهر العلية المفارقة عن المواد التي هي مبادىء للموجودات وأصل المكونات ، يعني الدراري السبع مع أفلاكها لكل منها حالتان ، حالة بالنسبة إلى ما فوقه وحالة بالنسبة إلى ماتحته .

فأما التي بالنسبة إلى ما فوقه هو الشوق والمحبة والعشق لأجل ما يشرق على السافل من العالي ولكون العالي أصلاً للسافل ومبدأ له ، فهو أبداً مقابل له مقبل به عليه مشتقاق إليه مستكمل به واصل إليه به وأما بالنسبة إلى ما تحته فهو القهر والغلبة والاستيلاء لأن ما تحته محتاج إليه مستمد منه فصار لأجل ذلك معاني هاتين الحالتين في جميع الموجودات علوها وسفلها وانتظم العالم كله عن قوتين مزدوجتين فلا يوجد شيء من الأشياء إلا وله مقابل يقابله كالخير والشَّر والحق والباطل والنور والظلمة والذكر والأنثى والليل والنهار وجميع الأشياء إذا اعتبرتها وجدتها مزدوجة كلها وجزؤها معقولها ومحسوسها ، وإن خفي عليك بالنظر جزء وما في الأشياء الموجودة في العالم فإنما ذلك لقصورك وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ .

أقول : إن ما ذكروه من سرعة الوصول والانتقال من عالم الشهادة إلى عالم الغيب وطي فلك المنازل في أسرع وقت بأنواع من الأعمال والرياضات مما اشتمل عليه علم السيميا بتسخير الملائكة الثلاثة : شمعون وزيتون وسيمون وأعوانهم في إظهار الصور والخيالات والأمثال المنزلة من السماء الثانية مما أودع في سر فلك عطارد من القوة الفكرية .

ومما اشتمل عليه علم الليمياء من العجائب المودعة في خواص العقاقير من الرفع والوضع والضر والنفع والجذب والدفع والصور والخيالات وإيهام الكرامات من الدخول في النار وعدم التأثير بها وغير ذلك .

ومما اشتمل عليه علم الريمياء مِن عجائب المعالجات وسرعة الحركات وإظهار ما يشابه المعجزات مما أودع في بنية الإنسان من أحوال الإمكان .

ومما اشتمل عليه الهيمياء كما أشار إليه البوني في كلامه المذكور من أسرار الحروف في حقائقها الفكرية وقواها العددية وصفاتها اللفظية وأشكالها الرقمية لا شك في أن لها تأثيرات عجيبة فيما يراد منها لكنها لا توصل في الغالب إلى شيء من محبة الله ، ولهذا كان السحر محرماً بل هو مقرون بالشرك وأعظم من الكفر كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله ووجه السؤال عنها إنما هو لتحصيل ما يرضي الله من المعارف والعلوم ، وقد ذكرنا سابقاً بأن الكشف بغير طاعة الله إنما يكشف عن حقيقة ما انطوى عليه من الإجابة في الذر وأعمالهم التي يطلبون بها مطالبهم محرمة شرعاً كالأعمال بالعلوم الأربعة المكتومة التي هي علوم السيمياء والليمياء

والريمياء والهيمياء والرياضات والهيئات المحرمة كجسات الجوكية وهي عندهم أربع وثمانون جلسة لأربعة وثمانين رجلاً لجميع ما يريدون من الإخبارات بالمغيبات والاطلاع على ما في الضمائر وما يستقبل من الحوادث قالوا : والعمدة فيها التي لا بدّ منها خمس جلسات بعد أن يجوّع نفسه جوعاً مفرطاً فيشتغل حينئذٍ في مواضع الخلوات بحيث لا يراه أحد ، ففي بدء الأمر بالمجاهدة تنهد القوة ويضعف البدن قالوا : فلا تبال من ذلك بشيء لأن أول زمان المجاهدة كالصيف والشتاء وفي آخرها كالخريف والربيع وتجعل لذلك أوقاتاً مفروضة على نفسك في كل يوم وليلة .

الجلسة الأولى لتقوية الكليتين وتنقية الظاهر والباطن وهضم الطعام وجذب البرودة الساكنة في الأعصاب والمفاصل وهي لمن يجلس مربعاً ثم يطوي رجله اليمنى مع الساق على فخذه الأيسر ورجله اليسرى على فخذه الأيمن ، ويجتهد بالرفق والمداومة حتى يقدر على ذلك ويصير عادة له من غير كلفة وهي المشكلة في البداية . وإذا قدر على ذلك قدر على الجميع بالقدر والتدريج ، ثم يقوّم ظهره ويضع يديه منتصباً عضده متكئاً على ركبتيه وينظر إلى السرة دائماً ولا يتحرك ولا يلتفت حتى يظن كأنه شجرة نابتة على الأرض ويذكر ويقول هذه الكلمة دائماً بالقلب لا باللسان إلك ومعناها الله عزّ وجلّ ، وهي مذكورة في كل جلسة ، فإذا وصل إلى هذا المقام يحصل له ثلاث خصال : قلة الطعام وقلة الكلام وقلة النوم .

الجلسة الثانية أن يجلس كما ذكرنا أولاً ويجعل يده اليمنى على قفاه إلى الكتف الأيسر ، وكذلك اليسرى على الأيمن ويقوّم ظهره

ويدير رأسه في الجهات الأربع من غير أن يتحول وجهه ذاكراً بقلبه الكلمة المتقدمة ، فإذا أراد أن يسكن وضع يديه على ركبتيه ويقوّم عضديه متكئاً عليهما ولا يغفل عن ذكر القلب أبداً عسى أن يحصل الله له غيبه ، فإن كان ذاكراً حاضراً شاهد من عالم الغيب أشياء تفرحه وتشوقه إلى زيادة العمل ، فإن وصل إلى هذا المقام ، حصل له أشياء انقطع عرق الجذام والبرص والناسور والباسور والدق فهذه العلل التي لا دواء لها عند الحكماء والأطباء فبانت عوارض الأسقام أولاً أن تنقطع عنه فمن عمل هذا العمل من به شيء من هذه العلل ويدوم بذلك تزول عنه وهو مشهور مجرب .

الجلسة الثالثة وهو أن يجلس كما ذكرنا في الأول ويدخل يديه بين الساق والفخذ إلى المرفق ، ثم يظلع بدنه بقوة اليدين حتى يبقى معلقاً ولا ينسى الذكر الذي تقدم ، فإذا حصل له هذا المقام قلّت عنه مادة الماء والتراب وكثرت فيه مادة النار والهواء ، وهذا المقام المتوسط بين الملك والإنسان .

الجلسة الرابعة وهي أن يجلس كما ذكرنا في الثالثة ويضع يديه على قفاه شابكاً لأصابعه ولا يترك الذكر المتقدم فإذا حصل له هذا المقام زال عنه الخوف والجزع من الجن والإنس حتى لو انطبقت السماوات على الأرض لم يخف وهذه مرتبة عظيمة .

الجلسة الخامسة وهي أن يجلس على رجليه ويضع يديه أولاً في الأرض منصوبتين ويضع المفصل الذي بين إبهام الرجل وأصابع رجله اليمنى على المرفق اليمنى ورجله اليسرى كذلك على مرفقه اليسرى فيبقى معلقاً على قوة اليدين ولا يترك الذكر المتقدم ذكره خاصة في هذه الحالة فإذا حصل له هذا المقام رسخ فيه وبالغ ،

بحيث لا يبات الليل في هذه الحالة يحصل له الطيران ويصير من جملة الأرواح ، فانظر بعقلك إلى هذه الأعمال هل تجد فيها شيئاً يوافق الشرع بوجه ما وهل يوصل إلى خير وهذا من الريمياء وهو من علوم السحر المحرّم الذي هو مقرون بالشرك وقد روى الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي في مكارم الأخلاق عن الصادق عليه السلام قال : (**إن رسول الله صلى الله عليه وآله سأله [سألته] امرأة إن لي زوجاً وبه غلظة وإني صنعت شيئاً لأعطفه علي فقال صلى الله عليه وآله : أف لك كدرت البحار وكدرت العين ولعنتك الملائكة الأخيار وملائكة السماء والأرض فصامت نهارها وقامت ليلها وحلقت رأسها ولبست المسوح فبلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله فقال : إن ذلك لا يقبل منها فقيل : يا رسول الله صلى الله عليه وآله لم لا يقبل منها ويقبل من الكفار ؟ فقال : لأن الشرك أعظم من الكفر والسحر والشرك مقرونان**) .

فإذا ثبت أن المدعي أن هذه الأمور توصل إلى المراتب العلية فهو باطل لأن تلك المراتب لا تنال إلا من عند الله سبحانه وما عند الله سبحانه لا ينال بمعصية ، ولا شك في أن هذه الأمور التي تدعونها تلك الجماعة ، من هذه الأمور كبائر موبقة هذا هو الإشارة إلى جهة الانتفاع بها وما تؤدي إليه استعمالها ، وأما الإشارة إلى بيان ما ذكره البوني من كلامه فاعلم أنهم ذكروا هاتين القوتين على أصولهم وهي لا تنطبق على أصولنا في كل ما ذكروا وأنا أشير إلى شيء من ذلك لأن ذكر ذلك على جهة الاستقصاء يوجب التطويل الممل وليس لي وقت ولا قلب مجتمع.

فأقول : إن كل شيء فله جهتان جهة من فاعله وهو وجوده وجهة

بابه من ربه وهي جهة فقره إلى فاعله وجهة استغنائه به وجهة من نفسه وهي ماهيته من وجوده وهي جهة استغنائه بوجوده وهي جهة فقره وعدميته ، فمن جهة وجوده من ربه تحدث عنه جميع الخيرات من المعتقدات الحقة والأعمال الصالحة والأقوال الصادقة ، ومن جهة ماهيته من وجوده ، تحدث عنه جميع الشرور من المعتقدات الباطلة والأعمال السيئة والأقوال الكاذبة ، أما المعتقدات في الطرفين القارة فذاتية لكل من الجهتين على تفصيل ، وأما الأعمال والأقوال فمن ميلهما ومقتضاهما ، ثم إن الإنسان عبارة عن هذا النور والظلمة أي الوجود والماهية ولكنهما حادثان والحادث الموجود كما هو محتاج في أصل كونه عند صدوره إلى المدد كذلك هو محتاج في بقائه إلى المدد، وذلك المدد لا يكون إلا من نوع المستمد فمدد الوجود من النور كالمعتقدات الحقة والأعمال الصالحة والأقوال الصادقة ، ومدد الماهية من الظلمة كالمعتقدات الباطلة والأعمال السيّئة والأقوال الكاذبة ، وكلا المددين جارٍ على الشرع الوجودي والوجود الشرعي ، فمن زكى نفسه بالعلم والعمل ، كان متمكناً من دفع ما كره ومن جذب ما أحب بما يظهر عليه من أفعال جواهر علله عند قطع النظر إلى شيء منه حتى يكون فعل الله محدثاً لتلك المطالب بظهور مثاله في ذلك العبد .

وتأتي تتمة الكلام وأما ما ذكروه من أن القوة قهرية من جهة فاعلية الإنسان ودورانه على نفسه لتظهر عليه آثار القهر على ما يأتي فليس بصحيح ، وإن كان ما ذكروه في الجذب يمكن تصحيحه ثم نرجع إلى بيان كلام البوني .

فقوله : إن للإنسان قوتين صحيح .

وقوله : وأصل هاتين القوتين هو أن الجواهر العلية المفارقة عن المواد إلى قوله : مستمد منه فيريد بالجواهر الكواكب السبعة السيارة وهي أسباب للمواليد الثلاثة إلا أن المفيض من هذه السبعة فلك الشمس يفيض على زحل من نفس العقل ، وعلى القمر من صفته ويفيض على المشتري من نفس النفس الكلية ، وعلى عطارد من صفتها ويفيض على المريخ من نفس الطبيعة الكلية ، وعلى الزهرة من صفتها وبالجملة ، فالشمس صاحب الوجود الثاني الجسدي بإفاضة الأشعة والقوى منها ومن الكواكب الستة على القابليات من العالم السفلي ، فتكون من ذلك المواليد الثلاثة ، المعادن والنباتات والحيوانات هذا عندهم وأما عندنا فالملائكة المدبرات أمراً تحرك الأفلاك وكواكبها بأمر الله كما أمرها فالملائكة المسخرة موكلون بالفلك الأعلى الذي فيه التسخير ، والملائكة المقدرة موكلون بالأفلاك السبعة ، فبالأعلى التسخير وبالسبعة التقدير فالله يفعل الأشياء بالأسباب من الملائكة والكواكب ومقتضياتها وأقوات الأرض وكون تلك الكواكب وأفلاكها عللاً إنما هو لكونها مظاهر أفعال الله سبحانه .

وقوله : المفارقة للمواد المراد بالمواد العنصرية لا مطلق المواد ، فإن لها مادة وصورة من هيولى الكل وشكل الكل .

وقوله : للجواهر العلية حالتان فمعلوم أن كلًّا منهما مشتاق إلى مدد العالين من أركان العرش وهي النور الأبيض والأصفر والأخضر والأحمر محتاج إلى ذلك مما ليس له قوام إلا به وما تحتها من العالم السفلي محتاج إلى هذه الجواهر ، كذلك تلك الجواهر مستولية على هذه المفعولات السفلية لأنها مظاهر أفعاله

تعالى قد ألقى الله سبحانه في بواطن هذه الجواهر وظواهرها وأفعالها ونهايات أشعتها أمثلة أفعاله ، فالله يفعل بها ما يشاء ولا إشكال في هاتين القوتين إنما الإشكال في القوة القهرية للفاعل فإنه لا يفعل بها مع دورانه على نفسه إنما يفعل بها حال غيبته عن نفسه وفنائه في سببه ليظهر فيه أثر سببه ، فالحادث لا يفعل بنفسه شيئاً ويأتي الكلام .

وقوله : فصار لأجل ذلك انتهى ليس على إطلاقه ، بل نقول لما كان كل محدث فله جهتان جهة من ربه وجهة من نفسه فالجهتان متضادتان ، وجب أن لا يكون شيء بسيط ووجب أن يكون له ندّ وضد فالأنداد تعددت من تعدد الأحوال الستة التي هي المشخصات والأضداد من اختلاف الجهتين ، فحصول الجهتين ليس مما قالوا إنه ناظر إلى علته وناظر إليه معلوله ، بل الجهتان اللتان هما منشأ للضدين جهة ربه وجهة نفسه ، ومن جهة ربه كل ما كان ثابتاً من ذاته وصفاته وأفعاله ومن جهة نفسه كل ما كان مجتثاً من ذاته وصفاته وأفعاله ، ولأجل ذلك قال العلماء : كل ممكن فهو زوج تركيبي ، أي لا يكون شيئاً بسيطاً مطلقاً من الخلق وقال الرضا عليه السلام : (**إن الله لم يخلق شيئاً فرداً قائماً بذاته دون غيره للذي أراد من الدلالة عليه**) ، وقال تعالى : ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ومعنى ذلك أن كل شيء مخلوق فذاته مركبة لا أنه له حالة من جهة مفعوليته وحالة من جهة فاعليته ، وأين هذا من ذاك فعلى ما ذكر ينبغي أن يكون كل شيء له حالتان ، حالة من جهة قابليته وحالة من فاعليته لا أن كل شيء له ضد فافهم .

قال سلمه الله تعالى نقلاً عن البوني : فنفس الإنسان لها من

القوى المزدوجة الغضب والشهوة وهما بحقيقتهما في الباطن القهر والمحبة ، وقد تسمى الصوفية إحدى تلك الحالتين سر الجمال والثانية سر الكمال .

أقول : قد تقدم أن الحالتين المذكورتين لم تكونا منشأً للأفعال المختلفة لأن الغضب يكون لله من الوجود وللنفس من الماهية وكذلك الشهوة ، وأما على ما قرر أن الغضب والقهر من جهة فاعلية الإنسان والشهوة من جهة قابليته فانظر ماذا ترى .

وقوله : تسمى الصوفية فيه أن المعروف منهم أن القهر سرّ الجلال والشهوة سرّ الجمال واختلفوا فهل المراد بالجلال ، جلال الجمال أم جلال العظمة ؟ وهل المراد بالجمال جمال الجلال أم جمال العظمة ؟ ولسنا بصدد هذا .

قال : فإذا قصد العارف تحريك إحدى هاتين القوتين التي لنفسه أشعر لنفسه المعنى المناسب لتلك القوة من قبض أو بسط وأخذ في تلاوة الأذكار التي تليق بذلك المعنى وتقويته فأجرى جميع هيئته على حسب مشاكلته لذلك السرّ ، فيستعمل عند تلاوته للذكر ، التعريف لأحد المعنيين والتجريد للمعنى الثاني ولا يزال كذلك حتى يتمكن ذلك المعنى في نفسه وتظهر إشارته وتغلب قوته عليه وذلك هو الحال المشار إليه عند العارفين وحقيقتهما قوة عظيمة يجدها الشخص في نفسه عند ذلك بحسب المعنى المستشعر .

أقول : تحريك إحدى القوتين بالتوجه بكله إلى جهة متشابهها ، فيتوجه بباطنه إلى مبدئها وتقوية فيض مبدئها بتلاوة الذكر المخصوص ، ليكون معيناً ومقوياً للفيض بمعناه والقابلية نفسه بباطن صفته وظاهر لفظه وذلك لمن بين لفظه وبين جسد العارف

من المناسبة ولما بين صفته وقابلية نفسه كذلك وبين معناه وبين الفيض كذلك ومن تمام توجهه بكله أن يتعرى عن المعنى لآخر بناءً على أنهما ضدان يحضر عند الآخر أو مخالفان قد يحضر ، فإذا تعرى عن المعنى غير المراد خلص توجهه إلى وجه واحد لأنهما لما كانا ضدين أو مختلفين وجب اختلاف جهتهما ، فلو لم يتعر عن المراد لتفرق قصده إلى جهتين مختلفتين إما دفعة فتنمحي صورتها معاً من خياله ، وإما على سبيل التنقل فيقطع المدد ، والمراد بتمكن المعنى المراد في نفسه حصر المدد من المبدأ فيه وقوته حتى تكون نفسه بمدد تقوية المعنى المراد من المبدأ كالحديدة المحماة من النار فإنها لغلبة ظهور أثر النار عليها تفعل كفعل النار .

قوله : وحقيقتهما انتهى يريد أن كل قوة استعملها على نحو ما ذكر يظهر أثرها في نفسه حتى أنه يجد في نفسه أنه يفعل ذلك المقصود وأن ذلك المقصود صار في قبضته وملكوته بيده ويؤولون ما في الحديث القدسي من قوله تعالى : (**كنت سمعه الذي يسمع به**) انتهى، على هذا المعنى أقول وهذا ما أشرت لك سابقاً من عدم صحة هذا العمل شرعاً ، وإن حصل منه الأثر وهو بفعل الله لكن مثل قوله تعالى : ﴿ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فقولي : وهو بفعل الله مثل قوله تعالى : ﴿ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ فافهم فإنهم قد أتوا البيوت من ظهورها فلهذا قلنا : إن هذا من الفجور لا من البرّ .

قال : مما نقله قال فإن كان للقهر وجد في نفسه قوة على مضادة جميع الكائنات قهرها ، بحيث لو عرض له في تلك الحال الأسود

والجيوش العظيمة لأقدم عليها ولم يجد عنها ، وإن كان تلك المحبة والشوق وجد من نفسه قدرة عظيمة على الجذب والاتصال بالأشياء النازحة عنه ، ويتمكن بهاتين القوتين ومواظبتهما على تحريك أيهما شاؤوا حتى تصير ملكة لهم يتوصلون إلى التصرف بها في عالم الكون إلى ما يشاؤون فإذا تمكنت هذه الحالة في نفس العارف فإن كانت للقهر سلطها على مدافعته للقوى الجسمانية ، واستعان على ذلك بالدوران على مركز نفسه والنفس في خلا ذلك مطلعة على عالمها متأملة لما يرد عليها من تلقائه ، فيتجرد عند ذلك النفس بعض التجرد وتنسلخ عنه انسلاخاً ما ويحدث لها استغراق يسري في الأمر المتوجه إليه ، فيرد عليها من الأنوار العالية وارد ، يشبه البرق لديه جداً يلمع وينطوي بقدر تمكن تلك من النفس وإن كان تلك الحالة للمحبة صرف شوقه وقوة جذبه إلى العالم الأصلي أي العلوي وقلّ التفاته إلى ما وراءه من القوى الجسمانية وعالمها وانحسرت عنه وصعد هو بذاته لتجردها وانسلاخها عن الجسم وورد عليه وارد النوري بلذة عظيمة تناسب حاله .

أقول قوله : فإن كان للقهر وجد في نفسه انتهى يريد به ما يظهر عليها من النور والأمر ليس كما توهم ، بل الظاهر على نفسه مقتضى ما تلونت به نفسه من تلك الرياضات والأذكار التي سلك بها غير ما أمر الله تعالى ، فأفاض مقتضاها عليها على ما يكره ومثاله أن الزاني فعل خلاف ما أمر الله تعالى به وألقى نطفة في رحم لم يؤمر بإلقائه فيه بل نهى عنه ، وقد كان خلق الرحم يقتضي الحمل بالنطفة ، وخلق النطفة تقتضي الحمل في الرحم فوجب في الحكمة أن يفعل بهما ما لا يحب وإلا لكان مانعاً لعطيته ، لأنه

أعطى الرحم والنطفة ذلك المقتضى وإن كان إنما أعطاهما لما يحب لكن جعل العطية صالحة لما يحب ولما يكره ليصح الثواب والعقاب بالاختيار ، ويرتفع عن جميع المكلفين الاضطرار ، فخلق بذلك المقتضى ولد الزنى الذي لا يحبه وهو كابن الحلال الذي يحبه ولا فرق بينهما إلا الأمر والنهي ، كذلك ما نحن بصدده فما يجد هذا في نفسه من القوة من هذا القبيل ، وإن كان هذا الفعل من النور وفعل النور لكنه إذا حل بقابلية ظلمته كان مظلماً وإلى ذلك الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ وقال تعالى : ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ومثل قول الشاعر :

أرى الإحسان عند الحر ديناً

وعند النذل منقصة وذما

كقطر الماء في الأصداف درّ

وفي بطن الأفاعي صار سمّا

فكان ما نزل من القرآن رحمة للمؤمنين بعينه كان خساراً على الظالمين ، وقطر المطر إن وقع في الصدف كان لؤلؤاً ، وإن وقع في فم الحية كان سماً .

قوله : وإن كان تلك القوة للمحبة انتهى فيه أن المحبة كما تقدم جهة قابليته [قابلية] فكيف تكون جهة فاعليته ولأن تلك الجهة إن كانت قويت فيه لزم أن يكون هو ينجذب بسرعة لما يحب ، لا أنه يجذب لكن لما كان يقدر على الجذب لما قلنا من ظهور أثر علته عليه كظهور أثر النار على الحديدة كما مر سابقاً وتمكنه من

التصرف فيما يشاء بهذه القوة إذا حصلت لا يدل على حلها وجوازها ، فقد نقل لنا عن كثير من العيانين ، إنهم يتصرفون فيما يشاؤون فيهزم العساكر ويقلع الشجر العظام ومما نقل أن رجلاً في سفينة في البحر فأتوهم قوم قطاع طريق في مركب عظيم ليس لهم قدرة على مقابلتهم فأيسوا من النجاة فقال ذلك الرجل : لا تخافوا فقالوا : وكيف لا نخاف ؟ فقال : أنا أغرقهم فلما قربوا من سفينتهم شبه مركبهم بالفحل المغتلم فانقلب المركب وغرق من فيه ، ومر شخص بشجرة عظيمة فتعلق به غصن من أغصانها فقال : لم يكن عندي شيء أعطيتك فانقلعت الشجرة في الحال وقصص العيانين كثيرة ، وليس ذلك لنور اتصل بنفوسهم ولكن نفوسهم عودوها على الانبعاث عند أول نظر فتصيب فظهرت على نفوسهم قوة القهر من تعود نفوسهم الانبعاث إلى المرئي بعين الحسد والرصد والغبطة ، فكانت لهم ملكة يتصرفون بها فيما شاؤوا ولقد اشتهرت قصص من أفاعيلهم حتى قتلوا الحيوانات الآدميين بالتقصد والعمد وبغير ذلك وليس هذا من النور ولا من التأييدات الإلهية وإنما هي من الشياطين وما ذكروه هنا من هذا القبيل ، فذرهم وما يفترون ويدل على ذلك قوله : واستعان على ذلك بالدوران على مركز نفسه فقد ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ ﴾ عن الصادق عليه السلام : (**إنه يحوم حول نفسه**) ولو كان محقاً لكان يحوم حول ربه .

وأما قوله : والنفس في خلال ذلك متطلعة على عالمها انتهى ففيه أن النفس إن أريد بها الصورة المجردة عن المادة العنصرية والمدة الزمانية فعالمها وسط الملكوت والدهر وذلك ليس منشأ

للفيض لأنه هو الأرض ، والأرض يرد عليها المدد من السماء الذي هو العقل والأخبار والآيات تشير إلى أن النفس وما فيها من الصور العلمية هي الأرض قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ﴾ قال عليه السلام : (**يعني بموت العلماء**) ، فأطراف الأرض نهاياتها وهي الصور العلمية وإن أريد بالنفس المراد منها الذات المشار إليها بقوله عليه السلام : (**من عرف نفسه فقد عرف ربه**) ، فتلك منشأ للفيض ولكن لا عالم لها وإنما هي الوصف للوصف .

وأما قوله : فيرد عليها وارد يشبه البرق فهذا حق لكنه يرد على النفس الناطقة التي هي الوصف للوصف فالوارد من الوصف ، وأريد بها الصورة المذكورة فالوارد عليها من الوجود بواسطة العقل لأنه بابه وذلك الذي يشبه البرق يلمع على النفس فينطوي لأنه كان في صفحة من الخزائن التي أشار سبحانه بقوله : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ ، فإذا جاء أجل لمعانه على تلك النفس أمر الله الملك الموكل بتلك الخزانة وفتح منها بقدر ما اقتضاه استعداد تلك النفس في مدة مقدرة وبعدها يطويه الملك فإن قرعت تلك النفس باب الخزانة فتح الملك فإن كان ذلك الشخص متعاهداً لذلك الفيض من بابه أنس به الملك ، فكلما قرع فتح ، ولا يزال كذلك حتى يعطيه الملك مفتاح ذلك فلا يمنع عنه كلما أراد وهو المراد من قولهم يكون مستفاداً أو بالفعل على القولين .

قال : ولا يزال يستدعي تلك الحالة التي سلكها حتى يصير ملكة له بحيث لا يحتاج إلى استدعائها ويستغرق فكره في ذلك الوارد

ويصير مستقراً معه ويعد التفاته إلى عالم الحس ويصير في هذا المقام عقله المستفاد عقلاً فعالاً ويرى ذاته كأنه كلية بالنسبة إلى ما تحتها .

أقول : إذا نال ذلك بما قلنا من التخلق بأخلاق الروحانيين وعمل بشريعة خاتم النبيين واتبع طريقة سيد الوصيين صلّى الله عليهم أجمعين في جميع أقواله وأفعاله وأحواله بما استطاع لا يرده عن شيء منها إلا القصور لا التقصير ، فذلك الذي أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (**خلق الإنسان ذا نفس ناطقة إن زكاها بالعلم والعمل فقد شابهت أوائل جواهر عللها**) ، ومثل هذا لا شك أن له تصرفات كثيرة في العالم لا في كل شيء إلا إذا كان كلمة تامة كما أشار إلى ذلك علي عليه السلام بقوله : (**فإذا اعتدل مزاجها وفارقت الأضداد فقد شارك بها السبع الشداد**) وهذا المقام لم يصل إليه خمسة عشر شخصاً ولا يصل أبداً وإنما وصل إليه أربعة عشر شخصاً صلّى الله عليهم أجمعين ، فإذا أراد بكون عقله عقلاً فعالاً ، أن له تصرفات بقرينة قوله ويرى كان ذاته كلية ، فالموصوف كما قلنا يمكن في حقه لا مثل أولئك المتلونين فإن مددهم من إخوانهم الشياطين وأولئك يلقون السمع وأكثرهم الكاذبون فلاحظ ولا تغفل .

قال : واعلم يا أخي هذا الفصل وتأمله بعقلك وذهنك لأنه أصل هذا الكتاب وأمه فالحروف قاعدة التصريف في عالم الكون ولها في تجريد النفس آثار عظيمة لا يقوم فيها مقامه غيرها ، والعارف بأسرارها إذا توجه بكل حرف منها في الشيء الذي يناسبه حتى ينمحي عن فكره شكل الحرف وصورته الجسمانية وتبدو له صورته

الروحانية فحينئذٍ تظهر له خاصية ذلك الحرف ، فإذا رددها المردد بقلبه ولسانه المرات الكثيرة احدثت في النفس قوة عز وقهر وبسط وجذب والله تعالى المستعان ، انتهى كلامه ومواضع الإشكال على أمثالنا غير خاف على أمثالكم .

أقول : أما تصرف الحروف في عالم الكون بمقتضى طبائعها وقواها فمما لا ريب فيه ، إلا أن من التصاريف أموراً محرّمة شرعاً لا يجوز استعمالها كالمشروطة بالرياضات المحرمة والأعمال المستلزم للكفر مثل ما وقفت عليه في عمل من أعمالهم ، إنه يأخذ عذرة الإنسان ويعصر ماءها ويكتب آية مخصوصة من كتاب الله تعالى بذلك الماء لهلاك من يريد هلاكه فانظر ماذا ترى وكذلك ما كان متوقفاً على استنزال الملائكة واستحضار الأرواح ، ولو على لسان طفل لم يبلغ ، أو امرأة حامل يصورها في شيء صقيل وتعطيف المرأة لزوجها وأمثال ذلك مما منع الشرع منه ومن التصاريف أشياء مباحة إذا استعملت في مباح كتأليف الحروف الطبيعي واستعمال الحار منها للتبريد وبالعكس ، وذكرها بعدد قواها ورفع يابسها إلى مثله من باردها ، وباردها إلى رطبها ، ورطبها إلى حارها واستخراج حروف القوى والأساس وحروف الحاصل والمستحصل واستنطاقها بعد الضرب أو الجمع وأخذ النظائر وأمثال ذلك .

وأما مثل ما ذكره البوني في شمس المعارف وهذا الكتاب لم يكن عندي ولا رأيته وإنما سمعت بوضعه وأنه موضوع على الأشكال من المثلث والمربع وغيرها فإن كان فعل ذلك مجرد التأليف الطبيعي ليمتزج اسم المطلوب منه واسم الطالب بناءً على

أن الاسم من المسمى بمنزلة الجسد من الروح كما أشار إليه أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (**الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ**) ، وعلى أن تمام بنية الجسد يستلزم في الحكمة أن يهب الكريم سبحانه روحاً تسكن تلك البنية لأنها إذا تمت كما ينبغي فقد سألت عنه سبحانه بلسان حالها الصادق وامتثالاً لأمره أن يحييها وهو يحييها بكرمه ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ، فإذا امتزجت الأسماء الثلاثة اتصلت المسميات فحصل المطلوب فإن كان ذلك لا يتوقف على بعض الشروط المحرّمة مما أشرنا إلى بعضها فلا ضرر فيه وإلا فلا .

وأما ظاهر كلامه من قوله لأنه أصل هذا الكتاب يشعر بأنه المشروط بالرياضات وتسخير الملائكة وغير ذلك فهو محرم .

وأما ما يستخرج من الحروف من أسماء الملائكة فعندي فيه توقف من جهة أن هذه الملائكة المشار إليها يراد منها القوى خاصة لأن الملائكة عندهم ليسوا نفوساً مشعرة حساسة مدركة مفارقة فعالة بالاختيار وإنما هي قوى الأشياء فإن كانت كذلك فلا محذور في استخراج قوى الشيء لأنه كاستخراج المعدن من التراب وليس تسخيراً للأرواح ، وأما عندنا فالملك حيوان حساس مختار مفارق لما وكّل به في ذاته وإن كان في فعله مقارناً له ، وإن كانت المستخرجة من الحروف هي المراد عندنا وأنها لما كانت الحروف وجوداً تاماً على أكمل نظام وكل ذرة من ذرات الوجود موكّل بها ملك تجانس أجنحته جهات تلك الذرة فأي تركيب من تراكيب الحروف من بسيط ومركب وجد فهو اسم لملك كما هو شأن مشتقات المسميات الوجودية ، فأنت تدعوه باسمه المسخر للقيام

بوظيفته فهذا لا يجوز . **(وأما ما ذكرته)** في أجوبة مسائل الشيخ عبد علي التوبلي البحراني تغمده الله برحمته ، فإنما قلته نقلاً تتميماً لجوابه على سبيل التمثيل ولم أقصد فيه ما قصدوا لوجوه ثلاثة : الأول أني غير عالم بذلك ، الثاني أني لم استقص شروطه ووظائفه كما عندهم ولم أعلم بكلها ، الثالث توقفي من جهة مشروعيته لاستلزامه استنزال الملائكة والأرواح وأنا متوقف هل المقصود منها القوى ، كما نعرف من القوى فيجوز أم الملائكة الأرواح النورية المعروفة عند أهل الشرع فلا يجوز .

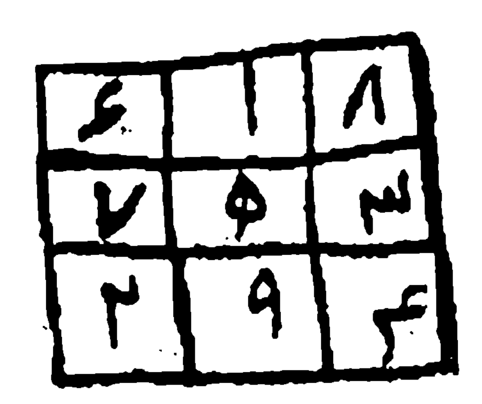
وأما قوله : تبدو له صورته الروحانية فيريد بها الصورة الفكرية أو هي مع العددية لأنهما بمنزلة الروح بمعنى أن الفكرية كالصورة النفسية والعددية كالمثالية والصورتان السفليتان كالجسد بمعنى أن اللفظية كالجسم والرقمية كالجسد وهو يشير إلى معنى وهو أنك إذا أردت عملاً كتبت ذلك الاسم على نحو ما ذكروا وذكرته بعدد قواه وفكرك منغمس في صورته الفكرية حتى تغلب على سماعك لفظه وعلى نظرك رقمه أو تحمله أو تشربه وغير ذلك ، فإذا تمحض وجدانك في الصورة الفكرية ظهر لك سر ذلك الحرف فيما طلبت وهذا معروف إلا أن فيه الجائز وفيه الممنوع والحمد لله رب العالمين ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين الطيبين المعصومين واجعلنا معهم وبهم ولهم ولا تفرق بيننا وبينهم طرفة عين في الدنيا والآخرة برحمتك يا أرحم الراحمين .

قال أيده الله تعالى : **سؤال** ـ قال الشيخ محيي الدين في بعض رسائله في علم الحروف في خلال كلام له ، وله أي ولشيث عليه

السلام سفر جليل الشأن في علم الحروف وعنه أخذت هذا المثلث العظيم الشأن الذي لا يعلم قدره إلا من خصه الله تعالى بالاطلاع على أسرار الحروف ورأيته بمكة وحل لي ما أودعه في سره في ٦٢٦ وهذا المثلث :

١٩٨	٤٩	٢٢٤
٤٥٩	٢٣١	٥
٣٤	٣٩٣	٣٤٤

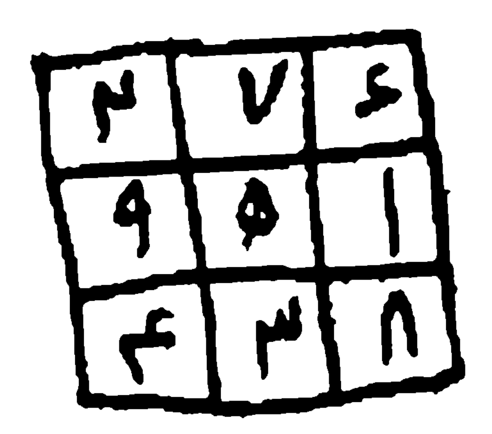
أقول : اعلم أن المثلث أول الأشكال وأعظمها وهو شكل أبينا آدم عليه السلام لأن آدم عليه السلام أبو البشر وأولها ، وهذا أبو الأشكال وأولها ولأن السطح أقل ما يتركب من ثلاث نقط وإنما قيل إنه شكل آدم عليه السلام لأن بسائطه خمسة وأربعون وهذا مثاله :



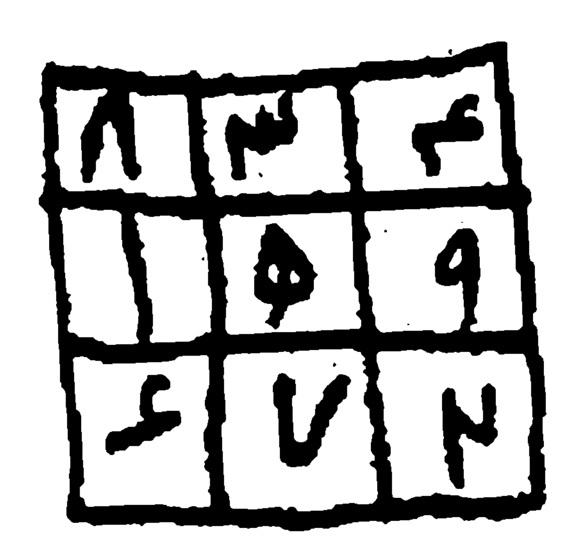
٦	١	٨
٧	٥	٣
٢	٩	٤

ثلاثة أضلاع كل ضلع خمسة عشر ومجموعها خمسة وأربعون ، وهو مجموع آدم عليه السلام وينسب إلى شيث عليه السلام لأنه ابن آدم وحوا ، واسم حوا خمسة عشر وذلك ضلع واحد من المثلث الذي مجموعه آدم عليه السلام ، فحوا من ضلع آدم إلا أن حوا من

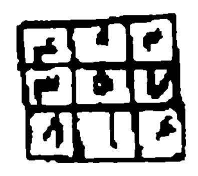
ضلع من المثلث المائي لأن طبع الذكر حار يابس وطبع الأنثى بارد رطب والمثلث له أربع صور ناري كما ذكرنا وهوائي هكذا :



ومائي هكذا :



وترابي هكذا :



فحوا من الشكل المائي من الضلع الأيسر الذي في وسطه الواحد وقوله في ٦٢٦ الظاهر منها السنة التي ادعى أنه اجتمع فيها بشيث عليه السلام وعلّمه المثلث وهذا الشكل المرسول ليس بصحيح ، إذا وضع فيه اسم شيث على القاعدة كان فيه كسر فيزاد

في رابعه ، فإذا نزل فيه زاد أحد وتراه على كل حال ولا يمكن على ما ذكره بعضهم أن يصح إلا بتضعيفه وادعى أن تصحيحه بذلك وأنه أقوى فعلاً كما أن المركب الفلسفي كلما كرر عليه التكليس والحل زادت قوته وزاد فعله ، وأنا لما لم يكن لي اطلاع على هذا العلم ولم يكن عندي من كتبه ولا شافهت أهله ولم أكن بصدده لم أقدر على التصرف في مكتوماته وأسراره ولو كان الشكل المنقول صحيح الوضع ربما يمكن استخراجه ، وأما جوازه من جهة الشرع فقد تقدم الكلام فيه وفي أمثاله .

قال : قد ذكر آثاراً بديعة وأسراراً رفيعة إلى أن قال : ثم الإمام علي عليه السلام ورث علم الحروف من سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وإليه الإشارة بقوله : (**أنا مدينة العلم وعلي بابها ومن أراد العلم فعليه بالباب**) ، وهو كرم الله وجهه آخر الخلفاء كما كان النبيّ صلى الله عليه وآله آخر الأنبياء عليهم السلام وقد ورث علم الأولين والآخرين ، وما رأيت في من اجتمعت به أعلم منه .

ثم قال بعد الإطراء في مدحه عليه السلام ومدح الصادق عليهما السلام بالعلم ومدح مولانا القائم عجل الله فرجه عليه وعلى آبائه صلوات المصلين بقوله : إن الجفر يظهر في آخر الزمان مع الإمام محمد المهدي عليه السلام ولا يعرفه على الحقيقة إلا هو ، وموضع الإشكال المسؤول عنه حله إظهار ما تضمنه المثلث والإبانة في الجملة عن كون اجتماعه مع الكرام في عالم المثال عند العروج أو عند الرجوع عن المقام وكيف أشرقت عليه أنوار علومه عليه السلام ، وتبين له أوليته عليه السلام حتى جعله آخر الخلفاء وأن له معنى آخر .

أقول : أما الآثار البديعة فهي ما يتصرفون فيها من أعمالهم من كتابة مزدوجاته للمحبة والتأليف ومفرداته للتفريق ولإزالة الحمى مع ما يناسبه من الأسماء والآيات ولبكاء الأطفال ، كذلك ولهلاك الأعداء وهزم الجيوش ، وزجر الطيور وإظهار الكنوز وإبطال الأرصاد وحل المربوط ، وللربط ولترويج كساد التجارة وأمثال ذلك مما يعسر إحصاؤه من الأعمال إلا أن لها شروطاً عندهم مقويات للحروف منها أشياء مناسبات وأشياء مقومات والكل معلوم عند أهله.

وقوله : إن علياً عليه السلام ورث علم الحروف عن محمد صلى الله عليه وآله لا شك في ذلك يعرفه المخالف والمؤالف وهو الجفر المعروف وذلك أن محمداً وعلياً عليهما السلام كانا على جبل فاران فأتى جبرئيل عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله بجفرة وهي بقرة وحش أنثى بكر بالغ فذبحها علي عليه السلام وسلخها ، فإذا جلدها مدبوغ فكتب فيه علي عليه السلام بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل عليه السلام علم الجفر أي العلم المكتوب في جلد الجفر والأربعة عشر معصوماً عليهم السلام في ذلك العلم على السواء ، فمن جهله بهم عليهم السلام خص علم الجفر بعلي عليه السلام وجعفر الصادق وبالقائم عليهما السلام لأنه ينسب إلى علي وجعفر أخذه عن جده علي والقائم عليه السلام هو وارثهم وهذا ما تدل عليه روايات العامة.

وقوله : وهو كرم الله وجهه يريد به ما كانوا يستعملونه عندهم من أن الصحابة عبدت الأصنام فيقال لكل واحد منهم رضي الله عنه ، وعلي لم يسجد لصنم فيقال له كرم الله وجهه عن عبادة الأصنام.

وقوله : آخر الخلفاء يشعر بأن سائر الأئمة ليسوا كذلك حتى القائم وإن كان يقر بأنه خاتم الولاية وهذه طريقتهم الباطلة.

وقوله : ولا يعرفه على الحقيقة إلا هو يشعر بأن غير الصادق وجدّه علي عليهما السلام لا يعلمه على الحقيقة إلا القائم وهو بناء على ما يعرفه من إلحاده واستنكافه.

وقوله سلمه الله : وموضع الإشكال انتهى ، فجوابه أما ما تضمنه المثلث فقد قلت قبل هذا إني لا اعرف هذا بخصوصه على ما ينبغي والصورة المنقولة في السؤال ليست صحيحة ، لأنه لم يجر على النظم الطبيعي الذي هو شرط في صحة تأثيره في جميع الأعمال وليس عندي شيء من كتب القوم لأراجع ، إلا أن الأعمال المطلوبة منه لتحصيل المطالب العظيمة منها الممنوع منها ، ومنها الجائز كما للتفريق بين المرء وزوجه ولحل المربوط وإبطال السحر .

وأما دعوى اجتماعه بشيث وعلي عليهما السلام وغيرهما من الأنبياء والصديقين فعنده أن ذلك على الحقيقة بناءً على مذهبهم ، مذهب أهل التصويف من أن الخيال أصل وجود العالم كله كليه وجزئيه حتى وجود الواجب وهو باطل في حق الجزئي ، بل كلّ ما هو في خياله فهو صورة منتزعة من الأصل الخارجي ، فما في خياله إلا كما في المرآة من المقابل وقد حققنا في كثير من أجوبتنا فيما كتبناه خصوصاً في الفوائد وفي مباحثاتنا ، ثم إن ما في المرآة ليس يجب أن يكون على هيئة المقابل ، وإنما يكون على هيئة المرآة فإن كانت شيشتها سوداء كانت صورة المقابل على هيئة المقابل سوداء وإن كان أبيض كانت أبيض ، وإن كانت معوجة

كانت الصورة معوجة وإن كان معتدلاً كانت معتدلاً ، فلا تحكي المرآة إلا على هيئتها ، وإن كان خفي الباطن فانظر في الظاهر فإن الكفار والمنافقين لا يرون الإمام عليه السلام كما تراه أنت ، وهذا ظاهر وهذا الرجل رأس الكفار والمنافقين ولا ينبئك مثل خبير ، فهو يتصور في خياله علي بن أبي طالب عليه السلام وما وقف عليه من حكمه وعلومه عليه السلام مما بهر عقله ، فيصفه بما يعرف من علومه ويؤخره عن الثلاثة بما ظهر له من تقدمهم عليه ، وذلك لأنه يتصور أنهم أفضل منه وإن لم يعلم منهم شيئاً من العلوم فهم عنده أولى بالخلافة هذا الذي يتصور في خياله ويتصور فيه أنه ما وجد أعلم منه من جهة ما سمع من حكمه وعلومه عليه السلام ولو أنه أدركه أو عرفه لكان أعلى منه ولما صح قول النبيّ صلى الله عليه وآله : **(يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا ولا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرف الله إلا أنا وأنت)** ، ولكنه إنما وصفه بما يعرف وأما أنه اجتمع معه فهيهات أين الثريا وأين الثرى وإنما يسمى تصور الشيء اجتماعاً معه وملاقاة له بناءً على ذلك المذهب وإن انتقال خياله من أحوال مأكله ومشربه إلى شيء من المسائل أو تعرّفه لشيء يسميه عروجاً إلى العالم العلوي ، فليت شعري ما هذا العروج الذي اختصوا به دون غيرهم ، أليس إذا تخيلت محيي الدين بن عربي ولعنته إني عرجت إلى العالم العلوي ، فإن كان هكذا فلم يخلق أحد من المكلفين إلا وهو يعرج ويجتمع بالأنبياء عليهم السلام ، ولكن ليس هذا بعروج غير ما يعرف ولكن مدعيه أعرج وليس على الأعرج حرج .

ولقد أخبرني رجل من بعض التلامذة وهو الآن موجود قال :

قال شخص معروف من أهل التصوف : أنا اليوم عرجت إلى العرش ، فقال له ذلك التلميذ : أنا كذلك عرجت إلى العرش وما رأيتك ، قال : أنت في جانب من العرش وأنا في جانب فانظر بعقلك إلى هذا التلاعب بدينهم وكل هذا لما ادعى سيد المرسلين صلى الله عليه وآله أنه عرج إلى السماء بجسمه الشريف وعرج بروحه ثلاثمائة ألف وستين ألف مرة وعرفوا أن النفوس والأرواح ليست من عالم الأجسام ، وإنما هي من عالم الغيب والملكوت ، وهي الآن في مراكزها وإنما تعلقت بالأجسام تعلق التدبير ، فإذا أرادت تناول شيء من الأجسام تنزلت إلى رتبة التي تتناوله وهي على ما هي عليه في رتبتها ، قالوا لرجوعها في التفاتها إلى مركزها : إنه عروج إلى السماء وإلى العرش ولقي الأنبياء عليهم السلام ، وكل ذلك حديث خرافة فلا يقال عروج ولا رجوع لأنه يوهم أن ذلك مختص بالأنبياء والأولياء كابن عربي والغزالي وعبد الكريم الجيلاني وعبد القاهر وابن عطاء الله وإبراهيم بن أدهم وغيرهم من المتلونين الذين قالوا : نحن أولياء الله وأحباؤه ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ على أنك لم تسمع من أحد من الأنبياء عليهم السلام أنه عرج إلا نبينا صلى الله عليه وآله مع أنهم لا تزال أرواحهم معلقة بالمحل الأعلى ، فإذا كان لم يقل به أحد منهم وإن كان تعرج روحه كل حين فلا يجوز لغيرهم ذلك .

وقولكم : وكيف أشرقت عليه أنوار علومه عليه السلام إنه لم يشرق عليه شيء من علومه لا قليل ولا كثير لأن العلم (**نور يقذفه الله في قلب من يحب**) وهذا ممن يبغضهم الله ولكن أعطاه قدر ما تقوم به الحجة عليه وهو جاهل كيف يكون عالماً يفضل السها في

النور على الشمس ، ومع هذا كله فعندهم أن الأول والثاني لعنهما الله اعلم من رسول الله صلى الله عليه وآله وأفضل على ما سمعته أنا من بعض علمائهم في بلدنا مشافهة قال لي يوماً : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ ، قال هم الأول والثاني يتولاهم الله بنفسه بما لم يطلع عليه أحداً من خلقه من أسرار الربوبية والمعارف الإلهية .

قلت : ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الواسطة بينهما وبين الله قال : إن ذلك لا يعلمه رسول الله قلت : قوله صلى الله عليه وآله : (**أنا مدينة العلم وعلي بابها**) يدل أن جميع العلم إنما تؤخذ [يؤخذ] عنه قال ذلك علم الشريعة ، وأما الأسرار الإلهية فلا فلم أتق منه فقلت : من شذ عن رسول الله صلى الله عليه وآله شذ إلى النار ومثل ذلك ما رواه بعضهم في حديث الغار قالوا : إن الغار فيه ثقوب ورسول الله صلى الله عليه وآله قد نام على ركتبي أبي بكر لعنه الله لأنه تعب وأبو بكر خاف على رسول الله صلى الله عليه وآله أن تخرج حية من تلك الثقوب فتلدغ رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يكن عليه إلا ثوب واحد ، فمزقه وسد تلك الثقوب وبقي ثقب لم تبق له من الثوب خرقة يسده بها فوضع إبهام رجله فيه فخرجت أفعى من ذلك الثقب فلدغته فدمعت عيناه فوقع الدمع على خدّ رسول الله صلى الله عليه وآله فانتبه فقال : ما يبكيك يا أبا بكر ؟ فأخبره بالقصة فقال : أبشر فإنك عند الله أرفع مني بثلاث درجات هذا معنى ما سمعته مشافهة ﴿ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ .

وحديث النبوّة فإنها نزل بها جبرئيل عليه السلام في صورة أُتْرُجَّة على أبي بكر لعنه الله فلم يره فرأى محمداً صلى الله عليه وآله

فأخذها منه على سبيل الأمانة ، فلما صعد جبرئيل عليه السلام سأله الله هل أديت ؟ قال : يا رب أعطيتها محمداً على سبيل الأمانة لأني لم أر أبا بكر لعنه الله فعاتبه الله على ذلك ، فقال : إن أردت نزلت وأخذتها من محمد صلى الله عليه وآله قال : لا دعها وأمثال ذلك ، فإذا كان هذا وأمثال ذلك معتقداتهم كيف يُرى أن علياً مقدم على أحدهم وهذا دليل على أن نور علم علي عليه السلام لم يشرق على أحد من هؤلاء وإنما يشرق على أوليائه .

قال : ثم الحقائق في عالم المثال أو فوقه تظهر غالباً أو أحياناً على صورتها المعنوية كاللبن والماء المؤولين بالعلم مثلاً في المنامات أو غيرها ، وهل المسموعات من الكشف المثالي مثلاً مسموعات على وجه الحقائق على ما نتعارفه في عالم الظاهر من حمل الألفاظ على الحقائق لأن الألفاظ والنقوش هي المترقية من عالم الظاهر ، فينبغي أن يكون المسموع هناك على هيئته هنا أو على وجه التأويل ، وعلى الأخير يختل أوضاع العلم إلا أن ينضم إليها قرائن .

أقول : إن عالم المثال لا يظهر إلا قائماً بالأجسام كالتربيع الذي تراه في الكتاب إذا جردت عنه المادة هو المثال ، وكالصورة في المرآة فهو لا يتقوم إلا في المادة ، وهذا الذي تشير إليه ليس هو المثال وإنما هو الصور العلمية وتلك في الملكوت في عالم الدهر قبل الزمان والمثال مثلها ، وكيفية حصولها في المنامات أنها في المنام تقابل مرآة خيالك فتنتقش فيها صورة المقابل والأصح المروي عن أهل العصمة عليهم السلام ، أن المنتقش في المرايا الظاهرة والباطنة أشباح الحقائق فالذي في خيالك صورة ظلية لا

ذات حقيقية ، وقد أشرنا سابقاً أن المنتقش في المرآة إنما ينتقش على هيئة المرآة ، ألا ترى أنك إذا نظرت وجهك في السيف الصقيل ، رأيته طويلاً إن نظرت إليه بالطول وعريضاً إن نظرت إليه بالعرض ، والنائم قد يكون مشتغلاً بأمر مهم عنده فيراه لملازمته لخياله في اليقظة وقد تحصل له رطوبة أو يبوسة فتغير الرؤيا ، ولهذا روي الرؤيا آخر الليل أصح من الرؤيا أوله لكثرة رطوبات الطعام في أوله واشتغال النفس بتدبير الغذاء ، وكذلك لو كان مريضاً وعلى تقدير الاعتدال قد تحصل قرانات الكواكب تكون مانعة لمقتضٍ أو دافعة لمانع أو محركة للمرآة فتحدث في الخيال أوضاع لم تكن في الخيال ولا في المرئي ، أما ترى لو كان رجل قريباً من حوض ماء ، والماء ساكن رأيت صورته كما هو إلا أنها منكوسة بحكم المقابل ، فلو حركت الماء والرجل لم يتحرك حدثت في صورته المنكوسة هيئات غريبة متشعبة على حسب حركة الماء لم تكن في هيئة الرجل ولا في الماء بدون التحريك .

كذلك الأوضاع السماوية لها تحريك للخيالات ومع هذا فلو عبرته للرائي على خلاف ظاهر منامه استقرت الرؤيا على ما عبرتها لأنك لما عبرتها على صورة تخيلها الرائي ، وتخيل أن هذه صورة ما رأى في منامه وإن كان قد رأى بخلافها حتى حصل له صورة ما رأى بصورة ما عبرت فتستمد هذه الصورة المعبرة الوجود من ظهور المرئي في المنام على هيئة قابلية خيال المعبرة ، فتقع كما قلت : في تعبيرك فظهر أن حقيقة الرؤيا هي ظهور المرئي بصورة قابلية الرائي وخيال الرائي لذلك الظهور ، فقد يرى أنه يشرب لبناً وهو علم ، وقد يرى أنه يشرب لبناً وهو لبن فيشربه في يقظته ، وقد يرى أنه

يشرب لبناً وهو ليس بشيء لأحد الأسباب والموانع والمحركات والمشابهات كما ذكرنا ذلك إشارة ، والكشف المثالي والملكوتي والدهري إذا خالف الحسي والشرعي فهو غلط وقد أشرنا سابقاً إلى ذلك ، فلاحظه ومثل ذلك ما انكشف لابن سينا في الشفاء حيث قرر أن الخليفة الحافظ لشريعة النبيّ صلى الله عليه وآله إما أن يكون بنصب من الله تعالى ، أو من ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله أو من الناس وكذلك قال مميت الدين حيث جعل يزيد الذي قال :

لعبت هاشم في الملك فلا
خبر جاء ولا وحي نزل

وهذا مما نقله المخالف والمؤالف وكذلك المتوكل الذي ليس في خلفاء بني عباس مثله في الظلم والفساد والزنى واللواط وشرب الخمور واستعمال الملاهي وجميع المناهي التي نهى الله عنها من أهل الخلافة الظاهرة والباطنة ، وإن كل من تغلب وتسلط حتى استولى ، وإن كان ذلك ظلماً إنه خليفة حقاً وإنه حجة الله وتجب طاعته لأنه من أولي الأمر الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ وهذا مما قطع به من جهة الكشف فكشف الله سره ، فالمسموعات المذكورة قد تكون باطلة وقد تكون حقاً لأنها صور الحقائق ، فإذا انتقشت كما هي في ذواتها كانت حقاً ، وإن تغيرت المرآة حكت باطلاً وليست الألفاظ والنقوش تترقى لأنها زمنية ولا تترقى عنه فتكون دهرية لأن كل شيء فله رتبة من وجوده لا يتجاوزها أبداً .

وإنما الحس المشترك يحكي صور الألفاظ والنقوش وهي صور مشتركة بين الظاهر والخيال وينتقش صورة ما فيه من الصور في

الخيال كما قلنا وكل صورة فمن نوع ما هي منتقشة فيه ، فلا يلزم أن يكون المسموع هناك على هيئته هنا وليست كلها على وجه التأويل ، بل منها الصورة المخالفة والصورة الموافقة ، والموافقة هي العلم ولا يلتزم من هذا اختلال أوضاع العلم لأن العلم هو الجازم الثابت المطابق للواقع ، فلو كان كل من تخيل شيئاً كان ثابتاً مطابقاً للواقع لم يختلف اثنان ، لأن الواقع واحد مع أنك لا تكاد تجد اثنين متفقين .

وأما انضمام القرائن فقد قال الله سبحانه : ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾ أي إلى علمه من أين يأخذه وفي رواية محمد بن الزبرقان الدامغاني عن الكاظم عليه السلام على ما رواه المفيد في الاختصاص والصفار في البصائر قال عليه السلام : فيما كتب لهارون الرشيد : (**أمور الأديان أمران أمر لا اختلاف فيه وهو إجماع الأمة على الضرورة التي يضطرون إليها والأخبار المجمع عليها وهي الغاية المعروض عليها كل شبهة المستنبط منها كل حادثة ، وأمر يحتمل الشك والإنكار فسبيله استيضاح أهل الحجة عليه فما ثبت لمنتحليه من كتاب مجمع على تأويله أو سنة عن النبيّ صلى الله عليه وآله لا اختلاف فيها أو قياس تعرف العقول عدله ضاق على من استوضح تلك الحجة ردها ووجب عليه قبولها والإقرار والديانة بها**) الحديث .

فطالب العلم يطلب الحق لا غير (**وعلى الله قصد السبيل**) وما ترى ممن ضل فإنه لا يطلب الحق ، بل يطلب الحق المطابق لشهوته ولا شك أن ذلك ليس بحق ، أما ترى قول الصوفية إن علمنا شرطه أن يكون على مذهب السنّة والجماعة ، وليس هذا قول

من يطلب الحق وإنما يطلب ما يوافق محبته ، ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ الآية .

قال أيده الله تعالى : ثم إن المرئي المخبر المعلم من الكرام الذي حكى عنهم هل هي شؤونات النفس أو حقائق المخبرين ولا اعتداد بالأول وظهور الحقائق يتوقف على عبور السالك على مراتبهم وهو غير ميسر لمثله إلا أن يكون مشاهداً لهم في بعض العوالم القريبة من الرائي كالمثال لاشتماله على أشباحهم النورانيّة والمثال .

أقول : اعلم أن ما رآه الرائي في اليقظة بخياله وما يراه النائم كله في رتبة واحدة وهي في أسفل الملكوت من الأظلة ، وهو صور المخبر في مرآة خيال الرائي وتلك الصورة هي ظهور المخبر للرائي في خياله وظهوره فيه إنما على حسب قابلية تلك المرآة للانطباع ، وقد تقدم ذكر ذلك ولهذا اختلفت مقامات الرائين وخيالاتهم بل الرائي الواحدة في آنين في رؤيا واحدة لأجل ما أشرنا إليه من تلك الأسباب للمقتضيات والموانع من حالاته ومن أوضاع الكواكب لا حقائق المخبرين ، ولهذا ترى زيداً في المنام وتسأله وهو يجيبك وهو لا يعلم لأن الذي سألته هو صورته المنتزعة ، هذا إذا كان من سائر الناس ولو كان المرئي من أهل العصمة عليهم السلام كان المدرك منه والمرئي كذلك إلا أنه يعلم ما قلت له وما قال لك : (**كما روي**) أن شخصاً رأى النبيّ صلى الله عليه وآله في المنام وبين يديه طبق فيه رطب ، فناول ذلك الرجل رطبة فأكلها ثم ثانية وثالثة إلى سبع ثم سأله فلم يعطه زيادة ، فلما أصبح الرجل مضى إلى الصادق عليه السلام ليقص عليه رؤياه فلما دخل عليه وجد بين

يديه طبقاً فيه رطب مثل الطبق الذي رأى بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله قال : فناوله الصادق عليه السلام رطبة ثم ثانية إلى سبع فقال الرجل : زدني يا بن رسول الله فقال : (**لو زادك جدي لزدتك**) انتهى .

والسرُّ في كون الإمام عليه السلام يعلم بمن يراه مع أنه إنما يرى صورته كغيره . إن جميع صور الخلائق لهم عليهم السلام يلبسون منها ما شاؤوا ويخلعون ما شاؤوا ولما كانوا عليهم السلام علة جميع الموجودات كانت تلك الصور التي هي من سائر الموجودات قائمة بهم فهي معلقة بأشعة وجودهم ولوجودهم قيومية عليها ، فلا يحدث انطباع ولا صورة إلا عنهم عليهم السلام ولا غير ذلك ، ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ وهم تلك الخزائن والتنزيل منهم وبهم وإليهم ، ولهم هذا الجواب ، وأما بيانِ العبارة فلو كان ظهور الحقائق يتوقف على عبور السالك على مراتبهم لزم ذلك في معرفة الله تعالى لأن الظهور ليس هو الحقائق لأن الظهور فعل الذات والوقوف على الفعل لا يستلزم الوقوف على الذات .

وأما احتمال أن يكون مشاهداً لهم في بعض العوالم القريبة ، فهذا هو الحق لكن ليس هذا الظاهر بل إن مظاهرهم لجميع المخلوقات في كل مرتبة من مراتب الوجود لا يختص لهم واحد دون آخر وذلك بصفاتهم لكل بحسبه وحقيقتهم لا يدركها أحد من الخلق غيرهم . وأما أن المثال مشتمل على أشباحهم فليس بصحيح لأن أشباحهم فوق أشباح ما في المثال بمراتب لا تكاد تحصى ، وإنما أشباحهم في عالم منفرد ليس فيه إلا أربعة عشر شبحاً وهم

هياكل التوحيد التي أشار إليها أمير المؤمنين عليه السلام لكميل في قوله : (**نور أشرق من صبح الأزل فيلوح على هياكل التوحيد آثاره**) .

قال سلمه الله تعالى : سؤال ـ قال في تلك الرسالة ومن أراد التصريف بما ذكرناه في هذا الكتاب المكنون والسر المخزون فلا يطالع حتى يتوضأ ويصلي ركعتين ويقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وآية النور التي أولها ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ إلى قوله : ﴿ عَلِيمٌ ﴾ ثلاث مرات وآية الزمر التي أولها ، ﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ وآية في ق التي أولها ﴿ لَقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ ثلاث مرات فإذا فرغ من الصلاة صلى على النبيّ صلى الله عليه وآله تسعاً وعشرين مرة ثم يقرأ : (**بسم الله الرحمٰن الرحيم**) تسعاً وعشرين مرة أيضاً ثم سورة ألم نشرح ثلاث مرات ثم يقول : اللهمّ يا من بيده مفاتيح أسرار الغيوب ومصابيح أنوار القلوب أسألك أن تكشف لي عن كل اسم مكتوم وسر مختوم يا من وسع علمه الظاهر كل معلوم ، وأحاطت خبرته بباطن كل مختوم مفهوم ، يا حي يا قيوم أسألك أن تصلّي على محمد وآل محمد شمس معارف أسمائك ومظهر لطائف أسرارك وعلى آله الأتقياء وأصحابه الأصفياء وأن تشهد لي غيب كل شيء يا من بيده ملكوت كل شيء ولا تشك ولا تردد واخلص في عملك يظهر لك سر علم الله إلى أن قال : ولقد أرشدتك إلى طريق الكشف من سر الحروف فاشكر الله إلى هنا كلامه فهل العمل الذي أنبأه من الصلاة إذا صليت على وجه شرعي والدعاء مما لا يخطىء قاريه الإجابة والإصابة عاجلاً

سريعاً لإدراك كل مطلب كما تضمنه الدعاء أو خاص أو غير مفيد إلا على معتقده أو لمعتقده ، وعلى الثاني فهل شيء يسهل الوصول ظاهراً يقوم مقامه في تحصيل العلم بكل مشكل فإن كان فافدنا تصريحاً أو تلويحاً .

أقول : فيما كتبتم فيه ذكر الركعة الثانية وعلى كل حال فليست هذه الصلاة مأثورة عندنا وظني أنها ليست مأثورة عند العامة وإنما هي من مخترعات الصوفية ، وذكر هذه الآيات المخصوصة المناسبة لمطلوبه يدل على أنها من مخترعاتهم لأنهم يذكرون أمثال تلك المناسبات في رياضاته وكذلك الدعاء الذي بعدها والأذكار ، فمثلها عند فقهاء الشيعة صلاة محرمة لأنها مبتدعة فلا تحصل الإجابة بها لأن الله لا يتقبل إلا من المتقين والعامل بالمعصية ليس بمتقٍّ وإنما تحصل لهم الإجابة ببعض مطالبهم من قوله تعالى : ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ وذلك من ابتلاء الله وفتنته ، نعم قد يفيد من هو على معتقده إذا عمل بالرياضة فإن الأعمال التي تؤثر في تحصيل المطالب إما الأعمال الصالحة وإما الأعمال الطالحة .

فأما الثانية فهي ما يعملونه أهل السحر وأهل التصوف فينالون بها بعض مطالبهم ، فهي ومطالبهم كلها محرّمة توصل إلى عذاب النار وبئس المصير ، وأما ما يحصل به مطالب المحبوبة عند الله من العلم النافع والعمل الصالح وخير الدنيا والآخرة فهي طريق أهل العصمة عليهم السلام ، وهي أنك لا تأكل حتى تجوع فإذا جعت فكل ولا تتملأ ولا تشرب حتى تعطش فإذا عطشت فاشرب ولا ترو وتحسن طهارتك الواردة شرعاً وتقرأ ما ورد فيها من

الأدعية وتعمل بآدابها وتصلّي صلاة محافظ عليها صلاة مودع وابذل جهدك في التوجه والإخلاص ، فإذا صليت ولم تتمكن من التوجه فلا تهتم من ذلك ، فإن الشيطان يشغل المؤمن عن التوجه في صلاته بتذكيره أشغاله وإحضارها عنده حال الصلاة ، فإذا فرغ أدخل عليه الهم فيما قصر ليشغله عن الاستعداد للصلاة المستقبلة وليحزنه على ما يتلافى ، إنما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا واستعد للنوافل من الصلاة والصيام والصدقات والأدعية والسواك وإدامة الطهارة ظاهراً وباطناً من مداومة التوبة وتعاهد القلب وقراءة القرآن بالتدبر وذكر الله كثيراً وفي تفسير قوله تعالى : ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾ عن النبيّ صلى الله عليه وآله ما معناه ، (**ليس هو سبحان الله والحمد لله ولا آله إلا الله والله أكبر وإن كان ذكراً ولكن أن تذكر الله عند الطاعة فتفعلها وعند المعصية فتتركها**) ، وتفعل مع الناس كما تحب أن يفعلوا معك ولا تعتمد على أعمالك ولا ينقص رجاؤك في الله إذا عصيت واسع فيما يرض الله عنك جهدك واجعل لك وقتاً من ليلك ونهارك تنظر فيه في العالم وتتدبر فإن الله تعالى يقول : ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ .

ويكثر من ذكر الموت وليستعد له وليكثر من الزاد إلى هذا السفر الطويل واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ، ولا تكن من الغافلين وبالجملة تنبه عن غفلتك عما يراد منك وأمثال ذلك ، فإنك إذا واظبت على الأعمال الصالحة ، قذف الله سبحانه العلم في قلبك قذفاً قال تعالى : ﴿وَلَمَّا

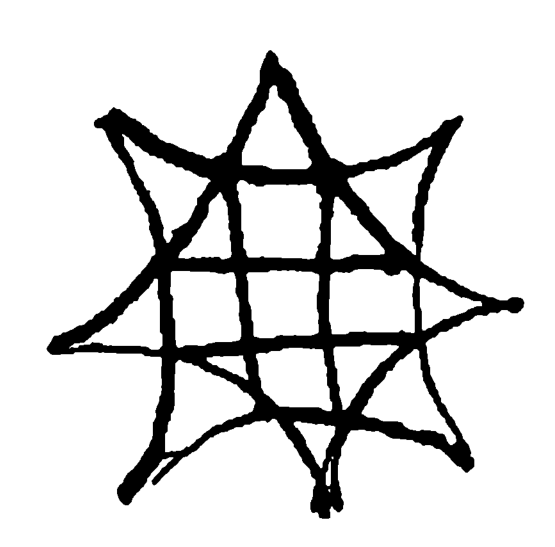
بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ ﴾ وكما تقدم من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله : (**ليس العلم بكثرة التعلم وإنما العلم نور يقذفه الله في قلب من يحب**) وفي رواية (**من يشأ فينشرح فيشاهد الغيب وينفسح فيحتمل البلاء قيل : وهل لذلك من علامة يا رسول الله ؟ قال : التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله**) انتهى .

وقول علي عليه السلام : (**ليس العلم في السماء فينزل إليكم ولا في الأرض فيصعد إليكم ولكن العلم مجبول في قلوبكم تخلّقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم**) ، والعلم الذي يقذفه الله في قلب من يحب نور ، والذي يحبه هو من يتقرب إلى الله بالنوافل كما وصفنا لكم وفي الحديث القدسي : (**ما زال العبد يتقرب إليّ بالنوافلِ حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ويده التي يبطش بها إن دعاني أجبته وإن سألني أعطيته وإن سكت ابتدأته**) ، فمن تقرب إلى الله بالنوافل أحبه ، ومن أحبه قذف في قلبه العلم ولا طريق إلى الله أصح ولا أقرب ولا أحب من هذا الطريق ، لأن هذا الطريق دلّ الدليل القطعي العقلي والنقلي من الكتاب والسنّة على صحته وعدم خطئه وعلى نجح المطلوب به فتمسك به راشداً موفقاً .

قال سلمه الله : ما عدد قوى علاّم الغيوب وما معنى قوي الكلمة وقد ذكر في تلك الرسالة عن مرتاض في الخلوة أنه خرج لي اسم غير معلوم فهتفت به فخرج شخص قبيح المنظر مهول فقال : ما حاجتك ؟ فقلت : من دعاك ؟ فقال : أنت تهتف باسمي وقد أتيتك

من جبل سرانديب فثبت جأشي فقلت : قالوا أنت تعلم علم الحجر وقد دعوتك لذلك فقال : إني لا أجيده ولكن اتل اسم علاّم الغيوب عدد قواه يخرج لك منه اسم الخادم الذي حروفه ر ج ح ا ل فهو أدرى مني ، فتلوت الاسم الذي هو علاّم الغيوب عشرة آلاف وتسعمائة وألف مفردة على هذا الحكم فظهر لي في اليوم الثالث ، فلما كسرت حروف الحجر هذا الاسم الذي هو رجحال فأفادني علم الحجر فوجدته عارفاً ، انتهى ما أوردته من العبارة على وجه وجدته في الرسالة .

أقول : يذكر أنه في رياضته في خلوته خطر على قلبه اسم وذلك لأن المرتاض يجمع قلبه على ذكره حتى أنه لشدة غيبته ترد على خاطره وعلى حسه المشترك صور وهيئات وأمثال وتماثيل على هيئات جميع ما في العالم مما رآه الناس ومما لم يروه ، وأن تلك الصور سيالة في التغير والتبدل تغيراً سيالاً فتحدث في الصورة الواحدة هيئات لا تتناهى وجميع الألوان التي في هذا العالم ترد على حسه المشترك ، وربما إذا تكاثفت وتعاظمت الصور والألوان والهيئات من الجمادات والمعادن والنباتات والحيوانات حدث شكل غريب هيئته على ما ترى هكذا :



فتحرك حركة اضطراب يميناً وشمالاً فانمحت جميع تلك الأشياء ، ثم بعد ذلك تعود تلك الأشياء ، ويخرج هذا الشكل فيمحوها وربما لا يخرج حتى يدعى بالإقبال عليه ، ولقد كنت من حال الطفولية إلى الآن يعرض في خيالي كلما خلوت بنفسي في مكان مظلم أن هذا الشكل الماحي لتلك الأوضاع كلما حصل لي أن اسمه الخامسة أبا جاد ولم أدرك المناسبة ولم أتطلع عليها لأني لست بصدد أمثال هذه الأمور ما لم يقم لي الدليل على خصوص المسألة . وأما هذا المشار إليه وأمثاله فيعتنون بذلك ولما حصلت له صورة اسم وكان مطلوبه الحجر تفطن في نفسه أن هذا العارض لا يناسب مطلوبي فلم يدل عليه وهو معنى أنه قبيح المنظر مهول ، فلما استفاد منه هذا قال : إنه أخبرني أن العالم به ما كان مناسباً له ، ثم نظر بفكره فقال : أوضاع أسماء الملائكة ما كان مختوماً بآل أو آيل أو آييل ، وإذا أردت ما يدل عليه ينبغي أن أطلب ما يوافق مادة اسمه مادة اسم المطلوب فرأى مقلوب الحجر رجحلاً فقال : المناسب للملك الإضافة إلى أحد الملحقات والموجود آل فقال رجحال : وهذا باب معتبر عندهم وعندنا لا يعتبر إلا بالدليل الخاص ومن تلك الأشياء قد ترد صور السماء صور فكرية وخيالية وغير ذلك ، فلما عرض له في رياضته ولذلك قال اسم غير معلوم لأنه لم يسمع به قبل تلك الحال ولم يمر على فكره فدعا به فخرج له مسماه وهو هذا الشخص القبيح المنظر .

وقوله : من جبل سرانديب فيه إشارة إلى أنه من أهل العلم والفهم لأن ذلك ينسب إلى الجهة العقلية وطبيعته البرد واليبس .

وقوله : ولكن اتل اسم علاّم الغيوب عدد قواه يريد عدد زبر

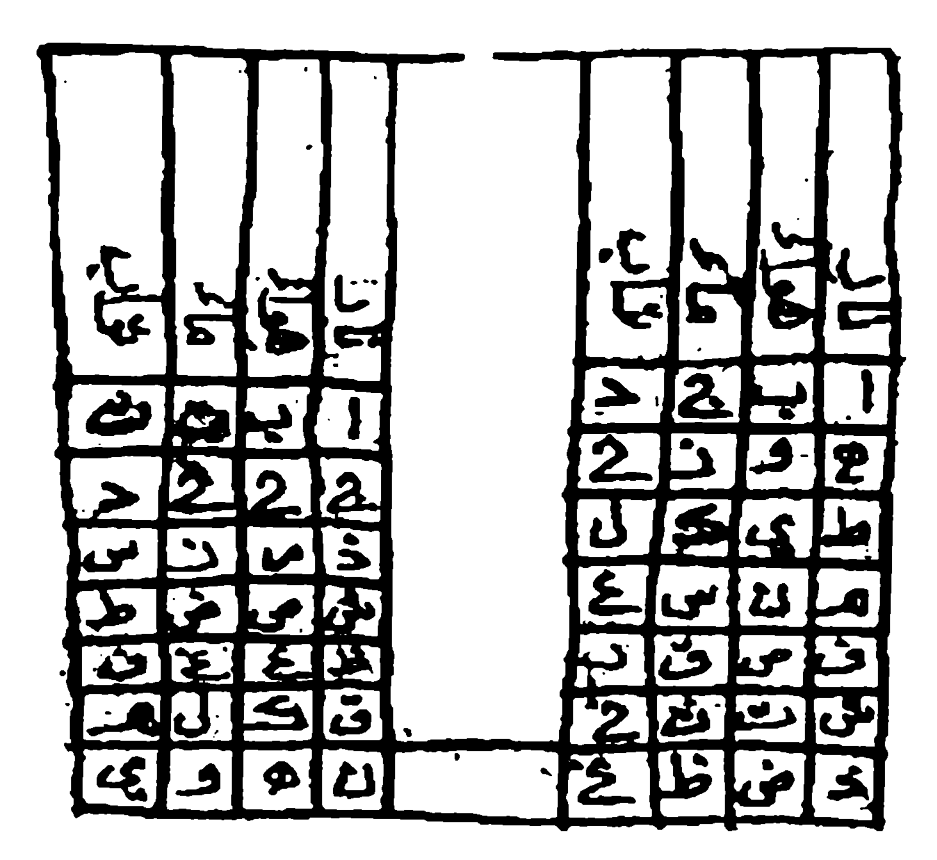
الاسم وله طرق متعددة ، والمراد به هنا أن علاّم عدده مئة واحد وأربعون والغيوب ألف وتسعة وأربعون وعدد الجميع ألف ومئة وتسعون وحروف علاّم الغيوب عشرة أحرف ، فإذا ضربت العدد المعلوم الذي هو ألف ومئة وتسعون في عشرة كان الحاصل أحد عشر ألفاً وتسعمائة ، فهذه قواه المقصود هنا وهو قوله : فتلوت هذا الاسم الذي هو علاّم الغيوب عشرة آلاف وتسعمائة وألف مفردة وأراد بألف مفردة أنك إذا ضربت الألف في العشرة حصل عشرة آلاف وإذا ضربت المئة في العشرة حصل ألف مفردة يعني زائدة على العشرة ، فإذا ضربت التسعين في العشرة حصل تسعمائة وهذا ظاهر ويأتي تمام هذه القاعدة إن شاء الله .

وقوله : يخرج لك اسم الخادم الذي حروفه ر ج ح ا ل فأفاد في علم الحجر لأن الخادمين للأشياء مناسبون لما هم يخدمونه ، أما من جهة لفظ اسمه كله أو بعضه كما روى أن الملك الموكل بالجبال اسمه جاجائيل فكان اسمه أوله جيم كالجبال فيكون أوله أول الجبال لأن العلويين على الاستقامة والتوالي غالباً والسفليين على خلاف الاستقامة وخلاف التوالي كما هو هنا ، فإن الخادم الموكل بالحجر على خلاف نظمه فالخادم اسمه رجحال وهو عكس الحجر إلا أن ألف الحجر أول فقياسه أن يكون أخيراً فيقال : خادمه رجحلاً لكن على ما يأتي أن قياس الموكلين من العلويين أن يكون مختوماً بآييل أو بآيل أو بآل وهذا ختم بآل فتقدم الألف على اللام تشبيهاً باسم العلوي أو أنه علوي كما يزعمه الزعيم ، والمعلوم أنه سفلي وأفادته في علم الحجر بيان الكيفية المكتومة .

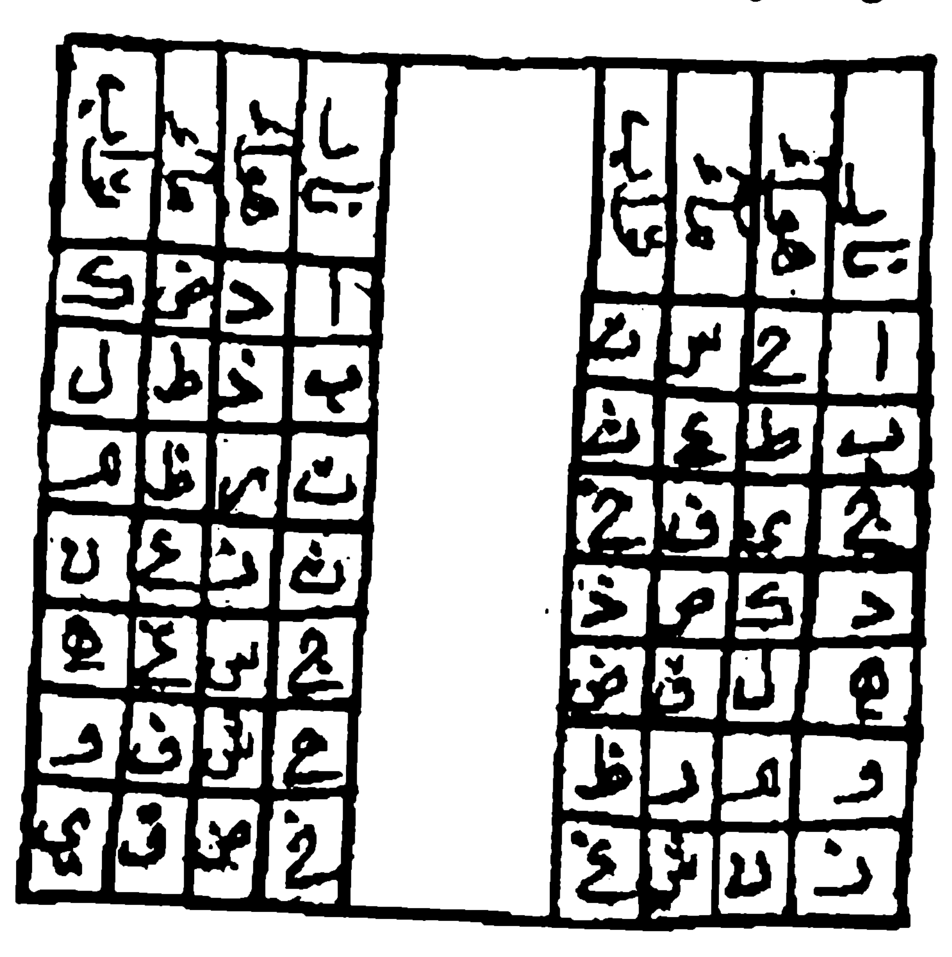
قال : **سؤال** ـ وجدت في الكتب المؤلفة في علم الحروف في أملاك الحروف ، أن الملك الموكل بالألف إسرافيل وبالباء جبرائيل وبالجيم كلكائيل وبالدال دردائيل هكذا إلى آخر الحروف ما الضابط في إدراك الأملاك الموكل بالحروف على الوجه المذكور ؟ .

أقول : اعلم أن ملائكة الحروف بناؤها على ترتيب الحروف من جهة طبائعها ، وطبائعها من جهة ترتيبها فمذهب الهنود والمشارقة واليونانيين والفلكيين ومن تابعهم في الحروف المفردة مثل حروف ا ب ج د ، والمزدوجة مثل حروف ا ب ت ث على الطريقة المعلومة على ترتيب العناصر هكذا ، وبعض الهنود والمشارقة رتبوا المفردة والمزدوجة هكذا بطريق الخافية الشمْسية من تغيير بعض الحروف وتبديل مزاجها :

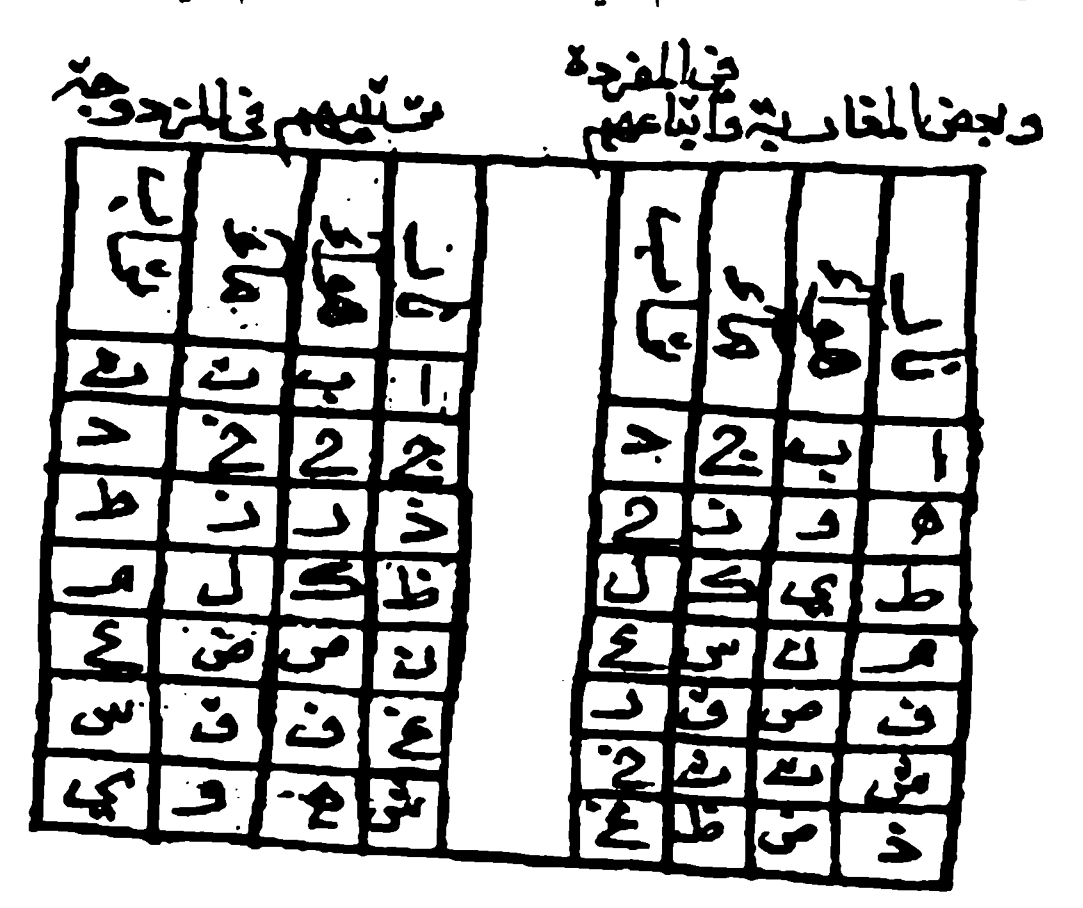
مذهب اليونانيين والفلكيين والهنود والمشارقة .



مذهب بعض الهنود والمشارقة :



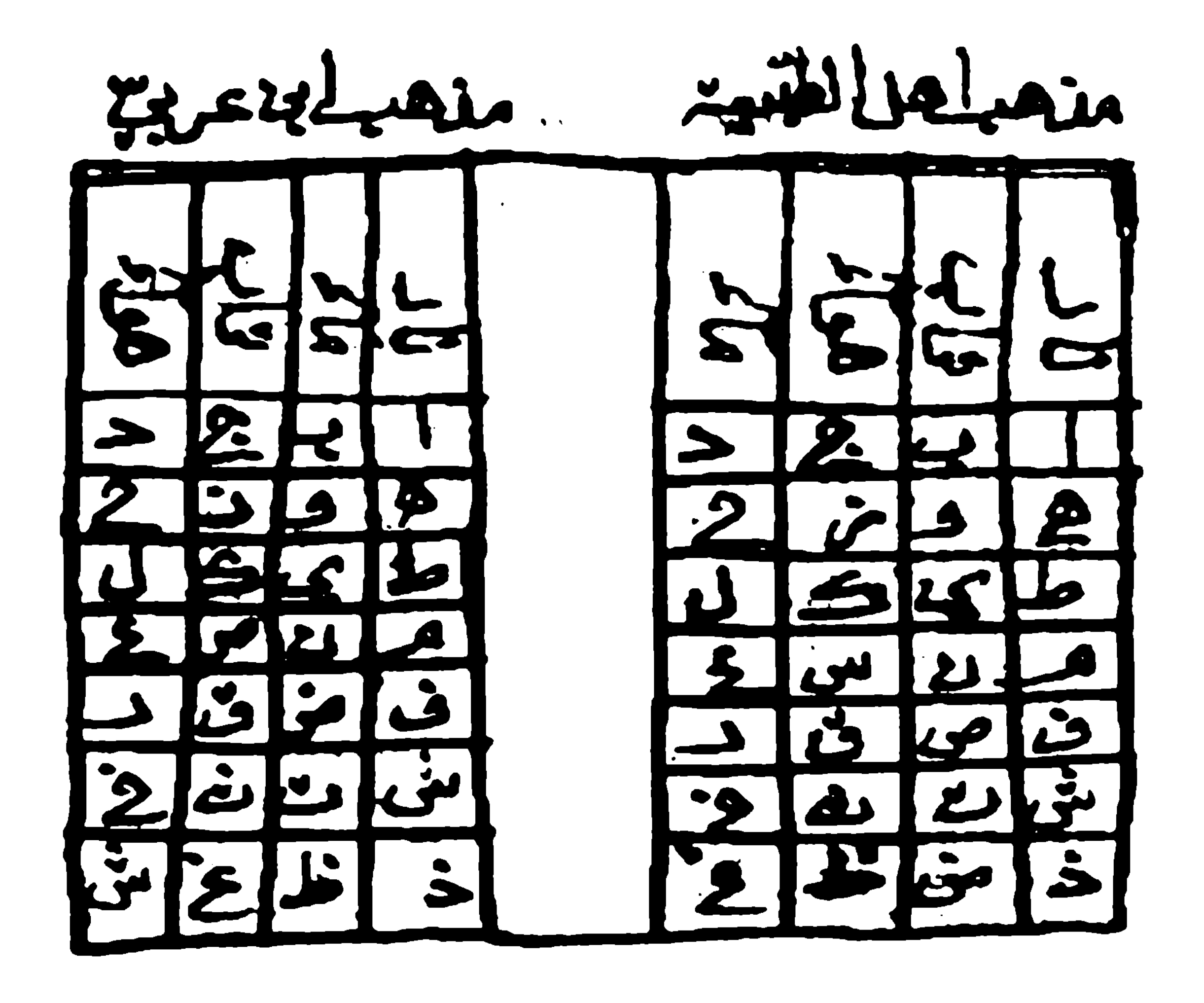
وبعض المغاربة وأتباعهم في المفردة ، ترتيبهم في المزدوجة :



بقية المغاربة في المفردة ، في المزدوجة :

٣٢٤	٤٩	١٩٨
٣	٢٣١	٤٥٩
٣٤٥	٣٩٣	٣٤

مذهب أهل الطبيعة ، مذهب ابن عربي :



مذهب البوني ، مذهب الحرلي وابن سبعين :

مذهب البوني

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ا	ب	ج	د
ه	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

مذهب الحرلي وابن سبعين

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ا	ق	س	ج
ع	ي	ل	م
ه	ص	د	ذ
ط	غ	ث	ب
ح	ظ	ك	خ
ف	ك	و	ث
ش	ض	د	ذ

(شكل نسخه مش)

مذهب البوني

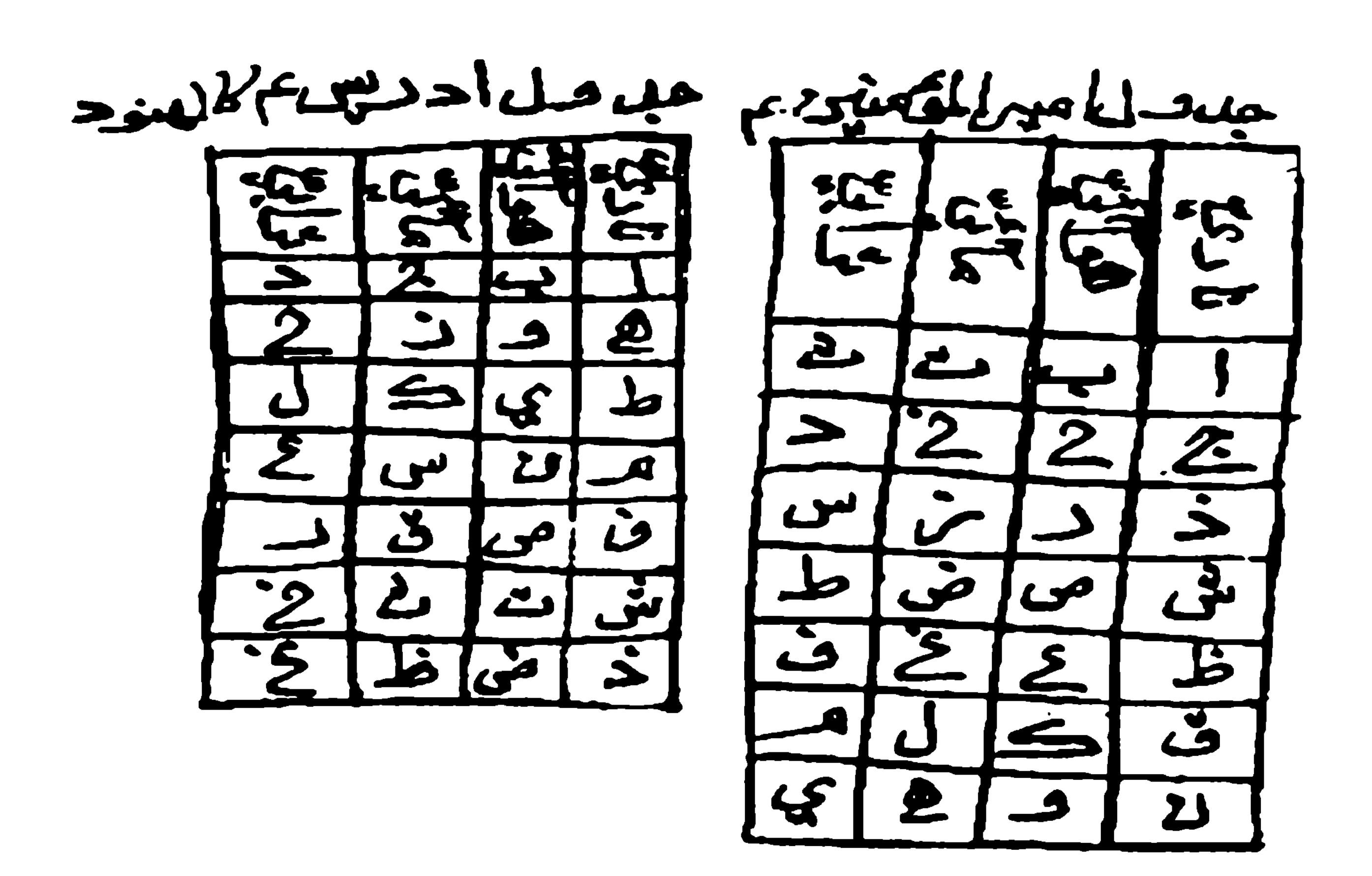
نار	هواء	تراب	ماء
ا	ب	ج	د
ه	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ك	ص	ع
ف	ض	ق	ر
س	ث	ث	ع
ذ	ظ	غ	ش

مذهب الحرلي وابن سبعين

نار	هواء	ماء	تراب
ا	ف	س	ه
ع	ن	ك	م
ه	ص	ر	ز
ط	ج	ح	ب
ح	ظ	ن	غ
ن	ك	و	ث
ش	ض	د	ذ

(شكل نسخه نذ)

جدول أمير المؤمنين ، جدول إدريس كالهنود :



جدول امير المؤمنين ع م

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ا	ب	ت	ث
ج	ح	خ	د
ذ	ر	ز	س
ش	ص	ض	ط
ظ	ع	غ	ف
ق	ك	ل	م
ن	و	ه	ي

جدول ادريس ع كالهنود

[illegible]	[illegible]	[illegible]	[illegible]
ا	ب	ج	د
ه	و	ز	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ص	ق	ر
ش	ت	ث	خ
ذ	ض	ظ	غ

فهذه الترتيبات التي وقفت عليها لأهل هذا الشأن غير ما ذكروا في الدوائر والنظائر وما ذكره غيرهم كأهل المخارج ، والحاصل أن ملائكة الحروف وضعوها على ترتيب الحروف من جهة طبائعها في مواضعها وما ينضم إليها من البروج والمنازل والسيارة والجهات وطبائعها ، والعناصر والعلوية منها والسفلية والمعادن والأيام والأسبوع والليالي والأدخنة والإعراب وجمعوا ذلك تسهيلاً للطالبين ، فالبروج النارية الحمل والأسد والقوس فلطبيعة النار إسرافيل وحرف الألف للشرطين ولو ما للبطين وحرفه الهاء وشراحيل للحمل وحروفه اهط بمعنى أن ثلث الطاء له ، ولمّا كان الحرف لا ينقسم وجب تكريره بينه وبين البرج المشار له فيه ، وعقيائيل للمريخ ، وسمسمائيل ليوم الثلاثاء وليلة السبت والأحمر السفلي ، ومعدنه الحديد وبخوره الصندل الأحمر وجهته الشرق له ولمشاركيه ، وإعراب الحروف السبعة وما تكرر منها في البروج النارية الثلاثة الرفع وروزيائل للجهة وحرفه الطاء وهو مكرر ، لأن ثلث الملك والمنزلة والحرف للحمل وثلثا الجميع للأسد وإسماعيل للزبرة حرفه الميم ، وبتكفيل للصرفة وحرفه الفاء وشرطيل للأسد وحروفه ط م ف ، والطاء والفاء متكرران للاشتراك كما قلنا وكلميائيل للشمس ، وروقيائيل ليوم الأحد وليلة الخميس والسفلي مذهب ومعدنه الذهب وبخوره عنبر خام والإعراب الرفع والجهة الشرف وسر حماكيل للنعائم وحرفه الشين وهمزاكيل للبلدة وحرفه الذال وشرنطيائيل للقوس وحروفه ف ش ذ ، فالفاء متكرر كذلك وانجذاذ المشتري وصرفيائيل ليوم الخميس وليلة الإثنين والسفلي شمهروش ومعدنه القلعي وبخوره العود والإعراب الرفع

والجهة الشرق ، فهذه البروج النارية وملائكتها ومنازلها وحروفها وأيامها وبخوراتها ومعادنها وكواكبها .

الثاني : البروج الهوائية الجوزاء والميزان والدلو ، فقطرائل للهقعة وحرفه الباء وشراكيطائيل للهقعة وحرفه الواو وإسرائيل للجوزاء وحروب ب و ى ، والياء متكرر وأسكي لعطارد وميكائيل ليوم الأربعاء وليلة الأحد والسفلي برقان والمعدن الزيبق والبخور ميعة ولبان ، وإعراب الحروف النصب وهجمليائل للزراع وحرفه الياء ولوخا للغفر وحرفه النون ، ولوذا للزبانا وحرفه الصاد وهمزيائيل للميزان وحروفه ي ن ص ، والياء والصاد متكرران واسمون للزهرة وعنسائل ليوم الجمعة وليلة الثلاثاء والسفلي ذويعة والمعدن نحاس والبخور قسط وجاوي ، والإعراب النصب وخذوذ للإكليل وحرفه التاء وعطاطيل للأخبية وحرفه الضاد ومحماكيل للدلو وحروفه ص ت ض ، والصاد متكرر وأرقيائل لزحل وكسفيائل ليوم السبت وليلة الأربعاء والسفلي ميمون والمعدن الأسرب والبخور ميعة يابسة ، والإعراب النصب والجهة للثلاثة الغرب فهذه البروج الهوائية ملائكتها ومنازلها وحروفها وأيامها ومعادنها وبخرواتها وكواكبها .

الثالث : البروج المائية السرطان والعقرب والحوت فهمزاكيل للنثرة وحرفه الجيم وطاطائيل للطرفة وحرفه الزاي ونهقيائل للسرطان ، وحروفه ج ز ك ، والكاف مكرر وتعويل للقمر ، وجبرئيل ليوم الإثنين وليلة الجمعة والسفلي مرة والمعدن فضة والبخور صندل أبيض ، والإعراب الجر وأهواكيل للقلب وحرفه الكاف ، وميكائيل للشولة وحرفه السين وجولالا لفرغ المقدم

وحرفه القاف وصرصيائيل للعقرب وحروفه ك س ق ، والكاف والقاف متكرران وعقبائل للمريخ وسمسيائل ليوم الثلاثاء وليلة السبت والسفلي الأحمر والمعدن الحديد والبخور صندل أحمر ، والإعراب الجر ، ورقميائل لفرغ المؤخر وحرفه الثاء ، ودردائل للرشا وحرفه الظاء ، وفقيائل للحوت وحروفه ق ث ظ ، والقاف مكرر وانجذاذ للمشتري ، وصرفيائل ليوم الخميس وليلة الإثنين والسفلي شهمروش والمعدن قلعي والبخور عود والإعراب الجر فهذه البروج المائية وملائكتها ومنازلها وحروفها وأيامها وكواكبها ومعادنها وبخوراتها .

والرابع : البروج الترابية فكللكائل للثريا وحرفه الدال ، وروبيائل للدبران وحرفه الحاء ، وعزرائيل للثور وحروفه د ح ل ، واللام مكرر وأسمون للزهرة وغسيائيل ليوم الجمعة وليلة الثلاثاء والسفلي ذويعة والمعدن نحاس والبخور جاوي وقسط ، والإعراب الجزم وصرفيائيل للعوا وحرفه اللام وجبرئيل للسماك وحرفه العين وصعميائيل للذابح وحرفه الراء وسهكيل للسنبلة وحروفه ل ع ر ، واللام والراء مكرران وأسكا لعطارد وميكائيل ليوم الأربعاء وليلة الأحد والسفلي برقان والمعدن زيبق والبخور ميعة ولبان ، والإعراب الجزم وعزرائيل لبلع وحرفه الخاء واهراطيس لسعد السعود وحرفه الغين وسهكائيل للجدي وحروفه ر خ غ ، وأرقيائل لزحل وكسفيائل ليوم السبت وليلة الأربعاء والسفلي ميمون والمعدن الأسرب والبخور ميعة والأذن ، والإعراب الجزم فهذه البروج الترابية وملائكتها ومنازلها وكواكبها وحروفها وأيامها ومعادنها وبخوراتها فهذا المذكور ، هو خلاصة عملهم بحيث لا يحتاج العامل في ذلك إلى استخراج لأن المدار على البروج

والمنازل والأيام والبخورات وغير ذلك مما هو مذكور ، وكل ذلك قد ذكروا أسماء ملائكتهم وخدامهم فلا حاجة بعد ذلك إلى شيء ، نعم لا بأس بذكر بعض قواعدهم في استخراج روحانية الحروف لذلك وجوه :

الأول : من بسطه الحرفي مثل ألف فبسطه الحرفي ا ل ف فتنظمه وتلحق به الملحق هكذا الفائيل .

والثاني : من عدد تلك المذكورة فالألف واحد واللام ثلاثون والفاء ثمانون الجميع ١١١، واستنطقها تكون ق ي ا ، ولهم في نظمه طريقان فمنهم من يقدم الألوف على المئات والمئات على العشرات والعشرات على الآحاد ، فيقول في هذا المثال قيائيل ومنهم من يعكس فيقول فيه ليقائيل .

والثالث : أن تأخذ عدد حروف العدد وتضربه في نفسه وتفعل كما مر مثاله الألف واحد واللام ثلاثون والفاء ثمانون فأحد ثلاثة وثلاثون خمسة وثمانون ستة الجميع أربعة عشر حرفاً ، فإذا ضربتها في نفسها يكون الحاصل ستة وتسعين ومئة واستنطقها ق ص و ، وتلحقه بالملحق فتقول : قصوائل ووصقائل على الاصطلاحين .

والرابع : أن تضرب عدد مركبه في نفسه مثل ألف ثلاثة في ثلاثة تسعة تستنطق ط ، وتجعل الأصل تاجاً له فتقول : أطائيل [أطائل] .

والخامس : أن تضرب الثلاثة في الثلاثة وتجعل كل ثلاثة في مرتبة من مراتب الأعداد ٣٣٣، فتستنطقها في مراتبها فتكون ش ل ج فتقول : شلجائل .

والسادس : أن تضرب العدد أي الثلاثة في نفسها تكون تسعة والتسعة في المراتب المنزلة أعني شلج وخارج الضرب ٢٩٩٧ واستنطقها تكون غ غ ظ ص ز تقول غغظصزائيل .

والسابع : أن تضرب عدد الصورة الرابعة يعني ا ط في الخامسة يعني شلج يكون ٦٦٦ لأنه ضرب ٣٣٣ في ٢ وينطق خ س وتقول : خسوائيل .

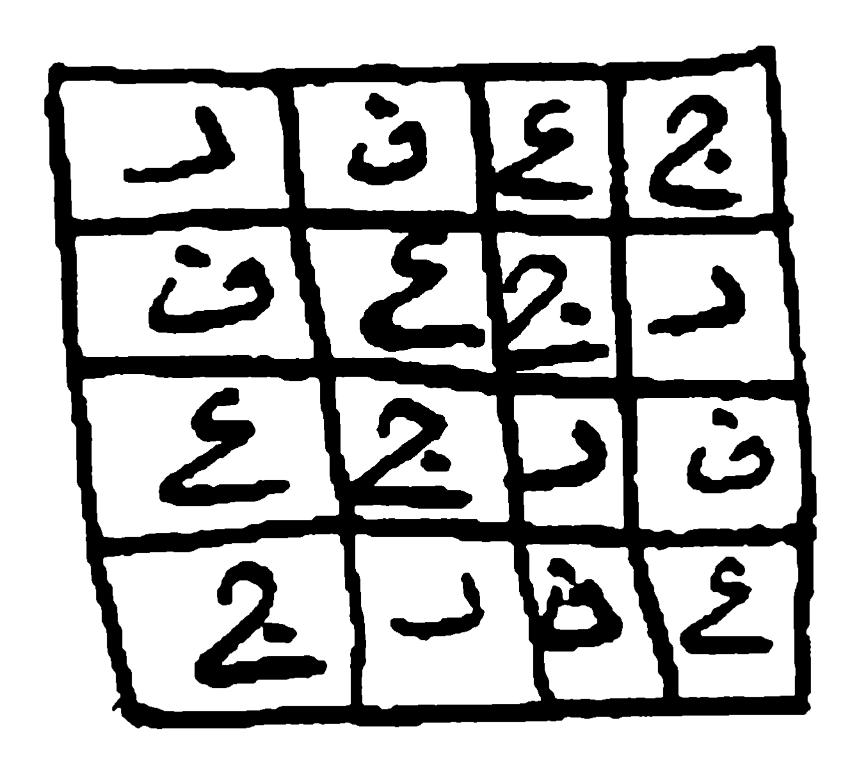
والثامن : أن تضرب عدد شلج في عدد ٦٦٦ يكون ٣٦٦٣ وينطق ثغخسجائيل وهكذا .

والحاصل كل ملك دخل في اسمه غيره فهو الحاكم عليه ، ثم اعلم أن الملحق العلوي فيه عندهم خلاف فمنهم من جعله أحداً وخمسين فيقول آييل بيائين ومنهم من قال أحد وأربعون فيقول آيل ومنهم من قال أحد وثلاثون فيقول آل ومنهم من قال يال وهو أحد وأربعون والملحق السفلي طش أو طاش أو طيش ومنهم من جعله وش ، والظاهر أن المراد بالملحق العلوي اسم الله لأن ايل وأخواتها بمعنى الله ، وأما طش وأخواتها فيحتمل أن يكون بمعنى عبد لأن السفلي خادم العلوي أو إنها بمعنى الله ولا سيما مثل وش فإنها ستة وستون وعدد الله كذلك وبعضهم جعله هوش ويكون من الأسماء السوأى ومعنى ذلك عبد القمر لأنه عدد ثلاثمائة وعشر بإسقاط الأس وهذا على الترتيب المشهور .

والحاصل أن من ألحق في العلوي آييل الأحد والخمسون فلا يلحقه حتى يسقط عدد الملحق ثم يلحق ، ففي مثل شلج المتقدم ، يسقط منه أحداً وخمسين يبقى اثنان وثمانون ومائتان ٢٨٢ رفابييل

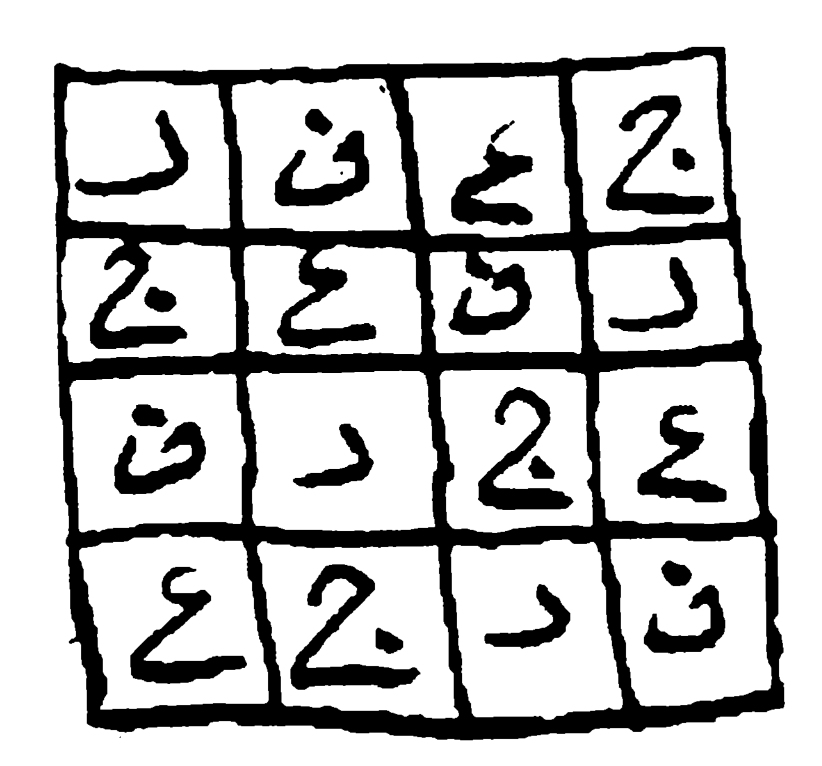
بيايين بغير مد لعدم الهمزة بعد الألف إن امكن الإسقاط منه وإن ساواه فالملحق هو الاسم ، ثم إن كان اسم ملك حرفاً جعل الحرف تاجاً له وكان كالأول إن نقص العدد عن إسقاط الملحق تعين أخذ الصور الباقية وهي آل أو يال أو آيل وكذلك حكم الملحق بالسفلي في طيش فإنه لا بدّ من الإسقاط ، وإن كان الملحق آل أو يال أو آيل في العلوي أو طش أو طاش في السفلي فلا إسقاط ، وأما استخراج السفلي فالقاعدة أنهم يجعلونه بعكس العلوي في الجملة كما قالوا في عكس كلمات فاتحة الكتاب إنها تكون أسماء شياطين ، إلا أنها مبنية على استخراج أسماء الملائكة وذلك مبني على وضع زمام الأمر المطلوب وهو على أقسام ، فمنه البسط العددي وهو أخذ زبر الحرف وعدد بيّناته ومنه البسط الطبيعي وهو أخذ حرف مكان حرف بطبيعته ومنه البسط الغريزي وهو أخذ حرف مكان حرف بطبيعته ورتبته ومنه البسط الترفعي العددي كأخذ الميم للدال ، والحرفي كأخذ الهاء للدال .

والطبيعي كأخذ الجيم للدال ومنه بسط التجامع بأن تجمع حرفاً من اسم الطالب مع حرف من اسم المطلوب في العدد وتستنطقهما ومنه بسط التضارب بأن تضرب عدد حرف من الطالب في عدد حرف من المطلوب وتستنطق حاصل الضرب ، ومنه بسط التواخي في المزدوجة خاصة كأخذ التاء للباء والخاء للحاء ومنه بسط التضارب كتضعيف الحرف وأخذ ضعفه كأخذ الحاء للدال ومنه بسط التكسير ، باعتبار كسور كل حرف فتأخذ حروف كسوره مكانه كالحاء تأخذ مكانها الدال والباء للألف ، ومنه بسط التمازج وهو صغير ووسط وكبير فالصغير مثاله هكذا :



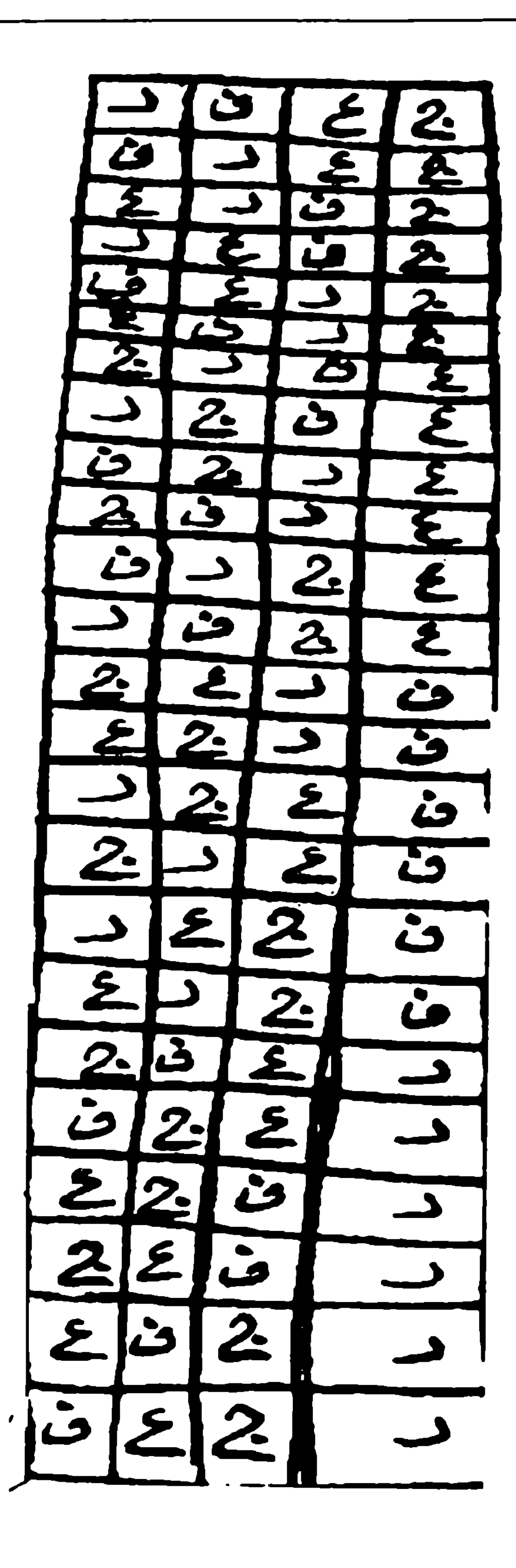
د	ن	ع	ح
ن	ع	ح	د
ع	ح	د	ن
ح	د	ن	ع

ومثال الأوسط هكذا :



د	ن	ع	ح
ح	ع	ن	د
ن	د	ح	ع
ع	ح	د	ن

وأما الكبير فيكون من الاسم الرباعي أربعة وعشرون اسماً ومن الخماسي مئة وعشرون اسماً ومن السداسي سبعمائة وعشرون وهكذا ويكون من الثنائي صورتان ومن الثلاثي ست صور ومثاله في الرباعي هكذا :



وأمثال ذلك فإذا جعلت مطلوبك زماماً وأخذت أحد ما ذكر من البسطات فاحذف المتكرر من المأخوذ وهو أسماء الملائكة ، وله طرق منهم من يجعل كل أربعة يلحقها بآيل وهو اسم فإن بقي خمسة أحرف جعلت ملكاً وأتبعت بالملحق كالتسعة والثلاثة عشر والسبعة عشر ومنهم من يجعل كل سطر من البسط ملكاً ، وإن كان

كثيراً كما لو بسط في سباعي وثماني ، ومنهم من يأخذ ملائكة الحروف ثم إذا أخذ الملك أخذت حروف اسمه بدون الملحق وكسرت بصدر المؤخر الذي هو الصغير مرة واحدة وهو السفلي بعد ان تلحقه بطيش أو طش أو طاش أو وش على ما تقدم ولذلك أوضاع كثيرة جداً .

وما ذكرتم من أن الموكّل بالألف إسرافيل انتهى ، ليس كذلك بل إسرافيل ملك المنزلة الشرطين وحرف الشرطين الألف وجبرئيل للسماك وحرف السماك الباء وكلكائيل للثريا وحرف الثريا الجيم ودودائيل للرشا وحرف الرشا الدال وهكذا ، فهذه الحروف للمنازل ، لأن الملائكة المذكورة للحروف المذكورة ، وهذا المذكور ليس بمتفق عليه وإنما هذا جارٍ على طريقة ابن سبعين من أهل هذا الفن وشيخه الحرلي ، وأما ما ذكرته لكم فهو الذي عليه مشهورهم من أن إسرافيل للشرطين وحرف الشرطين الألف وقطرائيل للهقعة وحرف الهقعة الباء وهمزاكيل للنثرة وحرف النثرة الجيم وكلكائيل للثريا وحرف الثريا الدال وهكذا كما رسمته لكم مرتباً على ترتيب المنازل .

قال : سؤال ـ وقريب منه في الأشكال من حيث عدم ظهور الضابط في درك أملاك أسماء الله تعالى ، ما أوردتم إلى بعض أجوبتكم الشريفة أن الملك الموكل باسم الله إسرافيل وباسم الرحمٰن أمواكيل وباسم الرحيم رويائيل والسفلي إلى ترتيب قيديوش أيليوش صحيوش وما أوردتم من استخراج العلوي والسفلي في المثلث من ضرب المغلاق في الغاية وهكذا ليس ضابطاً لما استشكل علي .

أقول : قد تقدم فيما سبق أني لست من أهل هذا الشأن وليس لي تصرف كلي في هذا الفن ، وأن الشيخ عبد الله البحراني التوبلي سأل في مسائله الإشارة إلى ذلك فأجبته ببعض ما ذكره أهل الفن وأما أنا فليس لي ميل إلى ذلك فأفرغ قلبي له لأن الحاصل منه والتصرّف فيه لا يوافق الشرع وما لا يوافق الشرع لا في استعماله ولا فيما يترتب عليه لا يجوز صرف الوقت فيه ولو تسهل معرفة العلم به ، خاصة لما كان به بأس ومانقلته فقد ذكره بعضهم إلا أني كتبت فيما سبق أن الطرق في استخراج ذلك كثيرة ، وقد أشرت إلى بعضها وإلى بعض ترتيب الحروف في طبائعها على مذاقهم في اختياراتهم فراجع .

قال : كما لم يتبين لي ما أوردتم في جواب السؤال عن أوراد الملائكة مثلاً أخرجتم ملائكة الوهاب ديائيل وهو الملك الأول ، ثم الثاني وصقائل ، ثم الثالث دمذغغائل والخليفة على الثلاثة دمضغغائل ، ثم الرئيس الحاكم على الكل الذي لم يصرح هرمس به ولم تذكروا أوراد الملائكة وأوردتم أن هنا ورداً خاصاً وهو ذكر اسم الوهاب بعدد الملك الأول أربع عشرة مرة ، ثم مئة وست وتسعين وهكذا إلى الآخر ، وتذكر عند كل عدد من مرتبة اسمه واسم صاحب تلك الرتبة ملاحظاً معنى البديع والرحمٰن والباعث والباطن غائباً فانياً بحاجتك في ظهور الذات الحق بهذه الأركان الأربعة في كل شيء ، فيتحقق الأثر عند تمام تلك الجمعية بلا مهلة هذه ألفاظكم الشريفة وما فهمنا المقصود منها أن الوهاب كيف يقرأ بتلك الأعداد وكيف يذكر اسم الرتبة ولم يقرأ وكيف يتيسر ملاحظة المعاني الأربعة مع الحاجة والقضاء فيها تمنون علينا بمثال وافٍ .

أقول : وجه ما ذكرنا في استخراج ملائكة الوهاب هو أن وهاب عدده أربعة عشر فإذا استنطق كان دي فإذا ألحقنا به الملحق كان ديائيل وهو الملك الأول ، والملك الثاني أن تضرب الأربع عشرة في نفسها يحصل مئة وست وتسعون ١٩٦ واستنطاقها وصقائل ، والملك الثالث أن تضرب الأربع عشرة في ١٩٦ والحاصل ٢٧٤٤ واستنطاقها دمذغغائل ، والخليفة على الثلاثة أن تجمع المراتب الثلاث وهي أعداد الملائكة الثلاثة من دون الملحق يحصل أربعة وخمسون وتسعمائة وألفان واستنطاقها دنظغغائل والذي كتبتم في السؤال دهضغغائل وهو غلط ، وأما الرئيس الحاكم على الكل الذي لم يصرح به هرمس النبيّ إدريس عليه السلام هو أن تضرب عدد الخليفة في نفسه وتضرب عدده أيضاً في الحاصل .

والحاصل من التكعيب أربعة ومائتان وسبعة آلاف وثلاثون وسبعمائة ألف وسبعون مئة ألف وسبعة آلاف ألف وخمسون ألف ألف ومائتا ألف ألف ، فإذا أردت استنطاقه فاجعل السبعة الآلاف زغ لأن الزاي سبعة والغين ألف وللثلاثين الألف لغ وهكذا ومثاله درزغلغن قغعقغز غغنغغن غغائل [درزغلغن غغنغغر غغنغغن غغائل] فهذا الملك الرئيس والسلطان الأعظم الذي تدور عليه سلطنة الإجابة وإن هذا لا يكتبونه ولكن لا يسعني إلا إجابة جنابك وأما ما ذكرناه من معنى الذكر الخاص بالاسم الوهاب بأن تذكره بعدد أسماء الملائكة المذكورة وتذكر عند كل عدد اسمه اخ بأن تذكر يا وهاب يا وهاب أربع عشرة وتذكر ديائل مرة واحدة وتذكر يا وهاب ١٩٦ مرة وتذكر وصقائل مرة واحدة وهكذا ، وأما قولنا ملاحظاً معنى البديع فالمراد به فتح قفل باب الاسم الأعظم إذ لا

مفتاح له إلا ما ذكرناه ، والمراد من معنى البديع إلى آخره الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ والمراد بهذه السماء هو الخزائن التي قال تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وأنا الآن إن شاء الله أكشف لك الأستار عن الأسرار والله سبحانه ولي التوفيق .

اعلم أن المراد بالخزائن المعبّر عنها بالسماء هو العرش وهو له أركان أربعة الركن الأيمن الأعلى من نور أبيض والاسم المربي له البديع ، والركن الأيمن الأسفل من نور أصفر والاسم المربي له الرحمٰن ، والركن الأيسر الأعلى من نور أخضر والاسم المربي له الباعث ، والركن الأيسر الأسفل من نور أحمر والاسم المربي له هو الباطن وجميع الوجود من الغيب والشهادة يدور على هذه الأربعة وهو قوله تعالى : ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ فإذا ذكرت الاسم المطلوب لحاجتك ملاحظاً معنى البديع الرحمٰن الباعث الباطن في كل شيء وأنت وحاجتك غائب فإن في ظهور الذات الحق لك بك حصل المطلوب عند دعائك بلا مهلة ، وأنا أبيّن لك علم ذلك وأنت تسأل إن ربك يوفقك لعمله وتلك إني إذا خاطبتك بصفة من صفاتك كالقعود فقلت : يا قاعد فأنا حال الخطاب جميع حواسي ومشاعري متوجه إليك لا إلى القعود ، إذ لا حاجة لي عند القعود وإنما هو طريقي إلى دعائك فأتلفظ بالقعود من غير توجه إليه ، بل ولا التفات لي إلى نفس حال خطابك وأنت انت وأنا أنا وحاجتي حاجتي وكل واحد مباين للآخر مغاير له في الذات وفي المكان والجهة وسائر المميزات والمسؤول الحق جلّ وعلا ليس

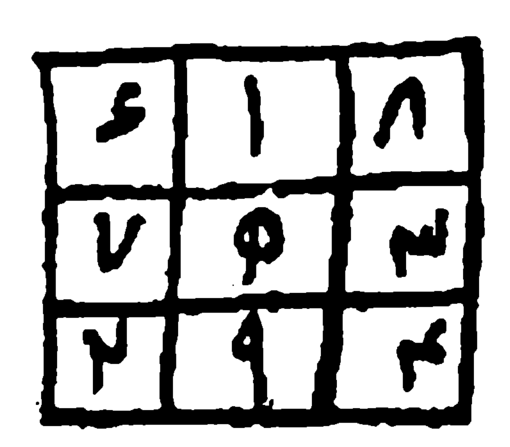
بمبائن لشيء من خلقه ولا مقارن ولا مزايل ولا مساوٍ ولا مغاير ولا مشاكل ، وأنت وحاجتك وغيره كما ليس شيء من ذلك بشيء إلا به سبحانه ، فإذا توجهت إليه في دعائك وأنت مشعر بنفسك أو بحاجتك فإنك لم تتوجه إليه وإنما وجهك لمن أشعرت به .

ألا ترى أنك إذا توجهت إلى خطاب شخص لم يكن لك إشعار بغيره وأنت مغاير مباين مستقل فكيف تشعر بشيء عند توجهك إلى من لا شيء بشيء إلا به فتفهم ، فإن صحة العمل تتوقف على صحة العلم والإجابة تتوقف على المعرفة وقد قيل للصادق عليه السلام : ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا ؟ قال : (**لأنكم تدعون من لا تعرفونه**) فإذا دعوت متوجهاً بكلك إلى من تدعوه بلا كيف ولا إشارة ولا في جهة حسية ولا عقلية ولا تشخص لنظر قلبك ، بل تتوجه بكلك توجهاً يشغلك عن نفسك وعن حاجتك بحيث لا ترى سواه وأنت تراه وقع المطلوب على الأثر وقد جربته مراراً إلا أنه مؤقت عنده ليس كلما طلب حصل هكذا حالي مثلي [حال مثل] من قعدت به الغفلة عن حظه بعد فتح الباب وإقامة الدليل .

قال : وكذا لم تبينوا في الأملاك المستخرجة بضرب المغلاق وما تأخر عنه المشار إليه آنفاً ولم تذكر كيفية الزجر بالسابقين على الستة العلوية والسفلية ، بل رمزت على وفق متمنى السائل قائلاً بعد ذكر الضابط والزجر السابع فافهم الرمز وكن به ضنيناً ، فإنه من الأسرار الغامضة ، واعلم أنها الكبريت الأحمر لسرعة تأثيرها وظاهر كلامكم الشريف سرعة الإجابة بالقراءة مرة واحدة مثلاً ، ويظهر من بعض الكتب المؤلفة في علم الحروف مزيد آداب لم يظهر كونها من الشرائط أم لا .

قال صاحب الكتاب بعد كلام في وضع الشكل : فإذا فرغ من وضعه وصح الغاية يستخرج منه أسماء خدامه الستة اللائقة بالمطلوب ثم السابع وهو المقسم عليها يأخذ بالعزم فيما يشار به إليها وينجم الشكل بها وبالبخور سبع ليال في كل ليلة بالستة الأُول منها عليه وتعاد بقدر حروفها وتحث بالاسم السابع لأنه المحيط بها والحاكم المحكم عليها وأمرها إليه وهي المتصرفة ما بين أيديه انتهى كلامه المرموز في الجملة ويستوضح بإيضاحكم .

أقول : قد ذكرنا ذلك في أجوبة الشيخ عبد علي التوبلي حيث مثلنا بالمثلث ببسائطه للاختصار ونشير هنا إلى بعض البيان فصورة المثلث :



فالمفتاح منه هو الواحد والمغلاق هو التسعة والعدل مجموعهما وهو العشرة والوفق عدد ضلعه خمسة عشر والمساحة خمسة وأربعون وهو مجموع الكل والضابط وهو مجموع الضلع والمساحة وهو ستون ، والغاية وهو ضعف الضلع والمساحة وهو مئة وعشرون ، والأصل وهو حاصل غايته في مغلاقه وهو ألف وثمانون ، فإذا أردت استخرج الملك الأول حملت المفتاح على الأصل وعملت به ما تقدم في الملحق ، وللثاني تحمل المغلاق عليه ، وللثالث تحمل العدل عليه ، وللرابع تحمل الوفق عليه ،

وللخامس تحمل المساحة عليه ، وللسادس تحمل الضابط عليه ، وللسابع تحمل الغاية عليه والعمل كما تقدم .

وأما كيفية الزجر فتأخذ حروف مدعاك وتجعله زماماً كما مر في استخراج الملائكة والأعوان بعد حذف المكرر وكسرها بالتكسير الصغير أو الوسيط أو الكبير ، ثم ركب منها أربعة أربعة إن كانت زوجاً ، أو خمسة خمسة إن كانت فرداً ، يعني تنظر ما ينقسم على الأربعة سواء كان كل حاصل المكسر فهو الزوج أو بعض الحاصل والباقي يقسم على الخمسة ، كذلك فهذه هي الأسماء المقسم بها على الملائكة ليسخروا الأعوان بقضاء المطلوب .

وأما ما ذكرتم من أن ظواهر قولنا حصول المطلوب بالمرة الواحدة فمرادنا به فيما نعمله من شروط الدعاء لا هذا العمل لأنا لا نعمل هذا إن شاء الله ، وأما العمل فشروطه عند أهله كما ذكروه وكما نقلته عن صاحب الكتاب وبيانه يظهر مما ذكرنا فلاحظ .

قال أيده الله تعالى : وكذا لم يتبين لي ما ذكرتم في المربعات مثلاً ، أوردتم في المعنى أن مربعه يوضع في شرف زحل أو في شرف الشمس ومن حمله ، وذكر الاسم بعدد حروفه ثم قرأ سورة والضحى ، وقال عقيب ذلك : اللهم يسر علي في اليسر الذي يسرته على كثير من عبادك وواظب على ذلك أربعين يوماً أرسل الله إليه من يعلمه الحكمة ، انتهى .

عبارتكم الشريفة وانتهى بانتهائها المطلب فهل ما ذكرته فيه وافٍ أو إنه يحتاج إلى استخراج أسماء الستة والسابع المزجور به عليهم ، وهل مع ذلك يحتاج إلى رسم أسماء تلك الأملاك كلّاً أو

بعضاً أو غيرهم حول المربع كما بسطت القول في زيادة التمثيل الموعود به في صورة العمل بالحروف للطالب والمطلوب في آخر الرسالة المتضمنة لأسماء الله حتى استخرجتم اسم الملك زنر غغغغغغغغغغغغائل واطلتم الكلام حتى قلتم : إن المركب كلما ازداد نعومة وتكليساً وتكريراً ازداد جودة وفعلاً ، وهذا العمل كذلك كلما ازداد تكسيراً وتكعيباً بحيث تكثر الأعوان والقوى ازداد سرعة للفعل وظهوراً للأثر أم لا ، ثم إن كل ما ذكرتم في زيادة التمثيل الموعود به المذكور حتى طالع الطالب فمن اللوازم أو في الجملة وإن لم يكن ذا أثر كامل .

أقول : ما ذكر في المربعات له حالتان : حالة هي المعروفة من اشتراط الزجر للملائكة والأعوان والأبخرة وغير ذلك وهذا ظاهر ، والحالة الثانية أن استعمال المربع في الوقت المخصوص وذكر اسمه الموافق لحاجته بالعدد المخصوص يحصل به المطلوب إذا واظب على ذلك ، ولكن لا بدّ من الشرط المذكور سابقاً من كمال التوجه حال الذكر والفناء بذاته وحاجته في ظهور الحق له به في دعائه ، بل تكون هذه الحالة أنجح وأصح من كل عمل إلا أنه صعب المسلك ، نعم لو لم يحصل هذا الشرط ولا ما ذكروه من الشروط كان حصول المطلوب غير لازم الوقوع فقد توافق الأوضاع الفلكية فيحصل ، وقد تخالف فلا يحصل لأن في هذه الحالة لم يحصل للأوضاع المخالفة مقتضٍ أقوى منها بخلاف ما ذكروا ، فإنه يسخّر الملائكة وهي المغيرة للأوضاع المخالفة ولهذا منع الشارع عليه السلام منها .

وبخلاف ما ذكرنا من التوجه الماحي للذاكر والداعي لمطلوبه

بطهور الذات الواجب بإقباله على عبده حين استجاب له تعالى ، فإنها بإقبال الله تعالى عليه تكون قابلة للمدد النوري الذي يكون به كل منحوس مسعوداً ، وكل مقبوض مبسوطاً ، وكل مقطوع موصولاً ، ولهذا جعله الشارع أفضل الأعمال وأصلح الأحوال ، وأما ما ذكرنا من قراءة سورة والضحى والدعاء إلخ ، فمما ذكروه لا مما نعمل به ، وأما ما ذكرنا في آخر الرسالة إلخ فهو طريق عند أهله قطعي الصحة بشروطه من العزيمة بأسمائه وبخوره وغير ذلك ووزن الحروف المستحصلة بالموازين المذكورة في الرسالة المشار إليها واستعماله فيما يوافق طبيعة الحروف الغالبة فيها ، فإن كان الغالب فيها النارية كتبت على شيء تغلب عليه الحرارة واليبوسة وطرحت في النار ، وإن كان الغالب الهوائية فعلقها في الهواء ، وإن كان الغالب المائية تطرح في الماء ، وإن كان الغالب الترابية دفنت في التراب ، وأما معنى كلما ازداد تكسيراً إلخ ، فلأن الاسم إذا كررت قواه وتكثرت ملائكته وأعوانهم وكثرت أسماؤه كان أقوى فعلاً لأنه في حكم التكرير والترديد للعمل وهذا عند أهله مما لا إشكال فيه .

قال سلمه الله : ثم لم تبينوا في التمثيل المذكور أن طالب العلم الذي يريد تحصيل العلم بعمله هذا ما يفعل بالمكتوب هل يشرب ماءه الممحو ويعمل به عملاً آخر ، وعلى الحقيقة هذا التمثيل يحتاج في الشرح منكم إلى تطويل إذ ليس ذا نفع قليل فلو بسطتموه بتمثال لذهبتم بالداء العضال ولأعنتم الطالب المتحير إلى الإيصال..

أقول : يفعل بالمكتوب ما يغلب على طبيعة حروفه بعد وزنها

بالموازين المذكورة في الرسالة والعمل كما تقدم قبل هذا الكلام بأسطر فلاحظ ، وأما إعانة الطالب المتحير فبيان الإعانة بالحق لمن له عقل أسألك هذا الطالب محتاج يطلب حاجته من غني مطلق غير محتاج أو من فقير مثله محتاج فإن كان الأول ، كان مطلوبه منحصراً في سبيل الله وإذا كان المطلوب من الله لا من غيره فلا يطلب ما عنده إلا برضاه ، وقد دللنا الطالب على الطريق الأقرب الصحيح الذي يحصل له منه كل ما طلب ، ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ ، وإن كان يطلب من غير الله فالقوم دلوا عليه فإن طرقهم كلها ليست من الله ولا إلى الله .

فإن قلت : إنهم إنما نقلوه عن الأنبياء فإن فيثاغورس قرأ على سليمان عليه السلام وعلى سقراط ، وسقراط عن مشايخه عن النبيّ إدريس عليه السلام المسمى بهرمس وباخنوخ وذلك مأثور عن النبيّ شيث عليه السلام ، فالحكمة ترجع في استنادها إلى الله .

قلت : ما ذكرت فأكثره حق ولكن ليس كل الحكمة لأنهم نقلوا الحكمة عن الأنبياء وفرعوا عليها مسائل ووقع الغلط في التفريع ، وثانياً كانت كتبهم باللغة اليونانية والسريانية فلما عُرّبت وقع الغلط في التعريف فإن في المعربين من يعرّب الكلام كل كلمة بانفرادها بكلمة من اللغة المنقول إليها فيقع الاختلاف بخلاف ما لو نقل اللفظ بالمعنى المنقول إليه لا كل كلمة بانفرادها لكثرة الغلط ، فإنك لو عرّبت «قسم بخور» بمعنى الكلام كان المعرب احلف ولو عربت كل لفظة بمعناها لكان المعنى «كل قسماً» لأن المعنى يختلف في التركيب والانفراد ، ومع هذا فالأنبياء يعلّمون الناس

العلم وحقائق الأشياء وينهونهم عن الأشياء الممنوع منها على حدِّ قوله تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ فلاحظ .

قال سلمه الله : مما لم يتبين لي فيما أوردتم في كيفية تبييض المولود الفلسفي بعد تقطيره وتصفية المقطر وورود ثلاثة أمثال : الثفل من الماء عليه وهكذا إلى أن ينحل نصف اليبوسة ثم حل نصف اليبوسة الباقية ورمى ما لم ينحل ، وعقد الماء المنحل أخيراً وعقده حتى يكون كالعسل بما هي ألفاظكم الشريفة .

أقول : هذا كلام لا إشكال فيه ولا رمز ، بل على ظاهره وهو أول الكيفية المكتومة التي تواصوا على كتمانها بأن تأخذ من المادة ماء كثيراً ، ثم تأخذ منه مثل الثفل ثلاث مرات وتطبخه وتقطره حتى ينحل نصف اليبوسة ، ثم يعزل الماء القاطر ، ثم يؤخذ منه مثل الباقي من الثفل ويطبخ ويجر بالفتيلة حتى ينحل نصف ثفله ، ثم يُرمى ما بقي من الثفل ويعقد هذا الماء الثاني حتى يكون كالعسل ثم يبيض بالماء الأول ، بأن يوضع عليه ويطبخ به ويقطر بالقرع فإذا ابيض فقد تم ربع العمل .

قال : ثم خذ من الماء وزنه أربع مرات وضع عليه أول مرة مثله بعد تبييضها بإرسال الماء واستنباطه وموضع السؤال ، أن الماء المرسل المستنبط هل هو المثل أو الجميع ؟ .

أقول : المراد أنك تأخذ مثل العسل أربع مرات أو خمس مرات على الخلاف والأشهر الأول ، والكل يصح من الماء الذي ادخرته بعد أن بيضت به العسل ، ولا تقدير في المرسل المستنبط إذ لا فائدة فيه إلا مجرد التبييض .

قال : ثم قولكم بعد التعفين في الأربعين وسقى نصف الثلاثة الأمثال الباقية من الماء ثلاث مرات مع التعفين في العشرين كل مرة .

أقول : تأخذ واحداً من الأربعة الأمثال من الماء فتضعه على العسل وتسحقه على الصلاية ، ثم تضعه في حمام مارية في الآلة العمياء أربعين يوماً على نار مثل شمس الشتاء ، فإذا انحل وانعقد وخرج مسوداً كالقار فإنه أول اللقاح وعلامة النجاح ، ثم تأخذ نصف الباقي من الماء فتسقيه به ثلاث مرات ، كالأول في كل مرة في مدة عشرين يوماً ، وهو قول جابر تزوجه ثلاثاً بعد هذا من البيض الكريمات الخدود ففي أول مرة منها يخرج أزرق الشديدة الزرقة وفي الثانية يخرج بزرقة سماوية ، وفي الثالثة يخرج أشهب منحلاً كالرب ، فإذا وصلت إلى هنا تم لك نصف العمل وحصل لك الحجر الكريم وأمنت من الأخطار .

قال : ثم سقى النصف الآخر ست مرات ، بما هو لفظكم فيظهر النوشاذر في القرع أما هنا أو في الأول فضعه مع الثفل .

أقول : المراد أنك تأخذ الباقي من الماء وهذا في عمل النبات بعد تمام المعدن فتقسم الماء على ستة أقسام ، فإذا قطرت الحجر أولاً فاردد على الثفل الماء القاطر وسدساً من الماء الباقي واطبخ الثفل بالجميع وقطره واردد القاطر مع سدس ، وهكذا وهو المراد من قول جابر وتقسم فضلة الروح العتيد على ست تمام وافيات ، فذلك بغية الشهم المريد فيظهر النوشاذر هنا ، إن لم يخرج أولاً في تحصيل المادة قبل أن يحصل العسل فيصعد إلى قبة القرع فيوضع مع شيء من ثفله ومائه لئلا يهرب ، فإذا أردت تثبيته فضعه في الآلة

العمياء وأوقد تحته بنار كشمس الشتاء يوماً وليلة حتى يجف ، ثم زد في ناره سدساً في اليوم الثاني وكذا في الثالث إلى سبعة أيام ، فتكون النار في اليوم السابع كنار السبك ، قال ذو النون المصري : إن النيران لها رتب سبع تهتاج وتلتهب .

قال : إلى أن قلتم بعد تقطير المياه الثلاثة ثم اعقد الثفل واطبخه بالماء الأول وأخرج الصبغ منه ، ثم طهر الباقي بالماء الثاني الأبيض حتى يطهر ويكون كسحالة الفضة ، وفي كل مرة تضع في المركب من النوشاذر الذي عندك وهو الخميرة وموضع السؤال إن ما ذكرتم في الأول فضعه مع الثفل ، هل الثفل فيه هو الثفل الأول أو المراد من الثفل المذكور أولاً هو الثاني .

أقول : المراد بالثفل هنا بعد أن سقيته أولاً بالست الجويريات المتقدم ذكرها ، ثم نخلته بالمناخل الإكسيرية سبع مرات ، ليتخلص من جميع الأثفال ، فإذا أردت تفصيله فقطره بنار كنار جناح الطائر عند حضانة للبيض فيقطر ماء كماء الشراب ، رقيق إلا أنه أحمر في طبعه لا في لونه ونسميه ذا الوجهين لأنه أبيض في منظره أحمر في مخبره وهذا لا مدخل له في عمل البياض وإنما فائدته في عمل الحمرة ، ثم يزاد في النار بقدر السدس فيقطر ماء أبيض غليظ كثير اللمعان ، إذا وضع في الشيشة يخيل أنها انشقت لشدة توقده ويسمى هذا الزيبق الغربي ، وبهذا يظهر الجسد الجديد المسمى بعد التطهير بالأرض المقدسة والمشبه بسحالة الفضة ، ثم يزاد في النار بقدر السدس فيقطر ماء أصفر كالزعفران ثم ماء أحمر كالياقوت وهذا الزيبق الشرقي الذي يشبه البرق ، فيبقى الثفل أسود لزجاً كالدهن فيعقد ويوضع عليه الماء الأول وهو ذو الوجهين ، ويظهر

فيه الصبغ ويكرر عليه الطبخ حتى يخرج جميع الصبغ ويبقى الثفل أسود مظلماً ويطبخ بالماء الأبيض المسمى بالزيبق الغربي ، حتى يبيض الثفل وهو الجسد الجديد والأرض المقدسة ، فالثفل الذي هو يؤخذ منه النوشاذر ثفل الجويريات في مرتبة النبات المسمى بابار نحاس تام والثفل الذي إذا ابيض كان الأرض المقدسة هو ما بعد التفصيل إذا خرجت عنه المياه المذكورة ، وأما النوشاذر الذي يوضع في المياه عند تشبيبها والذي يوضع في كل عمل فهو واحد لا يختلف ، إلا أنهم قالوا : له موضعان يخرج في أحدهما ، إما أن يخرج في أول العمل عند تفصيل المادة وإن لم يخرج هناك خرج في عمل الجويريات كما في جوابه .

قال : وقولكم من النوشاذر الذي عندك هل النوشاذر فيه هو النوشاذر المذكور أولاً أو غيره ؟ ، والأول لا احتياج فيه إلى الوضع ثانياً لتروحه وصفائه وأيضاً إن وضع واختلط النوشاذر الذي كان أرضاً ، فكيف يؤخذ بعد الاختلاط جزء من الأرض المقدسة وجزء من القاضي ، ثم هل الأرض الجديدة المذكورة في عباراتهم هي الأرض المقدسة كما صرحتم فيه في أجوبتكم أو غيرها ؟ .

أقول : قولكم في النوشاذر إن وضع واختلط انتهى . جوابه أن النوشاذر إذا وضع في الماء لتشبيب أو في المياه مع الأرض المقدسة ، فإنه لا يبقى في المركب ، وإنما يؤلف بين متعادياتها ويصلح بين متنافياتها ويخرج منه ويصعد في قبة الإناء فهو ينعزل بنفسه يؤخذ ويصعد ثانية كالأول ويعمل به ثانياً ، وهكذا فهو لا يخالط غيره والأرض الجديدة المذكورة هي الأرض المقدسة .

قال : هل إكثار الماء من حجر ؟ فحجر للاحتياج إلى الكثير منه

يوجب طرح أكثر ما بقي من الثفل ، وإن الثفل بجميعه يدخل في العمل وربما كان الأخير هو الظاهر من كلام الجلدكي كما هو مصرح برد ما قطر أولاً على ما يقطر ثانياً وهكذا وأطلق في إكسير البياض السقي من الماء الأبيض وفي الحمرة من الماء الإلهي ، حيث قال في التقريب : إن القائلين بكون الملح مقصوداً أصلياً اقتصروا على تدبير طريق واحد في تدبير الملح حذوا به حذو التدبير للحجر الحق في التعفين والتفصيل والتطهير والصعيد والتكليس ، والحل والتركيب والحل والعقد والتبييض والتخمير ، ولعمري إن في تدبيره بهذا الوجه لبرهاناً واضحاً وعلماً متقناً فتفطّنه .

أقول : الإكثار من الماء للاحتياج إليه في إصلاح ما يحترق عليهم من المياه ، لا يوجب أخذ جميع الثفل كما لا يجب أخذ جميع الماء وإنما يأخذون منها ما يحتاجون إليه إلا ما أخذوا منه أول مرة لأنه لا يحترق بخلاف الماء ، فإنهم يحتاجون إلى ما أخذوا منه أول مرة ، وإلى غيره لأنه قد ينشف الأول وقد يصفر فيحتاج إلى ماء جديد يصلحه ، وأما كلام الجلدكي فلا يدل على أخذ جميع ثفل ما أُخذ ماؤه ، لأنه إنما يؤخذ في الأول بقدر ثلث الماء وفي الثاني بقدر مثل الماء وفي الثالث بقدر ربع الماء ، وهكذا فكل شيء زاد على عدله تركت الزيادة والدليل على هذا قوله : حذوا به حذو التدبير للحجر الحق في التعفين انتهى ، وهو ما سمعت مما أشرنا إليه .

قال : نقلاً عنه وذلك أنهم يأخذون الملح الحقيقي القطع التي تشب البواريق من الانعقاد والصلاية ويسحقونه ناعماً جداً ، ثم

يودعونه في قراع الفخار المطينة المتقنة ويقطرون ما عسى أن يقطروا ويكررون الماء على أراضٍ من ملح جديد اثنتي عشر مرة ، ثم يأخذون تلك الأراضي كلها فيودعونها للتكليس بالنار الشديدة في أتون الجير وما يجري مجراه سبعة أيام ، فهي عندهم الأرض البيضاء النقية الذكر الحار اليابس ، ثم يأخذون هذه الأرض بثلاثة أمثاله من الماء المقطر المسمى عندهم بالأنثى الزيبق والروح البارد الرطب بالإضافة للذكر ويعفنونه إلى أن ينحل كله ، وبعضهم لم يدخل الثلاثة من الماء ، إلا في مرار عديدة الجزء الأول في المرة الواحدة والثاني في ثلاث مرات والثالث في ست مرات ليستكمل العشرة ويقطرونه في الخامسة من عدد العشرة .

واختلفوا في المدد التي هي مقدرة التعفين وبين كل تقطيرة والثانية ، والحق أنه متى تم الانحلال يبتدىء فيه بالتقطير ، وفي نهاية كل تقطير يزاد قسم من الماء الأول على الماء المقطر ، فإذا تمت أدوار التقطير تصير الأرضية متهبية سمراء مائلة إلى السواد فيصعد بالنار القوية سبعة أيام إلى أن يخرج لطيفها ويبقى كثيفها فلطيفها هو النوشاذر وإكليل الغلبة عندهم واختلفوا في هذا الكثيف فبعضهم قال بأنه يرمي فلا حاجة إليه وبعضهم رأوا تبييضه بالماء الذي هو الروح وبعضهم قال : بل يكلس بالنار ثانياً مدة سبعة أيام .

أقول : اعلم أن الحق ، إن الحجر يتكون من كل شيء ، وليس الحجر شيئاً منها وإنما هو معمول من كل شيء ، إلا أن بعض الأشياء أسرع من بعض في تكون الحجر منه ، كما أن أصل الإنسان حقيقة هو النطفة ولا يتكون من غيرها ولكن النطفة تتكون من كل شيء يؤكل من جميع أنواع المطاعم ، بل تتكون حتى من

الحشيش والنطفة هي بمنزلة الحجر ، إلا أن بعض الأطعمة أقرب من بعض في الاستحالة وسرعة الهضم ، وأقرب المطاعم بالاتفاق اللحم والحليب واختلفوا أيهما أقرب ، والحق أن الحليب أقرب ولهذا جعله الله غذاء للطفل لضعف هاضمته كذلك أقربها وأصحها وأنجحها الشعر ، إذا أخذ في فصلي الربيع ربيع السنّة وربيع الإنسان ، أما ربيع السنّة فظاهر وأوسطه نيسان وهو أعدله وأقواه ، فإذا أخذت الشعر النابت في فصل الربيع كان أقوى ، وأما ربيع الإنسان فإذا بلغ الذكر من بني آدم خمس عشرة سنة إلى ثلاثين وأحسنه ابن العشرين إلى اثنين وعشرين ، والجلدكي مثل بالملح وهو صحيح ولكنه لا يختاره بدليل قوله فيما بعد ولعمري إن هذا هو التدبير ، الحق لو كان الملح هو الحجر الحق وإنما قال ذلك لدفع توهم من يتوهم أن الحجر هو الملح أو الشعر أو البيض أو المرار أو البول أو العذرة أو الدم أو المخ أو الزيبق أو الكبريت أو روح التوتيا أو الأسرب أو الذهب أو غير ذلك من المعادن لأن الحجر معمول من الكل وفيه إشارة إلى أن الملح ليس بقريب لعدم اعتدال الطبائع فيه ، وكذلك البيض وإن اعتدلت فيه الطبائع في الجملة لكنه ليس اعتدالاً إنسانياً ، ومع هذا ففيه صعوبة تبييض أرضه وهو شرط في الصحة ، بل قال بعضهم : إن تبييضها متعذر وإن كثيراً من الحكماء عجزوا عن ذلك وإن كان استخراج الأركان في البيض أسهل من غيره ، وأما الشعر فهو أصلح شيء لتكون الحجر منه فافهم .

وقوله : يأخذون تلك الأراضي كلها يريد بذلك أنهم يأخذونها ليحصل منها ما يكفيهم مما تكلس لا الكل.

وقوله : ثم يأخذون هذه الأرض بثلاثة أمثاله يعني به في التكليس الأول من القسم الأول من تفصيل المادة ، ويحتمل بعيداً أنه أراد به في القسم الثاني من الثاني التزويج ، ولم يذكر الأول منه وهو السقي بمثله .

وقوله : وبعضهم لم يدخل الثلاثة من الماء يريد به الثلاثة الأحوال لا الأقسام ، الحال الأولى سقي العسل بمثله في أول التزويج والحال الثانية سقيه ثلاث مرات بنصف مثله هي تمام نمو الحجر الكريم ، والحالة الثالثة تقسيم الواحدة والنصف على ست تساقي كل مرة بربع المثل ، وذلك في عمل النبات والجويريات ويجوز أن يريد بالثلاثة من الماء ، أن الماء يؤخذ منه أربعة أمثاله ويسقى بمثله في أربعين يوماً وبعد ذلك تقسم الثلاثة فيسقى بنصف مثله في ثلاث مرات ، والنصف الآخر يسقى بربع مثله في ست مرات كما مر .

وقوله : واختلفوا في المدد إلخ حق وما حققه حق لأن المدة إنما ضربوها للمعنى لا لظاهر العمل لأن نفس المدة لا حاجة إليها ، وإنما الحاجة في الانحلال ، فلو حصل في يوم وليلة كما فعله بعضهم ، بل في أقل كفى ومع هذا فهو في أربعين ليلة مدة ميقات موسى عليه السلام لأنها بعدد مراتب الوجود .

قوله : فلطيفها هو النوشاذر يريد به ما صعد في القبة ، وأما الكثيف فقال بعضهم : بأنه يرمى يعني به أخذ لطيفه مرة ثانية أو معناه أنه يصفّى لتذهب عنه الكثافة المعبّر عنه بالرمي وكلاهما مراد وواقع .

وقوله : وبعضهم رأوا تبييضه بالماء انتهى يريد به أن المطلوب

زوال الكثافة والسواد ولهم طريقان هنا ، فمنهم من طهره بالروح الغربية ومنهم من يكلسه حتى يبيض .

قال نقلاً عنه : ومن هذا التركيب الثاني عندهم فمنهم من رأى أن الأرض من الأرضين أحدهما الأرض المكلسة البيضاء الأولى والثانية من النوشاذر ، ومنهم من قال بالأرض المبيّضة أو المكلسة من الثفل ، وأنهم يدخلون على هاتين من الماء بقدر ثلاثة أمثال المجموع ويحلّونه في التعفين ويعقدونه وهو إكسير البياض ، واختلفوا في نسبة أوزان النوشاذر فمنهم من قال : مثل نصف الأرض ، ومنهم من قال : قدر الثلث ومنهم من قال : قدر الربع ، ومنهم من قال : قدر السدس وكذلك إلى العشر وزعموا أنه يسود السواد الثاني من غير مسوِّد ، ثم يزرق ثم يبيض ، فهو إكسير البياض عندهم ثم يسقى بالماء الإلهي بزعمهم ست مرات بستة أمثاله ، وفي كل مرة له حل وعقد وهو يتلون في كل مرة إلى أن يستقر في المرة السادسة أحمر اللون شفاف قوي الحمرة ذائب جار فهو إكسير الحمرة عندهم ، إلى أن قال : ولعمري إن هذا هو التدبير الحق لو كان الملح هو الحجر الحق انتهى .

والتكليس للأرض كلها الذي ذكره أوله بالنار القوية ، هل المراد منه عند التطبيق بين عملي الملح والحجر كما أشار إليه من وحدة العمل أو التكليس بالماء المقطر أو لا ؟ كما هو مراد القوم من التكليس أو أن التكليس الذي اعتبره في كليهما التكليس بالنار العنصرية ثم ما اعتبره من رد المقطر على ما يقطر وكفاية السقي بالماءين في الإكسيرين وعدم اعتبار الأوزان فيما عدا النوشاذر هل هو صحيح ، لأن الاعتبار بحصول علامة البياض والحمرة لا غير

كما صرحوا به أيضاً ، وأيضاً كلما زيد في السقي كان أقوى كما قالوا فلا وزن في الماء أم هو من تدهيشاتهم .

أقول : ما ذكره من اختلافهم في قدر النوشاذر صحيح ولكن لم يذكر كل ما قالوا إلا أنهم جربوا كل هذه المقادير ، وكلها صحت وإن اختلف المركب في الصفا لأنه كلما اعتدل المزاج كان أحسن ، وكثرة النوشاذر في هذه التقديرات أحسن لأن الأرض تقدر به على تحمل المياه ، والنوشاذر يقوي هاضمتها فهو بمنزلة الكتيرا في الأدوية إذا أدخل معها قوّى فعلها ودفع ضررها وألّف بين مبايناتها .

وقوله : يدخلون على هاتين من الماء بقدر ثلاثة أمثال المجموع المراد بالماء الغربي الأبيض والشرقي الأصفر والأحمر.

وقوله : ثلاثة أمثال المجموع أي كل مرة مثله والمراد بالمثل هنا قدر الجسد الجديد ثلاث مرات ، ولهم فيه طريقان منهم من يسقيه بثلث ويحله ويعقده ويسقيه بثلث آخر ويحله ويعقده ويسقيه بالثلث الآخر ويحله ويعقده وقد تم ، وبعضهم يدخل الماء كله عليه دفعة واحدة ويحله ويعقده ويحله ويعقده ويحله ويعقده وقد تم ، وأما تكليس الأرض فمنهم من يكلسها كتكليس النوشاذر بالتصعيد بالنار على ما تقدم من تدريجها بالنار الضعيفة ، ثم القوية شيئاً فشيئاً ومنهم من يبيضها بالماء الغربي وهو الأولى ، والأسلم لئلا تتحجر .

أما الأوزان في غير النوشاذر فمنهم من يكتفي بأوزان تفصيل المادة وعمل المعدن لأنه في ذلك الوضع ، لا بدّ من المشار إليه سابقاً ، فإذا تم الحجر على ما ينبغي دبروه على ما هو عليه من غير

الوزن الصنجي ، وقالوا إن الطبائع الآن معتدلة فيه فلا يحتاج إلى الأوزان ثانياً لأن الطبيعة لا تغلط ، بل تجري طبيعة المعتدل على الاعتدال ومن اعتبر الوزن ثانياً ، قال إن الوزن إنما هو لتعديل الأركان وتعديل الأركان متوقف على مقدار المياه بما فيها من القوى الطبيعية ، ولعلها لم تكمل في المعدن والنبات على ما ينبغي ولا سيما إذا كان العمل في مادة في أصلها وفي حال عبيطتها لم تكن الطبائع معتدلة فيه كما في غير الشعر والبيض ، أو تكون معتدلة اعتدالاً حيوانياً لا إنسانياً كالبيض وإذا وزنت بعد بلوغ الزيابق والكباريت وتمام نزجها حصل منه الاعتدال الإنساني ، وهذا هو الأولى والأحسن ولو لم تأخذها بالوزن وكان أصل المادة من الشعر فلا يبعد حصول الكمال بدون الوزن أخيراً ، إذا كان المدبر حكيماً ماهراً نعم لو لم يزن ، وإن لم يكن أصله الشعر صح العمل إذا صح التدبير إلا أنه انقص صفاء وفعلاً بالنسبة إلى الموزون ليصح هنا تأويل قوله تعالى : ﴿ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ ﴾ .

وأما أنه كلما زيد في السقي كان أقوى فهذا إنما تكون القوة والفعل زايدين إذا كانت الزيادة بتكرير العمل ، وأما أن كلما كثر الماء فهو أقوى **مط فلا مط** ، بل لو وضع على الأرض أكثر مما تحتمله دفعة أفسدها وأذابها ، ألا ترى أن الماء إذا شرب منه الإنسان أكثر مما يحتمله أضرّ به ، وفي الحديث ما معناه أن جبرئيل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وآله : (**لا تكثر من شرب الماء فإن ابن آدم خلق من الطين فإذا كثر عليه الماء ذاب**) ، وهذا المركب إنسان يجري له ما يجري للإنسان .

وأما قولكم : أو هو من تدهيشاتهم فهو الحق لأن ذكرهم الوزن وترك ذكر الوزن كل ذلك من تضليلهم وإنما ميزانهم الحق الميزان الطبيعي فهم يدورون معه حيث ما دار في الكثرة والقلة .

قال : سؤال ـ أنهم قالوا إن مادة الإكسير عادتها مخالطة الأجنبي عن الفعل ، فإذا زالت المخالفة فهو فعال بنفسه من غير ملاحظة الأوزان ، وإذا فهل يكون بعد التقطير والرد وهكذا إلى أن يبقى ما لا ينحل ويرمى ويصير الباقي من الأرض والماء إذا طبخ أحدهما بالآخر كان فعالاً أم لا وبالغاً في الفعل أم لا ؟ .

أقول : نعم إن الأجنبي من بعض العوائق ، فإذا زالت المخالفة بقي فيه عدم الاعتدال في طبائعه فإن كان معتدلاً كما في الشعر كان العائق له في الفعل أحواله التي لا يفعل إلا بها من التلزز والنضج والصبغ واصبر على النار والبقاء والثبات والتتميم والتكميل والحفظ والغوص والذوبان ، وقبل أن تحصل له هذه الأحوال والقوى لا يكون فعالاً ، وإنما قالوا ذلك لوجهين : أحدهما أنه إذا زال الغريب فهو فعال بعد التدبير يعني من غير إدخال شيء غريب عليه ، وثانيهما أن المراد بالأجنبي ليس خصوص الأعراض الغريبة ظاهراً ، بل الأعراض الغريبة المانعة من البلوغ كالطفولية المانعة للصبي من التمييز والتكليف وهو في الحقيقة عدم النضج في المولود الفلسفي ، وفي المولود الإنساني ، وهذا في الحقيقة بالنسبة إلى المولود غريب لأن الأصل نضجه كما أشار سبحانه بقوله : ﴿ **شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنّا كنا عن هذا غافلين أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم** ﴾ ، إلى أن الطفولية مسبوقة بالتمييز الذي هو مناط التكليف ونظيره ما تقرر من

أن ما بالقوة سابق في الزمان على ما بالفعل ، وما بالفعل سابق في الدهر على ما بالقوة .

قال : وإذا تقرر كون المقطر بالرطوبة أو اليبوسة من النيران المهولة الشديدة المسرعة في التقطير كسريعات أحمر اللون ، فهل هو الماء الإلهي الحامل للنفس المعتبر في الحمرة أم لا ؟ ، لأنهم صرحوا بأن التقطير أولاً يلزم أن يكون بنار كجناح الطير لئلا يصفر المقطّر لطول مدة التفصيل وزمان يحصل الماء الإلهي والدهن ، وعلى الأخير فما معنى كلام جابر من صحة تتميم الإكسير في ثلاث ساعات تقريباً ، وكيف طريق تحصيله حيث قال في رسالته نجاة الخلد ما لفظه : إن فيه القريب الأقرب يتم لك طبخه في قدر طبخ الطعام وفيه البعيد الأبعد لا يتم إلا في أشهر وأعوام ، وقال في تقريب الطريق الأقرب : تأخذ الحجر الكريم العبيط ، كما خرج من معدنه فاحشٍ منه كوز فقاع وارمسه فإنه ينزل منه ماء ودهن راكد ، ثم بعد انقطاع القطر اكسر الكوز تجد الأرض ثفلة سوداء مصاحبة بحجر الشبح وهذه الطريقة تتم في ثلاث ساعات ، فإذا أردت ذلك خذ من الأرض السوداء ثمانية أجزاء ، ومن الدهنة الحمراء جزءاً ، ومن الماء الأبيض ثلاثة أجزاء واجعلها في قدح التشميع ودعها على نار كحرارة الشمس حتى تجف جسداً أسود أو نقرة كبدية أحمر الباطن ألق منه قيراطاً على ستين قمراً يقيمه شمساً جيداً وإن شمعتها بالدهن المذكور مراراً يقيم واحده مئة ألف من القمر .

فاعلم يا أخي قدر ما وصل إليك ، ولقد أوقفني سيدي عليه السلام على هذا الشبح وهذه الطريقة لم تذكر في كتاب قط ، وإنما

شافهوا به لمن شاؤوا مشافهة وهي التي أشرت أنها تتم في ثلاث ساعات ولم أذكر كيفيتها إلا في هذا الكتاب إلى آخر ما قال بينوا الأمر أوضح مما ذكر كما أن رعاية الإيضاح فالإيضاح أمر مستقر [استقر] واستمر فيمن تأخر .

أقول : المقطر بالرطوبة واليبوسة انتهى هو الماء الإلهي الحامل للنفس الرطبة وتتبعه النفس اليابسة المسماة بعد تكليسها بالنوشاذر الجبسي ، وليس هذا الماء معتبراً في الحمرة دون البياض ، بل يعتبر في البياض أيضاً وهذا الماء بعد تمام عمل النبات ، وليس المراد به ما يحصل في تفصيل المادة لأن ذلك بعيد عن هذا المقام فقوله وعلى الأخير لا يترتب عليه أمر .

وقول جابر : بتتميم الإكسير في ثلاث ساعات يراد منه بعد تمام قطع ثلاثة أرباع الطريق ويبقى منه الربع ، فإن أحد الحكماء نقل عنه عمله في نصف ساعة وهو أقل ما سمعنا والدليل على أنه مراده من كلامه بعد فراغه من تفصيل المادة المكتوم ومن التزويج ومن الجويريات .

قوله : تأخذ الحجر الكريم العبيط فإن الحجر عندهم لا يريدون منه إلا ما بعد تمام التزويج .

وقوله : كما خرج من معدنه يريد به بعد إدخال الزوجات الثلاث .

وقوله : فاحش منه كوز فقاع يريد منه القرع الذي يفصل فيه الأركان .

وقوله : فإنه ينزل منه ماء ودهن يريد به عند التقطير ينزل منه الماء الغربي والدهن الراكد هو الماء الأصفر .

وقوله : راكد هو كما ذكره علي عليه السلام كما رواه ابن شهرآشوب في المناقب أنه لما سئل عن علم الكيميا وهو يخطب قال : (**هي أخت النبوّة وعصمة المروّة إن الناس يتكلمون فيها بالظاهر وإني والله لأعلم ظاهرها وباطنها ما هي إلا ماء جامد وهواء راكد ونار حائلة وأرض سائلة**) ، وأراد عليه السلام بالماء الجامد الروح الغربية وبالهواء الراكد الماء الأصفر ، وبالنار الحائلة هي الصبغ وبالأرض السائلة هي الجسد الجديد .

فقول جابر : دهن راكد هو الهواء الراكد فإنه دهن أصفر وهو الذكر الشرقي وهو الهواء .

وقوله : تجد الأرض ثفلة سوداء هذا بعد إخراج المياه تبقى الأرض سوداء هامدة .

وقوله : وهذه الطريقة تتم في ثلاث ساعات يريد بعد جميع الأركان .

وقوله : فإذا أردت ذلك انتهى ، يريد به أنك تجمع هذه الأركان وتجففها بنار لينة بالتدريج في القوة شيئاً فشيئاً حتى يتم جفافه ويكون جسداً أسود مائلاً إلى الحمرة كلون الكبد وسواده حمرة متكاثفة .

وقوله : وإن شمعتها بالدهن مراراً كل مرة كالأول في التركيب فإنه في كل مرة يتضاعف عمل المثقال منه ، فأول مرة مثقاله بألف وثاني مرة بألفين ، وهكذا فلو كرر التشميع عليه مئة مرة كان مثقاله على مئة ألف مثقال من الفضة يقيمه شمساً خالصاً أعلى من المعدني بحيث يقبل الزيادة بمعنى أنك لو مزجت هذا الذهب

بالفضة أحالها إلى جوهره ولم يظهر فيه من التغيير ما يظهر في المعدني لو مزج بالفضة.

وقوله : ولقد أوقفني سيدي عليه السلام يريد به جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لأنه هو الذي علّم جابراً لكن الخبيث ائتم به في علم الصناعة وائتم بغيره في دينه ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ فقوله في ثلاث ساعات يريد به هذا التشميع الأخير لأنه في الطريق الأبعد مئة وعشرون يوماً ، بل مئة وثمانون يوماً .

قال : **سؤال** ـ قولكم إن ألقيت أحدهما على الزيبق كان إكسيراً هل يفرق في الزيبق بين زيبق العامة والخاصة أو زيبق الخاصة أقرب لكون جزئه ، فيحيله إليه ويعقده كالأنفحة ؟ .

أقول : المراد بهذا الزيبق زيبق العامة لأن زيبق الخاصة هو الماء الأبيض ولا مدخل له هنا فافهم .

قال : ثم كيف يطرح على زيبق العامة وهم استصعبوا ذلك لنفوره؟ ، بل كيف يطرح الإكسير بلا حجاب وهو يحترق للطافته بالنسبة إلى الجسد الملقى عليه بالملاقاة؟ ، والمصرح في كلام بعضهم أن المعتبر في الوقاية لعدم الاحتراق الزجاج المحلول ، وأنه رأس كما أن البورق المعتبر أيضاً قطعاً ذنب فلا محيص بناءً على تصريح بعضهم عن الرأس والذنب المكتومين في الطرح ، فما هذا الرأس والذنب هل هما معتبران أم لا ؟ وكيف يحل الزجاج على اعتباره وما هذا البورق؟ .

أقول : كيفية الإلقاء على الزيبق مما كتموه وبيانه أن الأكمل في الإلقاء أن يصعد أولاً لينقى من أوساخه لئلا تخل بالإكسير ويوضع

في آلة صابرة على النار ، ثم ينفخ عليه حتى يصل إلى حدِّ ذوبان الأجساد وعلامته أن تسمع له نشيشاً ولو خشيت من طيرانه فضع عليه ما يمنع طيرانه كالزجاج والبورق ، وإن وضعت الإكسير على جسد وألقيته على الزيبق إذا خِفتَ على الإكسير من الاحتراق ، ويوضع عليه قبل نشيشه الزجاج المحلول والبورق ليحجبه من الطيران ، فإذا ألقيت الإكسير وذاب فحركه حتى يمازج واصبر عليه قليلاً فإذا نش الإكسير فخفف النفخ فإنه ينعقد إكسيراً للحمرة إن كان الملقى عليه الأحمر ، وللبياض إن كان الملقى عليه الأبيض ولا يكون مع ذلك مفتتاً كالإكسير ، بل ينعقد ليناً منطرقاً ولاسيما إن ألقيت عليه من الماء المدّخر عندك قبل إلقاء الإكسير ، ومع كونه ليناً كالفضة يفعل فعل الإكسير فواحده على ألف .

ومعنى أن الزجاج محلول ، أنه يحل بالمياه الحادة كالماء المسمى بالماء مرمياسوس وكالماء المسمى بالمعشر ومعنى أنه الرأس أنه غطاء الزيبق والبورق فراشه وهو الذنب ، وأما إنهما معتبران فالإكسير منه سهل الذوبان ومنه المتوسط ومنه البطيء فإن كان الإكسير سريع الذوبان فلا تجب الوقاية للزيبق لأنه بالنار التي يحصل بها أقل نشيشه يذوب الإكسير ويمازجه فإن كان بطيء الذوبان فلا بدّ منهما وإن كان متوسطاً فعلى ما يعرف الحكيم من الحال التي تحصل بها الممازجة والأصل في ذلك الإكسير قد يكون قد كمل نضجه وتم وقته وقد يكون حصل قبل تمام وقته فهو فطير وقد يكون الغالب عليه الروح فيسرع ذوبانه وقد يكون الغالب عليه الجسد فيبطىء وقد يكون الغالب عليه النفس فتكاثف صبغه ، فلا بدّ أن تستخبر أمر إكسيرك بأن تحمّي صحيفة من الفضة الأحمر

ومن النحاس الأبيض وتلقي عليها شيئاً من الإكسير وتعرف حاله من سرعة الذوب وبطئه واستقامته وصبغه وتعرف مقتضى الحكمة ، فلو رأيته سريع الذوبان إما لعدم كمال نضجه أو لكثرة روحه وخشيت عليه من الاحتراق إذا كان الجسد الملقى عليه بطيء الذوبان كالأحمر إذا أردت إلقاءه على الفضة فالقه على شيء من الأسرب والق ذلك عليه وكالأبيض إذا أردت إلقاءه على النحاسين فالقه على شيء من الأسرب أو القلعي والحاصل أنك تعرف مقتضى الحكمة من صلاح نظام التدبير فافهم ، وأما البورق فهو بورق الحكماء .

قال : **سؤال** ـ هل الأسرب كما قالوا كالزيبق في صيرورة المطروح عليه إكسيراً أم لا ؟ .

أقول : الذي يكون إكسيراً الذهب المعدني والذهب الصناعي والفضة المعدنية والصناعية والزيبق ، فالذهبان والزيبق تكوّن إذا طرح عليها الأحمر إكسيراً للحمرة والفضتان والزيبق إذا طرح عليها إكسير البياض تكون إكسيراً للبياض ، وأما الأسرب فلا يكون كذلك لكنه يقبل الحمرة فيكون ذهباً بدون جعله فضة والقلعي والنحاسان لا تكون ذهباً حتى تكون فضة .

قال : هل الزيبق المطروح عليه الإكسير الصائر إكسيراً وهكذا ثالثاً ورابعاً كإكسير الأصل في القوة كما هو الحال في الإنسان المتولد من الإنسان ولأن المرض بالمداوى زال فلا فرق بين الأصحاء وهو معنى قولهم المثقال منه يملأ الخافقين أي إكسيراً لا ذهباً ولا فضة مثلاً ، وعلى هذا لا احتياج إلى تحمل متاعب الحل والعقد دائماً لمزيد القوة ولا إلى تحصيل الباب الأعظم الذي

واحده على ألف ألف حتى قال جابر في طريق طرحه إراحة للصعوبة الواحد يطرح على ألف من الجسد والواحد من هذا الألف يطرح على الألف من الجسد الآخر لأن هذا المعنى يتحقق بالطرح في الباب الأصغر إذا كان المطروح عليه في كل مرتبة زيبقاً مثلاً أو شمساً أو لا ، بل ينقص كل لاحق عن السابق في القوة لأن الفعال في الحقيقة هو الأصل وتنقص قوته في النزول كما هو الحال في كل قوي إذا تنزل حتى شروق الشمس .

أقول : إن الزيبق والذهب والفضة إذا ألقي عليها الإكسير تكون إكسيراً لا أنها تحمل الإكسير الأول إلى الجسد الثاني ، فهو يفعل فيه فتكون قوته أضعف في الرتبة الثانية ، بل هذا إكسير جديد ، فلو طرح مثقال على ألف وواحد من هذا الألف على ألف آخر وهكذا بلا نهاية لم تختلف قوته والعلة فيه ما قلنا لك : إنه بالمثقال يتكوّن إكسيراً لأنه جسد ميت والإكسير حي محيٍ ، فإذا نفخ فيه من روحه كان مثله وفي التأويل في الحديث القدسي ، (**أنا حي لا أموت أطعني أجعلك مثلي حياً لا تموت**) وفيه (**أنا أقول للشيء كن فيكون أطعني أجعلك مثلي تقول للشيء كن فيكون**) ، وليس الأول هو الفعال بل الفعال هو الثاني ، لأن الثاني كان من الفعال لكنه ميت فلما حيي كان فعالاً ، وأما شروق الشمس فإنها تحدث شعاعاً لا شمساً ولو أحدثت شمساً لساوتها وكذلك يحدث شعاعاً له فهو شعاع شعاع الشمس فلا يساويه ، ولو أحدث الشعاع شعاعاً مثله لساواه أبداً وما ذكره جابر لا إشكال فيه ، وأما تكررهم في الحل والعقد ومواظبتهم عليهما فليس للحاجة ، وإنما يريدون بذلك التردد والاطلاع على أسرار الصناعة فإن جميع الحكماء ما أحاطوا بجميع

أسراره إلا الأنبياء عليهم السلام بنسبة حال كل منهم وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله المتقدم : (**هي أخت النبوّة وعصمة المروّة إن الناس يعلمون ظاهرها وإني والله لأعلم ظاهرها وباطنها**) انتهى .

قال : سؤال ـ هل فرق بين الزيبق والشمس الملقى عليهما الدواء في القوة لأن الاعتبار بزوال المرض وعلى هذا فلا فرق بينهما وبين الزنجفر الصائر بالطرح إكسيراً إذ الأصل في الكل واحد ، أو الأول أقوى لكونه زوجاً وكذا الكلام في الأخير لكونه مركباً من الروح والنفس ؟ .

أقول : إن الأصل في جميع المعادن واحد وهو الزيبق والكبريت وإنما تفاوتت المعادن بتفاوت الأصلين في الصفاء والكدورة واعتدال الوزن وعدمه ، واعتدال الطبخ وعدمه ، فكلما كان أكمل في ذلك كان أحسن وأصفى والإكسير روح للجسد فإذا ألقيت الروح على الجسد وكانت الروح من نوع واحد اختلفت الأجساد في أفعالها على حسب صفاء أجسادها وعدمه ، لأن التفاوت بين الأشياء إما من جهة تفاوت الأرواح أو القابليات أو الأجسام وهنا الأرواح واحدة ، فكان التفاوت بين ذلك في الأجساد والقابليات ، أما القابليات ، فمن جهة الانفعال هنا واحدة وذلك من الفاعل وأما من جهة القابل فمختلفة كما أن الأشعة من الشمس واحدة وتقع على الأرض والمرآة من جهة الانفعال وهو قبول النور من الفاعل ، فهو واحد لأن الإشراق واحد ، وأما من جهة القابل التي هي الاستنارة بالنور فمختلف لأن استنارة المرآة أشد ضوءاً من استنارة الأرض فلا ريب في صفاء الذهب واعتداله ونضجه إلى حدّ

لم يبلغ غيره فيكون أقوى البتة ، بمعنى أن ما يلقى عليه إكسير الذهب من المعادن يحتمل إضافة أكثر مما يلقى عليه إكسير الزيبق منها والتعليل للتساوي يكون الزيبق روحاً فيكون أقوى ليس بشيء لأن تسميته روحاً إنما هو لكونه بارداً رطباً بالنسبة إلى الكبريت لا أنه يحيى ، بل المحقق عندهم كما ذكروه أن تركيب الإكسير من صبغ ومنصبغ أن الزيبق بمنزلة الماء وأن الكبريت بمنزلة الصبغ وأن الأرض بمنزلة الثوب ولا شك أن الأصل في حياة الأجساد إنما هو الصبغ ، وأما الماء فهو حافظ وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ وقوله صلى الله عليه وآله : (**الماء سيد الشراب وطعمه طعم الحياة**) .

فالمراد أنه من أجزاء ما به الحياة وهو الحفظ والتبريد ، ولهذا قالوا : إن علة الكون الحرارة والرطوبة أي النار والهواء ، وعلة الفساد البرودة واليبوسة أي الماء والتراب وتدبر في فصول الأربعة ، فإن كان فصل الشتاء هو روح العالم فالماء كذلك لأنه بطبعه ، وأما الزنجفر فإنه بعد تدبيره وثباته إذا كان معدناً ممازجاً للأجساد ربما يزيد فعله على الزيبق ولكنه لا يساوي الذهب ، وإن كان يمازج الذهب كالمدموس في الحنظل مئة مرة كما قالوا وكونه مركباً من الروح والنفس لا يستلزم الزيادة ، بل ولا المساواة لأن غيره كذلك .

قال : ماء الحجر على ما ذكروا هو المكلس لأرضه فهل يتكلس به برادة الذهب مرة أو أزيد ، ثم يشمعه ويبلغه الكمال ، حذو ما ذكره الجلدكي في التقريب في بيان كلام ذي النون أن ماء الريش إذا طفى فيه الحديد بعد الحمى لينه مثل الخيزران فهو كلام صحيح

في الظاهر وفي الباطن ، أما في الباطن فلم يقصد بماء الريش إلا ماء الحجر أو الماء الخريف الذي هو الماء الأول ، المسمى بالخل فإنه يليّن الحديد بالحمى والطفي فيه كالخيزران بل صرح به في البرهان وإنما يكون تكليسه أي الشمس الذي لا مضرة فيه بالدهن الذي لا يحترق في المرتبة الأولى من المراتب العشر فيلطخ [فليلطخ] منه صفائحه الرقاق ويدس إلى أن قال : فشمعه بالدهن الذي لا يحترق في بعض مراتبه انتهى .

وما أدري ما عنى بمراتبه العشر تزيلون عنا الإبهام إن شاء الله بالبيان عن المرام ، ومما يدل على أن الماء الأول فيه دهانة وتأثيرها ذكره الجلدكي في نهاية الطلب في شرح المكتسب بعد ذكر أبيات الأندلسي في الاستشهاد على أن المراد من الخمير هو النوشاذر الجبسي ما لفظه ، وفي هذه الأبيات دليل على الماء الأول والحل [الخل] الروحاني من وجه ، ودليل على الإلهي التام من وجه ، لأن فعل كل واحد منهما يشابه الآخر ، ولولا الماء الأول لما أمكن الوصول بالتفصيل ولا الحصول على الماء الإلهي والفرق بين هذين الماءين أن الماء الأول أقل دهانة من الماء الإلهي وأقوى حدة فإن المقصود منه الغسل والتلطيف وهدم الصخور ، وأما الماء الإلهي فإنه حامل للنفس غير فارغ مثل الأول وله دهانة قوية إلى أن حكي عن الأستاذ أيضاً أن لو لم يصل الطالب إلا إلى الخل لكان فيه ما يسد الجوع ولأنهم قالوا : حجرنا ذهب زائد الصبغ وذهب العامة إذا زاد صبغه بماء الحجر أي بمائه الأول ، تم أمره لأنه وإن كان أبيض بارداً في الظاهر فهو أحمر حار في الباطن ولأن الماء يصير بالطبخ هواء والهواء إذا زاد حرّه

يصير ناراً ، فالأبيض يؤول أمره إلى الأحمر والأصفر البالغ إلى مرتبة الكمال غير منفك عن الإكمال أولاً بل المبلغ إلى مرتبة الإكسيرية هو الإكسير التام لا أجزاء الحجر وإن كان لها مدخل في التمام .

أقول : أما كون ماء الحجر هو المكلس لأرضه على الحقيقة فلا شك فيه ، وقد أشار ابن أرفع رأس الشذوري إلى ذلك بقوله :

أول هـذا الـعـلـم تـكـلـيـس الـحـجـر

بـحـرّ نـار حـرهـا حـرّ الـسـقـر

وهو معنى قولهم إن ماءه ناره ، ولما كان التكليس لا يكون إلا بالماء وهذا الماء من الابتداء إلى مقام العسل هو الذكر والأرض هي الأنثى وكان في فعله فعل النار سمّي ناراً وذكراً هذا في الكيفية المكتومة ، فإذا فرغ منها وأخذ في التزويج كان الأعلى أسفل والأسفل أعلى فانعكست به التسمية ـ فإذا الذكر أنثى ، والأنثى ذكر ، وأما أن الذهب العامي يتكلس به ويتشمع به ويبلغ الكمال فهو صحيح إذا عفن به البرادة وقطر عنها وعفن بها ، وهكذا حتى يكلسها وتكون متهبية ليس لها جزء ثم تشمع به والمراد من تسمية ذلك الماء ماء الريش أنه الماء الذي يغسل به ريش الغراب وهو السواد عن الجسد الجديد أو المركب حتى يبلغه الشفافية ، أو عن العسل للتزويج أو لأنه المستنبط من الشعر وبالجملة هو الملين للحديد أو هو الملين للأجساد والمكلس لها ، أو هو الحلاّل لها والمشمع لها حتى تذوب وتجري .

وقوله : في المرتبة الأولى من مراتبه العشر هذه المراتب لها

ثلاثة محال : أحدها في التقطير والتكليس وتبييض العسل والتزويج والنبات والمناخل والتفصيل والتشبيب وتبييض الأرض وزرع الغصون في الأرض النقية ، وأول هذه العشر يكون محترقاً فلا يريده ، وثانيها تزويجه بالزوجة المماثلة ثم الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الستة في الجويريات ، وأول هذه العشر أيضاً يحترق وثالثها بعد التفصيل والتشبيب وثلاثة في زرع الغصن الأبيض ، وستة في زرع الغصن الأحمر ، وأول هذه العشر هو الخالد والدهن الذي لا يحترق.

وقوله : فيلطخ [فليلطخ] منه صفائحه إلى آخره يريد أن الذهب يرقق غاية ما يمكن ، ثم يقرض أصغر ما يمكن ، ثم يحل فيه وإن بردته جاز .

وقوله : وفي هذه الأبيات دليل انتهى يريد به أنك إن أردت الفعل والتكليس فهما كذلك فيكون المراد بهذا الماء هو الأول مع ملاحظة التكليس لأنه الأول من المراتب العشر على الوجه الأول أو الثاني ، والدليل على الماء الإلهي الذي هو أول المراتب العشر على الوجه الثالث ، أنه الذي لا يحترق ولو قلنا : إنه يكون من الماء الإلهي ويكون منهما معاً بأن يكون التكليس بالأول والتشميع بالثاني ، لم يكن به بأس بخلاف العكس أو بالأول خاصة لعدم ثباته ، وما حكاه عن جابر من أنه لو لم يصل الطالب إلا إلى الخل لكان فيه ما يسد الجوع لأنه إذا كلس به الذهب العامة صبغ الفضة صبغاً ثابتاً ، وإن كان ضعيفاً أو أنه لا يلززها كما لو شمع بالماء الإلهي ولو عمل الذهب العامي بالماء الأول لم يكن فيه صبغ زايد يعتد به ، وإن كلّسه وقوى صبغه في الجملة ، وأما أن هذا الماء

بارد فلا ، بل حار حاد ، ولهذا قال الشذوري فيه : بحرّ نار حرّها حرّ السقر ، وأما أنه أحمر في الباطن فنعم ولكن لا أثر لحمرته في الأجساد وإن ظهرت فيه نفس الحمرة لاحتراق فإنه لا يصبغ إلا شيئاً لا يعتد به وإنما المبلغ للأجساد إلى غاياتها هو الإكسير التام نعم ، هذا الذهب العامي إذا كلس وشمع بالماء الإلهي ، بلغها إلى غاياتها لأنه إكسير تام بحسبه وليس كلّ ما له مدخل في التمام مع غيره أو في حال يحصل منه التمام المطلوب .

قال : سؤال ـ إن المذكور في أجوبتكم الشريفة على ما بالبال أن مولانا الحجة عليه السلام في هورقليا وأن ظهوره ورجعته في عالم المثال ، ما دريت ما معنى كونه في هورقليا أهو كما استفيد من بعض الروايات أن مولانا أبا الحسن الثاني رأى صالح بن سعيد بعد أن نزل في خان الصعاليك واغتم صالح بإنزاله في ذلك المكان روضات أنيقات وأنهاراً جاريات وجنات فيها خيرات عطرات وولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون حتى حار بصر صالح فقال عليه السلام : **(حيث كنا فهذا لنا يا بن سعيد)** فهذا لا اختصاص ببعضهم أو بزمان دون زمان أو على وجه آخر فبينوا لنا لأنه موضع توهم سقوط التصرف من الهيكل العنصري والتصرف في القالب المثالي فحسب ، وكذا ينافي كون الرجعة في عالم المثال توليد الشيعة وتولد الألف من واحد منهم مثلاً ؟ .

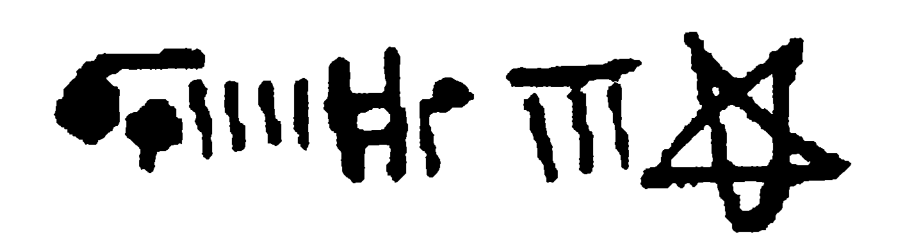
أقول : هورقليا في الإقليم الثامن ومعنى لفظه ملك آخر وله مدينتان مدينة في المغرب جابرسا وفي المشرق جابلقا عليهما سور من حديد وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصراع ، ويتكلمون بسبعين ألف ألف لغة كل أهل لغة بخلاف لغة الأخرى ، وهم في

بلاد منسك وتأويل ونارس من كل مدينة كل يوم يخرج سبعون ألفاً لا يعودون إلى يوم القيامة ويدخلها سبعون ألفاً لا يخرجون إلى يوم القيامة ، وإن الخارجين والداخلين ليتلاقون بين السماء والأرض ومن يخرجون من جابلقا يغربون ومن يخرجون من جابرسا يشرقون ، وإن من قام في وقت كمثل نصف الليل لا يسمع فيه حسيساً يسمع لهم دوياً كدوي النحل ، والحجة عليه السلام في غيبته تحت هورقليا في تلك الدنيا في قرية يقال لها كرعة في وادي شمروخ وروي أنه في طيبة ، وأن معه ثلاثين بدلاً وكل هذه القرى من تلك الدنيا وهو عليه السلام ظاهر لأهلها ، وأما إذا أراد أن يدخل في هذه الأقاليم السبعة لبس صورة من صور أهل الأقاليم ولا يعرفه أحد ولا تراه عين رؤية معرفة حتى تراه كل عين .

أما أمر ظهوره عجل الله فرجه وبيان زمانه ومكانه فاعلم أن الدنيا هذه قد خاف فيها من الأعداء ، فلما فرّ من هذه المسماة بالدنيا انتقل إلى الأولى ، والخلق يسيرون إليها لكنه عليه السلام سريع السير فقطع المسافة في لحظة والناس يسيرون إلى الأولى يسير بهم التقدير سير السفينة براكبها في هذا النهر الراكد الذي هو الزمان ، وكان طرفا الزمان أوله وآخره لطيفين للطافة الأجسام الواقفة فيهما ولطافة تلك الأمكنة ووسط الزمان كثيف ككثافة أجسامه وأمكنته ، فإذا وصلوا إليه قام بالأمر وظهر الدين كله فالأيام ثلاثة قال تعالى : ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ﴾ فاليوم الأول هو الدنيا واليوم الثاني هو الأولى وهو يوم قيامه ورجعته مع آبائه عليهم السلام وشيعتهم واليوم الثالث يوم القيامة الكبرى وفي الزيارة الجامعة ، **(وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى)** ، فذلك الزمان ألطف وأهله

ألطف وأمكنتهم ألطف حتى أنه في آخره يكون لطافة زمانه بقدر لطافة هذا الزمان سبعين مرة وهذا معنى ما أردنا من أنه في هورقليا ، وأنه في الإقليم الثامن .

وأما قولكم : في عالم المثال فاعلم أن عالم المثال صور الأشياء والصورة التي في المرآة من عالم المثال وهذه الصور التي تراها في الأجسام إذا نزعتها من الأجسام من عالم المثال والإمام عليه السلام لا يرجع صورة ، بل يرجع هو وكل من يرجع معه ومع آبائه في أجسامهم هذه التي ظهرت في الدنيا إلا أن في أجسامهم تطهيراً من فاضل أجسام الأئمة لشدة انصراف نفوسهم من غير المحل الأعلى ، فكان الرجل يخبر أهله بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وتنطوي له الأرض إذا مشى ، وذلك كما رأي الهادي عليه السلام صالح بن سعيد فإنه لم يره تصويراً ولا تخيلاً وإنما رآه حقيقة ومعناه في الظاهر أنه كشف له عن بصره فرأى تلك الجنة بنفسها لا صورتها ، وأما معناه في الحقيقة فهو أنه عليه السلام سار بصالح إلى الجنّة وأدخله فيها حقيقة ثم أخرجه منها فإذا انتهت الدنيا كان آخر دقيقة منها أول دقيقة من الأولى ، وإلى ذلك أشار علي عليه السلام في خطبته بقوله : (**أنا الواقف بين الطتنجين**) وهما خليجان وفي الاسم المبارك المروي عنهم وهو هذا :



الواو المنكس هو القائم عليه السلام فكونه منكساً إشارة إلى رجوعه وكونه واواً إشارة إلى أن صورتها هكذا واو ، فالواو الأولى إشارة إلى الستّة الأيام التي خلقت فيها الدنيا ، والواو الثانية إشارة إلى الأيام التي تخلقت فيها الأولى ، والألف بينهما إشارة إلى أنه القائم بين الدنيا والأولى اللتين هما الطتنجان ، والطتنج هو النهر فالقائم عليه السلام يرجع في الأولى لا في المثال ، وأما تصرفه فهو بهيكله في العنصرية وبمثاله في المثالية وبجسده في الأجساد وبجسمه في الأجسام وبنفسه في النفوس وبروحه في الأرواح وتولد الشيعة ونكاحهم وحياتهم في الأجسام المتحققة والنفوس المطلقة التي تحققها وإطلاقها بالنسبة إلى تحقق هذه الأجسام كنسبة الأجسام إلى الأعراض والذوات إلى الأعراض ، فما تحقق هذه الدنيا عند الأولى إلا كتحقق الظل عند الشاخص والله يهدي إلى سواء السبيل .

قال : سؤال ـ ما وجه ما ورد في بعض الأخبار وما معناه (**إن الخضر عليه السلام يجيء ويسلم علينا ونحن لا نراه**) ، مع أنهم عليهم السلام متمكنون من شهود الأرواح في الأجسام البرزخية الأخروية كما ورد في الرواية عن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام (**إن هذه إلا صحبة مؤمن**) فكيف بمن كان بعد في الدنيا ، ثم ما معنى طي الأرض في الظاهر في زمان يسير بالأجسام العنصرية ، بل في عالم المثال أيضاً لأن القاطع للطريق والمقطوع فيه في الظاهر والباطن متناسبان والطفرة هناك كالطفرة هنا :

أقول : اعلم أن للائمة عليهم السلام ثلاثة أحوال : **الأول** حال المعاني وفي تلك الحالة قال الصادق عليه السلام : (**لنا مع الله**

حالات نحن فيها هو وهو نحن وهو هو ونحن نحن) ، وأيضاً إلى هذا المعنى إشارة الحجة عليه السلام في دعاء رجب بقوله : (**ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد**) ، وفي هذه الحالة مقامهم أعظم مما أشرتم إليه .

والثاني : حال الأبواب وفي تلك الحال هم باب الوجود وعلة كل موجود ، فهم في هذه الحالة لا يصل من فعل الله شيء إلى شيء من خلق الله إلا بواسطتهم ولا يصعد عمل ولا دعاء إلى الله إلا بواسطتهم .

والثالث : حال الإمام وهو أنه إمام مفترض الطاعة حجة الله على العباد مشارك لسائر الخلق في جميع أحوالهم قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُوا۟ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ ﴾ وهذا في حق الأنبياء وهو جارٍ لأئمة الهدى عليهم السلام ، وفي هذه الحال لا يعلمون إذا أتاهم الخضر حتى يخبر بنفسه أو أنهم يلتفتون إلى إحدى الحالتين السابقتين ، وأما معنى أنه يجيء ويسلّم عليهم وهم لا يرونه بمعنى أنه يهتف بهم ، فالمراد أنه يأتي في غير هذه الدنيا ويهتف بهم بحيث تظهر صورته في هذه الدنيا وذلك لفائدة فيسمعونه ولا يرونه لأنهم مشاركون في هذه الحال لغيرهم ، وإذا التفتوا رأوا وهو معنى قولهم الحق عليهم السلام : (**إذا شئنا أن نعلم علمنا**) وقولهم : (**إن الله يعطي وليه عموداً من نور يرى فيه أعمال الخلائق كما يرى أحدكم الشخص في المرآة**) ، وقوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾

وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ والكتاب هو القرآن وقد قال تعالى فيه : ﴿ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ وأما قول علي عليه السلام لحبة العرني في حق الأرواح : (**إن هي إلا محادثة مؤمن أو مؤانسة**) كذا في الحديث لا صحبته فليس بعجيب من أحوالهم فإن الأمر أعظم وأعظم وأعظم .

وأما معنى طي الأرض فهي تطوى للإمام عليه السلام حتى يبلغ المشرق والمغرب في طرفة عين ، فله فيه أحوال فمرة إن الأرض إذا وضع رجله في المشرق التقى المغرب به لأجل المعجز بحيث يقرب منه بقدر خطوة وينضغط ما بينهما من الأجزاء كانضغاط الحبال والعصي التي ألقتها السحرة في عصا موسى حين تلقفتها ، فإذا وضع رجله في المغرب لأن بينهما الآن [لان] خطوة امتدت الأرض ورجعت على ما كانت في أقل من طرفة عين وذلك بالنسبة إليه خاصة وإلى من يريد له ذلك دون سائر الخلق ، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومرة ينتقل به الجزء الذي هو عليه من المشرق إلى المغرب له ولمن أراد في طرفة عين كذلك ومرة بجسمه الشريف يقطع المسافة البعيدة أقل من طرفة عين لأن جسمه الشريف ألطف من عقول المؤمنين كما روي عنهم (**إن الله خلق أجسامهم من علّيين وخلق قلوب شيعتهم من فاضل طينتهم**) .

والمراد بالفاضل هو الشعاع يعني أن أجسامهم نسبتها إلى قلوب شيعتهم كنسبة المنير من النور وهو واحد من سبعين ، فإذا كان ذلك كذلك وأنت بقلبك تحيط بالمشرق والمغرب والدنيا والآخرة في أقل من طرفة عين وقلبك من شعاع أجسامهم فما ظنك بأجسامهم ، فإن قلت : إن لهم أجساماً عنصرية وصوراً بشرية يشاركون غيرهم

فيها فكيف لا تعوقهم؟ قلنا : إن شاؤوا عاقتهم وهو أيضاً معجز وإن شاؤوا عملوا بمقتضى حقائق ذواتهم لأن بشريتهم وعنصريتهم مع أنها ألطف من بشرية غيرهم وعنصريته بمراتب كثيرة إذا نسبتها إلى نوريتهم وتجرد نفوسهم كنسبة الذرة إلى السماوات والأرض اعظم من ذلك ، ولا شك أن ما هو بمنزلة الذرة لا يعوق ما هو أعظم من السماوات والأرض ، ولهذا إذا وقف النبيّ صلى الله عليه وآله في الشمس لا يبين له ظل مع بشريته وثيابه ولقد صعد ليلة العراج ببشريته وثيابه حتى تجاوز السماوات السبع والحجب ولم يلزم منه الخرق ولا التيام .

وإن قلنا : بعدم جوازها في الأفلاك لما قلنا وقد بيّنا وجه ذلك في أجوبة المسائل القطيفية والوجه في أمثال هذه المعاني أن الجسم والنفس والعقل كلها وجود واحد لكنه فيه لطيف وكثيف وكثافة الكثيف من جموده وتنزله مثل كثافة الثلج بالنسبة إلى الماء ، فإنه لجموده وتنزله فإذا خلص الجسم من كثافات الذنوب ، كان بحكم النفس فلو شاء ولج في سم الخياط وقولكم : لأن القاطع والمقطوع فيه متناسبان صحيح ، ولا يحصل طفرة كما تقدم فإن لطيف الجسم يلطف الجسم الكثيف بفاضل لطافته ، أما ترى أن الحجر الغاسق يستنير بفاضل نور الشمس والسراج فأين الطفرة فافهم .

قال : **سؤال** ـ ما معنى إلحاق الأولاد بالآباء في الجنة والأولاد ما اكتسبوا بعد ولم يخرجوا من الإجمال إلى التفصيل وتنمية البذر والبلوغ إلى رتبة الشجرية مثلاً وموضع التنمية والتعفين في أرض القابليات ومهاوي النزول العنصرية في هذه الدار لا الدار الآخرة الباقية القريبة ولا البعيدة ، وإن لم نضائق في القول بالترقي في

الجملة كما هو الحال في طي البرازخ ويظهر من قوله تعالى : ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ إذ هو حصاد زرع زُرع في هذه الدار لا مطلقاً فهم ينبغي أن يكونوا كالأكمه أو كالخفافيش التي لا تطيق ضوء الشمس نعم لا بأس في أصل الإلحاق في الجملة لا مطلقاً إلا مع القول بحصول التكميل بمقتضى الاستعداد لئلا يلزم التعطيل؟ .

أقول : قال الله تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ أخبر سبحان أن المؤمنين إذا اتبعتهم ذريتهم في الإيمان ألحقوا بهم كرامة للآباء وتفضلاً للأبناء سواء كانت الذرية في هذه الدنيا بلغوا التكليف ونقصوا عن رتبة آبائهم ، إلا أنهم مؤمنون لإجابتهم في عالم الذر الذي هو بالفعل أم لم يبلغوا التكليف في هذه الدنيا ، إن كانوا أجابوا في الذر الثاني الذي هو بالقوة فإنهم قد اكتسبوا خيراً حين أجابوا في الأول بالفعل وفي الثاني بالقوة لأن الله سبحانه حين حكم في سابق علمه ومحتوم حكمه لا يقوم له أحد من خلقه بحقه تفضل على من أطاعه في شيء إذا كان مؤمناً بما يحبه وتشتهيه نفسه .

قال تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ﴾ قال : من الصالحات أي بعضها فلما كانت الذرية مؤمنة ألحقهم بآبائهم لإجابتهم ولمحبة آبائهم وشفاعتهم فيهم فكانت أعمالهم التي اكتسبوها ودخلوا بها الجنة أجابتهم في الذر ، وانتسابهم إلى آبائهم وشفاعتهم فيهم ، وأما أنهم لم يخرجوا من الإجمال إلى التفصيل فهذا يجري في الذرية الذين لم يبلغوا حدّ التكليف في هذه الدار وليس كل الذرية الملحقة بآبائهم لم يخرجوا من الإجمال إلى التفصيل كما قلنا .

وأما تنمية البذر والبلوغ انتهى ، فاعلم أن ما في هذه الدار من ظاهر التكليف تقرير وتفريع على ما سبق في الذر ، ومن اعتذر في هذه الدنيا بجهل وقد وصل إليه علم في الذر لا يُعذر ، ومن لم يصل إليه في الذر علم تفصيلي ولا إجمالي لا يلزم عليه ولا يعاتب إلا بعد أن يعلم يوم القيامة ، والله سبحانه أخبر عن طوائف من هذه الذرية أنهم علموا في الذر وإن لم يظهر منهم علم في الدنيا بقوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ ﴾ فقال للملائكة اشهدوا على إقرارهم فقالت الملائكة : ﴿ شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُواْ ﴾ أي كراهة أن تقولوا : ﴿ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْۖ ﴾ ، يعني ولم نعلم بما كان من آبائنا وهو ظاهر في أن من الذرية الذين ما وصل إليهم البيان في الدنيا من علم قبل الدنيا في الذر ، ولهذا أشهد على إقرارهم ملائكته والتعفين في أرض القابليات له مراتب كثيرة منها قبل خلق عقل الكل ومنها فيه ومنها في الروح الكلية في النفس الكلية وفي الطبيعة وفي الهباء وفي الأفلاك وفي السحاب والأرض والنبات والمعدن والأصلاب مع الأرحام .

وفي هذه المراتب كلها قد حصل التعفين في أرض القابليات ومهاوي النزول ولكل رتبة عناصر بنسبتها إلى أن وصل الكون إلى هذه الدار ، ثم تكرر الولادات من الخروج إلى الدنيا ومنها إلى القبور ، وهكذا إلى المحشر وهكذا وبالجملة فلهم اكتساب طبيعي من جهة القابلية ومن جهة التكليف الوجودي ومنهم من له ثواب التكليف الشرعي إلا أنه لم يصل إلى رتبة أبيه في الجنة ، فيلحقه الله بأبيه في درجته كرامة لأبيه ، وفي الحقيقة إنه يناله ثواب

حسنات من فاضل حسنات أبيه فيثاب عليها فينال بذلك وبالفضل درجات أبيه .

وقولكم : لا الدار الآخرة انتهى ، مبني على ظاهر الأمر وأما الأمر الواقعي فهو أن التكليف كله جرى في القدر في عالم الأظلة وتقريره وتأكيده تكليف الدنيا لمن محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً ، وغيرهم يرجي تكليفهم إلى يوم القيامة وهم المذكورون في الأخبار مثل رواية زرارة عن أبي جعفر عليهما السلام قال : (**كان [إذا كان] يوم القيامة احتج الله على سبعة على الطفل الذي [والذي] مات بين النبيين ، والشيخ الكبير الذي أدرك النبيّ وهو لا يعقل ، والأبله والمجنون الذي لا يعقل ، والأصم والأبكم ، فكل واحد يحتج على الله عزّ وجلّ قال : فيبعث الله تبارك وتعالى إليهم رسولاً فيؤجج لهم ناراً ويقول : إن ربكم يأمركم أن تثبوا فيها ومن وثب فيها نجا وكانت عليه برداً وسلاماً ومن عصى سيق إلى النار**) انتهى .

وهذا التكليف الذي هو العرض على الفلق هو بعينه قبل هذا العالم في الذر كان معنى ، ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ هو العرض على الفلق فكان الزرع والتنمية في الذر الأول والذر الثاني ، وفي هذه الدنيا وفي الآخرة ولكل مرتبة أهل ، والحاصل كل من لم يمحض الإيمان والكفر محضاً فمن زرعهم وتنميتهم ما يأتي يوم القيامة ، وهذا لا إشكال فيه ولا توقف عندي فيه واختلف العلماء في أطفال المشركين والكفار نقل محمد تقي المجلسي رحمه الله في شرحه على الفقيه قال فيه مذاهب كثيرة فذهب بعضهم إلى أنهم من خدم أهل الجنّة لقوله تعالى : ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ

عَلَيْهَا﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : **(كل مولود يولد على الفطرة)** ، ولم يقع منهم ما يوجب العقاب ويريد صاحب هذا القول أنهم على فطرة الإسلام في الباطن ، وأما الحكم بإلحاقهم بآبائهم في الكفر فهو حكم شرعي في الدنيا .

قال رحمه الله : وذهب بعضهم إلى أنهم أصحاب الأعراف وفي الأخبار ما يدل عليه أقول : وهذا القول مجمل وبيانه ما قلنا من تجديد التكليف بالعرض على نار التكليف يوم القيامة .

قال رحمه الله : وذهب جماعة إلى أنهم تابعون لآبائهم في دخول النار ولا يلحقهم ضرر النار ولا غيرها . أقول : وهذا القول ليس بشيء إذ لا دليل عليه بل الدليل على خلافه ، وقوله : ولا يلحقهم ضرر النار ولا غيرها لا يدفع عنه الاعتراض عليه .

قال رحمه الله : وجماعة إلى أنه يحتج عليهم بتكليف في القيامة فإن أطاعوا أُدخلوا الجنّة وإلا أُدخلوا النار أقول : هذا حق ، ثم اختلفوا يعني أهل هذا القول في أنه هل يطيع منهم أحد أم لا ؟ أقول من جوز إطاعة بعضهم فقد أصاب .

قال رحمه الله : وذهب جماعة إلى التوقف وهو الأسلم لولا الأخبار أقول : لا معنى للتوقف .

قال رحمه الله : وجماعة إلى أنه لو علم الله أنهم لو بقوا وكلفوا أطاعوا أُدخلوا الجنّة وإلا أُدخلوا النار وحجتهم أخبار لا تدل على مطلوبهم .

أقول : ما ذكرنا قام الدليل عليه عقلاً ونقلاً ، وأما أطفال المؤمنين فقالوا : إنهم ملحقون بآبائهم ولا تكليف عليهم ولعل هذا

هو المعروف عند أكثر العلماء لما دلت عليه إطلاقات بعض الروايات مثل حديث ، (**تناكحوا تناسلوا فإني مباه بكم الأمم الماضية والقرون السابقة يوم القيامة ولو بالسقط وإنه ليقف محبنطئاً على باب الجنة**) إلخ ، وفي توحيد الصدوق عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام قال : (**إن أولاد المسلمين هم موسومون عند الله عزّ وجلّ شافع ومشفع ، فإذا بلغوا اثنتي عشرة سنة كتبت لهم الحسنات فإذا بلغوا الحلم كتبت عليهم السيئات**) انتهى .

وفيه بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**إن الله تبارك وتعالى كفل إبراهيم وسارة أطفال المؤمنين يغذونهم من شجر في الجنّة لها أخلاف كأخلاف البقر في قصور من در ، فإذا كان يوم القيامة أُلبسوا وطيبوّا وأهدوا إلى آبائهم فهم مع آبائهم ملوك في الجنّة**) انتهى .

وفي رواية أبي بصير ما يقرب من هذا المعنى والذي أنا عليه من الاعتقاد أنهم أيضاً مسؤولون لمفهوم قوله تعالى : ﴿ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ ﴾ ولما رواه زرارة رأيت أبا جعفر عليه السلام صلّى على ابن لجعفر عليه السلام صغيراً إلى أن قال : فقلت له : سئل عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قال : (**نعم سُئل عنهم فقال صلى الله عليه وآله إن الله تبارك وتعالى أعلم بما كانوا عاملين**) ، ثم قال : (**يا زرارة أتدري ما قول الله أعلم بما كانوا عاملين**) ، قال : فقلت : لا والله فقال : (**لله عزّ وجلّ فيهم المشيّة أنه إذا كان يوم القيامة احتج تبارك وتعالى على سبعة على الطفل**) ، وساق الحديث بمعنى الحديث السابق في السبعة المحتج عليهم ولما تدل

عليه أحاديث النطف التي تقع على البقول والثمار ، (**فما أكلها مؤمن أو كافر إلا وخرج من صلبه مؤمن**) انتهى .

وأحاديث الذر ، (**فمن ثم يلد المؤمن الكافر والكافر المؤمن**) وما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ﴾ وأمثال ذلك والأدلة العقلية أيضاً وما ورد مما يوهم أن المؤمن يلحق به ابنه وأن أطفال المؤمنين مع آبائهم مما تقدم وغيره ، فالمراد منها ما كان من أهل الإجابة في الذر وإلى هذا أشار صلى الله عليه وآله بقوله : (**الله أعلم بما كانوا عاملين**) ولما ورد (**إن المؤمن إذا زنى لا يولد له**) ، مع أن من المعلوم خلاف ذلك فيكون المعنى لا يولد له من الزنى مؤمن طاهر وإنما يولد له ولد زنى وليس بولد له شرعاً فلا يولد له فإذا ورد أولاد المؤمنين فيعني الأولاد المؤمنين لا كل ما تولد منهم ولهذا رد كلام نبيه نوح عليه السلام حيث قال : (**إن ابني من أهلي ، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح**) .

وأما ملاحظة الترقي في السير فهو من الولادة لا من التولد الذي هو مترتب على البذر والزرع لأن الولادة لها حكم غير حكم الزرع من أن المولود قد يتبدل عن طبيعة أبوية بالتعلم والمصاحبة والمخالطة والأغذية والأهوية والأوضاع الفلكية وأمثال ذلك وأضدادها ، ولا ريب أنها أعمال واكتسابات فيشقى بها السعيد ويسعد بها الشقي ويقصر بها السابق ، ويسبق بها المقصر ويجري هذا في الصغار كما يجري في الكبار ، بل في الجمادات كما يجري في الحيوانات وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : (**لتبلبلن بلبلة ولتغربلن غربلة ولتساطن سوط القدر**

حتى يعود أعلاكم أسفلكم وأسفلكم أعلاكم وليسبقن سباقون كانوا قصروا وليقصرن سباقون كانوا سبقوا) انتهى .

وأما تأويل قوله تعالى : ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ فهو مما أشرنا إليه من أن المزيد ليس ظاهراً من الأعمال والاكتساب فلا يدخل في الزرع لأنه قال : ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ وما عنده ليس في الظاهر من العمل والمزيد ظاهراً في الفضل لا في العمل ، وأما في الباطن فهو من العمل الوجودي لا التشريعي والآباء وأطفالهم بل والجمادات فيه سواء لا يختلفون إلا من جهة صفاء القابلية ، فلا يكونون كالأكمه ولا الخفافيش لأن ما نقص من صفاء قابلياتهم ومن أعمالهم الوجوديّة يكمله فاضل حسنات آبائهم ، وما نقص من تكميل ذلك الفاضل بفضل الله تعالى يكمله والله ذو الفضل العظيم ، وأما مقتضى الاستعداد الذي عبرنا عنه بالقابلية والأعمال الوجودية فهو بعض أسباب التكميل كما ذكرنا فراجع ولا تعطيل في الوجود بجميع مراتبه لأنه سبحانه : ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وهو سبحانه : ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ .

قال : سؤال ـ قال الشيخ محمد القمري في السرّ الرباني الذي كتبه في علم الميزان حاكياً عن الجلدكي في نهاية الطلب ، فإن اقتدر مقتدر على استخراج الماء الحلّال بحيث إذا ألقى فيه شيء من النفوس والأرواح والأجساد والبرادات ينحل ويتغرق فإنه يصل بذلك إن كان عالماً باستخراج الجزء الصالح منها وزوال العرض الفاسد في أسرع الأوقات وأقربها ، وظاهره أنه لو ألقى فيه مادة إكسير القوم لبلغ إلى حدّ التفصيل ، وتمييز المياه الثلاثة عن الأرض وامتياز المياه الثلاثة بعضها عن بعض فهل هو كذلك أيها

النحرير ، إذ يقال لي إن لا ينبئك مثل خبير ولا تكتفون ببلى ونعم بل تبسطون ببسط الكيفية موائد النعم ، والعجب أنهم قالوا : لا يبلغ في العالم شيء رتبته مادة علمنا ولا يكتفون بالمياه الحاصلة منها ويطلبون الحلالة الحاصلة من غيرها كالمعشر .

أقول : يريد به ما مثل به الجلدكي للجواني بالبراني لأن الجلدكي في كتابه هذا شارح للمكتسب وهو موضوع للجواني ، ولكن لما كان البراني ، بل جميع ما في العالم لا يكون فيه شيء من ذات أو صفة ، إلا وهو في الجواني فيمثل له في أجزائه وأركانه وطرقه بما يشابهها من البراني ، وما كان في البراني من النفوس كالكباريت والزاجات ومن الأوراح كالزيابق ومن الأجساد كالمعادن ومن الأرضين كالبرادات إذا طهرت من الغرائب التي فيها حتى يستخلص منه الأجزاء الصالحة ، وحلت في المياه الحلالة كالمعشر ومرمياسوس وتعقد وتحل حتى تثبت وتكون مصابرة للنار ، ثم تجمع بنار السبك بعد تعديل موازينها وطبائعها على طبق ما يراد من شمس أو قمر ، فإن حارها إذا التقى بباردها سخّنه الحار بنسبة قواه وبرده البارد بنسبة قواه .

وكذلك الرطب مع اليابس فتعدل اعتدال المراد فيتولد منها مزاجه فيكون على الحقيقة كاملة لأن أصل جميع المعادن من طرقها وغيره مركب من زيبق وكبريت ، واختلفت المعادن بحسب كميتهما وكيفيتهما وصفائهما ونضجهما وعدمه ، فإذا عدل الكم والكيف في الطبيعة بالوزن الحق كالقطب المراد والصفاء وعدمه بإزالة الغرائب والنضج وعدمه بطبائع بعضها مع بعض بتمازج بعضها ببعض بالسبك ، وصل المدبر لذلك بالتدبير الحق في أسرع

الأوقات وأقربها ، وهو يشير إلى نظائر تلك الأشياء من الكم والكيف والتصفية والنضج المقصود من العمل الجواني ، فإن فيه الزيبق والكبريت والجسد والماء الحلّال ، الذي شبب بنوشاذره في آخر مرتبة النبات وهو الذي عناه الشذوري في قافية الهاء بقوله :

وهـذا هـو الـمـدفـون بـيـن رمـوزنـا
وهـذا هـو الـمـدفـون فـيـمـا خـبـيـنـاه

وهـذا هـو الـسـمّ الـذعـاف فـعـش بـه
هـنـيـئـاً فـقـد نـال الـمـنـى مـن تـمـنـاه

عـلـى أنـه لـو سـقّـى الـنـيـل دانـقـاً
هـدافـاً بـمـاء فـاتـر مـنـه هـراه

وقال أيضاً في قافية الميم يصف الماء وحل الجسد به فيه قال :

وصـيّـرهـمـا بـالـيـبـس صـخـراً فـإنـمـا
عـقـدت بـهـا مـنـه لـعـاب الأراقـم

وقـد نـلـت سـمّـا يـفـسـخ الـجـسـم مسّـه
بـلـمـس بـنـان أو بـشـم الـخـيـاشـم

وقد يطلق الحلّال على الماء الأول لأنه هو الذي يحرقون به الأرض ويهدمون به الصخر إلا أن المراد به في كلامه هذا حيث مثل بالماء الحلّال في الجواني مثل مرمياسوس ، والمعشر إنما هو هذا الماء الإلهي بعد تشبيبه بالنوشاذر ، فإنه يحل جسد أرضهم ويقيد أرواحها ويقطع شعلة كباريتها بدليل قوله في أسرع الأوقات ، وأما أن ظاهره أنه لو ألقى فيه مادة الإكسير إلخ ، فهذا لا يبعد من

الصحة إذا دبر على ما بيّنوه ولكنه من الأعمال البرانية وطرقها كثيرة مذكورة في الكتب الخذخذية ، وفيها أعمال صحيحة بأصباغ لونية ثابتة لا كونية ، نعم إذا سلك بها تدبير الجواني كُونت بإذن الله تعالى وأكثرها لا يصح ، وأما ما كان من العمل بتعديل الموازين على ما ذكروه فهو صحيح كوني لا تكويني بمعنى أنه يكون ذهباً أو فضة صحيحة في الواقع ، ولكن لا يكون منها الأكاسير المكونة وإن حصلت منها الصابغة [الصابغة] الثابتة المكونة [الملونة] إلا بالتدبير الإنساني بأن تأخذ المادة وإن كانت مختلفة برانية فتجعلها كيلوساً ثم كيموساً ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظاماً ثم تكسوها لحماً ثم تنفخ فيها الروح الفرفيرية ، فهناك تقوم مولودك وهو كريم بالكرم المعروف وبالأجساد الناقصة الضعيفة بر عطوف شجاع يهزم الصفوف ولا يكترث بالألوف .

وأما ما يتعجب منه أنهم قالوا لا يبلغ في العالم شيء انتهى . فقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدم من أن مادة حجرهم تحصل من كل شيء في العالم لأنه لا يوجد شيء في الأرض من الربع المسكون من جماد ونبات وحيوان إلا وهو مركب من الطبائع الأربع إلا أنه قد تكون في شيء معتدلة وفي آخر متفاوتة ، والحكيم يأخذ مادة الحجر من شيء تكون الطبائع فيه معتدلة اعتدالاً إنسانياً ولهذا كان الأكثر أخذوه من الشعر لأنه شقيق الإنسان ، فتكون الطبائع فيه معتدلة كالإنسان وبيانه أن الإنسان إذا أكل طعاماً طبخته معدته فأخذت الصفو منه ويسمى كيلوساً وقذفت الطبيعة ثفله بولاً وغائطاً ثم تطبخ الكيلوس كيموساً فمنه يتكون الغذاء ومنه النطفة التي هي مادة الحجر الذي يكون منه الإنسان الآدمي ، وتقذف الطبيعة ثفل

الكيموس إلى أقطار البدن ، فيتكون منه الشعر فصفوه ينبت في الرأس ومنه النطفة التي هي مادة الحجر الذي يكون منه الإنسان الفلسفي ، فهو شقيق الإنسان وأخوه الأصغر لأمه فاعتدال الطبائع تقارب اعتدالها في الإنسان حتى أن من يعمل منه عمله لا يحتاج إلى جميع الأوزان ، ويقول إن الطبائع فيه معتدلة ولا يختلف شيء منها عن مقتضاه لأن الطبيعة لا تغلط وإن أخذ الحكيم المادة من الأشياء المختلفة احتاج إلى الوزن والتعديل بالحق وهو تأويل قوله تعالى : ﴿وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي الطبيعي ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ ، يعني الأركان الأربعة ، ﴿وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ كالتسعة الرهط الذين يفسدون في الأرض وهي التساقي الثلاث والست فإن بكل واحدة يخرج من الأرض مفسد حتى تكون مقدسة مباركاً فيها للعالمين وباقي السؤال أشرنا إليه في كلامنا هذا .

قال : سؤال ـ ومن المشكلات المهمة الاستبانة اللازمة الإبانة والإعانة على الطالب للعلم بها من قديم الزمان المتشبث بذيل الاستعانة ممن يعتقد أنه مؤيد من عند الله سبحانه ما ذكره بعض أفاضل علم الحروف في الاستنطاق وتحصيل الجواب من أي سؤال أريد على الإطلاق ، وها أنا أذكره من الضابط وإن طال رجاء لإزالة الإشكال من جنابكم المفضال ، إذ أنتم ممن تشد إليهم الرحال والسفر انش من بقية خير آل عليهم صلوات الملك المتعال وأرجو منكم الشرح الوافي والبسط التام الكافي وإيضاح ما لعله يستشكل وإبراز ما لم يبرزه أو سول وهو في تحصيل جواب المعول أو من جملة المتممات العمل بإيراد مثال معمول وتطبيق القانون

عليه وحل جميع ما استشكل من المسؤول ، وأرجو أن يكون كسائر أجوبتكم الشريفة المستوفية للكلام على المقاصد والمهام ، بحيث لم يؤت بما يدانيه فضلاً عما يساويه من سبق من العلماء المشاهير الأعلام مرآة لمشاهدة كمالاتكم ولسان صدق موجباً لرفع درجاتكم بالثناء المتوافر والمدح المتكاثر ممن يشاهده وينتفع به من الأكابر ، قال ذلك الفاضل : واعلم أنك إذا أردت استخراج سرّ من الأسرار الظاهرة والباطنة فخذ لها طالع السائل وطالع المسألة وانطق بحروف أوتاده الأربعة واستنطق الأعداد مع حروفها واستفتح الجواب فإنك تجد السؤال بلفظه أو بمعناه .

أقول : أما هذا الفن فلم أستعمله ولم يكن عندي من مصنفاته شيء وليس لي به أنس إلا ما أفهم من العبارة ، فإن كانت صحيحة تامة قلت بما أعرف فيها وإلا فالخطأ بيننا مقسوم وهذا هو الميسور ولا يسقط بالمعسور .

فقوله : خذ طالع السائل هو أن تسأل عن اسمه واسم أمه وتحسبهما بالجمل الكبير وتسقط اثني عشر اثني عشر ، فما بقي من العدد مما لم يتجاوز الاثني عشر فتعد بقدره من البروج الاثني عشر مبتدئاً بالحمل فما انتهى إليه العدد فهو طالع السائل ، وأما طالع المسألة فانظر حين أتاك السائل أي برج هو طالع الدنيا فهو برج المسألة وأوتاده في الحالين رابعه وسابعه وعاشره واستنطاق أعداد حروفها على هذه القاعدة ، هي كسور كل حرف من الكسور التسعة وهي النصف والثلث والربع والخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر ، وهي التسعة الكسور على كل قاعدة كافية في الاستنطاق وقد يحتاج إلى أنصاف ما يزيد على الخمس من السدس

إلى العشر كنصف السدس ونصف السبع ونصف الثمن ونصف التسع ونصف العشر ، تقوية لقوى الحرف إذا كانت ضعيفة وليس بمطرد ، فالاقتصار على الكسور التسعة مطرد لخصوص لفظ اسم الكسر ، وتعينه فينسب إلى أبيه المتولد منه بخلاف النصف فإنه لم يتولد من خصوص الكسر بعينه ، بل هو اسم كلي يظهر فيما ينسب إليه وإنما جاز للاحتياج إليه ويكون حينئذٍ ابناً لما نسب إليه بالنسبة لا بغيرها ، لأنه بتلك الإضافة يتعين له فيقال عليه وإنما اشترط أخذ الطالع في السؤال ، لأن السؤال إنما يتم كونه بشرائط وجوده وحيث كانت الأشياء مؤجلة بالأوقات وجب أخذ الوقت في السؤال ، ولما كانت الآنات لم تكد تتعين ولهذا لم يوضع لكل آن اسم خاص به لتشابه الآنات وسياليتها واندماج بعضها في بعض وكانت أربابها متعينة متميزة بالأسماء الخاصة بها ، وجب أخذ أسماء أربابها ، فاعتبر طالع السائل لتقوّم المسألة بإيراده فلطالعه جزء السببية الفاعلية وطالع المسألة لأنه جزء السببية القابلية ، والشيء يتقوّم بأحد سببيه ولهذا يستغني العامل في تقوّمه بطاعة وجوده وبمعصية ماهيته .

ولما كان لكل سؤال حق أو باطل جواب حق دلّ ذلك على أن بين السؤال والجواب نسبة ، هي نسبة ما بين الأنثى وبين ذكرها التي خلقت من نفسه لأن الأنثى خلقت من نفس الذكر قال الله تعالى : ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ فالزوجة المخلوقة من نفس زوجها لا تقع بينهما مفارقة حقيقة لا في الدنيا ولا في الآخرة ، وإن تزوجت بغيره ظاهراً لأجل العلاقة الذاتية بخلاف من تزوجت به ظاهراً لغرض زائل ، كأن يكون تزوجها

لمالها أو لجمالها أو لرحالها ، فإن هذا علاقة دنياوية فإنها زائلة بزوال العلاقة ، ولا كذلك الذاتية فهو مفرق في أبويه فالنسبة بينهم حقيقية وصادقة ، ومن تولد من ذي العلاقة العرضية فهو مستودع في أحد أبويه ، فالنسبة بينهم قد تكون عرضية وكاذبة وروي عن علي عليه السلام : (**إن السؤال ذكر والجواب أنثى**) والكلام هنا مبني على الوجه الأول فإذا أقمت السؤال الذي هو الأنثى .

فاعلم أن بينه وبين جوابه الحق مناسبة ذاتية ، لأن السؤال في أصل الوجود تكوّن من نفس الجواب وكما أن بين معنييهما مناسبة ذاتية ومشابهة أصلية ، كذلك بين ظاهريهما تلك المناسبة والمشابهة لأن بين كل ظاهر وباطنه تلك المناسبة ، فحقيقة هيئة الجسد تشابه حقيقة الجسد تشابه حقيقة هيئة الروح ، وحقيقة هيئة اللفظ تشابه حقيقة هيئة المعنى ، وإلى هذا أشار أمير المؤمنين عليه السلام (**الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ**) ، ولما كان السؤال على ما أشرنا إليه متضمناً للجواب وقد كان بينهما ظاهراً وباطناً المناسبة الذاتية وجب أن يكون لفظ السؤال متضمناً للجواب وقد قررنا بعض مسائلنا وفي مباحثاتنا أن بين الألفاظ والمعاني مناسبة ذاتية وهي ما بين مادة اللفظ ومادة المعنى من المناسبة والمشابهة ، وما بين هيئة اللفظ وهيئة المعنى .

كذلك وبيّنا أن وجوه المناسبة لا تنحصر في الشخصية ، بل قد تكون فيها وفي النوعية بل وفي طباع المستعملين ، كما قد كان الدلو في العربية دول في الفارسية فكان اختلاف هيئة اللفظين لاختلاف نظر الواضع إلى آلة الوضع من هيئة حال الطبعين ، ومقتضى هذه المناسبة بين الهيئتين أن تكون المناسبة موزعة

فمناسب أول المشابه هو أول التشبيه وأوسطه أوسطه وآخره آخره ، فوجب أن تكون حروف السؤال وحروف مقومات قابليته لحق الجواب من الطوالع والأوتاد وأربابها وغيرها ، كذلك بالنسبة إلى حروف الجواب فتكون مناسبة الحرف الواحد بالنسبة إلى مشابهه قد توجد في طالبه بالنسبة إلى الطبائع والغرائز كطلب الناري للهوائي أو بالعكس في ترفعه أو في مواخيه ، كالدال والذال ، أو في الأعداد كالميم للدال ، أو في المراتب الأبجدية كالهاء للدال ، أو جمع حرفي الطالب والمطلوب ليستنطقا أو في ضربهما كذلك ، أو في تضعيف الحرف الواحد كالحاء من الدال أو في كسور الحرف كالدال مثلاً ، فإن حروف قواها الجيم والهاء والميم والتاء ، أو في حاصل ومستحصل أو غير ذلك ولأجل كل مناسبة طريق يخصها على ما اشتمل عليه سفر آدم عليه السلام ، فإنه مشتمل على ثلاثمائة وستة وستين طريقاً والذي يظهر لي أن السؤال المكتوب جميعه من طرق متعددة ، وإن كان لو جمعت في طريق واحد صحت وكانت أكمل لما ذكروا أن المركّب كلما كثر تكليسه وتكريره وسقيه ازداد نعومة وقوة حتى ابن ارفع الرأس الشذوري .

قال : فيما ذكر أن تبسط اسم الطالب ثلاثمائة أو ستين مرة وتكسره مع حروف ذلك البسط خالصاً ، فإنه يفهم منه جميع أحوال السائل من الماضي والحال والمستقبل انتهى .

وأول هذا السؤال قاعدة مبنية على اعتبار الكسور كما يأتي ذكره وبيان ما أشرنا إليه من توجيه أخذ أحد هذه الطرق نعرفها من جهة الدليل القطعي لا من جهة أني عارف بكيفية هذه الاستعلامات لأني غير عارف بها ولم أكن بصددها ولا أتعاطاها وليس لعدم جواز

الاستعمال شرعاً ، بل لعدم الاطلاع المفيد ولعدم الطلب .

قال سلمه الله نقلاً : وبيان ذلك أنك تنظر إلى طالع السائل وطالع المسألة ، فتخرج عدد حروفه بالجمل الكبير .

أقول : الأكمل في العمل أخذ طالع السؤال وطالع السائل وأوتارها واليوم والساعة وطبع القمر واسم السائل والشهر وعام السؤال من الهجرة النبويّة ورب الطوالع واليوم والساعة والحملة مع ذلك كله أخذ طالع المسؤول ، والمراد من أخذها هنا أخذ أعدادها بالجمل الكبير لتستخرج حروف كسور الحرف كما يأتي مثاله ، ولكل طالع تأخذ رابعه وسابعه وعاشره وأربابها وتستخرج حروف كسور حروفها وكذا تفعل بحروف السؤال .

قال نقلاً : مثاله إذا كان الطالع برج الحمل ، تأخذ رابعه السرطان وسابعه الميزان وعاشره الجدي وهو أقواهم .

أقول : هذه أوتاد الفلك وعليها العمل وفي كل صورة أخذت الأوتاد كانت مشتملة على طبائع العناصر الأربعة النار والهواء والماء والتراب ، وقصد ذلك هو أحد الأسباب الموجبة لأخذ الأوتاد ، لأن ذلك من أسباب حصول الجواب بالتوليد من السؤال والطوالع وأربابها وما يلحق بذلك من الأوقات ولوازمها ، كما مرت الإشارة إليه وكون الرابع أقومهم لعل المراد منه أن كونه أخيراً يقتضي تمام السببية كرتبة الحيوان للأدوار الأربعة ولاجتماع قوى الشيء في تمامه .

قال نقلاً : فتسقط من كل برج حرفي التعريف ، ثم تنظر ما يخص كل حرف من الأعداد المنطقة أي النصف والثلث والربع إلى

العشر من غير كسر ، ثم تبسط تحت كل حرف ما يخصه من أعداد العناصر .

أقول : إنما لم تحسب الألف واللام لعدم اختصاصها بما تدخل عليه من الأسماء ، فلا تأثير لها في شيء من السببية لإتمام السببية ، وإنما تؤخذ حروف الكسور لأن الكسور أجزاء قوى الحروف المنطقة والمستنطق منها مستنطق من الحرف ومتولد عنه ، بل منه فهو أب لتلك الحروف وهي من حيث كونها متولدة أولاده ، والمراد بالمنطقة الكسور التسعة الناطقة بكسرها وقوله تحت كل حرف أنك تكتب الحرف ، ثم تلحقه في سطره بحروف كسوره ، ثم الحرف الثاني ، ثم حروف كسوره وهكذا ، وأما تقسيمها إلى العناصر فيأتي في العمل الآخر .

قال نقلاً : مثاله في طالع الحمل المذكور فترسم ح م ل فللحاء من العدد ثمانية لها النصف والربع والثمن والعشر ونصف العشر لمن يريد يدقق وهي : ك ي د ب ، ثم اللام لها من العدد ثلاثون لها النصف والثلثان والثلث والسدس والعشر وهي : ك هي ج ، وهكذا تفعل بسائر الأسئلة وحروف البروج وكل كلام ينطق به من سائر الموجودات من الإنس والوحش والهوام .

أقول : هذه العبارة فيها غلط وإنما كتبتها بصورتها ليتبين ذلك فيعرف به ما في نسخة الأصل المنقول منها هذا السؤال ، وبيان المراد أن للحاء من العدد ثمانية له النصف والربع والثمن فحروفها د ب ا ، والميم أربعون لها النصف الربع والخمس والثمن والعشر بحروفها ك ي ح هـ د ، وأما نصف العشر فلا يعتبر على القاعدة وإلا لوجب اعتبار ثلثه وربعه وخمسه وسدسه وكذا اعتبار نصف

ثلثه وربع ثلثه ، وهكذا فتكون لبعض الحروف حروف كثيرة لحصول كثير من الكسور لكثير من الكسور ولكسورها كسور ، لأن إرادة التدقيق لا تنحصر في نصف العشر إذا صحت فيه لعدم الخصوصية ، واللام ثلاثون لها نصف وثلث وخمس وسدس وحروفها يه ي و انتهى ، وأما ذكر الثلاثين فلا يجري على القاعدة أيضاً ولو صح لجاز الخمسان والثلاثة الأخماس ، والأربعة الأخماس ، وكذلك الثمن والثمنان وهكذا وكيفية بسط حروف حمل وكسروها هكذا ح د ب ا م ك ي ح هـ يه ي و انتهى ، وكذلك تفعل بحروف باقي الأوتاد وأربابها والأوقات كاليوم والساعة والسنة والشهر كذلك ، فإذا أردت أن تضم إليه قطب الأقاويل ، وهو البيت المذكور في الزايرجة البستية لمالك بن وهب من تلامذة أبي العباس البستي وهو هذا البيت :

سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذاً

غرايب شك ضبطه الجد مثلا

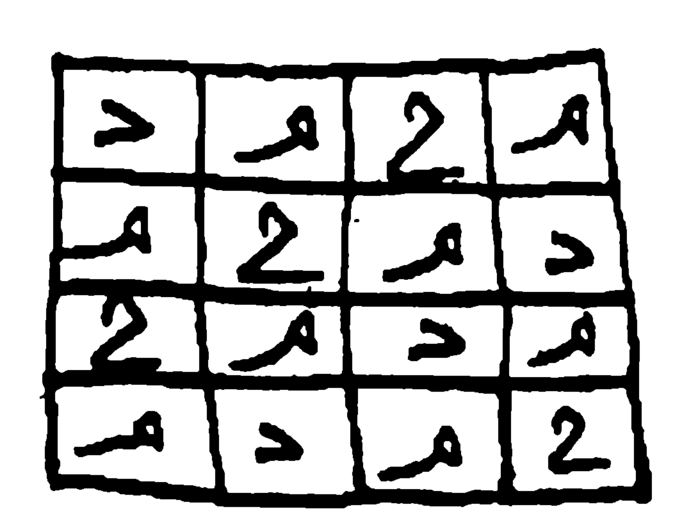
تبسطه كذا س و ا ل ع ظ ي م ا ل خ ل ق ح ز ت ف ص ن ا ذ ا غ ر ا ي ب ش ك ك ض ب ط هـــــ ا ل د د م ث ث ل ج ا فيحصل منه عندك ثلاثة وأربعون حرفاً ، لأن الحرف المشدد حرفان فتثبت شك هكذا ش ك ك ، والجد هكذا ا ل ج د د ، ومثلاً هكذا م ث ث ل ا فإذا بسطت السؤال وحذفت المتكرر منه وزدت فيه حرف عدد المحذوف وأردت نظمه بحروف قطب الأقاويل فاحذف من القطب كل حرف وجد في بقية السؤال ، وتأخذ حرفاً من القطب وحرفاً من السؤال إلى إخراج المزج ، فإذا نقص الممزوج عن ثمانية وأربعين حرفاً فتممها بنونات التنوين في القطب وهو نون

تنوين سؤال وإذا وشك ومن نونات السؤال وإن شئت أن تكمل العدد بحروف العلة و ا ي ، وإن شئت أن تضم على هذا النحو قطب الأمثال وهو :

لعمرك ما تدري الضوارب بالحصى

ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وبسطه هكذا ل ع م ر ك م ا ت د ر ي ا ل ض و ا ر ب ب ا ل ح ص ى و ل ا ز ا ج ر ات ا ل ط ي ر م ا ا ل ل هـ ص ا ن ع فإنه تام باعتبار الموازين الموسيقية فلا يحتاج إلى التتميم ، ثم تأخذ حروف الأوتاد الأربعة كما ذكر سابقاً مع حروف أربابها فتنظم الجميع في مربع ثمانية وأربعين في مثله بالتكسير الصغير المشار إليه سابقاً تأخذ حرفاً من السؤال وحرفاً من القطب وحرفاً من الأوتاد فإذا عمرت المربع فإن لقطت بالمفتاح سطراً ظهر الجواب بالصواب ، ومثال وضع الحروف في المربع في اسم محمد هكذا :



وإذا اردت أخذ المفتاح من هذا فخذ الحروف الأربعة التي هي أطراف القطرين أول حرف من السطر الأول وآخره ، وأول حرف من السطر الأخير وآخره وهي هنا م د ح م ، وتجمع عددها اثنان

وتسعون وتسقطها بإسقاط النار تسعة تسعة والباقي الذي لم يزد عن تسعة هو المفتاح ، وإن شئت بإسقاط الهواء اثنى عشر ، اثنى عشر ، وإن شئت فبإسقاط الماء خمسة عشر ، وإن شئت فبإسقاط التراب ستة عشر ، وإن شئت فبإسقاط أحد وعشرين وإن شئت فبإسقاط المنازل ثمانية وعشرين ، فإذا استعملت أحدها فخذ الباقي والقط به فإنه المفتاح ، فإن شئت أسقطت اثنين وتسعين كما مثلنا بإسقاط النار تسعة تسعة بقي اثنان فالقط في المثال بالباء على مشي الفرس مثلاً م د م ح م ح م د د م ح م ح م د م ، وإن شئت فيمشي الفرزان ففي المثال م م م م د د د م م م م ح ح ح ح ح ، وأن شئت ان تلقط بباقي رب الساعة مثلاً لو كانت ساعة السؤال الرابعة من يوم الأحد فربها القمر فإذا أسقطته بإسقاط النار تسعة تسعة بقي سبعة ، حرفها الزاي فالقط به ففي المثال تأخذ أول الشكل وسابعه وسابع سابعه وهكذا فعلى مشي الفرس م ح ح ح م م م م د م م م ح د م د د فإذا كسرت البقيتين والطوالع وأربابها كما ذكرنا فقد يظهر الجواب في آخر سطر من الرابع وهو السطر الذي يكون بعده الزمام ، وإن لم يظهر فإن لقطت ظهر وإن شئت أخذت نظائر آخر سطر ويكون العمل على النظائر فتكسرها سطر المؤخر في سطر واحد يظهر الجواب والطرق كثيرة ومنها أنه يؤخذ عدد السؤال بالجمل الكبير وتستنطقه وتردّ عشراته إلى الآحاد والمئات إلى العشرات والألوف إلى المئات ، فلو كان عدده مثلاً ألفاً وخمسمائة وأربعة وعشرين كانت حروفه د ك ث غ فإذا قهقرته كان و ن ق ثم تزيد علنيها حرف عددها وهو ثلاثة وهكذا و ن ق ج ثم تبسطها هكذا و ا و ن ون ق ا ف ج ى م ، وتحذف المتكرر هكذا و ا ن

ق ف ج ى م ، وتزيد عليه حرف عدد المحذوف وهو أربعة هكذا وان ق ف ج ي م د ، وتبسطها هكذا و ا و ا ل ف ن و ن ق ا ف ف ا ج ي م ي ا م ي م د ا ل ثم تأخذ حروف طالع المسألة وطالع السائل واسمه وطالع المسؤول واسمه وأوتاد الطوالع وحرف ساعة السؤال ويومه وشهره وعامه من الهجرة النبوية وأرباب جميعها وتبسط الجميع وتحذف المتكرر وتزيد على الباقي حروف عدد المحذوف وحروف عدد الباقي مع حروف عدد المحذوف كما مر ، وتجعل الجميع من البقيتين سطراً واحداً ثم تكسرها في مربع بيوته بعدد ما عندك من حروف الجميع بأي طريق من التكسير ، ثم تستبدل بآخر سطر منه نظائره فكسر نظائر صدر المؤخر فإن خرج الجواب قبلها أو فيها وإلا فكسر النظائر في مربع كما مر والقط بحرف المفتاح يظهر الجواب إن لزمت الصواب عن الخطأ ، ولك أن تلقط بحرف باقي درج الشروق بأن تنظر كم مضى من الشروق إلى طالع السؤال من درجة ثم تسقطه سبعة سبعة إن أمكن وتلقط بحرف الباقي بالفرس أو بالفرزان أو بالفرس دوراً بالفرزان دوراً وأمثال التلقط بهما معاً م ح ح م د م م د د م م د م ح ح م .

قال نقلاً : وتنظر ما الغالب من العناصر والقوى وما يتألف من تلك الحروف من الألفاظ وذلك هو جواب المسألة كائناً ما كان .

أقول : الغالب من العناصر بأن يكون أحدها أكثر حروفاً فإن تساوت في الحروف فأكثر الحروف عدداً كالقاف والياء فإن القاف غالب لأن عدده أكثر وكل ما كثر العدد كان أقوى لأن الأعداد هي القوى كل ما كثرت القوى كان أقوى ، فإن تساوت في الأعداد فأقواها في الطبيعة ، كالنار أقوى من الهواء ، وهو أقوى من

الماء ، والماء أقوى من التراب وبيانه كما يأتي مثل استخراج قوى عناصر اسم زيد فالزاي لها من الكسور سبع وهو ألف وللياء نصف وخمس وعشر وهي هـ ب ا ، وللدال نصف وربع وهما ب ا ، فكان ا هـ ب ا ب ا ، والعناصر هكذا نار (ااا هـ (تراب (ب ب) فكان قوى عناصر اسم زيد نار وتراب على ترتيب الأفلاك فالغالب النار لأن حروفها أربعة والتراب اثنان فتعمل بالحروف النارية وتحذف الترابية وتزيد على النارية حرف عدد الترابية هكذا ااا هـ ب فحينئذٍ تضيفه إلى ما خلصته من حروف الطوالع وأربابها أو إلى حروف القطب كما يذكره فيما بعد .

قال نقلاً : فصل ـ في الاستدلال على الضمائر الخفية بالقوانين الحرفية مثاله لو سئل عن مريض ما علته وما دواء علته فمره أن يسمّي شيئاً على مرضه يجعل ذلك الاسم قاعدة مع طالع المسألة والعناصر والفصل الذي يسأل فيه واليوم والساعة وإن شاء التدقيق مثلاً يسمّي السائل المرض باسم فرس .

أقول : بالقوانين الحرفية يريد به كما تقدم ذكره وكما يأتي من إخراج كسوره وطبائعه وحذف المكرر ومزجه بالقطب والأوتاد وإخراج أوتاد الحروف كما يأتي واللقط كما مر أو بالنظائر وتكسيرها .

وقوله : فمره أن يسمّي شيئاً على مرضه إلخ هو قوله : وإن شاء التدقيق فيقول مثلاً أخبرني ما مرضي الذي أنا سمّيته فرساً .

وقوله : والفصل الذي يسأل فيه يريد به أن من أسباب المرض الفصل مثلاً فصل الربيع يقتضي زيادة الدم وفصل الصيف يقتضي

زيادة الصفراء وفصل الخريف يقتضي هيجان السوداء وفصل الشتاء يقتضي هيجان البلغم ، فيكون الفصل من أسباب المرض فيدخل اسمه في حروف السؤال .

قال : فأثبت حروف الاسم مع أعدادها المنطقة بيانه ، الفاء لها من العدد ثمانون ترها م ك ي ح د .

أقول : نصفها أربعون وربعها عشرون وخمسها ستة عشر وثمنها عشر وعشرها ثمانية فهي مع وترها ف م ك يو ي ح ، فهذا الخط غلط لأن كسر الكسر لا يعتبر فلا يؤتى بالدال ولم يذكر الخمس وهو من الكسور المنطقة ولا يقال : إنه مركب وأمر حسابهم مبني على القلة والخفة لأنّا نقول : إنه يقهقر به فتؤخذ له صورة حسابه فيكون ز فيصير الحرف مع وتره ف م ك ز ي ح .

قال : ثم الراء لها من العدد مائتان وترها ق ن م ك ي .

أقول : بيانه أن نصف المائتين مئة وربعه خمسون وخمسه أربعون وثمنه خمسة وعشرون وعشره عشرون وليس يؤخذ نصف عشره كما مر ، فيكون رق ن م كه ك ، وبعد تقهقر المركب يكون ر ق ن م ز ك .

قال : ثم السين لها من العدد ستون وترها م ل ك ى هـ انتهى .

أقول : فيه ما تقدم بيانه أن الستين لها نصف ولا يؤخذ الثلثان كما تقدم سابقاً ، وإلا لأخذ السدسان والخمسة الأسداس ولها ثلث ولها ربع ولها خمس ولها سدس ولها عشر فتكون س ل ك يه يب ي و فإذا قهقرت المركب كان س ل ك و ج ي و .

قال : فإذا بسطت حروف الأسماء لا تجد عنصرين متساويين

فانظر أيهما أكثر عدداً وحروفاً فاحكم له بالغلبة على الآخر .

أقول : قوله لا تجد عنصرين متساويين يريد أنك إذا نظرت إلى هذه الحروف وأوتارها وقسمتها على العناصر الأربعة لا يكاد يتفق منها عنصران متساويان في عدد الحروف ، ولا في عدد مراتب الطبائع ولا في عدد القوى ، بل لو كانت متساوية في عدد الحروف اختلفت فمنها حار ومنها بارد ومنها رطب ومنها يابس ولو تساوت هنا لما كانت قسمته على الطبائع متساوية ، ولو تساوت في الطبائع لا تكاد تتفق في مراتبها فمنها مرتبة ومنها درجة ومنها دقيقة ومنها ثانية ، وهكذا والعمل بعد تساوي العدد في الحروف وفي عدد القوى على الغالب في الطبيعة فإن الدرجة من النار أقوى من درجة الهواء بست والهواء أقوى من الماء بست ، والماء أقوى من التراب بست على اختيار بعض وعلى اختيار آخيرين درجة النار أقوى من درجة الهواء والتراب باثنين ، ومن درجة الماء بست والمشهور عندهم أن الرتبة ثلاثون من الدرج والدرجة ثلاثون من الدقائق والدقيقة ثلاثون من الثانية والثانية ثلاثون من الثالثة ، والثالثة ثلاثون من الرابعة والرابعة ثلاثون من الخامسة .

وعند جابر بن حيان الرتبة بعشر من الدرج ، والدرجة بعشر من الدقائق وهكذا ، وأما اختلاف الحروف في عدد القوى فظاهر كما ينطق به ترتيب أبجد الألف واحد والباء اثنان والجيم ثلاثة والدال أربعة وهكذا ومعنى الجواز تساويهما في العدد حتى ينتقل إلى الغالب في الطبائع وتساوي مجموع كل من القسمين للآخر ، كما لو كان الحروف النارية مثلاً ا ط ، والحروف المائية ج ز فإن كلًّا من القسمين متساويان في العدد الحرفي وفي العدد الأبجدي فينتقل

إلى الغالب في الطبائع ، فالألف رتبة في النار والطاء دقيقة والألف والطاء على اختيار المشهور تسعمائة دقيقة وثلاثون دقيقة ، فإذا نسبنا الألف والطاء من جهة قوتها بالنسبة إلى الماء على اختيار البعض المتقدم ذكره ، كان خمسة آلاف دقيقة وأربعمائة دقيقة وست دقائق والجيم والزاي تسعمائة وثلاثون وعلى اختيار الآخرين يكون ألفين وسبعمائة دقيقة وثلاث دقائق والجيم والزاي على حالهما على قول جابر يكون الألف والطاء على اختيار البعض ستمائة وست دقائق وعلى اختيار الآخرين ثلاثمائة وثلاث دقائق والجيم والزاي مئة دقيقة وعشرون دقيقة على الحالين فيجب أخذ الألف والطاء لقوتهما فتحذف الجيم والزاي وتأخذ حرفهما فتضيفه إلى الألف والطاء فيكون هكذا ا ط ب .

قال : وانظر اسم المطلوب أيضاً من غير بسط وضم إليه عدد حروف عناصره ولفظه وكذلك اسم الطالب واحكم للأكثر والأقوى بالغلبة .

أقول : مما يضم إلى السؤال اسم المطلوب من غير بسط بأن تذكر الحروف أنفسها منفردة مثلاً ، المطلوب العلم ع ل م هكذا من غير بسط فلا تكتب ع ي ن ل ا م م ي م ، وإنما تكتب كالأول ثلاثة أحرف فالعين واللام من التراب والميم من النار فالعمل على عنصر التراب لأن حروفه أكثر فيحذف الميم ويضم إلى العين واللام حرف عدد المحذوف وهو ألف هكذا ع ل ا هذا إن كان على أخذ الحروف عبيطة وأن تصرف فيها كما هو مذكور هنا ، فالعين سبعون لها نصف خمس وثلاثون وخمس أربعة عشر وسبع عشرة وعشر سبعة فهي مع وترها على تقهقر المركبة ع ل هـ ي ز ،

واللام لها نصف ولها ثلث ولها خمس ولها سدس ولها عشر ، فهي مع وترها كذلك ل يه و هـ ج ، والميم أربعون لها نصف ولها ربع ولها خمس ولها ثن ولها عشر فهي مع وترها م ك ي ح هـ ، فإذا أردنا معرفة طبائعها كتبنا العناصر هكذا نار (هـ هـ هـ م) هواء (و و ي ي ي) ماء (ج ز ك) تراب (د ح خ ل ع) فنظرنا فوجدنا أكثرها حرفاً الهواء والتراب والهواء على المشهور واختيار البعض أربعة وثلاثون ألف ثانية وعشرون ثانية والتراب سبعة وعشرون ألف ثانية وتسعمائة ثانية ، فالعمل على أحرف الهواء وعلى اختيار الآخرين العمل على التراب لأن الأحرف الهوائية ثلاثة آلاف وسبعمائة وثمانون هذا على تقدير ترجيح الطبائع على الأعداد ، وأما على ترجيح الأعداد على الطبائع كما هو المعروف عند الأكثرين فالعمل هنا على الترابية لأن عددها مئة وعشرون وعدد الهوائية اثنان وأربعون فإذا أخذنا الترابية أسقطنا الباقي وألحقنا الباقي بحرف المسقط مثاله د ج ح ل ع ج ، وعلمنا فيه كما مر .

قال : وصفة استخراج قوى العناصر نار تراب هواء ماء ، نار «م م ج د» تراب «ن ي ي ي و» هواء «و ك ك ك» ماء «ل ح د» .

أقول : هذه الكتابة فيها تغيير غلط على تقدير فعل المصنف لأنه لا يعد الكسر المنطق إذا كان ينطق بحرفين ويعد نصف العشر ولا يذكر في التمثيل نفس الحرف ، وإن كان في العمل لا بدّ من تقديمه على كسوره وإنما يقتصر على ذكر الكسور لأجل التمثيل وبيان تصحيح التمثيل كما ذكره أن الفاء لها نصف وربع وثمن وعشر ونصف عشر وهي م ك ي ح د ، والراء لها نصف وربع وخمس وعشر وهي ق ن م ك ، والسين لها ثلثان ونصف وسدس ونصف

سدس وعشر وهي م ل ي هـ ، فإذا استخرجنا عناصرها كما ذكر تكون هكذا نار «هـ م م م» تراب «و ن ي ي ي» هواء «ك ك ك ق» «ح ح ل» وفيها نصف العشر في كسور الفاء وكذا في الراء وفي السين الثلثان ونصف السدس وليست هذه من الكسور وإنما هي كسور الكسور ، فإما أن يكون غلطاً في النسخة أو اصطلاحاً جارياً بلا ضابطة والقاعدة فيما ذكرت لك والحاصل أن العمل في مثال الفرس على الترابية كما ذكر ولو أدخل كل حرف مع كسوره في استخراج عناصرها كما هو الحال في العمل كان هكذا نار «ف هـ م م م» تـراب «و ن ي ي ي» هـواء «س ك ك ك ق» مـاء «د ح ل ر» كان اعتبار الترجيح منحصراً في النارية والترابية والهوائية كتساوي حروفها فترجع إلى الترجيح بالأعداد فيكون الاعتبار بالهوائية ، لأن عددها مائتان وعشرون والنارية مائتان وخمسة والترابية ستة وثمانون فالغلبة للهوائية .

وأما حروف فرس على قاعدتنا فنقول الفاء ثمانون لها نصف وربع وخمس وثمن وعشر فوترها بدونها م ك ز ي ح ، وللراء نصف وربع وخمس وثمن وعشر فوترها ل ك و ج ي ، فإذا أردنا استخراج عناصرها فصلناها كما مر نار «م م» تراب «و و ي ي ن ج» هواء «ز ز ك ك ك» ماء «ق ح ل» فالعمل على ما ذكرناه على الهوائية فإذا أردت العمل أخذتها وأسقطت ما سواها وتلحق بالهوائية حرف عدد الساقطة بعد إلحاق حروف فرس بها ، فالفاء تلحق النار وتأخذ لها واحداً ، والراء تلحق المائية وتأخذ لها واحداً ، والسين تلحق الهوائية فتثبت فتكون حاصل المأخوذ بعد إلحاق حروف عدد المسقط ج ز ز ك ك ك س ق ي أو على ما

ذكره و ن ي ي ي ا ، واعلم أن ترتيب الطبائع مختلف فيه فمنهم من يرتب على ترتيب البروج كما ذكره هنا في مثاله وهو عمل صحيح ومنهم من يرتب على ترتيب العناصر ومنهم من يفصل فيقول : إن كان العمل بما يتعلق بالأجسام فعلى ترتيب العناصر ، وإن كان بما يتعلق بالنفوس فعلى ترتيب البروج وهذا أيضاً صحيح .

قال : فوجدنا في هذه العناصر الأربعة الغالب عنصر التراب فطبعه بارد يابس فعلمنا أن المرض من السوداء .

أقول : إنما حكم بذلك لما تقدم من أن الحروف والأسماء بمنزلة الظاهر من المسمّى والظاهر يدل على الباطن ، فلما حصلت هذه الحروف على الترتيب الطبيعي دلت على طبيعة ما وضع بالتأليف له وهو كما قال .

قال : ثم ألفنا من الأحرف كلاماً على النسبة الحرفية فوجدنا موضع العلة في الخلق ووجدنا ما يوافقه حقنة ومن الأشربة شراب الليمون ، فهذا ما خرج من أعداد حروف الفرس .

أقول : المراد بالنسبة الحرفية ما أشرنا إليه من تكسير الحروف وتقسيمها إلى الطبائع أو ترفعها أو تقسيمها إلى مراتب الأعداد من الآحاد والعشرات وغيرهما ، وهو أن تبسط السؤال بصورة حروفه مصدراً بقولك يا علّام الغيوب وتأخذ عدد الحروف المعجمة وتستنطقها وكذلك الحروف المهملة وحروف عدد الآحاد من السؤال والعشرات والمئات والألوف ، ثم ترفع الآحاد إلى العشرات والعشرات إلى المئات والمئات إلى الألوف وتستخلص

الحاصل فتأخذ خلاصته بينات الخلاصة ، ثم حروف أعداد البينات ثم تكسر الجميع صدر المؤخر وتأخذ النظائر السبعة ومنها يظهر الجواب مثاله زيد تبسطه ز ي د عدد منقوطه ب ، وعدد مهمله ا ، وآحاده ب ، وعشراته ا فعدد حروف الاسم ثلاثة وعدده احد وعشرون فخلاصة الجميع ب ا ب ا ج ا ك فترفعها إلى ما فوقها هكذا ب ا ب ا ج ا ك «ك ي ك ي ل ي ر» «ر و و ق ش ق غ ا ل ف ي م» وبيّنات هذه والمراد بالبيّنات باقي اسم الحرف إذا أخذته من اسمه بقي البينات فألف بيّناته لف وحروف عدد البينات و ا ح د ث ل ث و ن ث م ا ن و ن ع ش ر هـ ا ر ب ع و ن فتجمع هذه الحروف المتقدمة مع حروف عدد البينات هكذا ب ا و ا ب ا ح د ج ا ث ل ك ك ث و ي ك ن ث ي ل هـ ا ي د ن و د ق ن ع د ق ش د س ق هـ ا غ غ ا ل و ن ف ي م ، فإذا أسقطت المكرر كان ب ا و ح د ج ث ل ك ى ن هـ ر ق غ ش ع ف م فكسرها صدر المؤخر وخذ نظائرها والنظائر التي تحتاج إليها هذه الطريقة سبعة وهي نظائر أيقغ وأبجد وأهطم وأحست وأفسج وأبهش وأبتث وصورها على الترتيب المذكور :

«ا ي ق غ ب ك ر ج ل ش د م ت هـ ك ت و س خ ز ع ز ح ف ض ص ظ» ، «ا ب ج د هـ و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت ث خ ذ ض ظ غ» ، «ا هـ ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض ج ز ك س ق ث ظ د ح ل ع ر خ غ» ، «ا ح س ت ب ط ع ث ج ي ف خ د ك ص ذ هـ ل ق ض و م ر ظ ز ن ش غ» ، «ا ف س ج ى ل ع م هـ ض ر ز ط غ ث ب ح ظ ن خ ق ك و ت س ص د ذ» ، «ا ب ه ش ح ذ ل ج ق و ط ص س ن ن ف ع ظ

ز ت ك ع ر خ ى د ض م» ، «ا ب ت ث ج ح خ د ذ ر ز س ش ص ض ط ظ ع غ ف ق ك ل م ن و هـ ى» .

قال : **فصل** ـ في استخراج قوى العناصر من الأسماء العلمية مثاله محمد فضع العناصر الأربعة على هذه الصورة نار «ااااا هـ هـ م م م» تراب «ب ب ب ي ي ي ي» هواء «ك ك» ماء «د د د د ح ح ح ل» يخرج لك ما في كل عنصر بالهجاء والعدد تجد الغلبة لعنصر النار في هذا المكان .

أقول : بيانه أن الميم كسورها ك ى ح هـ د ب ا فهو هنا عدد العشر ونصف العشر وربع العشر وأدخل الميم بنفسها كما هو في صورة العمل ، فتكون الميم وكسرها وكسور كسورها هكذا م ك ي ح هـ د ب ا ، والميم الثانية كذلك م ك ي ح هـ د ب ا ، والحاء مع كسورها د ب ا ، والدال مع كسورها د ب ا ، فإذا رسمناها على ما عمل كان هكذا نار «اااا هـ هـ م م» تراب «ب ب ب ي ي» هواء «ك ك» ماء «د د د د ح ح ح» فتكون الغلبة للنار ولكثرة حروفها فألفاتها أربعة وهاءان وميمان وفي النسخة غلط لأن ألفاتها خمسة والخامسة من أين جاءت والميم الثالثة كذلك ، فإن قيل : إنه يعدد المشدد حرفين قلنا : لو عدها حرفين لعد كسورها وفي التراب أربع ياءات واثنان غلط والحاءات ثلاث والرابعة زائدة في الماء وكذلك اللام زائدة لأنها إن عد ثلاثة أرباع الميم فينبغي أن تذكر مرتين لكل ميم لام ، هكذا ينبغي على ترتيبه ، وأما على ما ذكرنا سابقاً فكسور الميم معها م ك ي ح هـ د ، وكسور الحاء معها ح د ب ا ، وكسور الميم الثانية معها م ك ي ح هـ د ، وكسور الدال معها د ب ا فإذا وضعنا العناصر لوزنها كان نار «اا هـ هـ م م»

تراب «ب ب ي ي» هواء «ك ك» ماء «د د د د ح ح ح» فتكون الغلبة للماء لأنه أكثر حروفاً هذا مقتضى القاعدة ولا أعلم مقصوده فإن هذا الذي ذكره على ظاهره مخالف للقاعدة فإن كان ما ذكره على ظاهره ليس فيه رمز ولا تغيير ولا غلط فهذه الزايرجة لا تصح وإن ظهر الجواب صحيحاً لا يطابق الواقع وإن اتفق في بعض الأحوال مطابقة ما .

قال : فحينئذٍ تضيف الاسم إلى الوتر المنسوب للطالع .

أقول : المراد بالاسم المقصود فإن كان في الأعمال مثلاً جذب القلوب وتحصيل شيء مطلوب فهو اسم الطالب واسم المطلوب وتضيف اسماً من أسماء الله معناه مناسب لمطلوبك تبتدىء به أولاً ، ثم بعد ذلك تلحقه بالوتر وهي حروف الطالع ورابعه وسابعه وعاشره كما مر .

قال : أو البيت الموضوع لكل سؤال يقع وهو شعر :

سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذاً
غرايب شك ضبطه الجد مثلا

هو وتر مشهور وأمر مسطور في استخراج الحوادث الكونيّة والأسرار الغيبية .

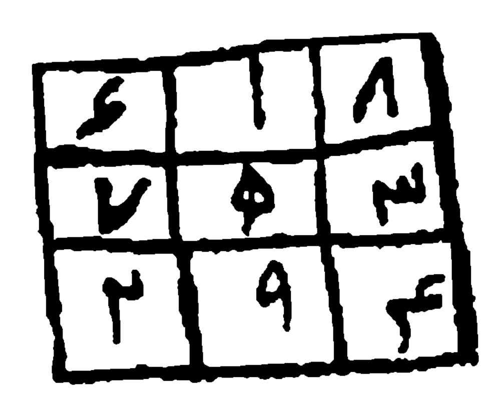
أقول : يريد أنك إذا أردت استخبار الأمور الغائبة والأحوال المستقبلة بطريقة الزايرجات فتضيف الاسم إلى هذا البيت على نحو ما ذكرنا سابقاً ويكون المراد بالاسم هنا السؤال واسم السائل ، والحاجة هذا إذا أردت الجواب يأتي منظوماً وتمزج البقيتين من السؤال ومن القطب كما تقدم بأحرف الله الهادي الخبير تبتدىء

أولاً بحرف الله وإن أردت أن يأتي الجواب منثوراً فضمه إلى قوله تعالى : ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ﴾ .

قال : وإن أردت التصرف في الأشباح وجذب القلوب والأرواح فارسم حروف اسم الطالب وحروف اسم المطلوب مع أعدادهما المنطقة وكسرهما مع الخارج منهما من الأعداد من الحروف المصطلح عليها ، ثم وفق القطر بالنسبة الحرفية وفقاً مربعاً حرفياً وارسم حوله زمام التكسير في طالع سعيد واتل عليه قسم برهتية أو قسم البرجيس فاحمله فإنك تجد العجب العجاب من جذب القلوب والتوسل إلى المطلوب .

أقول : هذا نوع من أنواع الجفر وهذه الأمور قد تقدم المنع منها ، وإنما نذكر هنا الإشارة إلى بعض بيان العبارة فاعلم أنهم إذا أرادوا شيئاً أخذوا اسم الطالب واسم المطلوب مع حروف الأوتاد ، فإن كان للمحبة والألفة والاتحاد وما أشبه ذلك اختاروا لهذا العمل بسط التجامع والتضارب والتواخي والتفوق والتضاعف والتكسير ، فأما بسط التجامع فهو عبارة عن جميع حروف الطالب مع حروف المطلوب مثلاً محمد طالب علم فتجمع الميم والعين يكون مئة وعشرة ، فإذا استنطقته كان ق ي ، والحاء مع اللام ح ل ، والميم مع الميم ف ، وهكذا وبسط التضارب عبارة عن ضرب كل حرف من حروف الطالب مع حرف من حروف المطلوب ، ففي المثال تضرب ميم محمد في عين علم يكون ألفين وثمانمئة وتنطق ض غ غ ، وهكذا وبسط التفوق أن تضرب كل حرف من اسم الطالب وهو ضرب باطن في باطن كالميم في نفسها يكون ألفاً وستمائة ينطق خ غ أو ضرب ظاهر في ظاهر كضرب رتبة الميم من أبجد وهي الثالثة

عشرة في نفسها يكون مئة وتسعة وستين تنطق ظ س ق أو ضرب باطن في ظاهر كضرب عدد ميم في مرتبته من أبجد يكون خمسمائة وعشرين ينطق ك ث ، وبسط التضاعف وهو عبارة عن تضعيف الحروف فالميم ف ، والحاء و ي ، وهكذا وبسط التمازج هو مزج حروف اسم الطالب باسم المطلوب والتكسير مضى مثاله قوله ، ثم وفق القطر يريد به نوعاً من التكسير الصغير مثاله :



فيكون أول حرف من الزمان مثلاً ميم إلى آخر بيت من المربع الميم متصل تسير فيه كهيئة مشى الفرزان ، فهذا توفيق القطر وارسم حوله زمام التكسير كما ترى في صورة المثال ، وأما قسم البرهتية فله شروط ، وأما نفس العزيمة فهي برهتية برهتية برية برية تكرية تكرية تتلية تتلية طوران طوان مزجل مزجل مزجل ترقب ترقب برهش غلمش غلمش خوطير خوطير خويطيل فلنهور قلنهور قلنهود قلنهود برشان برشان برشانة كظهير كظهير نموشلخ نموشلخ نموشلخ برهيول برهيولا برهيولا برهيولا برهيولال برهيولال بمشكليخ بمشكليخ قزقز قزقز قرمز قرمز غياها كيد هولاء شمشخاهر شمشخا شماهر شماهر شمهاهر شمهاهر بادرخ بادوخ وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير أقسمت عليكم بحق هذه الأسماء وبحق العهد المأخوذ عليكم الإنفاذ [الانقياد] فيما أمرتكم بعزة العزيز

المعتز في عز عزه وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً تمت العزيمة البرهتيتية ولها رجز واختتام ولها اعتصام .

قال : وإن استخرجت حروف الأسماء بالنسبة المذكورة خرج اليوم والساعة والبخور والدعوة وكان أنجح في العمل وأسرع في الأثر كما قال صاحب القصيدة على الوفق البرجيسي .

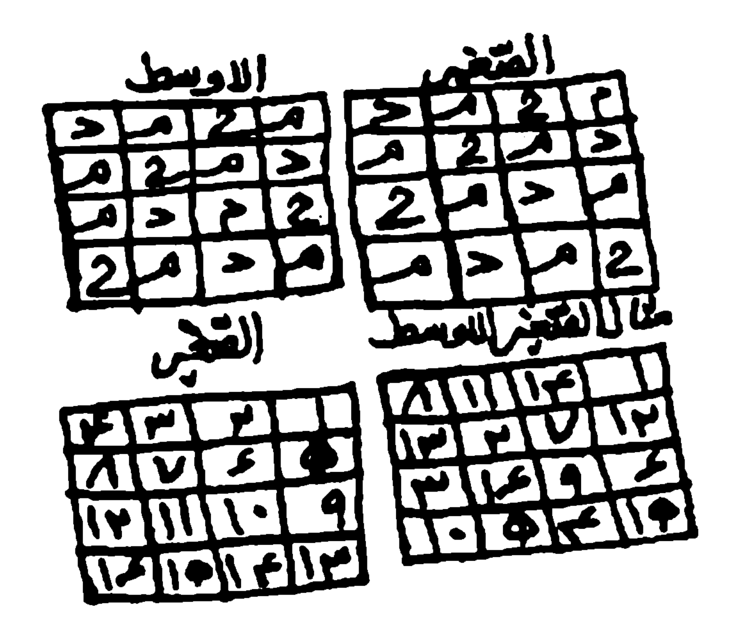
أقول : هذا نوع من طرق الزايرجات فيخرج من التكسير في اسم المربع اسم اليوم الأصلح للعمل والساعة والبخور والدعوة ، وذلك إذا كسرته كما تقدم فتفقّد حروف المربع تجدها فيه متصلة الحروف فإن لم تظهر فخذ الزمام وكسره بطريق آخر ، إما بوفق القطر أو بصدر المؤخر بحرفين أو بطريق الفرس أو الفرزان أو بتربيع السطر السؤال بأن تقسمه أرباعاً وتمشي به في البيوت حرفاً من الربع الأول والثاني من الثاني والثالث من الثالث والرابع من الرابع والخامس من الأول والسادس من الثاني والسابع من الثالث والثامن من الرابع والتاسع من الأول وهكذا وفي اللفظ بأحد المفاتيح ، فإذا تمت الشروط وقع المطلوب .

قال : واستدل على السرعة بغلبة الحرارة والرطوبة وعلى الإبطاء بالبرودة واليبوسة والعارف الحاذق يعدل ما نقص من الطالع بإضافة الأسماء الإلهية في حين اندراج التكسير على طريق الخافية الجفرية أو على طريق الزايرجة البستية .

أقول : الحرارة والرطوبة إذا كانت الأغلب في الحروف المكسرة كان أسرع لأنها علة الكون والنمو بخلاف البرودة

واليبوسة ، والعارف بالفن إذا وجد الغالب عليها البرودة واليبوسة أضاف إلى حروف الطوالع من أسماء الله ما يوافق مطلبه أو يرفعها بالترفع الغريزي بأن يبدل من الحروف الترابية ، ما هو بوزنها من الهوائية ، ومن المائية ما هو بوزنها من النارية ، فإن الترابية أنثى والهوائية ذكرها والمائية أنثى والنارية ذكرها ، ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ أو يرفعها إلى الرتبة التي فوقها لكثرة قواها ، كأن يرفع الدال إلى الميم وذلك قبل التكسير على طريق الخافية الجفرية في الأعمال في باب الطالب والمطلوب من ترتيب أحست كما روي عن الصادق عليه السلام قال ما معناه : (**خذ حروف الطالب والمطلوب من باب أحست**) ، ويوضع المربع المتساوي المربع الأضلاع والأقطار من المثلث والمربع والمخمس وهكذا إلى المربع المئة وتكسير ذلك بالتكسير الأوسط وله طرق متعددة يمشي فيها بمشي الفرس والفرزان والرخ والفيل .

وما أشبه ذلك مما هو مذكور في محله أو على طريق الزايرجة البستية التي وضعها أبو العباس البستي وقد تقدم كثير من طرقها إلا أن الغالب في الزايرجات التكسير الأصغر والغالب في الخافية الجفرية التكسير الأوسط ، ومثال التكسير الأصغر في المربع الأول والتكسير الأوسط في الثاني ، وبيان الفرق يعرف إذا رسم فيها بالأعداد بزيادة واحد في كل بيت بالنسبة إلى ما قبله في الوضع ومثال الأوسط من التكسير ، ولكل من التكسيرين طرق متعددة من أرادها طلبها في مظانها .



قال : واعلم أن في الحروف ما هو قبلي وبعدي والقبلي أحد عشر حرفاً وهي (ب ج هـ ح ط ي ك ل م س ف) والبعدي منها أيضاً أحد عشر حرفاً وهي (ع ن ص ق ش ت ث خ ض ظ غ) فهذه الحروف لها في المواصلات شأنٌ غريب وما عداها للانفصال فافهم .

أقول : إن المعروف من كلام بعض علماء الفن كما هو مفهوم من كلام صاحب السر المنير في علم التكسير ، وهذا الكتاب قد رأيت نصفه الأول وهو مجلد بقدر كتاب الشرائع للمحقق رحمه الله وهو من أجل ما صنف وأجمع من غيره وفيه قال : ومن الحروف ما له اتصال قبلي وبعدي مثل ب ج ، ونفصلة ليس لها ذلك وإن كن لها بعدي لم يكن لها قبلي كالواو والزاي هذا كلامه ، وإذا نظرنا إليها فهي اثنان وعشرون حرفاً هي قبلية وبعدية بمعنى إنها تتصل في الكتابة بما قبلها وبما بعدها والمنفصلة ستة أحرف ا د ذ ر ز و فإنها تتصل بما قبلها فلها اتصال بعدي إذا وقعت بعد وليس لها اتصال بما بعدها فليس لها اتصال قبلي فالاثنان والعشرون المذكورة قبلية وبعدية ، واستعمالها في الطالب والمطلوب له أثر

يعين على اتصال الطالب والمطلوب لما هو مبرهن عليه في علم الحكمة الإلهية التي أشار النبيّ صلى الله عليه وآله إلى جملتها بقوله : (**اللهمَّ أرني الأشياء كما هي**) بخلاف الستة المذكورة المنفصلة ، وأما ما ذكره هنا من تقسيم الاثنين والعشرين إلى قسمين أحد عشر قبلي والآخر بعدي فلا أعرف وجهه إلا أن يريد بأن الأولى لها في تقديمها مزية كما أن للأخرى في تأخيرها مزية عندهم والله أعلم .

قال : وأما العمل التام بهذا البيت على الوجه المطلوب فهو أن تبسط هذا البيت على هذه الصورة س وال ن ع ظ ي م ا ل خ ل ق ح ز ت ف ص ن ا ذ ن غ ر ا ي ب ش ك ك ن ض ب ط هـ ا ل ج د د م ث ث ل ا ، وهو متفكك ممتزج بلفظ السؤال على النسبة التكسيرية وعدد حروفه ثلاثة وأربعون لأن كل حرف مشدد بحرفين ، ثم تحذف ما تكرر من المزج في الحروف وتسقط من الأصل لكل حرف فضل من المسألة حرفاً يماثله ، وتثبت الفضلتين سطراً ممتزجاً بعضه ببعض الأول من فضلة القطب ، والثاني من السؤال حتى يتم الفضلتان جميعاً ، ثم تضيف إليه خمس نونات لتعدل بها الموازين الموسيقية فيكمل السطر ثمانية وأربعين حرفاً ثم تضع الفضلة على ترتيبها فإن كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق لعدد الأصل قبل الحذف فالعمل صحيح .

أقول : قد تقدم ما يفيد هنا فراجعه وفي النسخة كتبت نونات التنوين .

وقوله : ثم تضيف إليه خمس نونات يدل على أن كتابتها في البسط الأول في النسخة غلط .

وقوله : على النسبة التكسيرية يريد به مثل وفق القطر كما مثلنا به وهو التكسير الصغير .

وقوله : ثم تحذف ما تكرر إلخ ، يريد أنك تحذف المتكرر من السؤال وما يلحق به .

وقوله : تسقط من الأصل يريد به قطب الأقاويل وهو هذا البيت بيت مالك بن وهب المذكور هنا والمراد أن كل حرف بقي من السؤال بعد إسقاط المتكرر منه تسقط ما يماثله من القطب .

وقوله : وتثبت الفضلتين انتهى .

يريد أنك تجمع ما فضل من السؤال بعد إسقاط المتكرر وما فضل من القطب بعد إسقاط ما يماثل حروف فضلة السؤال .

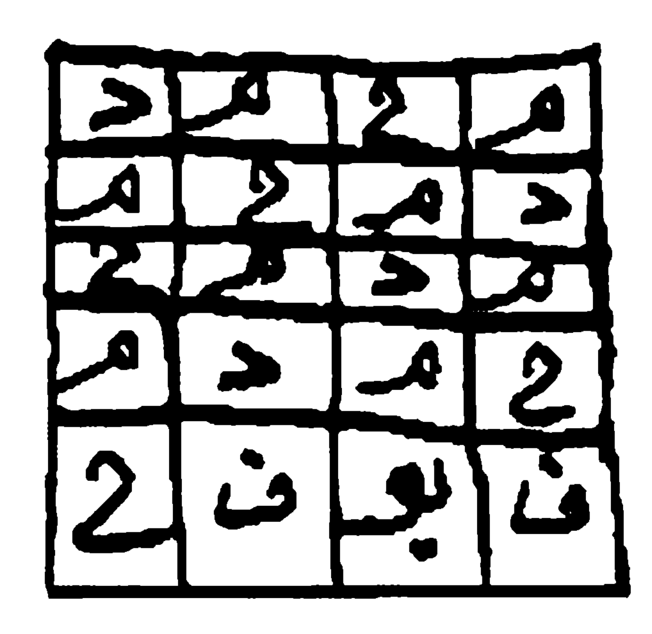
وقوله : الأول من فضلة القطب يريد أنك تقدم حروف القطب في المزج فتأخذ أولاً حرفاً من القطب وحرفاً من السؤال تضعه بعد حرف القطب وقد تقدم أنه يجوز هذا ويجوز أن تقدم السؤال وتوسط القطب وتؤخر الطوالع .

وقوله : ثم تضيف إليه خمس نونات لأنه يريد إكمالها ثمانية وأربعين وحروف القطب ثلاثة وأربعون بنون فصن ، فلم يبق في البيت إلا ثلاث نونات نون تنوين سؤال وإذن وشك فتكون نونان زائدتين ليستا من حروف القطب ولا تنويناته ، ولا فائدة حينئذٍ في خصوص النون إلا حيث كانت ملحقة بحروف القطب وتنويناته ، فجعل بعض حروف العلة كما تقدم أولى لأنها لها قيومية بجميع الحروف ، بل سائر الحروف شؤون للألف اللينية والواو والياء الساكنتان تلحقان بالألف في القيومية ، فحروف العلة أولى بإتيان نونين ليستا من حروف القطب ولا من ملحقاتها .

وقوله : فإن كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج يوافق لعدد الأصل قبل الحذف ، فالعمل صحيح مشكل ووجه الإشكال أنه لا يوافق حتى يكون جميع فضلة السؤال موجودة في القطب لأنه لا يحذف من القطب إلا ما يماثل حروف السؤال فأبقى من السؤال بعد الحذف حروف لا يوجد في القطب زادت الحروف بعد المزج قطعاً ، وإن لم يبق فينبغي أن العمل على القطب خاصة ولا فائدة في السؤال في كل صورة لأن القطب إن زاد عليه شيء لم يكن العمل صحيحاً وإن لم يزد فهو كافٍ ، فقوله : فالعمل صحيح ليس بصحيح فتأمل .

قال : ثم اعمل بما مزجت جدولاً مربعاً من ضرب ثمانية وأربعين في ثمانية وأربعين واترك في أسفله فضلة غير محظوظ بحيث تكون جداول الطول خارجة إليها يكون آخر ما في السطر الأول ، أول ما في السطر الثاني بطريق التكسير حتى يعود السطر الأول بعينه وتتوالى الحروف على الأقطار ، ثم استخرج أوتار الحروف وهو أن تربع عدد كل حرف وتقسمه على أعظم جزء فيه ، فما خرج فهو وتر ذلك الحرف فتضع لكل حرف من السطر الأعلى وتره مقابلاً له بين الاسطار الخارجة في الفضلة التي في أسفل الجدول ، ثم يعمل في تلك الأسطار علامة المتحرك وهي هذه ه‍ ، وعلامة الساكن وهي هذه ا .

أقول : عبارة الجدول المربع كما تقدم بيانه وقوله واترك في أسفله فضلة غير محظوظ يريد أن تجعل في الخطوط الطولية زيادة بدون الخطوط العرضية مثاله :



وهذا مثال الجدول ومثال التكسير فيه ومثال الفضلة في الخطوط الطولية وهذا توالي الحروف فيه على الأقطار ، واستخراج أوتار الحروف كما تقدم أن تضرب الحرف في نفسه وتقسمه على أعظم جزء فيه يعني أعظم كسر فيه ، فالخارج من القسمة استنطقه وهو وتر ذلك الحروف مثاله م في هذا الشكل تضرب عدده في نفسه يحصل ألف وستمائة إذا قسمته على أعظم جزء فيه أي في الميم وهو النصف عشرون يخرج ثمانون ، فإذا استنطقتها كانت فاءً فتضعه مقابل الميم تحته كما ترى في الجدول ، فالفاء وتر الميم ويو هو وتر الحاء والحاء وتر الدال وحاصل القاعدة إن كان عدد الحرف زوجاً فاضربه في اثنين ، وإن كان فرداً فاضربه في نفسه والحاصل هو الوتر ، (**ولما كان**) باقي السؤال مرموزاً ولم يكن للمجيب معرفة تامة بالعلم ويحتاج إلى آلة من كتب أهل الفن وإلى تجربة في الاستعمال والقلب غير مجتمع قطعت الكلام والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وكتب أحمد بن زين الدين في سنة ست وعشرين بعد المائتين والألف من الهجرة النبوية على مهاجرها أفضل السلام .

رسالة في جواب
الشيخ علي العريض

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين : إنه قد عرض لي جناب الشيخ العلي ذي الفهم الألمعي والفكر اللوذعي الشيخ علي ابن الملا محمد المشتهر بالعريض أصلح الله أحواله وبلغ آماله مسائل طلب مني جوابها مع ما أنا فيه من الاشتغال بدواعي الأعراض وترادف الأمراض ، وحيث إنها مشتملة على بعض المسائل التي إذا لم أكتب لها الجواب لم يجز عليها خطاب بصواب ، التزمت ما قد يلحقني منه مشقة لانصراف البال وكثرة الاشتغال ولكن اقتصرت على أقل المقدور ، إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور ، وجعلت كلامه كالمتن والجواب كالشرح ليسهل تناول معنى الجواب وعلى الله سبحانه التوفيق والصواب وإليه المرجع والمآب .

قال : **مسألة** ـ هل يتحقق التقليد للمجتهد بأخذ بعض المسائل مع العزم على الأخذ بالجميع عنه أم لا ؟ بحيث لو أراد العدول إلى غيره فيما عزم على الأخذ به عنه على مذهب من لم يجوز العدول لم يجز له .

أقول : الظاهر أن التقليد يتحقق بذلك وإلا لم يتحقق في صورة

لاستحالة أخذ ما عزم عليه كله بالفعل إلا أن يكون بالتدريج فيما يحتاج إليه غالباً ، ويتحقق عدم العدول عنه بذلك عند من لم يجوز العدول عما قلد فيه وعندي يجوز العدول عنه عما قلد فيه ، وعمل به أو عزم على الأخذ به والعمل به إذا كان عمل بشيء منها ولو لم يعمل بشيء منه أصلاً لم يجز العدول عنه عندي لاستلزامه الرد عليه .

قال : ولو تساوى المجتهدان فهل يجوز العدول من أحدهما إلى الآخر وإلى كل من المفضول إلى الفاضل وبالعكس أم لا ؟ .

أقول : يجوز عندي العدول عن المفضول إلى الفاضل وبالعكس إذا كان المفضول يجوز الأخذ عنه مع الانفراد بشرط أن يكون قد عمل بشيء من فتوى المعدول عنه ، لئلا يكون راداً عليه وقد بيّنا ذلك في أجوبة الشيخ مهدي .

قال سلمه الله : ولو مات المجتهد فهل يستمر المقلد على ما قلده به أم يجب عليه العدول إلى الآخر مساوياً له أم لا فاضلاً كان أم مفضولاً ؟ .

أقول : لا يجوز له الاستمرار على ما قلده فيه بعد موته لقول أمير المؤمنين عليه السلام : (**كذلك يموت العلم بموت حامليه**) الحديث ، وفي الكافي أيضاً عن داود بن فرقد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (**إن أبي كان يقول : إن الله عزّ وجلّ لا يقبض العلم بعدما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم فتليهم [فتأمهم] الجفاة فيضلون ويضلون ولا خير في شيء ليس له أصل**) انتهى .

ومثلها صحيحة المغيرة بن الحارث البصري قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**إن العلم الذي مع آدم عليه السلام لم يرفع وما مات عالم إلا وقد ورث علمه ، إن الأرض لا تبقى بغير عالم**) انتهى .

وكذلك رواية أبي بصير وغيرها مما يدل على عدم جواز تقليد الميت ابتداءً واستمراراً وإلا لما احتيج إلى قيم بعد الأول ، وهذا المعنى ظاهر من الأخبار والأدلة العقلية أيضاً دالة على ذلك ، والأمثال التي ضربها الله سبحانه في الآفاق وفي الأنفس شاهدة بذلك ، وإجماع الفرقة المحقة على ذلك وإنما حدث القول به من مخالطة العامة القائلين بذلك ، فلما وقع البحث فيه بين الفريقين ، استحسن القول به بعض من في طبيعته شبه بطبائعهم لما فيهم من اللطخ ، فحدث في الفرقة المحقة التي قال صلى الله عليه وآله : (**فيهم لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة**) انتهى .

ففي نفس الأمر أن القول بجواز تقليد الميت ليس قول الشيعة وعلى هذا يجب العدول إلى الحي سواء كان مساوياً للميت أم أفضل أم الميت أفضل ، ولهذا لو انحصر مذهبهم في طائفتين وانقرضت طائفة منهما دلّ على بطلان قول المنقرضة إجماعاً ، ولو جاز تقليد الميت لاعتبر قول الطائفة المنقرضة ، بل واستغني عن الحي مطلقاً .

قال : وإذا لم يتمكن المقلد من الأخذ عمن هو مقلده فعلى ماذا يعول ، فإن قلتم على الاحتياط ثم على المشهور فربما لا يمكن

ذلك كما لو كان المشهور كلّاً من القولين ولتعذر الاحتياط في بعض المسائل ، ومع الإمكان هل يكون الأخذ بالاحتياط والمشهور في حقه خاصة أم في حقه وحق من جعله واسطة له بينه وبين المجتهد ؟ .

أقول : إذا لم يتمكن من الأخذ عن المجتهد وكان التكليف بالموسع أو بما يسع تركه أو تأخيره ، أخذ بالاحتياط فإن أمكن أو يمكن وإلا أخذ بالمشهور الذي له أصل ، ويترك المشهور الذي لا أصل له لأن المشهور يجري على ثلاثة أنحاء :

أحدها : لا أصل له وهذا لا بدّ أن يثبت الحكم عليه السلام في سنّته ما ينفيه .

وثانيها : ما له أصل وهذا يثبت الشارع عليه السلام في سنّته ما يثبته وهذا يجب الأخذ .

وثالثها : يسكت عنه مع اشتهاره والحاجة إليه وهذا إجماع منه أشير إليه في قوله : (**خذ ما اشتهر بين أصحابك ودع الشاذ النادر فإن المجمع عليه مما لا ريب فيه**) فسماه إجماعاً وهو إجماع كاشف عن قوله ، ولو تعذر المشهور بعد تعذر الاحتياط مع توجه التكليف إليه ، أخذ بما يختاره والأحوط أن يتحرى ، لأنه مما تطمئن النفس به ولا تضطرب بخلاف مطلق التخيير لاحتمال عدم مطابقة بعض هيئاته لبعض هيئات صورة الفطرة ، وعلى ما أشرنا إليه من الرجوع في التخيير إلى التحري يكون ذلك في حقه خاصة ، وأما إذا كان الحكم بالاحتياط وبالمشهور كان ذلك في حقه وحق غيره إلا في صورة جزئية شاذة .

قال : وعلى الثاني فهل يصح التصرف في الأموال وغيرها إذا بانت على خلاف رأي من هو مقلده ؟ .

أقول : يعني بالثاني ما يكون الحكم بالاحتياط والمشهور في حقه وفي حق غيره ، وعلى هذا لو تعلق الحكم بالأحوال فيعمل فيها بالاحتياط أو بالمشهور ، ثم تبين بعد تغير الفقيه وتبدّله بموت أو حدوث ما ينافي الاعتماد على حكمه أو بوجود الأفضل على قول من يوجب الرجوع إلى الأفضل ، ففي الأموال يتكلف الاحتياط بصلح أو إبراء أو هبة أو ما أشبه ذلك أو الإرجاء إلى أن تلقى إمامك مع إمكان الاكتفاء والاستغناء أو الاقتصار على ما تندفع به الضرورة وإرجاء الباقي كما قال تعالى : ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ وفي الأمور تتعارض الحرمة والإباحة فترجيح الحرمة إذا كانتا في محل واحد ما لم يتبين الأصل ، وفي الفروج يسلك فيها الاحتياط وترتب أحكام الاحتياط الممكنة على حسب ما قررت في كتب أصحابنا رضوان الله عليهم وما مضى على الحكم الأولي قبل ظهور الخلاف وقع صحيحاً ، وما بقي جرى عليه حكم الباقي .

قال سلمه الله : ثم إنه نقل عن بعض العلماء أمر المقلدين بالأخذ بكتاب أحد المجتهدين الميتين فهل يصح ذلك عندكم أم لا ؟ ، وما الوجه في ذلك لأنهم يكونون غير مقلدين له لأنه إما أن يكون مطابقاً لفتواه أو غير مطابق ، فعلى الأول يكونون قاصدين لتقليد الميت وعلى الثاني غير مقلدين له أصلاً ، وإن صح عندك ذلك فالمرجو من جنابكم تحيلوننا على بعض الكتب لتحصل لنا الراحة ويتيسر لنا أمر التقليد ؟ .

أقول : أما النقل فقد ثبت عن بعض العلماء أو قد وقفت على

خط بعض المعاصرين بذلك ، وفيه أنه إذا أمر بتقليد أحد الأموات وكان من حكمه ما ينافي حكم الأمر الحي ، فقد قلده لأنه مقلد للحي للإجماع على أنه حينئذٍ ليس مقلداً للميت ، وإنما هو مقلد للحي فرجع محصل الحكم أنه قلد في خلاف حكمه ، فإذا كان الحي قد ثبت عنده بمقتضى استفراغ وسعه أن الماء القليل ينفعل بملاقاة النجاسة ، فإذا أمره بتقليد ابن أبي عقيل مع أنه يعلم أن ابن أبي عقيل يقول : إن الماء القليل لا ينفعل بملاقاة النجاسة ، ما لم يتعين بالنجاسة فقد أمره بخلاف ما أداه إليه اجتهاده وقد نهاه الله عن ذلك ، فقد أمره بما نهاه عنه ونهاه عما أمره به بخلاف تجويز العدول إلى آخر ، فإن الأخذ بقول الثاني ليس بمرجح له قول الأول ليقع التناقض في قوليه ، وإنما المرجح له ظن الثاني ولا تناقض فيه ولو أخذ بقول الميت ، كان المرجح له قول الحي وظنه وهو مخالف لظنه في هذه المسألة وفيه ما سمعت واختلاف الاعتبار لا يزيل الغبار ، فإن عدم خصوص إرادة التناقض لم يكن مانعاً من لزوم التناقض وليس ذلك إلا كما أمره المجتهد الحي بخلاف ما أداه إليه اجتهاده لجواز أن يقول به قائل في المستقبل ، أو قال به قائل في الماضي وإن لم يعلم به وعلى كل حال ففي حال المطابقة إن كان التقليد والعمل بحكم الحي فلا تقليد للميت ، وإن كان بحكم الميت ولا تقليد للحي ، وفي حال المخالفة إن كان العمل بحكم الحي لزم ما قلنا سابقاً من النهي عما أمر به والأمر بما نهى عنه ، وإن كان العمل بحكم الميت فلا توسط للحي وإنما هذا تقليد للميت ، وفيما ذكرناه هنا بيان لما ذكر سلّمه الله ، والذي ثبت عندي أن الميت لا يجوز تقليده في حال من الأحوال فلا

أحيل على كتاب أحد منهم رحمهم الله وإنما المرجع هو الاحتياط ثم المشهور ثم التخيير ومع التخيير عندي أولى .

قال : وهل ينقض الوضوء بمس الميت كما يجب الغسل أم لا ؟ .

أقول : الذي يظهر لي أنه ينقض الوضوء كالحدث الأكبر والذي يظهر لي أيضاً ، أنه حدث أصغر فيقرأ العزائم ويدخل المساجد مع اللبث فلا يترتب عليه ما ترتب على الحدث الأكبر إلا في قليل من الصور .

قال : ولو توضأ بالإناء المغصوب في المكان المغصوب أو النجس ، مع إباحة الماء وتحرزه عن النجاسة هل يصح وضوؤه أم لا ؟

أقول : إذا توضأ من الإناء المغصوب مع إباحة الماء فإن كان المكان مباحاً صح وضوؤه ، وإن كان المكان مغصوباً لم يصح وضوؤه ، وإن كان المكان مباحاً لكنه نجس وتحرز عن النجاسة بحيث لا يصيب النجاسة شيئاً من مواضع الغسل والمسح صح وضوؤه .

قال : وهل يكفي غسل الثوب النجس في الكثير الراكد مرة أم لا بدّ من التكرار ؟

أقول : إذا أصاب الثوب بول أو ولغ في الإناء كلب أو خنزير وغمس الثوب في الكثير مرة واحدة طهّر ويدلّك الإناء من ولوغ الكلب مرة بالتراب ثم غمس في الكثير مرة واحدة طهّر ، وإذا غمس الإناء الذي ولغ فيه الخنزير في الكثير مرة واحدة طهر ولا يجب التعدد كما دلت عليه صحيحة محمد بن مسلم .

قال أيده الله : ولو أصاب الثوب نجاسة ولم يعلم بموضعها فهل يحكم عليه بالنجاسة أجمع ، بحيث لو مست اليد منه جزءاً برطوبة وجب غسلها أم لا ؟

أقول : إذا أصاب الثوب نجاسة ولم يعلم بموضعها حكم عليه بالنجاسة أجمع ، لأنه محصور ولا يجوز السجود على جزء منه لو كان مما يجوز السجود عليه ، فحكمه في كل جزء منه حكم عين النجاسة في السجود على الأقوى ، ولكن ليس حكمه في المس حكم عين النجاسة ، فلو مسته يد برطوبة لم يجب غسلها لأصالة طهارة الملاقي فلا يحكم عليه بالنجاسة إلا مع تعين التنجس كما دلت عليه صحيحة حكم بن حكيم عن الصادق عليه السلام .

قال أيده الله تعالى : وهل تطهّر الغيبة النجاسة التي على ثوبه وبدنه ، أم التي على بدنه خاصة وهل يكون حكم الطفل للغيب حكمه أم لا ؟

أقول : الغيبة شرط في طهارة الإنسان خاصة وقد قال عليه السلام : (**فابهموا ما أبهمه الله واسكتوا عما سكت الله**) ولما أمر بطهارته مع الغيبة كانت الثياب التي عليه حين غاب بها مما سكت الله ، إذ لولا شمول الأمر بالسكوت لها لكان ينبغي أن يقال : إلا ثيابه التي هي عليه لملابستها حال الغيبة فلا تخرج عن حكم مصاحبته إلا بمخرج ، فإذا كان الشرط في طهارة الإنسان الغيبة التي يمكن أن يتطهر فيها ولو علم بمعنى الشروط كان الطفل الذي هو إنسان لكنه غير متمكن من التطهير إذا انضم إليه ما يكون متمكناً حكمه حكم الكبير ، فلا تكفي الغيبة في طهارته منفرداً إذا انضم إليه أمه أو ظئره بأن غاب معه كانت غيبته مطهرة له ، وأما الحيوان

غير الإنسان فلا يشترط في طهارته الغيبة ، بل مهما زالت عين النجاسة منه طهر وإن لم يغب خلافاً للعلاّمة في النهاية فاشترط في طهارة الهرة إذا أكلت الفأر إن تغيب غيبة يمكن فيها ولوغها من كر وذلك تبعاً للشافعي والصحيح عدم الاشتراط .

قال : وما وجه الجمع بين الفريضتين بعد الاتفاق على استحباب التفرقة وفي القطر الذي يكون فيه الليل ستة أشهر والنهار كذلك ، فما حكمهم في الصلاة والصوم وكيف يصنعون ؟ .

أقول : كان صلى الله عليه وآله في أغلب أحواله ملازماً للتفرقة ، ليؤسس استحباب التفرقة لأجل سرّ نشير إليه ، وفي بعض الأوقات جمع بين الفريضتين من غير عذرٍ كما رواه شارح متن التنبيه للشافعي ، والفائدة فيه تشديد في التكليف (**ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حيى عن بينة**) ، وذلك أن التفريق مستحب لمن أخذ بالرخصة وهو استحباب الجمع لأنه صلى الله عليه وآله بيّن استحباب التفريق بأغلبية المواظبة عليه ، ونص على استحباب الجمع بفعله في بعض الأحوال النادرة وأوعز تأكيد استحبابه عند أوصيائه عليهم السلام ليحتاج العامل في تكميل عقله الدائم ، فكان الجمع أفضل لمن اعترف بالاستحبابين والتفريق أيضاً له مستحب لا لمن لم ير استحباب الجمع لم يأخذ بالرخصة التي يكون بحكم الفريضة كما قال صلى الله عليه وآله : (**إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بفرائضه ، فخذوا برخص الله ولا تشددوا على أنفسكم إن بني إسرائيل لما شدّدوا على أنفسهم شدّد الله عليهم**) انتهى .

فجعل أفضل المستحبين وأحبهما إليه وهو الجمع عند أوصيائه

عليهم السلام ليتبين من يطيعهم وتصدى بهم فيما اشتهر خلافه من عمل النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله تعالى : ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فالتفريق مستحب لمن اعتقد استحباب الجمع ، وأما من لم يجوز الجمع لم يجز له التفريق ، ومن لم ير استحباب الجمع كره له التفريق ، وفي الصورتين إذا قام ولي الأمر عجل الله فرجه ، ضرب رقاب المنكرين للرخصة ، واستحباب التفريق توطيّة لاستحباب الجمع فافهم السرّ .

وأما من كان في أرض تسعين فإن السنة كلها يوم وليلة وهناك لا تعيش فيه الحيوانات لشدة البرد ، ولكن فرض الحكم لمن كان هناك أن الشمس إذا كانت في درجة تسامت قمة الرأس ، فهو أول الزوال وإذا صار في تلك الدرجة بعد مفارقتها تمت الدورة التي هي عبارة عن اليوم والليلة ، فإذا وصلت ربعها من التي سامتت فيه قمة الرأس ، كانت صلاة المغرب ثم العشاء ، فإذا قابلت النقطة الأولى كانت صلاة الليل ، فإذا وصلت إلى مقابلة نقطة المغرب كان قبلها صلاة الصبح فإذا وصلت إلى نقطة المسامتة كانت صلاة الظهر والعصر ، وتعرف بهذه الأشهر الصيام فلا إشكال حينئذٍ فيعد كل دورة يوماً وليلة ، وكل ثلاثين دورة شهر أو تعيين الشهر المبتدأ به إذا لم يمكن العلم به يرجع إلى الظن والأمارات .

قال : وهل يجوز أن يغسل الوجه في الوضوء بكلتا اليدين أم لا ؟

أقول : هذه الهيئة مخالفة للوضوء البياني ، والغاسل بكلتا يديه إن قصد التشريع بطل الوضوء على احتمال واستعمال حرام قطعاً ،

وإن لم يقصد جاز على كراهة وإن كان المقام مقام تقية ربما وجب ذلك .

قال : وإذا لم يوجد الساتر هل تجوز الصلاة بجلد الميت مدبوغاً وغير مدبوغ من مأكول اللحم أو مطلقاً أم لا ؟

أقول : لا تجوز الصلاة في جلد الميت مطلقاً ويصلّي عريان قائماً مع الأمن من المطلع وقاعداً مع وجود المطلع كما هو مقرر في كتب الفقه .

قال : وقبل تفرق الجماعة للمصلين هل يسقط الأذان والإقامة ، أم الأذان فقط أم التفصيل بين المسجد وغيره وهل السقوط على سبيل الوجوب أو الاستحباب ؟

أقول : سقوط الأذان والإقامة رخصة لأجل احترام الإمام فيسقطان في المسجد وغيره ، لأن العلة احترام الإمام لا احترام المكان فافهم .

قال : ولو قام لفريضة ثم نوى أخرى كيف يصنع ؟ .

أقول : إذا قام لفريضة ثم نوى غيرها فإن كانت المنوية سابقة على التي أراد أن يقوم لها أبطل المنوية واستأنف نيته جديدة للمرادة ، وإن كانت المنوية لاحقة عدل عنها إلى المرادة .

قال : ولو نسي سجدة من الركعة الأولى ، ثم لم يذكر إلا بعد سجدة من الركعة الثانية هل تبطل صلاته أم لا ؟ ، وهل يجوز أن يجعلها ثانية للسجدة الأولى ، فيعد بها ركعة ثم يأتي بالباقي أم لا ؟ وهل يجب عندكم سجدتا السهو عند الزيادة أو النقيصة أم في

مواضع مخصوصة وعلى الأول ، فهل تعم المستحب أو الواجب فقط ؟

أقول : لو نسي سجدة من الركعة الأولى ، ثم لم يذكر إلا بعد سجدة من الركعة الثانية أتم صلاته ، بأن سجد ثانية للسجدة التي سجدها من الركعة الثانية وأتم صلاته ، فإذا سلّم قضى السجدة الثانية المنسية من الركعة الأولى ، وسجد سجدتي السهو وتمت صلاته وعندي تجب سجدتا السهو لكل زيادة ونقيصة واجبين خاصة .

قال : ولو شك في فعل واجب حتى دخل في فعل مستحب هل يلتفت إليه أم لا ؟ وهل الحمد والسورة فعل واحد ، بحيث لو شك في الحمد حتى دخل في السورة يلتفت ؟

أقول : إذا شك في واجب حتى دخل في مستحب لم يلتفت ومضى ، بل ولو شك في تكبيرة الإحرام حتى قال : أعوذ بالله لم يلتفت ، بل لو شك في الحمد لله حتى قرأ رب لم يلتفت ، فكلما شك في شيء وقد شرع فيما بعده في كلام أو كلمة أو حرف واحد في غيره كما دلت عليه صحيحة زرارة ، والمشهور أن الحمد والسورة شيء واحد فيرجع إلى ما شك فيه مطلقاً ما لم يركع والأصح الأول .

قال : وهل القنوت واجب عندكم أم لا ؟ .

أقول : القنوت مستحب مؤكد .

قال : ولو نسي الركوع قبل أن يصل حدّ الساجد ثم ذكر هل ينتصب مطلقاً ويركع أم التفصيل ؟ .

أقول : إذا نسي الركوع فإن كان نسي قبل أن يهوي وإنما هوى للسجود وذكر قبل أن تصل جبهته الأرض ، قام وانتصب مطمئناً ثم هوى للركوع ، وإن كان قد هوى للركوع قبل أن يصل حدّ الراكع وهوى حتى وصلت يداه الأرض ، فإن كان قد وضع جبهته على الأرض بطلت صلاته وإن ذكر قبل أن يضع جبهته على الأرض رفع نفسه إلى حدّ الركوع ، ولا يستقيم لأن القصد الأولى الذي بعثه على الهوي للركوع ونسيه قبل أن يصل حدّ الراكع ، يكفي في قصد الركوع فلا يحتاج إلى انتصاب مستأنف وإن هوى للركوع ونسيه بعد أن يصل حدّ الراكع حتى وقع إلى الأرض قبل أن يضع جبهته عليها ، بمعنى أنه لم يذكر له ولا يطمئن فيه رفع نفسه وانتصب وقال : سمع الله لمن حمده ولا يحتاج إلى ذكر ولا طمأنينة وكفاه ذلك ، فهذا هو التفصيل الصحيح الذي عليه العمل .

قال : والقيام المعتبر عندكم ركناً ما هو أهو المتصل بالركوع أم مطلق القيام ؟ ولو نسي القيام بعد الركوع حتى هوى ثم ذكر قبل أن تصل محل السجود كيف يصنع وهل هو ركن أم لا ؟ .

أقول : القيام الذي يعد ركناً قيل : هو ما كان حال النية وتكبير الإحرام ، وما كان قبل الركوع المتصل بالركوع ، وقيل : هو ما كان حال الركوع والمشهور الأول ، واعلم أن القيام اعتباره في الركنية كونه محلاً للركن في التكبيرة لأنها ركن وفي النية لأنها ركن وفي الركوع لأنه ركن ، فعلى هذا يكون الركن منه ما كان حال الركن وهو الذي تقربه خاطري ولو نسي القيام بعد الركوع حتى هوى ، ثم ذكر قبل أن يصل محل السجود بأن يضع جبهته على الأرض قام وقال : سمع الله لمن حمده ، واطمأن ثم يهوي

للسجود وإن لم يذكر حتى وضع جبهته على الأرض مضى ولا شيء عليه .

قال : ولو شك في أبعاض الحمد والسورة حتى دخل في بعض الآخر هل يلتفت أم لا وكذا في أبعاض سائر الأفعال ؟ .

أقول : قد تقدم الجواب عن هذا فلا حاجة إلى إعادته .

قال : ولو شك في التشهد حتى أخذ في القيام هل يلتفت أم لا ؟ .

أقول : من قال بأن الفعل من القيام هو بتمام الانتصاب لم يبعد على قوله : إن الأخذ في القيام لا يعد دخولاً في شيء ويحتمل على قوله أيضاً أنه يصدق عليه أنه دخل في شيء فلا يلتفت أيضاً ومن قال : إن الأخذ في القيام يعد دخولاً في شيء فعلى ما اخترناه لا يلتفت لو قلنا بهذا ، وبالجملة إذا أخذ في القيام حتى انفلت من الأرض لم يبعد عندي عدم الالتفات مطلقاً سواء قلنا بأن الأخذ في القيام قيام أم لا ، إلا على القول بالمشهور في أنه يلتفت مطلقاً ما لم يركع .

قال : وهل يلتفت إلى الظن بعد التسليم ويعول عليه أم لا ؟

أقول : قال العلّامة في التذكرة لو أخبره من يثق به بنقص صلاته بعد التسليم وأفاده الظن هل يكون ذلك كما لو شك بين الثلاث والأربع فيبني على الأربع ويحتاط بركعة من قيام أو ركعتين من جلوس فعلى هذا الأصل يلتفت إليه ، والأصح عدم الالتفات في الموضعين .

قال : ولو كثر شكه في فرض معين أو فعل أو ركن كذلك فهل يختص فيما كثر فيه أم يعم الجميع ؟

أقول : الذي ظهر لي اختصاص حكم الكثرة فيما كثر فيه ولا يعمّ ما سواه .

قال : وهل يعم الشك السهو والنسيان لكثير الشك أم لا ؟

أقول : الظاهر أنه يعم .

قال : ولو وقعت الزلزلة في أيام الحيض هل يجب عليها الصلاة بعد الطهر أم لا ؟

أقول : وجود الحيض لا يكون مانعاً من التكليف لأن الحدث مانع من الصحة لا من الوجوب فيجب عليها الصلاة بعد الطهر قضاء .

قال : ولو أخذ النيران في الانجلاء هل تكون الصلاة أداء أم قضاء ؟

أقول : فيه خلاف والظاهر أنه قضاء .

قال : ولو قطع قاصد المسافة مسافة ، ثم وقف في مكان عازماً على الرجوع أو على مسافة أخرى ، فهل يتم في المكان الذي توقف فيه أم يقصر ؟ .

أقول : الظاهر عندي أنه يقصر حتى يرجع إلى أهله أو إلى مكان نوى فيه الإقامة عشراً .

قال : وهل ينقطع حكم كثير السفر بإقامة العشرة عند أهله خاصة أو مطلقاً وهل تكون قاطعة بمجرد قصدها وإن لم يتمها أم لا بدّ من إتمامها ؟ .

أقول : الظاهر أنه ينقطع بإقامة العشرة مطلقاً ، والظاهر أنه مجرد القصد بدون إتمامها غير كافٍ في قطع كثرة السفر لأنه يكون في بعض المواد منشأ لكثرة السفر .

قال : ولو سافر إلى بلدة ولم ينو الإقامة فيها ، ثم أنشأ سفراً إلى بلدة أخرى ، ثم منها إلى أخرى كذلك هل يكون كثير السفر أم لا ؟

أقول : الظاهر أنه لم يكن كثير السفر حين ينوي الإقامة في المواضع الثلاثة ولم يتم العشرة فيها كلها ، فلو نوى في بعضها ، أو أتم في بعضها لم يكن كثير السفر ، ولو أتم بعد التردد في مكان ثلاثين يوماً في ثلاثة أماكن في كل واحد منها لم يكن كثير السفر ، ولو لم يتم فيها بعد التردد الثلاثين في كل واحد من الثلاثة ، فالذي يظهر لي أنه يكون كثير السفر لمساواة الثلاثين لإقامة العشرة والإتمام بعدها لنية الإقامة عشرة ، فعدم الإتمام بعدها في حكم عدم الإقامة عشرة ، ولو تركبت الثلاثة من نية الإقامة عشرة ومن التردد في مكان أو مكانين شهراً مع الإتمام بعد التردد وبعد نيّة العشرة ، فالظاهر حصول كثرة السفر وعدمها بالاعتبارين لاعتبار الشارع عليه السلام نظره الشريف في حكم ما بعد التردد ثلاثين في جملة أحكام ، نية الإقامة عشرة ودورانه معها وجوداً وعدماً لمساواة الأماكن الثلاثة بلد المسافر وبلد إقامته ومحل تردده ثلاثين يوماً في أغلب أحكامها ، ولو كان محل التردد شهراً على حدّ مسافة التقصير من بلده قبل نية السفر كطالب الآبق ، ثم بعد تمام التردد شهراً إنشائية السفر إلى مسافة أو نوى الرجوع لأهله بحيث كان فرضه التمام لولا نية السفر ، وكل ذلك قبل أن ينتقل عن ذلك المكان فهل يتوقف القصر على حصول مسمى الضرب ولو قليلاً أم

لا بدّ من مجاوزته حدّ الترخص كبلد المسافر أو بلد الإقامة لمساواته هما في أكثر الأحكام ، أم لا يتوقف على ضرب جديد للاكتفاء بالضرب الأول ، كل من قال في هذه الفروض الثلاثة بالتقصير جوّزه عدة في إنشاء كثرة السفر بتكرره ثلاثاً أو يعده مع غيره وهكذا .

قال : وهل يشترط في الملك المنزل القاطع للسفر استيطانه ستة أشهر متجددة في كل سنة أم تكفي المرة الواحدة أم لا ؟

أقول : لا يسقط أن يكون ملكاً صالحاً للنزول ، بل كل ما يصدق عليه الملك المستقر في ذلك المكان ويكفي حصول الستة الأشهر ، إذا كانت في سنة وإن كانت متفرقة .

قال : وهل يكفي في الملك أن يكون شبراً في الأرض أو شجرة أم لا بدّ من منزل يستوطنه المدة المعلومة ، وهل يكفي الاستيطان في البلدة التي فيها الملك أم لا بدّ من الاستيطان فيه نفسه .

أقول : يكفي في الملك أن يكون شبراً أو شجرة ويكفي الاستيطان في البلدة التي فيها الملك مطلقاً .

قال : وهي تجوز الصلاة في فضلات النحل كالشمع والعسل لكونه فضلة ما لا يؤكل لحمه ويمكن التحرز عنه أم لا ؟

أقول : تجوز الصلاة فيه وإن أمكن التحرز عنه .

قال : ولو تلبس بفرض ثم ذكر فائتة هل يجوز مع سعة الوقت العدول إليها أم لا ؟

أقول : يجوز بل يستحب .

قال : ومن ترك صلاة العشاء ناسياً إلى الفجر هل يجب عليه صيام ذلك اليوم أم لا ؟

أقول : الأحوط صيام ذلك اليوم والدليل إذا استقصيت فيه لا ينهض بالحجة .

قال : ولو مات مخالف بين أهل الحق ، فهل يجب عليهم تغسيله وتكفينه والصلاة عليه والمواراة أم لا ؟

أقول : الحق عندي أنه يجب عليهم ذلك لأنه مسلم نعم لو كان منه ما كان بعد إقامة الدليل عليه من الله ، فإنه كافر حينئذٍ فلا يجب عليهم من ذلك شيء وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾ .

قال : وهل يراعى في ذلك مذهبه أو مذهب أهل الحق ؟

أقول : يراعى فيه مذهب أهل الحق فيكبّر عليه أربع تكبيرات ولا يركع في الصلاة عليه .

قال : ولو مات زيد ولم يكن له كفن وهناك كفن قد غاب صاحبه ولم يكن غيره فهل يجوز أن يكفن فيه بغير إذنه أم لا ؟

أقول : لا يجوز أن يكفن فيه بل يدفن عريان إن لم يكن هناك شيء ولو من الزكاة .

قال : وهل يجب على الولي إخراج الزكاة من مال الطفل أم لا ؟

أقول : يجب عليه زكاة الغلات ولا يجوز الإخراج من النقد والأنعام .

قال : وهل تخرج الزكاة بعد إخراج المصارف والمؤن أم قبلها وما يأخذه الظالم من الضيعة والغلة ظلماً هل تعد من المصارف أم لا ؟

أقول : يجب إخراج الزكاة بعد إخراج جميع المؤن ولكن على تفصيل وهو أن المؤن إن صرفت على الغلات الزكوية قبل بدو الصلاح أخرجت المصارف ، ثم اعتبر الباقي فإن بلغ النصاب وجب إخراج الزكاة ، وإن لم تبلغ النصاب استحب تزكيته ولا تجب وإن صرفت بعد بدو الصلاح وجب إخراج زكاة الباقي بعد إخراج المؤن سواء بلغ الباقي النصاب أم لا ؟ ، وكل ما يأخذه الظالم يعد من المؤن وكذلك البذر يحسب من المؤن .

قال : وهل يشترط في معطي الزكاة وكذا في الكفارة العدالة أم لا ؟

أقول : لا يشترط فيما يأخذ الزكاة والكفارة العدالة نعم لا يعطى منهما تارك الصلاة .

قال : ولو كان ما فيه الزكاة جنساً واحداً وفي أنواعه الطيب والرديء فهل يجزى إخراج زكاة الجميع من الرديء أم لا بدّ من إخراجها من كل نوع بنسبته ؟ .

أقول : إذا كان الرديء لا ينتفع به كمعافارة وأم جعرور فلا يجزئ ، وأما إذا كان الرديء ينتفع به غالباً وإنما سمّي ردياً بالنظر إلى الأحسن ، فإنه يجزئ لكنه خلاف الأفضل بل الأحوط .

قال : ولو طبخ البسر فهل يعتبر حاله في الوزن قبل الطبخ أم بعد طبخه ويبسه فيخرج منه بنسبته ؟

أقول : إذا كانت الثمرة تزيد على النصاب فلا إشكال فيخرج من كل شيء زكاته منه ولو أريد الإخراج للجميع من نوع ، فلا بدّ من اعتبار مقدار النقص ، فيخرج مما ينقص زيادة فقابل ما ينقص إذا طبخ فيخرج من الرطب رطباً ومن اليابس يابساً ، فإن أُخرج عن الرطب يابساً فله الفضل إن شاء احتسبها عن شيء آخر ، وإن شاء جعلها مستحبة ، وإن أخرج عن اليابس رطباً وضع معه زيادة يقابل رطوبته .

قال : وهل تجب الزكاة في الدبس لكونه معتصراً ما تجب فيه ولحصول النقصان باعتصاره أم لا ؟ .

أقول : ما كان معتصراً من التمر بالمعالجة فإنه يجب إخراج زكاة تمرة منه أو من تمر آخر وما خرج بدون اعتصار فالأحوط ذلك أيضاً ، وهنا تفصيل يترتب عليه بعض الأحكام لكني لا أتوجه لذلك لطول الكلام بلا محصّل كثير .

قال : ولو ملك النصاب من يستحق الزكاة فهل يجوز أن يدفع زكاته إلى بعض عياله فيعينه بها أم لا ؟

أقول : إذا قصد ممن تجب نفقته عليه إعانته وهو محتاج إلى الإعانة في نفقة عياله سنة ، وإن كان في نفقة من يريد إعانته جاز الدفع إليه لأنه حينئذ محتاج فيأخذها بهذه النية ويدفعها إليه ، وكذلك يجوز لذلك أيضاً أن يأخذها لنفسه في إتمام نفقته واستطاعته في الحج لهما ولأحدهما .

قال : ومن كان عنده حق الإمام من الخمس هل يجوز أن يدفعه إلى السادة بدون إذن المجتهد أم لا بحيث لو فعل لم يجز عنه ؟ .

أقول : في حق الإمام عليه السلام من الخمس في زمن الغيبة أربعة عشر قولاً والذي أعمل عليه أنه لا يجوز دفعه إلى أحد إلا إلى الفقيه أو بإذنه ، فإن فعل كان ضامناً لأن الفقيه المجتهد هو الحافظ لأموال الغائبين وعندي أن الفقيه الجامع يجوز أن يدفع حصة الإمام عليه السلام إلى خواص شيعته ولا يجوزهم أن يتصرفوا في شيء من ذلك إلا بما يجب بأن يزوج العزاب من شيعته ومحبيه وإذا وصل إلى أحد منهم شيء منه لا يجوز لأحد من محبيه أن يصرف شيئاً منه إلا في الضرورة فلا يصرفه في توسعة المعيشة في مأكل أو ملبس لأنه عجل الله فرجه وسهل مخرجه هكذا يفعل في وقت خروجه حتى أن الرجل ليطوف المحال بزكاته ولا يجد من يأخذها لعدم احتياج الناس للأموال في وقت قيامه وكثرة الخيرات والبركات في وقته ، ومع هذا لا يأكلون إلا الجشب ولا يلبسون إلا الخشن ويجزي عليه السلام شيعته على ذلك فلا ينبغي أن يتصرف في ماله بغير رضاه والله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ .

قال : ولو قبضه بعض عدول المؤمنين ثم دفعه من باب الحسبة مع وجود المضطر هل يكفي أم لا ؟ وهل يكفي في الحسبة الشرعية العدل الواحد أم لا بدّ من التعدد بحيث يجتمع مؤمنون فيختارون من يصلح لذلك ؟ ثم إنه قد يوجد حق الإمام عليه السلام عند كثير من الناس والمجتهد ناو [ناءٍ] عنا والمضطر من السادة موجود فإن استحسن جنابكم أن يأذن لنا في قبضه ودفعه إلى مستحقه فرأيكم الأعلى وكذا في الأطفال الذي لم يكن بهم وصي وفي كثير من الحقوق التي يضطر إلى تنجيزها ، فإن رأى جنابكم أن تجعلوا لنا

إذناً وولاية في ذلك وإلا فرأيكم الأعلى وكذا لو مات الوصي ولم يؤذن له بأن يوصي إلى غيره فإنها أمور تضطر الحاجة إليها .

أقول : عدول المؤمنين في كثير من الأمور العامة الكلية يقومون مقام حاكم الشرع مع فقده في كثير من جزئياتها مع الضرورة حسبة ، ويكفي العدل الواحد كما هو فحوى صحيحة النخاس ومع جود المتعددين فالتعدد أولى لأنه أبعد من الخطأ ، وقولكم : والمضطر من السادة موجود لا يلزم به خصوص السادة لأنه مرجع هذا إلى المعرفة بالإمام عليه السلام والعمل الصالح والزهد كما أشرنا إليه من أن هذه طريقته عليه السلام ، فإذا وجد العارف به عليه السلام والعامل بسنّته والقاطع في صرف حصته فيما يصرفها هو عليه السلام سواء كان سيداً أم غيره جاز له تناوله وجاز إعطاؤه وقد أخبرت لكل من وقع في يده شيء من حصة الإمام عجل الله فرجه أن يصرفها لنفسه ولغيره من سيد وغيره ، بأن يصرفها في النكاح وفي ضرورة المعاش ، وأما الأطفال الذين ليس لهم وصي فكذلك ، ويقتصر في بيع أموالهم على الضرورة والمصلحة والإذن والولاية في ذلك كله راجعان إلى دفع الضرورة مع المصلحة .

قال : وهل يجوز إعطاء فقراء السادة من الكفارات أم لا ؟

أقول : يجوز إعطاء فقراء السادة من كفارات السادة خاصة وزكاتهم ، ولا يجوز من كفارات العوام وزكاتهم إلا مع الضرورة التي تحل المحرمات .

قال : وهل يجوز أن يعطى الفقير غير السيد من حق الإمام عليه السلام وكذا السيد من طرف الأم خاصة وهل يعطى من الخمس أم لا ؟

أقول : السيد والعامي في تناول حصة الإمام عجّل الله فرجه سواء ، يعني يجوز أن يتناول منها للرجل والمرأة العارفين بالإمام عجل الله فرجه المتابعين له في أعماله وأقواله بشرط أن يصرف في التزويج أو في ضرورة المعاش ، والسيد من الأم خاصة لا يعطى من الخمس ويأخذ الزكاة وأما النسب فصحيح .

قال : وهل يجب الخمس في الموهوب والموروث وسائر الحقوق من رد المظالم وغيرها أم لا ؟

أقول : لا تجب الخمس في شيء من ذلك إلا على جهة الاحتياط .

قال : وهل يجوز الاعتماد على خبر الثقة في رؤية الهلال بثبوت الشياع أو شهادة عدلين عنده أم عند غيره أم لا بدّ من مباشرة كل فرد فرد من أفراد الشياع أو شهادة العدلين بنفسه ، ولا يكفيه الاعتماد على الخبر ثم إن الشياع عندكم ما هو ؟

أقول : لا بدّ من مشاهدة ما يثبت به الشياع من كل فرد فرد مما يتقوم به الشياع أو شهادة العدلين ، ولا يكفيه الاعتماد على الخبر الواحد ، وأما الشياع فهو على ما فسره بعضهم من أنه أخبار جماعة من الناس يؤمن تواطؤهم على الكذب ويحصل من أخبارهم الظن المتاخم للعلم .

قال : والملتمس من جنابكم أن بيِّنوا لنا المفطرات للصائم عندكم وما يوجب منها القضاء والكفارة أو القضاء فقط ؟

أقول : هذا مما يطول فيه الكلام والوقت ضيق ولكن ترجعون في ذلك إلى رسائلنا الصومية .

قال : وهل الدخان الغليظ والغبار يفطر الصائم أم لا ؟ وعليه فهل يجب القضاء والكفارة أم القضاء فقط ؟ وهل تكرر الكفارة بتكرار المفطر في اليوم الواحد أم لا ؟

أقول : قد بيّنا في الرسالة المذكورة أن الدخان والغبار الغليظان يفطران الصائم عمداً إذا وصلا إلى الجوف وأنهما في حكم الأكل والشرب والنكاح كما يستفيده الخبر من رواية الرضا عليه السلام ، ولو كانا من غير عمد أو لم يصلا إلى الجوف لم يضر ولو أوصل أحدهما الجوف عمداً تجب الكفارة ، والراجح عندي أنها كفارة الجمع لأنه إفطار بالمحرم ، ولو كرر فعل المفطر في يوم واحد عمداً بحيث لا يكون الفعلان فعلاً فعلاً عرفا باختلاف الوقت فالذي يظهر لي تكرر الكفارة .

قال : ولو أفطر تقية ثم بعد زوال العذر تناول شيئاً هل يجب عليه القضاء والكفارة أم القضاء فقط ؟

أقول : لو تناول شيئاً مفطراً بعد إفطاره للتقية وجب عليه القضاء والكفارة على الأحوط إن أفطر بمحلل وإلا وجب عليه كفارة الجمع .

قال : وهل يجوز الكحل والذرور بما فيه المسك والعنبر أم لا ؟

أقول : يجوز على الكراهة .

قال : ومن وجب عليه القضاء ثم أخره بغير عذر حتى أتى شهر رمضان مراراً فهل تكرر الكفارة بتكراره أم لا ؟

أقول : تجب عليه الكفارة أول السنة أما بعدها احتياطاً .

قال : وهل يشترط عندكم في استطاعة الحج الرجوع إلى كفاف

أم لا ثم إن الكفاف المعتبر عندكم ما هو ؟

أقول : لا يشترط الرجوع إلى كفاف ومن يعطه العمر يعطه الرزق والكفاف هو أن يحصل له مؤونة سنة من غير أن يستدين ويكون على جهة الاقتصاد .

قال : ولو استطاع ولم يحج لتفريط أو عذر ثم ذهبت منه الاستطاعة فهل يجوز له أن يستنيب عن الغير أم لا ؟

أقول : يجوز له أن يستنيب عن الغير فإذا استطاع حج عن نفسه ولو استطاع تلك السنة قبل خروج القافلة بعد أن وجب صيغة الاستئجار وجب عليه الحج عن الغير ، ثم الحج عن نفسه إن بقيت الاستطاعة وإلا فهو في الحكم الأول .

قال : وهل يجوز أن يستنيب في زيارة الأئمة عليهم السلام عن اثنين دفعة فصاعداً أم لا ؟

أقول : يجوز إذا كانتا غير موقتين أو أحدهما .

قال : ولو توفرت القرائن بحيث يفيد القطع ، فهل يجوز أن يشهد بها الشاهد أم لا ؟

أقول : إذا حصل القطع جاز له ذلك ولو لم تجز الشهادة إلا فيما يرجع إلى الحس لم تجز شهادة التوحيد .

قال : ولو استشهد الكافر مسلماً على مسلم فهل يجب أن يشهد عليه أم لا ؟

أقول : الظاهر أنه إذا كان الكافر ذمياً جاز ذلك لاحترام ماله ودمه كالمسلم بخلاف الحربي .

قال : وهل يجوز بيع عذرات الإنسان لكونها مما ينتفع بها في المزارع وغيرها أم لا ؟ وكذا في أبوال وأرواث مطلق الحيوانات لذلك ؟

أقول : الظاهر عدم بيع عذرات الإنسان ونقل عليه الإجماع ومقتضى الدليل جواز ذلك كما هو مفاد التعليل ، ولا يبعد جواز بيع الممتزج بغيره لعموم الانتفاع بها ، وكذا حكم أبوال الحيوانات وأرواثها خصوصاً مع ممازجة غيرها ولا إشكال في أبوال الإبل .

قال : وهل يثبت الرجوع في بيع المعاطاة لو تغيرت هيئة العين أو ذهب بعضها أم لا ؟

أقول : لو تصرف أحد المعاطيين دون الآخر فهل يجب البيع فيهما معاً أم في حق المتصرف خاصة والأول أشهر والثاني أشبه وتغير الهيئة بتصرف القابض موجب للبيع في حقه وفي حق الآخر على الخلاف كذهاب بعضها .

قال : ولو مات الوصي فهل تستقل الوصية للناظر أم لا ؟ ، وهل تصح الوصية للفاسق مع العلم بفسقه أم مطلقاً أم لا ؟ ، وهل ينعزل بالفسق فيما يتعلق به الوصية ، أم مطلقاً ؟ وهل يتوقف عزله على حكم الحاكم أم بمجرد فسقه فينعزل ؟ ، وهل يجوز لأحد عدول المسلمين القيام بأمور الوصية لو فسق الوصي من باب الحسبة الشرعية أم لا ؟

أقول : لو مات الوصي وكان قد وضع الوصي عليه ناظراً ، فإن علم بالقرائن تساويهما في اعتبار نظر الموصي ، ولم تدل على إرادة التعدد تمحضت الوصية للناظر فاستقل في التصرف وإلا نصّب

الحاكم معه وصياً ولا تصح الوصية للفاسق مع عدم العلم بفسقه ومع العلم بفسقه لا يبعد أن تصح الوصية فيما يتعلق بالثلث من غير الأمور الواجبة ، والأحوط العدم مطلقاً ولا يتوقف عزله على حكم الحاكم إلا فيما يتعلق بالثلث في غير الواجبة على العمل بالأحوط ، ويجوز أحد عدول المسلمين القيام بأمور الوصية المضطر إليها حسبة .

قال : ولو مات مانع الزكاة والخمس ومغتصب حقوق الناس بحيث يستوعب ذلك جميع متروكاته فهل له أن يوصي بثلث ماله فتنفذ فيه وصاياه أم لا ؟ ، وعلى الأول فهل يجب على الوصي صرفه في أداء تلك الحقوق أم فيما أوصاه به ؟ وعلى تقدير الوجوب فلو امتنع ذلك الوصي فتمكن بعض المؤمنين من انتزاعه ، فهل ينتزعه منه ويصرفه في تلك الحقوق المذكورة أم لا ؟ ، وكذا لو دفع ذلك الوصي من ذلك الثلث إلى بعض المؤمنين ، والحال هذه ليصرفه في صلاة أو صيام فهل يتعين عليه صرفه في ذلك أم يجوز له أن يصرفه في تلك الحقوق المذكورة أم لا ؟

أقول : إذا علم أن وصيه يُخرج تلك الحقوق من غير حصول جنس لتلك الحقوق أو رضى أرباب لتلك الحقوق بتأخيرها أعني الأرباب الذين لا يساويهم فيها غيرهم جازت الوصية وإلا تجوز أصلاً ، وعلى فرض صحة الوصية يجب صرفها فيما أوصاه لا في تلك الحقوق لأن جواز صرفها في تلك الحقوق مانع من جواز الوصية وباقي الكلام متناقض لا فائدة في الكلام عليه .

قال : ولو مات من عليه زكاة أو خمس أو حج أو سائر الحقوق

وقد استودع مالاً عند زيد العالم بذلك ، فهل يجب على زيد دفع المال إلى الورثة وهو يعلم أنهم لا يخرجون شيئاً مع علمهم أن يصرفه في تلك الحقوق وهل ذلك واجب عليه أم جائز ؟

أقول : يجب عليه أن يصرف ذلك المال في تلك الحقوق لأنه من باب المعاونة على البرّ والتقوى .

قال : ولو زوج المولى أمته في حرّ فما حكم الأولاد مع الشرط وعدمه ؟

أقول : إذا لم يشترط فالظاهر أن الأولاد أحرار لأنهم يتبعون أشرف الأبوين ولو شرط الرقبة فالأقرب عندي صحة الشرط ، ولما كان كثير من الناس يرغب في العتق وربما لا يتمكن كان عتق هؤلاء الأولاد أسهل على نفسه لحصول الخلاف ، وكثير من الناس يخفى عليه مثل ذلك فيحصل الجمع بين الحقين ، ولذا استعملت أنا ذلك وأعتقتهم ، والحاصل أن الأحوط إما الحكم بالحرية والمبادرة إلى العتق والجمع بين الروايات بحملها على مثل العتق بعد القول ، أو توطين نفسه على الحرية لا يخلو من قوة .

قال : وهل يصح تحليل الأمة بمجرد الرخصة أم لا ؟ ، وعلى الثاني فهل يكفي لفظ الإباحة والهبة وما أشبه ذلك أم لا بدّ من لفظ أحللت لك ؟ وهل تملك المرأة النفقة بمجرد رفعه لها وإن لم تنقض المدة أم لا ؟ وهل تملك الثياب بمجرد التفصيل أو الخياط أم لا بدّ من اللبس وكذا القول في الفرش وأمتعة البيت من الأواني وغيرها هل تملكها بمجرد الدفع أم لا ؟

أقول : المستفاد من كثير من الروايات أن مجرد الرخصة والإذن كافٍ والأحوط اشتراط لفظ ، والأحوط فيه لفظ أحللت ولقد كنت

سابقاً يترجّح عندي أن المرأة لا تملك شيئاً وإنما هو استمتاع كما هو مذهب الأكثر ، والآن لم يتجدد لي منافٍ للأول ولكني الآن آمر بالاحتياط والصلح إلا أني ما امتحنت قريحتي في استنباط شيء لعدم قوتي الآن على المراجعة وكثرة شواغلي وعلى فرض الملك تملك بمجرد القبض وإن لم تفصّل ولم تخيط ، وأما الفرش وأمتعة البيت من الأواني وغيرها فيعرف حكمها من العادات والقرائن .

قال : ولو كان أكبر الأولاد سفيهاً فهل يعطى الحبوة أم لا ؟ ، ثم ما الحبوة عندكم وهل تكون الثياب حبوة بمجرد التفصيل أو الخياط أم لا بدّ من اللبس ؟

أقول : لا يحبى السفيه لأنها على خِلاف الأصل والحبوة السيف والخاتم والمصحف والثياب ، فإن تعدد السيف والخاتم والمصحف ، ولم يعلم المختص فالخيار للورثة والثياب كل ما كان من ثيابه ولو بالتفصيل وإن لم يخط ولم يلبس .

قال : وما الحكم في ميراث الخنثى ومن يغسلها ؟

أقول : ميراث الخنثى المشكل نصف ميراث الرجل ونصف ميراث المرأة ، وإذا مات غسله الطفل الذي لم يظهر على عورات النساء والله اعلم بأحكامه .

قال : مسائل مهمة :

الأولى ـ ما حقيقة الوضع ومن الواضع عندكم وما معنى الدلالة ؟ .

أقول : الوضع تأليف حروف مناسبة للمعنى الموضوعة لتمييزه لأن الأسماء علامات تصنع ليتميز بها المسمّى ، فهي في نفس

الأمر صفات معانيها الموضوعة فيأخذ الواضع حروفاً تناسب أصواتها موادة المسمّى ، ويؤلف على هيئة تناسب هيئة المسمّى كما ترى الظل ، فإنه مثل الشاخص فظل الشجرة كالشجرة وظل الإنسان كالإنسان ، لأن الصفة تشابه هيئة الموصوف كما قال الرضا عليه السلام لما سئل عن الاسم فقال : (**صفة موصوف**) ، ألا تسمع في أهل النحو في لفظ الفعل حيث قالوا : مادته تدل على الحدوث وهيئته تدل على الزمان ، فإذا أراد الواضع وضع لفظ بإزاء معنى تصور ذلك المعنى إذا كان الواضع من أصحاب التصور فأخذ حروفاً تشابه مادة ذلك المعنى وألفها على هيئته ، فتكوّن اللفظ على هيئة المعنى هو منشأ الدلالة كما رأيت الفرنك في صنعهم هزار خانه يحفرون في الخشبة محلاً للمقص كهيئة المقص وللعينك حفراً كهيئة العينك بحيث إذا وضعت فيه لا تضطرب فيحفرون للطويل حفراً كهيئته إذا وضع فيه لا يضطرب ، وللأعوج حفراً أعوج على هيئة اعوجاجه إذا وضع فيه الأعوج استقر ، وللمستقيم حفراً مستقيماً كهيئته إذا وضع فيه استقر ، وللمربع حفراً متربعاً وللمستدير حفراً مستديراً .

وهكذا فإذا رأى العاقل الحفر عرف ما يوضع فيه فهيئة اللفظ من صفة حروفه كالقلقلة والرخاوة والهمس والشدة ومن نظم في التقديم والتأخير مثل قمر ورمق وحركاته الدالة على وقته وهيئته كالحيوان والطيران والغليان والنزوان وكضرب ويضرب واضرب هي منشأ الدلالة فمن عرفها دلته على ما وضع له ، والدلالة هي أثر الهيئات والواضع هو الله سبحانه لأن الأسماء هي العلامات المميزات للمسميات وهو المميز لها بما خلق من صفتها على أنه

تعالى يقول : ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ وقال : ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ وقال تعالى : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي المسميات ، ﴿عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ ، ولو فرض أنه ألهم غيره لم يزد على ما أعطى عيسى عليه السلام في خلق الطير مع أن الله هو خالق ذلك الطير لا يصح أن يقال : إنه لم يخلقه الله ليكون قولنا إنه خلقه مجازاً ويصح أن يقال : إن عيسى عليه السلام حين خلقه لم يخلقه فيكون قولنا : إن عيسى عليه السلام خلقه مجازاً على حدّ قوله : ﴿ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ وقوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فافهم وهذا استدلال بالحكمة لا بالمجادلة بالتي هي أحسن كما يذكرونه .

قال : **الثانية** ـ ورد عنهم عليهم السلام أنه فوض إليهم أمر الخلق وفي بعض الأخبار ما يأبى ذلك فما معنى هذا التفويض وما الجمع بين هذه الأخبار ؟ ولا بأس أن تتفضلوا بإيراد نبذة من تلك الأخبار ثم توضحوها بشيء مما سنح لكم فيها .

أقول : التفويض الممنوع منه هو أن يعطي تعالى عنده آلات الفعل والقدرة والإرادة والعلم به ويرفع يده عنها كالوكيل من الموكّل يعطيه جميع ما يتوقف عليه الفعل ويرفع جميع الموانع ثم يرفع يده ، فالوكيل يتصرف كيف يشاء وهذا المعنى باطل واعتقاده شرك ، وأما التفويض الجائز ، بل الواقع ، بل الواجب في الحكمة أنه تعالى إذا خلق شيئاً مثلاً منيراً فهو لا يكون كذلك حتى يكون له نور ينسب إلى إفاضته وإلا لم يكن منيراً ، وإن كان ذلك النور إنما خلقه الله من ذلك المنير وإلا لم يكن نوراً ، بل يكون منيراً فلا

يكون من ذلك المنير ، فإذا خلق منيراً خلق نوره منه وإلا كان المنير مطلوباً لأنه لا نور له ، فلا يكون منيراً فيجب أن يخلق نوره منه ليكون المنير منيراً ، فإذا خلق الهادي فإنما يكون هادياً إذا صدر منه هدى يهدي به غيره ، لكن الهدى لا يقوم من نفسه ، إلا بحفظ الله سبحانه ، والهادي لا يكون هادياً ولا شيئاً إلا إذا كان تعالى حافظاً عليه هذه الحالة ، والمهتدي لا يكون مهتدياً إلا بهادٍ ويهدى منه ، فمعنى تفويض الهدى إلى ذلك الهادي أنه لا يكون في الحكمة ذلك الهدى إلا من ذلك الهادي كالاستضاءة التي لا تظهر في الجدار من الشمس إلا بالجدار ، إذ لولاه لما ظهرت وإن كانت من الشمس هذا إذا خلق الأشياء على مقتضى الحكمة فإن الأثر لا يكون إلا من مؤثره ، نعم لو شاء أن يخلق الأشياء على مقتضى الحكمة فعل وحينئذٍ يكون الأثر من غير مؤثره ولكن لا يعقلون شيئاً فيبطل النظام ، فلما خلق على مقتضى الحكمة وجب أن يكون الأثر من مؤثره والهداية من هادٍ .

فمعنى التفويض إعطاء كل شيء ما يقتضيه ، فهم عليهم السلام علل وجب أن ينسب إليهم معلولاتهم فهذا التفويض الحق ولكن على حدّ ما قلنا من أن استضاءة الجدار لا تكون إلا بالجدار وإن كانت من الشمس فهي في قبضة الشمس ولم تخلها من يدها ، فإذا قلنا : إن الله تعالى فوّض إليهم عليهم السلام أمر شيء ، فالمراد أن ذلك الشيء في قبضته تعالى لم يخله من يده ولو خلاه من يده لما كان شيئاً ، لكن ذلك الشيء ، وإن كان من الله وبالله ولم يخله من يده إلا أنه لا يكون إلا بهم لأنهم سببه والأشياء كلها بهذا النمط ، ومن ذلك ملك الموت فإنه موكّل

بقبض الأرواح والمقصود من هذه الوكالة هو المقصود من التفويض الصحيح بمعنى أن الله تعالى أقدره على ذلك وهيّأ له الأسباب وهو وأعوانه من الملائكة وغيرهم في يد الله وفي قبضته قائمون بأمره كقيام الصورة التي في المرآة بمقابلة الشاخص ، وكذلك ما قلنا في حق محمد وآله صلى الله عليه وآله من أمر التفويض فإنهم عليهم السلام في نفس وجودهم وفيما فوضوا فيه بمنزلة الصورة في المرآة ، فإنهم قائمون بأمر الله الفعلي وهو مشيّة الله وإرادته وأمره المفعولي وهو نور محمد وآله صلى الله عليه وآله كقيام الصورة بمقابلة الشاخص ، وأما التفويض الذي هو الشرك فهو اعتقاد أن شيئاً من الأشياء قائم بنفسه قيام استقلال وقولكم بطلب إيراد نبذة من الأخبار مما يلزم منه التطويل وقد ذكر من دليل الحكمة ما يغني عن دليل .

قال : الثالثة ـ قد اشتهر أن من يدفن في النجف الأشرف يؤخر عنه حساب البرزخ إلى يوم القيامة ، وفي كربلاء بالعكس فهل صحيح عندكم ذلك أم لا ؟ ، وعليه فهل ذلك من طريق النقل والعقل ، وما الوجه في اختصاص كل من البقعتين بهذه الخصوصية وما القول في باقي بقع الأئمة عليهم السلام ، المأمول من جنابكم بيان هذا السر ؟

أقول : ما صح عندي من هذا شيء ولا سمعته إلا من جنابك الآن ، نعم الذي وصل إلينا من دفن في النجف الأشرف لا يحاسب وباقي الأئمة مسكوت عنه ، فبعض يقول : إن هذا خاص بالنجف الأشرف وبعض يقول : كلهم في ذلك سواء ويترجح عندي قول الثاني ، ورجع ذلك إلى النقل ولو قال العارف : يمكن رجوعه

إلى العقل لم يكن بعيداً .

قال : **الرابعة** ـ ورد أن الميت بعد الدفن تعاد إليه الروح إلى حقويه فيجلس فما حقيقة هذه الإعادة وما كيفيتها ، وحينئذٍ فمن أي عالم يكون وما حقيقة الحقوين ؟ وما وجه الاختصاص بهما ؟ وما معنى كون أصبعه قلماً وفمه دواةً وريقه مداداً وكفنه قرطاساً ؟ وما حقيقة منكر ونكير وما شعورهما التي يقدان بهما الأرض قدًّا فما هذا القد والشعور وما معنى المرزبة ؟

أقول : أول ما يوضع في قبره ويشرج عليه اللبن يأتيه رومان فتان القبور فيرد عليه روحه إلى حقويه ليتم له جميع أنحاء شعوره من السمع والبصر والإحساس من جميع الحواس الظاهرة والباطنة فيملي عليه رومان جميع أعماله ويأمره أن يشير إليها إشارة التذكر والحضور المكنى عنه بالأصبع للإشارة وبالريق للتذكر والنطق لتأكيد الاعتراف وبالكفن لتكون تلك الأعمال ظاهراً كاللبس ، لأن اللبس أظهر ما عند الشخص فيكون ظاهره الحسن أو القبح ، ثم يضعها في رقبته لمعنى الالتزام بها كالقلادة ، ثم يأتي المنكر الملك المخلوق عن إنكاره للغير عليه لقبيح أعماله ، ونكير الملك المخلوق من إنكاره للغير قال عليه السلام : (**هيهات ما تناكرتم إلا لما بينكم من الذنوب**) انتهى .

والشعور انبساط تعرفهما في السؤال والمرزبة سطوة غضب وانتقام ، وأما اختصاص الحقوين فلأنهما نهاية ما تحتاج إليه المشاعر فتعلق به البدن إذ ليس تحته من البدن ما يتعلق به شيء من المشاعر وإنما تحته الرجلان وفائدهما السعي لا غير ولا تعلق له بشي من السؤال ، هذا ما أفهم من التأويل وإلا فهذه أشياء حقيقة

على ظاهرها ، وإذا كان محسناً أتياه مبشراً وبشيراً وهذه الأمور من عالم الحس المشترك ومن عالم الخيال .

قال : **الخامسة** ـ هل الأرواح الملحقة بالجنة هي أرواح خلص المؤمنين أم مطلق الموالين ؟ ، فإن كان الأول فأين تكون أرواح باقي الموالين ؟ ، وعلى الثاني فيلزم إما سقوط العذاب عنهم رأساً فيكون من أساء بمنزلة من لم يسيء أو يؤخر عذابهم إلى يوم القيامة أو يعذبون وهم في الجنة ، أو يخرجون منها فيعذبون ثم يعادون إليها في غاية الأشكال كيف كان فما معنى أن السعيد إذا حوسب في قبره يقال له : نم نومة لا حلم فيها ثم يفتح له باباً [باب] من قِبَل رأسه يدخل إليه منه الروح والريحان ولمن ذلك إذا كان روحه ملحقة بالجنة ؟

أقول : الذين تلحق أرواحهم بالجنة هم خلص المؤمنين الخصيصين والخاصين وهم الذين يجمعهم أنهم الذين محض الإيمان محضاً ، وهؤلاء هم الذين يسألون في قبورهم ومن سواهم تبقى أرواحهم في قبورهم إلى يوم القيامة وهؤلاء ليس لهم برزخ ولا يبعثون في رجعة آل محمد صلى الله عليه وآله ، ولا يُسألون في قبورهم نعم من كان من هؤلاء له قصاص أو عليه قصاص ، فإنهم يبعثون في الرجعة ليقتص المقتول من القاتل ويعيشون ما يقتلون قاتليهم ثلاثين شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة ثم السعيد إذا حوسب لحقت روحه بجنة الدنيا وهما المدهامتان ويفتح لأجسادهم باباً [باب] من تلك الجنة يدخل عليهم منه الروح والريحان في قبورهم إلى أن يبعثوا في الرجعة والأبدان تتنعم وتتلذذ وتشعر بالنعم ، وأبدان الكفار تشعر بالتألم بنسبة تنعمك في الدنيا جسدك

وبدنك معاً ، لأن للأبدان شعوراً وإحساساً بقدر شعور أرواح عوام الناس في الحياة الدنيا وإثبات هذه الدعوى بالعقل والنقل إلا أنه يحتاج في بيان ذلك إلى تمهيد مقدمات وتقديم كلمات والوقت على ضيق مع ما أنا فيه .

قال : **السادسة** ـ ذكر جنابكم في جواب بعض المسائل أن العالم بين نفختي الصعق والبعث يكون هامداً أربعمائة سنة فهل ذلك من طريق العقل والنقل وما وجه خصوصية ذلك العدد ؟

أقول : ذلك من طريق النقل لكنه عند العامة أربعون سنة وعندنا أربعمائة سنة ووجه خصوصية ذلك العددان المراد من ذلك تخليص عالم الغيب من عالم الشهادة وذلك أنه لما قال لهم : ألست بربكم ؟ فأجاب من أجاب وأنكر من أنكر وتوقف من توقف فحكم لمن أجاب بالجنة ولمن أنكر بالنار ومن توقف توقف الجواب عنه حتى يجيب أو ينكر ، وإنما تحير لأنه تعالى لما فرغ الخطاب كسرهم ورجعهم إلى الطين فخلط الطينتين ليجتمعوا في هذه الدنيا لما بينهم من التقارب والتشابه وأنزلهم في دار التكليف فلحقتهم أعراض هذه الدار مع ما كان فيهم من مواضع الإجابة فأماتهم في هذه لتأكل الأرض ما فيهم من الغرائب والأعراض ، فصفا كثير من الأجساد في القبور وبقيت الأرواح والأجساد غير صافية من أعراض الدنيا وغرائب ما قبلها فكسرهم بين النفختين ليتخلص الجميع فيعودون على حقائقهم وكانت الكلية قد أمرها تعالى فقبضت من كل واحد من أفلاك التسعة قبضة ومن العناصر قبضة ، فأدار كل قبضة أربعة أدوار : دور عناصرها ودور معادنها ودور نباتها ودور حيوانها فكانت أربعين ، فخلق الإنسان من أربعين رتبة

فلظاهرها الرتبة الأولى أربعون ولباطنها الرتبة الثانية أربعمائة وهذا سرّ العدد .

قال : **السابعة** ـ ما معنى الطفرة المنسوبة للنظام وما حجته في إثباتها وما الدليل في إبطالها ؟

أقول : لما برهنوا الحكماء والعلماء على إبطال الطفرة في الوجود مثلاً ، قالوا خلق الله النفس لطيفة مجردة وأسكنها في الجسم وهو كثيف مادي ، فلو لم يخلق المثال متوسطاً ليس كبساطة النفوس ولا مثل كثافة الأجسام لزم أن يكون في الوجود طفرة ، فلما خلق النفوس لطيفة وخلق الأجسام كثيفة وأراد أن يسكن اللطيف وجب في الحكمة خلق عالم المثال متوسطاً بينهما لئلا يلزم الطفرة وهي ممتنعة والنظام جوزها في الوجود وأنا أثبتها لكم في المحسوس ، قال : عندنا مثلاً بئر عمقه خمسون ذراعاً فدلّينا دلواً في رشا خمسون ذراعاً ، فلو أثبتنا نصف الرشاء الأعلى وأخذنا رشاء طوله خمسة وعشرون ذراعاً وفي طرفه حلقة وسلكنا نصف الرشاء الأخير المتصل بالدلو وجذبنا الرشاء الذي طوله خمسة وعشرون ذراعاً ، فإذا انتهى هذا الرشاء الذي طوله خمسة وعشرون وصل الدلو خارج البئر في مسافة خمسة وعشرين ، ومسافة البئر خمسون ذراعاً فلو لم تكفر الطفرة لما قطع الدلو مسافة خمسين في مدة مسافة خمسة وعشرين وبطلانه من جهة أن الدلو فيما ذكره أسرع حركة منه في سيره في الخمسين ، ولأن نصف الرشاء الأسفل يقطع نصف المسافة ، لأن الرشاء القصير إذا قطع جزءاً من المسافة قطع مثله النصف الأسفل منها فلا تتحقق الطفرة التي يدميها ومثال البئر المذكورة في الهامشة فتدبر .

قال : الثامنة ـ ما حقيقة جابلقا وجابرسا وهورقليا ؟ وما معنى قول أفلاطون : إن الله لا يعلم جزئيات العالم أهو على ظاهره أم له معنى غير هذا ؟

أقول : إن لله ألف قنديل معلق بالعرش فسماواتنا هذه والأرضون وما فيهما وما فوقهما وما تحتهما كلها في قنديل واحد ، وباقي القناديل على هذا النمط روي أنها أقل من ألف وروي أنها أكثر وعالم البرزخ المعبّر عنه بعالم المثال عالم العلوي وأفلاكه يسمى هورقليا يعني ملكاً آخر وعالمه السفلي هو جابرسا وجابلقا . وأما قول من زعم بأن الله لا يعلم الجزئيات الزمانية مثل كون زيد الآن قاعداً هنا وبعد ساعة انتقل عنه إلى مكان آخر ، لأنه يلزم منه أنه تعالى إذا علم زيداً الآن هنا ، وبعد انتقل عن هذا المكان أن ينقلب علم الله جهلاً وإنما يعلم ذلك بوجه كلي ، أو يعلم العالم به ويحيط بالمحيط به كالعنصر الأولى الذي خلق فيه جميع صفائقها وهو تعالى يعلم تلك الحقائق بالأصالة ، وأما الأشياء فإنها منحطة من تلك الحقائق كالأظلة من الشواخص فهو يعلم الحقائق بالأصالة ويعلم المنحطة منها بالتبع ، أو أن الأشياء لها وجهان : وجه علوي وهي الأعيان الثابتة في علمه الذي هو ذاته ، ووجه سفلي وهي الذوات والصور المتبدلة الدائرة المضمحلة التي لا قرار لها وهو تعالى لا يعلمها في الأزل أي لم يحصل له العلم في الأزل بها وإنما يعلمها بعد وجودها وأمثال هذه الأقوال الفاسدة الكاسدة مما يطول الكلام بذكرها ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ .

قال : التاسعة ـ ما معنى قوله عليه السلام : (**والله ما بعد الموت إلا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار**) ، فإن ظاهره

يؤيد مذهب المرجئة القائلين بأن الإيمان لا يضر معه المعصية كما أن الكفر لا تنفع معه الطاعة إذ لا منزلة بين الإيمان والكفر .

أقول : ليس ظاهره هكذا ، بل المراد أن الخلق يؤول أمرهم إلى الجنة أو النار مثل قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ والمراد أنهم بعد التخليص والحساب يرجع أمرهم إلى ذلك كما قال صلى الله عليه وآله : (**ليس وراء دنياكم هذه بمستعتب ولا دار إلا جنة أو نار**) انتهى ، لأن الخلق بجميعهم يوم الجمع وبعد التميز والحساب لا يكون مكان ليس بجنة أو نار .

قال : **العاشرة** ـ قوله جل ثناؤه : ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ فما الفائدة في النسخ إذا كان الناسخ مثل المنسوخ .

أقول : اعلم أن الله سبحانه خلق الأشياء من الذوات والصفات على نمط واحد ليتبين لعباده ما يحتاجون إليه ، فلا يخلق شيئاً إلا بسبعة أشياء كما قال الصادق عليه السلام : (**لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة : بمشيّة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب ، فمن زعم أنه يقدر على نفس [نقص] واحدة فقد كفر**) انتهى .

وفي رواية (**فقد أشرك**) وفي رواية (**على نقص واحدة**) ، ومن جملة تلك الشرائط الأجل يعني أن كل شيء لا يخرج في الوجود إلا مجلاً يعني في وقت مخصوص ، وله مدة معينة لا يتقدمها ولا يتأخر عنها ولا تزيد ولا تنقص ، ومن جملة تلك الأمور المؤجلة أحكام النسخ فإن الحكم الذي يكلف به المكلفون مؤجل مثل التكليف بالصلاة إلى بيت المقدس مدة وجوده ، فلما انتهت مدته

كلفهم بالصلاة إلى الكعبة ، فمعنى النسخ في الحقيقة انتهاء مدة الحكم وذلك مثل ما يموت زيد إذا انتهت مدة عمره وفني رزقه مات ، ومن جملة الأسباب الموجبة لاختصاص بعض الأحكام ببعض المكلفين وفي بعض الأوقات الموضوعات التي تتعلق بها الأحكام في اختلافها كالصلاة قائماً حال الصحة وقاعداً حال المرض وهذا نوع من بعض أفراد جزئيات النسخ ، والحاصل النسخ في الحكم كالموت في الحيوان إذا فني أجّل بقاءه وتجدد الحكم كالولادة فافهم راشداً وسامح فإني معذور لما بي من اعتياد الأمراض والضعف الذي لا يكاد يفارقني والحمد لله على كل حال .

قال : **الحادية عشرة** ـ ما معنى قول الرضا عليه السلام : **(كنهه تفريق بينه وبين خلقه وغيوره تحديد لما سواه)** ؟

أقول : كنهه أي كنه معرفته تفريق بينه إلخ ، كما قال الصادق عليه السلام : **(كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مثلكم مخلوق مردود إليكم)** انتهى .

أعني إن كل ما تدركه فهو محدث وكل ما يتوهم ويتصور فهو خلق ، فكنه معرفته الفرق بينه وبين ما يدرك فهو لا يشارك في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله ولا عبادته لا في ذات ولا في هيئة أو فعل أو إدراك ولا في حال من أحوال الخلق ، فكنه معرفته أنه لا يشابه خلقه ولا يشابه شيئاً في خلقه وغيوره تحديد لما سواه ، يعني أن ما يوصف تعالى به مما هو من الخلق فهو تحديد كنفس ذلك الوصف مثل إذا قلت : هو تعالى ليس بجسم معناه أن النفي عائد إلى الجسم لا أنه صفة لله لأنه تعالى لا يوصف بنفي ، فالنفي الذي في

ليس بجسم لا يجوز أن يكون صفة لله وإنما هو تحديد للجسم فافهم .

قال : **الثانية عشرة** ـ ذكر في دعاء السمات ، (**وصنعت بها العجائب في بحر سوف**) فما المراد بهذا البحر وأين يكون ؟

أقول : لأنه عزّ وجلّ لما دعاه موسى على محمد صلى الله عليه وآله حين خشي أن يدركه فرعون وجنوده بالاسم الأعز وبالاسم الأعظم وبالأسماء الحسنى أمره أن يضرب بعصاه البحر فضرب فانفرج الماء فصار طاقة ، فأمر قومه أن يعبروا فقالوا : نحن اثنا عشر سبطاً كل سبط مع جنوده فكيف يسعنا طريق واحد ؟ ، فأمر تعالى موسى عليه السلام فضرب ثانية فصار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق يبس والماء يجري من فوقهم فقال الذين مع موسى عليه السلام : نخاف أن يجري على أصحابنا شيء ونحن لا نراهم ، فسأل ربه فأمره فضرب فصار الماء الذي بين كل طريق طاقات ، بحيث يرى كل طائفة الأخرى ، وهم في أرض يابسة والماء يجري من فوق رؤوسهم أمواجه كالجبال وهذه العجائب التي صنع لهم في ذلك البحر أعني بحر سوف ، وسوف في اللغة السريانية هي الحكمة ولهذا سمي الحكيم فيلاسوف لأن فيلا بمعنى محب وسوف بمعنى الحكمة يعني محب الحكمة ، وسمي ذلك البحر من نيل مصر بحر الحكمة لما ظهر من الآيات والأسرار والعجائب التي صنعها تعالى فيه حين سأله موسى على محمد صلى الله عليه وآله فالاسم الأعز والاسم الأعظم والأسماء الحسنى اللهم صلِّ على محمد وآله الطاهرين .

الرسالة الغديريّة
في جواب الشيخ عبد الله بن
محمد بن أحمد بن غدير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه أرسل إلي الأكرم الأجل والزاهد البدل الشيخ الأواه الشيخ عبد الله [عبد الله بن محمد بن أحمد] بن غدير بمسائل يريد بيانها وفيها ما لا يحسن بيانها [بيانه] لقولهم عليهم السلام : (**ما كل ما يعلم يقال ، ولا كلّ ما يقال حان [آن] وقته ولا كلّ ما حان [آن] وقته حضر أهله**) انتهى ، لكن لمّا كان من أهل ذلك وجب علي الإشارة إلى ما أراد لئلّا أكون ظالماً له إن منعته على أنه [أنه سلّمه الله] طلب مني بيان اعتقادي في ذلك فجعلت كلامه وعبارته في كتابه إلي متناً وجوابي شرحاً ليكون الجواب طبق السؤال ويعرف الحال من المقال فأقول وبالله المستعان وعليه التكلان .

قال : [قال سلّمه الله] : مسألة مهمة [مهمة إلى أن قال] وهي الكشف عن نسبة المعاصي للمعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين [أجمعين وتسلط إبليس عليهم] فإن الروايات والآيات تدل على ذلك كما لا يخفى ، وأحوالهم في مناجاتهم وأدعيتهم تشهد بذلك فالمأمول أن تفصح من اعتقاداتك [عن اعتقادك] في ذلك وتبين الدليل والجواب عن هذه الشبهة وأمثالها فإني في ذلك

من الواقفين الساكتين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً .

أقول : إن هذه المسألة وإن جرى على ألسنة العلماء والعارفين ، لكن الكلام فيها والبحث عنها لا يكون جوابها على حقيقة الأمر الواقع ، كما هو مطلوبه الدال عليه بقوله : (**إن تفصح**) إلخ بالعبارة الظاهرة لأنها تزيدها غموضاً فإن الجواب عنها من مكنون العلم الذي كتموه عالموه عن أنفسهم بل عن عقولهم وإنما هو في أسرارهم وما أحسن الاستشهاد هنا بقول الشاعر :

وإيــاك ذكــر الــعــامــريــة إنــنــي
أخــاف عــلــيــهــا مــن فــم الــمــتــكــلــم

نعم التلويح أوضح لمثل السائل من التصريح ، وأنا أشير ما يتحقق [أشير إلى ما يحقق] الشبهة بالدليل المناسب للمقام ثم أذكر الجواب والدليل الكاشف لما تحقق منها ولأحققها [لما حققها] ومن أخذ من كلماتي هذه الآتية في بيان ذلك نصيب [بنصيب] فقد فاز بالمعلى والرقيب .

اعلم أن حقيقة المعصية عدم لأنها من ماهية المكون من حيث نفسه لا من جهة خالقه ، لأنّ ماهيته العليا التي هي من جهة خالقه [خالقه نور] لا ظلمة فيها فهي نور الخالق لا ماهية المخلوق ، فكل مخلوق خرج من عند الله فله ماهيتان ومعصيته من الماهية السفلى العرضية الوهمية وهذه الماهية يكتمل وجودها من عرضيات الوجود وتشبهها به وادعائها له فهي : ﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾ لأنها في الحقيقة ما شمّت رائحة الوجود ﴿ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ ﴾ ، فإذا استولت عليها أنوار الوجود بالعمل التشريعي الاختياري رقت آنيتها وتلاشت مائيتها

وانقادت لأمر ربها فتركت دعواها وتشبهها بمولاها وعافت الأعراض ورذائلها وصحبت الوجود للموجد المعبود وذلك إذا ﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِي ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ فقيل لها : ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ، فهي في هذا المقام (**حجاب زبرجد يتلألأ بخفق**) يعني باضطراب كما أشار إليه جعفر بن محمد عليهما السلام كما رواه في الكافي ، فهي مطيعة بصحبتها للوجود وعاصية بكونها [لكونها] حجاب زبرجد وإن كان مضطرباً ما لم تفن بالكلية ، وبيانه : إن الإمكان عصيان إذ كل متحقق بغيره إذا وجد له تحققاً بذاته كان عاصياً بنسبة دعواه الوجدان وإلا كان مستغنياً عمن تخلق [تحقق] به فيما استقبل [استقل] به فلم يكن محتاجاً مطلقاً بل في شيء دون شيء هذا خلف ، وذلك لأن المخلوق قائم بخالقه قيام صدور فهذا [فهو] أبداً محتاج إلى المدد والإفاضة والفيض وعليه دائم المدد بل ليس شيئاً غير [شياعه] ذلك المدد الامتدادي [الإمدادي] وفي الدعاء (**إلهي وقف السائلون ببابك ولاذ الفقراء بجنابك**) والأكدار تلازم الأغيار فمهما تحققت المغايرة تحققت الكدورة ولا تعجب من هذا وقد قالوا عليهم السلام : (**حسنات الأبرار سيئات المقربين**) فإن المقربين إذا أكلوا من الحلال ما يمسك رمقهم ليقووا به على الطاعة أو نكحوا للسنة وكسر النفس ، وطلب النسمة التي تثقل الأرض بشهادة أن لا إله إلا الله على أنهم أمروا بذلك فكم من مأمور منهي ، ومنهي مأمور ، ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ

رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾ ، فإذا فعلوا ذلك الذي هو كمال حسنات الأبرار كانوا عاصين إذ ليس لهم حالة لا كدورة فيها إلا حالة نفي الأغيار قال الصادق عليه السلام : (**لنا مع الله وقت هو فيه نحن ، ونحن هو ، ونحن نحن ، وهو هو**) انتهى .

فالحرفان الأولان ليس فيهما كدورة ولا ظلمة وذلك أعلى درجاتهم وهو مقام أو أدنى ، والحرفان الأخيران فيهما كدورة وظلمة للعقل [للفصل] والفرق فافهم [فافهم فإذا أكل المقرب من الرزق الحلال لما أمر كما أمر كان عصياناً في حقه للفصل والفرق] كما مرت الإشارة إليه وليس لأحد من الأبرار أن يراها معصية وهي نهاية طاعته ، والمراتب من الحرفين الأولين في الحديث المذكور إلى الثرى لا تحصى ، وبعد الحرفين المذكورين كل من أزال [كلها منازل] الأغيار وبها بطل [ومهابط] الأكدار وإن كانت متفاوتة وكل أهل مرتبة عصيانهم في نزولهم إلى من دونهم بمرتبة يكون تلك المرتبة حسنة الأدنَيْن وسيئة الأعلَيْن لا ينفك الأعلون من الدنيا ، في بعض الأحوال وإن قلت وكثرت على حسب منازلهم وهكذا فيكون الأعلون يستقيلون من حسنة من دونهم وإلا كانوا مثلهم ومن نزل مرتبتين كان فاسقاً والعياذ بالله ، فإذا نزل الأعلى جرى عليه حكم الأدنى فلهذا [ولهذا] كانوا عليهم السلام يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق وينكحون النساء ويقتلون ويموتون ويقبرون ولهم حالة لا كدورة فيها كما قلنا أشار إليها في كتابه العزيز بقوله تعالى : ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ .

وعن الصادق عليه السلام في خطبة أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن قال عليه السلام : (**الذي كنا بكينونته قبل خلق الخلق**

والتمكين وقبل مواقع صفات تمكين التكوين ، كائنين غير مكونين موجودين أزليين منه بدأنا وإليه نعود) الخطبة ، قال المفضل للصادق عليه السلام : يا بن رسول الله إن هذا الكلام تحارُ فيه العقول فعرفني ما معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام : **(الذي كنا بكينونته قبل خلق الخلق)** قال الصادق عليه السلام : **(بكينونته في القدم وهو المكون ونحن المكان وهو المشيء ونحن الشيء ، وهو الخالق ونحن المخلوقون وهو الرب ونحن المربوبون ، وهو المعنى ونحن أسماؤه ، وهو المحتجب ونحن حجبه كائنين غير مكونين نسبحه ونمجدّه ونقدّسه في ستة أكوان)** الحديث .

فلذلك [فكذلك] كانوا [كانوا يستقيلون و] يستغفرون ولهذا [لذا] قالوا : (**نحن معانيه**) فالشيء من حيث هو لا يعصي نفسه من تلك الحيثية لعدم المغائرة قال الله تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ وسمّاهم بأسمائه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ ، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ ، ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ ، إلى غير ذلك انظر إلى معنى قوله تعالى : ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ فأين المعصية في هذا المقام وهذا [هو] مقام **(كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به)** الحديث ، وقولهم عليهم السلام : **(نحن محال [محل] مشيّة الله)** وقوله تعالى : ﴿ وَمَنۡ عِندَهُۥ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ ١٩ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ مع أنّ هذا دون ذلك المقام الأول وما سوى ما ذكر ، يجري عليهم ما ذكر وليس ذلك في ذواتهم بل هو فيما لهم وكذلك [كذلك ما ورد] مما يوهم أن للشيطان لمماً بهم فإن الله سبحانه يقول : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ ، فلا سلطان له عليهم وإنما اللمم لما لهم وهذا

المعنى أحد الوجوه في الجواب عن هذه المسألة كما روي عنهم عليهم السلام : (**إن الله حمّلهم ذنوب شيعتهم فهم لما عليهم من ذنوب محبيهم يتضرعون ويبكون ويستغفرون**) .

وقولي لما لهم أشير به إلى شيعتهم فإن الله خلقهم لهم وهذا الوجه في الحقيقة راجع إلى الأول في المعنى ، وكذلك ما قيل : إنهم عدّوا ترك الأولى معصية فإن هذا الوجه أيضاً راجع إلى الأول ، كما لا يخفى ، ثم اعلم أن ما يلقي الشيطان فليس إليهم ولا إلى شيعتهم في الحقيقة بل هو إلى الغير وما جرى على بعض المحبين بالعرض فإنما ذلك لركونهم إلى الغير فيمسّهم وهج النار ، في هذه الدنيا ، فتقع بذلك منهم المعصية فيكون الركون والمعصية وإصابة وهج النار كلها بالعرض ومن كان بالذات فلا ولاية بينهم وبينه ، وليس من أتباعهم بل هو من غيرهم فلا يتحملون من ذنوبه شيئاً ، وتأمّل ما سبق من الكلام [الكلام من] إن الإمكان حرف معجم موسوم بنقطة الفقر وذلك منشأ الظلمة وعلى قدر تلاشيها [تلاشها] في أنوار الوجود الحق وقطعها الاعتبار من نفسهم [نفسها] تكون الطاعة وبقدر بقائها وآنيتها تكون المعصية ، وقد كررنا هذا المعنى مراراً وأدلة ذلك من القرآن والسنّة كثيرة لا تحتاج [لا يحتاج] إلى إيرادها فظهر أنهم معصومون في كل مراتب من دونهم ، بمعنى أن لهم فيها مقام الوجه فكساهم فيه [فيها] ، حللاً من صفة الصمدانية ولهم مع ربهم تلك الحالتان السابقتان فافهم ما ألقي إليك وما عنينا واعرف قول الشاعر :

فمن كان ذا فهم يشاهد ما قلنا

وإن لم يكن فهم فيأخذه عنا

فـمـا ثـمّ إلا مـا ذكـرنـاه فـاعـتـمـد
عـلـيـه وكـن فـي الـحـال فـيـه كـمـا كـنـا
فـمـنـه إلـيـنـا مـا تـلـونـا عـلـيـكـم
ومـنـا إلـيـكـم مـا وهـبـنـاكـم مـنـا

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

قال : [قال سلّمه الله] : وأيضاً ذكر الإمام العلاّمة أعلى الله مقامه في أجوبة السيد مهنا رحمه الله ، أنه لا يجوز القول بالإحباط لما يلزم أن من أحسن يكون بمنزلة من لم يحسن إذا زادت سيئاته على حسناته ، ومن أساء يكون بمنزلة من لم يسئ إذا زادت حسناته على سيئاته ، وظاهر أخبار أهل البيْت عليهم السلام والآيات القرآنية تأبى قول العلاّمة مثل : (**إن الحسنات يذهبن السيئات وإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**) ، ومثل (**خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً**) فإنه ورد (**أنهم أُناس تعادلت حسناتهم وسيئاتهم**) ، والأخبار التي تضمنت أن بعض الأعمال الصالحة تحبط الذنوب وتكفّر السيئات أكثر من أن تحصى فأوضح لنا ذلك [ذلك هداك الله] أحسن المسالك .

أقول : الكلام في هذا الكلام على معنيين أحدهما : القول بالإحباط أو بعدمه وثانيهما : فيما يلزم القائل بالإحباط **أما الأول** : فالحق في المسألة القول بعدم الإحباط على المعنى المراد من اصطلاح العلماء لمنطوق محكمات القرآن كقوله تعالى : ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ وقوله

تـعـالـى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ ﴾ ﴿ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾ ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ ﴾ وغير ذلك من الآيات الكثيرة المحكمات ، وكذلك من الروايات ، ولأن أصل الحسنة ثابت وأصل السيئة مجتث والشيء لا يعادل بلا شيء ، ولأنّ مقام الحسنة فوق ومقام السيئة تحت وبينهما مسافة بعيدة ، ولو قيل بعدم الانتهاء لم يكن بعيداً فأين المعادلة ؟ .

واعلم أن هاتين العلتين هما من مخزون العلم من عرف المراد منهما لم يحتاج [لم يحتج] إلى دليل بعدهما وسنشير إلى البيان فترصده من مظانه لا يقال : إن دعواكم إن كان من [أحكام] هذه الآيات من دون أضدادها مثل قوله تعالى : ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ﴾ وقوله تعالى : ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ وقوله تعالى : ﴿ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ﴾ ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وغير ذلك دعوى من غير دليل بل لقائل أن يقول : إن هذه هي الحكمة [المحكمة] لا تلك والأخبار في هذا المعنى كثيرة وكون السيئة مجتثة الأصل لا يضر بعد تحققها ، وفوقية المقام لا ينافي الإحباط بعد رفع الأسفل ووضع الأعلى حتى يوضعا في كفتي الميزان [الميزان وإلا] فلا فائدة في الوزن الذي نطق به القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ الآية .

لأنّا نقول : إن ذلك إنما كان بالدليل القاطع لحجة الواعي السامع وهو أن الحكم بأحكام الآيات الأولى ، الدالة على بطلان

القول بالإحباط جار على طريقة العقل [العدل] ومستقيم على النهج الأوسط من مسالك العدلية لأنه إذا جعلت محكمة يرد [ترد] إليها غيرها تطابق القرآن ومعنى السنّة النبويّة ووضع الحق لأهله والمتشابه لأهله ، ولو عكس الأمر كان وضع الحق للمبطلين والمتشابه للمحقين والله سبحانه يقول : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ﴾ ﴿أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ﴾ يعني بأن يهدي المؤمنين إلى طريق رد ذلك إلى المحكم ثم قال تعالى : ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ يعني أن إلقاء الشيطان سيئة في متشابه من القول لأولي الزيغ لا لأصحاب الحسنات ، فلو صح معادلة حسنة بسيئة لكان إلقاء الشيطان لا يخص أولي الزيغ بل يشمل المؤمنين من حيث هم مؤمنون ومحسنون لحسناتهم التي أحبطها إلقاء الشيطان فافهم .

ثم قال تعالى : ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ﴾ لبعدهم عن طريق أهل العدل وتيههم في كل وادٍ سحيق من الاحتمالات الردية التي لا أصل لها وغرقوا من هوى أنفسهم في بحر عميق من الماء الأُجاج وتقحم الاعوجاج في أمواج لجج الخواطر الشيطانيّة التي لا ساحل لها ثم قال سبحانه : ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ بما كشفت [كشف] لهم من مراده تعالى في خطاباته وبما عرفوا من مراد الشارع عليه السلام في أخباره وتأسيساته ، لأنه إنما يتكلم بلغتهم وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ يعني به العلم وروى الديلمي في كتابه أعلام الدين عن الباقر عليه السلام : [عليه السلام] قال :

(الناس كلهم بهائم إلا قليلاً من المؤمنين والمؤمن قليل والمؤمن قليل) انتهى .

ثم قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ والمراد بهم ذلك القليل الذين خاطبهم الله في كتابه ، بتبعية خطاب أئمتهم وهم الذين يعرفون سنّة نبيهّم صلى الله عليه وآله لا سواهم [سواهم وهم الذين] يهديهم الله إلى طريق من التأويل مستقيم بل من كان صادقاً منهم بعدم إعراضه عما لهم [الهم] لا يكاد يخطىء أبداً لأنه معصوم بفاضل عصمته عليه السلام [عصمة ساداته عليهم السلام] وإلى ذلك الإشارة بقول الصادق عليه السلام كما رواه الديلمي في كتابه [كتابه المعلوم] **(ما من عبد أحبنا [حبنا] وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسأل مسألة إلا نفثنا في روعه جواباً لتلك المسألة)** انتهى ، فافهم .

وملخص الجواب عن شقوق الاعتراض كلها وعن أصل المسألة في بيان العلتين اللتين أشرنا إليهما ونحن نشير إلى بعض البيان لأنه يكفي من يفهم ومن لا يفهم ، فإن البيان حجاب له فنقول : اعلم أن قولنا : إن الحسنة أصلها ثابت لأن مصدرها من العقل الذي هو باب الوجود الذي هو نور الله كما دلّت عليه النصوص بمنطوقها ، ولذا قال الله تعالى في الإشارة إلى ذلك : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ ﴾ والسيئة أصلها مجتث قال تعالى : ﴿ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ ﴾ وكذا في الزبدين الزبد الجفاء وهو الباطل ، والزبد الماكث في الأرض وهو الحق ، والمراد من هذا كله أن العمل الصالح إذا صدر من [عن] داعي الحق على الطريقة الشرعية كان تأسيس الله القوي لا يهدم منه شيئاً [شيئاً منه]

كيد الشيطان ضعيف [الضعيف] ولو طرأ عليه كما روي في الكافي عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قيل له وأنا حاضر : الرجل يكون في صلاته خالياً فيدخله العجب فقال عليه السلام : (**إذا كان أول صلاته بنيّته [بنية] يريد بها ربه فلا يضره ما دخله بعد ذلك فليمض في صلاته وليخسأ الشيطان**) وفيه في صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : (**إذا أدى الرجل صلاة واحدة تامة قبلت جميع صلاته وإن كن غير تامات**) الحديث ، والمراد من قوله عليه السلام : (**غير تامات**) ما هو أعم من الأجزاء بدليل قوله بعد : (**وإن أفسدها لم يقبل منه شيء منها ولم يحسب له نافلة ولا فريضة وإنما يقبل [تقبل] النافلة بعد قبول الفريضة وإذا لم يؤد الرجل الفريضة لم تقبل منه النافلة**) الحديث .

فظهر من هذا أن الأداء تامة مراد به كونها موافقة [مواقعة] للشرع وإن غير تامة مراد به كونها غير موافقة لغرض الشارع عليه السلام وهو معنى الإفساد المذكور فبيّن عليه السلام أنه لا يتطرق عليها إحباط وهي واحدة من كثير من أمثالها ، ولا سيئة أعظم من إفساد [فساد] الصلاة لأن التامة أصلها ثابت كما نبّه عليه [عليه الصادق عليه السلام] في الحديث السابق ، وإنما يتطرف [يتطرق] الإحباط إلى الأعمال التي لم يثبت لها أصل وهي في الحقيقة ليست بأعمال لقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ وقال تعالى : ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مع أن المرائي أكثر الناس ذكراً ولكنه ليس بذكر حقيقة وإنما سمي عملاً وحسنة ، ويجري عليه الإحباط لما يظهر لهم وللبهائم من الناس أنها أعمال حتى إنهم (**ليحلفن بالله إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم**

لكاذبون) ، ولأجل الصورة الظاهرة أيضاً فإنها صورة الحسنة ولكنها ميتة لعدم الروح ، وهي النية الصادقة فإذا قوبلت بالسيئة وزنت بها عادلتها وأسقطتها بل تكون هي السيئة لأنّ السيئة هي العمل لغير [الغير] الموصول بنور الله ، بل أصلها من النفس التي هي باب الماهية التي ما شمّت رائحة الوجود ، ولهذا أشار تعالى إليها في أمثال كتابه بذلك قال الله تعالى : ﴿ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا﴾ وقال تعالى : ﴿ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ الآية ، [الآية إلى غير ذلك] وقوله تعالى : ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ وأمثاله من الكتاب والسنّة يراد به أن أحوالكم ومقتضيات ذواتكم مما هيأتم أو ندبتم إليها التي هي أعمالكم صححوها واثبتوها بمادتكم [بما دلّكم] الدليل عليه السلام عليه لئلا تكون هباءً منثوراً فتفهم في واسع هذا المجال من مبسوط كلامي الحال ولا تكثر القال فإن : **(العلم نقطة كثرها الجهال)** كما قال [قاله] علي عليه السلام .

والعلة الثانية وهي أنّ مقام الحسنة فوق ومقام السيئة تحت ، فبيانها : هو أن المراد من ذلك إما أنّ الحسنة من العقل وهو نور الوجود والوجود نور الله كما قال علي عليه السلام : **(اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)** قال ابن عباس : كيف ينظر بنور الله ؟ قال عليه السلام : **(لأنّا خلقنا من نور الله وخلق شيعتنا من شعاع نورنا)** الحديث .

وقال الصادق عليه السلام : **(إن الله خلق المؤمن من نوره وصبغهم في رحمته وأخذ ميثاقهم لنا بالولاية ولعلي أمير المؤمنين عليه السلام فالمؤمن أخو المؤمن لأمه وأبيه أبوه النور وأمه الرحمة**

وإن المؤمن لينظر بنور الله) ، قال الصادق عليه السلام : (**إنما ينظر بذلك النور الذي خلق منه)** انتهى .

وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ﴾ يعني يرفعه [يرفعه يعني] إليه والسيئة من النفس الأمّارة وهي الظلمة [ظلمة] من فقر الماهية ، والماهية إنما جعلت بجعل الوجود فتعلقها بالحق كتعلق ظل الجدار بالشمس ووزن الشيء وضعفه [وضعف] في موضعه اللائق به من كم وكيف ورتبة ووقت ، إلى غير ذلك والمعادلة إنما تكون بين شيئين بينهما جهة جامعة فتعادلت البعرة ببعرة للمجانسة أو بمثلها من الحطب لفائدة الإحراق أو بمثلها من الحجر للقيمة ، ولا تعادل بعرة بدرة لعدم الجهة الجامعة الموجبة للمقابلة والإسقاط فافهم وتصرف في معاني ما ألقي إليك ولا تعدُ عيناك عنه ، واعلم أن الفائدة في الوزن بيان كفة صاحب العمل ليسكن في كفة اليمين أو كفة الشمال لا بيان العمل نفسه و[نعم] ، بيان العمل ليعلم مرتبة صاحبه في أي درجة من درجات النعيم [النعم] أو في أي درك من دركات الجحيم وهما الكفّتان ، (**كلّا إن كتاب الأبرار لفي نعيم ، كلا إن كتاب الفجار لفي جحيم**) فاليمين (**باطنه فيه الرحمة**) والشمال (**ظاهره من قبله العذاب**) فافهم فقد كشفت لك السر وبينت لك الأمر ليس فيه نقص عما تريد لأنك تطلب الحقيقة كما دلّ عليه كلامك في المسألة الأولى ، وهو أن تفسح عن اعتقادك ولولا ذلك وأنك أهل لذلك لكان الجواب غير هذا .

وأما الكلام على المعنى الثاني وهو ما يلزم القائل بالإحباط ، فاعلم أن إلزام العلاّمة رحمه الله على الطريقة التي تريد مدخول ،

لأن قوله لما يلزم أن من أحسن بمنزلة من لم يحسن إذا زادت سيئاته ، ومن أساء بمنزلة من لم يسيء إذا زادت حسناته يلزم منه عند ملاحظة عموم المنزلة الذي [التي] أشار إليه تساوي الحالتين كما هو ظاهر كلامه وليس كذلك بل من أحسن عشر حسنات مثلاً ، وأساء خمس عشرة سيئة وقيل بإسقاط الحسنات بعشر من السيئات مع التعادل كما هو المفروض لا تبقى خمس سيئات لأنّ الإسقاط عدل على هذا القول وهو يذل [بذل] النفس ويقبضها عكس الفضل فيحصل لها [بها] انكسار غير كسر السيئة بل لفقد الحسنة التي عملتها وذلك عبودية عند من يفهم ولها أجر لا يحصل بالحسنة أبداً ، وإليه الإشارة في الحديث ما معناه : (**لو لم تذنبوا لذهب بكم وجاء بأناس يذنبون ويستغفرون ويغفر لهم**).

وقوله عليه السلام ما معناه : (**إن من الذنوب ذنوباً لا يكفّرها إلا الهم**) وكذلك الحديث المشهور في مشاجرة جبرئيل وميكائيل (**فقال جبرئيل : من أذنب وتاب أفضل ممن لم يذنب ، وقال ميكائيل : من لم يذنب أفضل ، فانتظرا الوحي فجاء بتأييد جبرئيل عليه السلام**) معللاً بزيادة الانكسار وأنه عمل صالح ، وأن التعليل من جبرئيل لا يحضرني صورة الحديث والأصل في ذلك ما ذكرت لك من قبض العدل وإن القبض وإن لم يكن بسبب النفس له أجرة يثاب المرء على رغم أنفه ومن ذلك البلايا سواء كانت بفعل النفس ، أم لا ؟ وما قيل : إن هذه حسنات هو أسقطها فكيف يثاب عليها بل يعاقب ؟ فليس بالتخفيف بل التخفيف [بالتحقيق بل التحقيق] أن يقال : إنه إن كان يعاقب زيادة على مقابلتها من السيئات لم يكن عدلاً ، وما ورد مما يوهم ذلك فليس معناه ما

أراد هذا القائل ، ولكن الاستقصاء في حمل [توجيهه] كل ما يوهم يطول به الكلام .

فإذا عرفت الأصل عرفت الفرع فإذا لم يكن عقاب بل الأمر دائر بين الثواب وعدم العقاب ، وقد علم من كشف الله له غطاء بصيرته أن عدم العقاب استعداد الثواب [للثواب] من جهة الفضل لأن الممكن لا يمكن أن يكون جامداً بل [بل هو] يمر مرّ السحاب إما صاعداً وإما نازلاً فافهم .

فإذا عدم الموجب للثواب من جهة العمل وجد الموجب من جهة الفضل لعدم المانع ، وأما الشق الثاني وهو من أساء بمنزلة من لم يسيء إذا زادت حسناته فهو في ذلك بالطريق الأولى لثلاثة وجوه :

الأول : إسقاط السيئة [إسقاطه للسيئة] عمل غير القابلة .

الثاني : انكسار نفسه بنقص حسناته بالإحباط .

الثالث : توجه الفضل فالتساوي بين الحالتين المفهوم من عموم المنزلة غير متجه على ما أردتم وإلا فإنه في الظاهر متجه وعلى ما ذكرنا من عدم اللزوم لعدم التساوي فيلزم القائلين بالإحباط ، ما أشرنا إليه سابقاً فإنه لا مناص لمن عرف والآيات والروايات شاهدة بعدم الإحباط وما دلّ على ذلك فوجهه ما قلنا آنفاً فراجع وأما قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ فلما قلنا من اجتثاثها وثبات الحسنات ولهذا لم يرد ما يدل على أن السيئة تحبط الحسنة وإنما تحبط الأعمال وهي أعم من الحسنة ومخصصة بغيرها وقد بينا ذلك ألا ترى قوله تعالى : ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ فلو أحسنوا لما أضاع [ما أضاع] عملهم ، وفي الحديث في

الكافي عن الصادق عليه السلام : (**هيهات فات قوم وماتوا قبل أن يهتدوا وظنوا [وظنوا أنهم] آمنوا وأشركوا من حيث لا يعلمون**) وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ﴾ كما قلنا ولا عكس لقوله تعالى : ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ فتأمل المعنى كما أوصلت لك سابقاً وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾ فتدبر ترى [تر] أعمالاً مجتثة سميت بأسماء الثابتة على ظنهم ولذا قال : ﴿ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وأما قوله تعالى : ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴾ .

وإن المراد بهم أناس تعادلت حسناتهم وسيئاتهم ، والمراد [فالمراد] بالخلط الذي اقتضى التعادل ، هو ما ذكرت لك من عدم تأصل الحسنة لجهلهم واستضعافهم وتمكن السيئة لعدم القصد الذوقي الذي عندما حض الكفر فكان في الجملة في السيئة نوع عذر فانحطت حسناتهم وصعدت سيئاتهم فاجتمعا [فاجتمعتا] في مقام المعادلة ولهذا لا يسألون في قبورهم ولا يبعثون في الحشر الأول .

وإذا كان يوم القيامة جدّد لهم التكليف وأُججت لهم النار التي يقال لها : الفلق لأنهم يومئذ بلغوا [بلغوا المقام] الذوقي إذ المانع في الدنيا ذهبت بأغراضه الدنيا وبأغراضه الأرض فافهم واشرب صافياً لا تظمأ بعده أبداً فإنه من ذلك الكوثر الذي أشار إليه علي عليه السلام لابن الطفيل [لأبي الطفيل] حين سأله ، ومثل ذلك أيضاً أن الأعمال الصالحة تحبط الذنوب فإنها من قوله تعالى :

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ﴾ فافهم الشرط وهو مؤمن فإن المراد بالمكفرة الصغائر واللمم من سعة مغفرة الرب تعالى لا الكبائر لأن المؤمن لا يفعل الكبيرة (**لا يزني الزاني وهو مؤمن وإن قلتَ**) [قلت : إن] استثناء ذكر الكبيرة يشعر بالإحباط .

قلتُ : ليس كذلك وإنما هو في مقام دون مقام ، وإذا لحظت لحظنا بالإيمان الأكبر الذي أشار إليه الصادق عليه السلام في هذا الشأن وهو قوله عليه السلام : (**وإن زنى وإن سرق**) واعلم أني قد أترك التصريح عمداً لفائدة تعلمها أنت واتكالاً على فَهْمك ، فهّمك الله تعالى الخير .

قال : [قال أيّده الله] : وأيضاً مكْروه العبادة مثل التنفل في الأوقات المكروهة والأماكن التي تكره الصلاة فيها وغير ذلك ، هل المرادِ أنها أقل ثواباً بالنسبة إلى غيرها أو أنها مرجوحة فلا يكون في فعلها رجحان لأن المرجوح لا يكون راجحاً إلخ ؟ .

أقول : إن في هذه المسألة ثلاثة أقوال عند أهل الأصول :

الأول : إن مكروه العبادة من المندوب إن كانت مندوبة ومن الواجب إن كانت واجبة ، لأن العبادة راجحة والراجح لا يكون مرجوحاً .

الثاني : إنه من المكروه والكراهة راجعة إلى وصف خارج عن ماهيتها وإن كانت في نفسها راجحة لكنها من المكروه لما لحقها من كراهة بعض ما يتعلق بها .

الثالث : إنها قسم سادس يعني أن الأحكام واجب وحرام ومندوب ومكروه ومكروه العبادة ومباح .

فأما القول الأخير فبطلانه ظاهر ، وأما الثاني فله ظاهر اللفظ من حكم الشارع عليه السلام حيث يقول : تكره الصلاة في كذا فأسند الكراهة إليها ولكن المعنى [المعنى من] مراده عليه السلام يأباه فإن الصلاة خير موضوع وإنما الكراهة راجعة إلى المكان ، أو إلى الوقت أو اللباس أو غير ذلك ، ولهذا حث عليها مطلقاً ولو كانت ترجع إلى الصلاة نفسها لما كانت الواجبة حيث تكره واجبة بل يكون فعلها مرجوحاً فلا يذم على تركها .

وأما القول الأول وهو أنها من المندوب فهو الحق ولكن التوجيه بأنها أقل ثواباً ليس على سبيل الحقيقة بل مجاز ، لأن الصلاة في الحقيقة ثوابها لا ينقص ولا يزيد إلا من جهة نفسها ، وقد قلنا : إن الكراهة راجعة إلى غير ذاتها ، نعم لمّا كانت الصلاة وهي الأفعال المخصوصة المعلومة لدى الشارع لها باعتبار فاعلها وكان [مكان] الفعل والجهة وغير ذلك توابع تتوقف عليها من باب المقدمة ومن باب الشرط والسبب وتلك التوابع كالوقت والمكان والجهة ، لبعضها مزايا وخواص تناسب الصلاة وتزيدها كمالاً لأنها [لا أنها] تكملها وبعضها ليست له تلك المزايا والخواص بل لها عكس تلك المزايا والخواص لم تكن [لم يكن] لها تلك المزية التي تزيد كمالاً وإن لم تقتض المنع كان ثواب الصلاة وحدها أقل من ثواب الصلاة مع ثواب تلك المزايا والخواص بل أقل من ثوابها ، مع تلك التوابع والمقدمات إذا لم تقتض ضد المزية فإنها بمجرد المناسبة يكون [يكون فيها] ثواب عظيم وإذا اقتضت ضد المزية نقص من ثواب المناسبة بقدر ذلك الضد فيكون نقص الثواب في الحقيقة وتمامه وزيادته راجعاً إلى تلك التوابع والمقدمات ،

وأما الصلاة نفسها فلا نقص في ثوابها ولا زيادة إلا من جهة نفسها وإنما قيل : تكره كما قيل : ينقص ثوابها فافهم فمكروه العبادة من المندوب لعدم موجب يغيره لذاته عن ذاته .

قال : [قال أيّده الله تعالى] : وأيضاً من قصد السفر إلى أربعة فراسخ فإن المشهور فصلّوا بين من أراد الرجوع ليوم فيقصر ومن لا يريد فيتم [ليومه ينقص ومن لا يرد يتم] والأخبار خالية من هذا القيد صريحاً بل ظاهرة في عدمه كما تدل عليه روايات أهل مكة في خروجهم إلى العرفات [عرفات] فإن الظاهر أنهم لم يريدوا الرجوع ليومهم ، وأخبار هذا الباب منها يدل على أن المسافة ثمانية فراسخ ومنها ما يدل على أنها أربعة فما الوجه الجامع بين الأخبار رزقك الله زيارة الأئمة الأطهار ؟ .

أقول : المسافة التي يجب فيها قصر الصوم والصلاة ثمانية فراسخ والأخبار بها قاطعة [ناطقة] وإن عبر عنها [عنها فيها] بمسير يوم مرة وببياض يوم إلى غير ذلك ، فالمراد منها الثمانية وهي أربعة وعشرون ميلاً ومما حصر القصر فيه رواية عيص بن القسم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**في التقصير حدّه أربعة وعشرون ميلاً**) فجعل ذلك حداً له ولو قصد أربعة فراسخ كما هو المسؤول عنه فقال المفيد : إن قصد أربعة أو أزيد فإن لم يرد الرجوع ليومه يتخير في قصر الصلاة والصوم وإتمامها [أو تمامهما] ، وهذا منه جمع بين الأخبار وليس بشيء لحصر القصر في الثمانية أو ما يقوم مقامها بمنطوق الأخبار ، ونفي القصر فيما نقص عن ذلك كما ستقف عليه إن شاء الله تعالى ، وقال الشيخ : يتخير في قصر الصلاة وإتمامها [تمامها] ولا يجوز له التقصير في

الصوم وهو كشيخه في إرادة [إرادة الجمع] والرد عليه كالرد عليه وزيادة ، وقال ابن عقيل : كل سفر مبلغه بريدان ، أو بريد ذاهباً وجائياً في يوم واحد أو ما دون عشرة أيام فعلى من سافر عند آل الرسول صلى الله عليه وآله أن يصلّي صلاة السفر ركعتين وكأنه نظر إلى روايات أهل مكة فإنهم يريدون الرجوع ولكنه ليس ليومهم إلا أنهم لا يقيمون عشرة ولهذا قال و[أو] ما دون العشرة ويأتي جوابه . والملا في المفاتيح جعل هذا المذهب مما جعل من قسطه أمنه [طمعاً منه] على ابن أبي عقيل وقال سلار : إن أراد الرجوع ليومه قصر واجباً ، وإن كان من غده فهو مخير في القصر والتمام وبه قال ابن بابويه ، ولا نعلم وجه هذا التخيير كما مضى لما يأتي وقال المشهور وهو الحق : إنه إن قصد الرجوع ليوم [ليومه قصر] مطلقاً لأنه قاصد ثمانية فراسخ وشغل يومه قصر وإلا أتم مطلقاً لأن التمام ثابت قبل الخروج إلى ما دون الثمانية أو ما يقوم مقامها ، فكذا بعده عملاً بالاستحباب [بالاستصحاب] ولأنه أحوط كذا قال [قاله] في المختلف ولصحيحة معاوية بن وهب قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : (**أدنى ما تقصر فيه الصلاة ؟ فقال بريد ذاهباً وبريد جائياً**) فلمّا سأله عن أدنى مسافة لا يكفي ما نقص عنها أجابه بالبريد ، ولمّا كان مسير البريد لا يشغل اليوم وحد التقصير ، إنما هو مسير يوم أو بياض يوم أو ثمانية فراسخ وهذا نصف ذلك ذكر الذهاب والمجيء ليكون بحكم مسير يوم لا يقال : من أين قيدتموه بالرجوع ليومه وليس فيه ما يدل على ذلك ، ولا في غيره كما هو أصل المسألة ، فلعل الرجوع يراد به الأعم ولو من الغد كحكم أهل عرفة فإنهم يخرجون يوم الوتر ويرجعون يوم

النحر كموثقة معاوية [معاوية بن] عمار رواه [ورواية] إسحاق بن عمار وغيرها [غيرهما] لأنّا نقول : إن قوله عليه السلام : (**بريد ذاهباً وبريد جائياً**) جواباً عن أدنى ما تقصر فيه الصلاة ظاهر في المدعى لأن المتبادر إليه أنه في يومه كما لا يخفى عن [علي] من له أدنى معرفة بأساليب الكلام والتبادر أمارة الحقيقة وغير هذا احتمال وتجويز ، والاحتمال إذا لم يكن مساوياً لا يضر الاستدلال ، لأن الظاهر والراجح [الراجح حجة] وهذا مضاف إلى روايات الثمانية الفراسخ ومسير يوم وغير ذلك وهي حاصرة للقصر في هذا المقدار من السير المقصود ، وأما أحاديث أهل مكة فقد قال بعض علمائنا : إنها محمولة على التقية وهو حمل يتجه [متجه] وإن لم نجد به قائلاً لأن مذهب [مذاهب] العامة لا تنحصر ، لأنها دائرة مدار الآراء والمخالفة لأهل الحق وهذا أحد المواضع وهي [أهل] السبل المتشعبة المتشتتة حول سبيل الله ولو لم يكن إلا اتباع الاختلاف بين الشيعة لأنه أبقى لهم لكفي في التقية فافهم . (**وأما قولكم**) [قولكم أدام الله علاكم] إن الأخبار خالية من هذا القيد صريحاً بل ظاهرة في عدمه .

فجوابه : إن هذا القيد وهو إرادة الرجوع ليومه قد نطقت الأخبار به [به الأخبار] صريحاً وظاهراً ، أما الظاهر فكما في هذه الصحيحة كما شرحناه منها ، وأما الصريح فيما [ففي ما] رواه محمد بن مسلم في الموثق من [عن] أبي جعفر عليه السلام قال سألته من التقصير : (**قال في بريد**) قلت : في بريد قال : (**إذا ذهب بريداً ورجع بريداً فقد شغل يوماً**) [يومه] فتأمل في صراحة هذا الخبر في المدعي .

قال : في المعتبر بعدما أورد في هذا الخبر وعليه تحمل الأخبار الواردة بالقصر في أربعة فراسخ انتهى ، [انتهى فدلنا] هذا الخبر على أنهم إذا قالوا عليهم السلام لمن سألهم عن أدنى مسافة التقصير : (**في بريند**) يريدون به لمريد الرجوع ليومه ليشغل يومه بالسفر فهو في الحقيقة قاصد ثمانية فراسخ ، ولهذا لمّا سأل [سأله] محمد بن مسلم فقال : (**في بريد**) فأنكر ذلك من قوله واستغربه وكرره محمد بن مسلم ليؤكد ما استغربه لأنه [لأن] المعلوم عنده مما شاع وذاع أنها بريدان ، وقوله عليه السلام : (**بريد**) خلاف ما علم ولو أنّ ما سمعه ليس بشائع لقبل عنه بدون تأكيد ، وإنما سأل لتثبيت هذا المعلوم عند الإمام عليه السلام أجابه بأن المراد من قولي [قولي في بريد] لمريد الرجوع ليومه لأنه في الحقيقة. قاصد لبريدين فعبّر عنه عليه السلام عن هذا المعنى بقوله : (**إذا ذهب بريداً ورجع بريداً فقد شغل يومه**) وهو صريح لا غبار عليه والدليل على هذا القيد زيادة على ما [ما لا] يحتاج إلى الزيادة رواية صفوان كما في الاستبصار قال : سألت الرضا عليه السلام عن رجل خرج من البغداد [بغداد] يريد أن يلحق رجلاً على رأس ميل فلم يزل يتبعه حتى بلغ النهروان وهي أربعة فراسخ من بغداد يفطر إذا أراد الرجوع ويقصر ؟

قال : (**لا يقصر ولا يفطر لأنه خرج من منزله وليس يريد السفر ثمانية فراسخ إنما خرج [خرج يريد أن يلحق صاحبه في بعض الطريق فتمادى به السير إلى الموضع الذي بلغه ولو أنه خرج] من منزله يريد النهروان ذاهباً وجائياً لكان عليه بأن [أن] ينوي من الليل سفراً للأقطار وإن هو أصبح ولم ينو السفر فبدا له من بغداد**

[بعد أن] **وأصبح في السفر قصر ولم يفطر يومه ذلك**) انتهى .

فانظر فيه وتدبره فإنه لما كان مقصده لم يبلغ بريداً ، لم يعتبر ذهابه ولما لم يعتبر الذهاب لم يجعل للرجوع حكماً في التقصير وإن كان بريداً بل قال : (**لا يقصر ولا يفطر**) مع أنه بريد ثم قال : (**ولو أنه خرج من منزله يريد النهروان ذاهباً وجائياً**) إلخ ، وهو إرادة الرجوع ليومه كما هو ظاهر فرتب عليه حكم التقصير ، ولهذا قال : (**فإن هو أصبح ولم ينوِ السفر فبدا له من بعد أن أصبح في السفر قصر**) ليدخل الذهاب في (و خ ل) القصد ليكون في الحقيقة قاصداً لثمانية فراسخ ، وأما اشتراط تبييت النية في قصر الصوم فأنت خبير بما فيها من الخلاف ولا يضر ما نحن فيه بل صراحة المراد ومثله في الاستبصار أيضاً ، (**موثقة عمار**) الساباطي قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل يخرج في حاجة له وهو لا يريد السفر فيمضي في ذلك فيتمادى به للمضي [المضي] حتى تمضي به ثمانية فراسخ كيف يصنع في صلاته؟ قال : (**يقصر ولا يتم الصلاة حتى يرجع إلى منزله**) فجعله عليه السلام هذا [هنا] موجباً للقصر وفي الخبر الأول موجب للإتمام [للتمام] مع أن كلاً منهما متمادٍ به السفر بغير قصد ، ولكن لما بلغ الثاني الثمانية صار ما بعده موجباً للقصر لأنه إذا رجع [رجع إلى] منزله صارفاً [صار] قاصداً مسافة القصر ولا كذلك الأول وبما ذكرنا ظهر الجواب عما ذهبوا إليه أولئك الأصحاب والله أعلم بالصواب .

* * *

رسالة في جواب
المُلّا فتح علي خان

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد أرسل الأكرم المحترم خالص الخلان وصفوة الإخوان الملّا فتح علي خان حرسه الله من نوائب الزمان وطوارق الحدثان بمسائل أتى [إلى] على حاله تشتيت [تشتت] البال ، وانصراف القلب لعظيم الملال وكثرة الاشتغال وتفريق الأحوال ومثلي على هذه الحال ليس صالحاً لرد الجواب ولكن لا يسقط الميسور بالمعسور وإليه [إلى الله] ترجع الأمور .

قال سلّمه الله تعالى : الأولى ـ يا سيدي ومن عليه بعد الله وأهل البيت مستندي القرآن أفضل أم الكعبة فإنّا نرى أن الكعبة يجب قصدها عيناً في العمر مرة واستقبالها في الصلاة ويحرم استقبالها مع استدبارها في الخلوة ، ويكره في حال الجماع ، وهذه المزايا اختصت بها الكعبة مع اشتراكها مع القرآن في باقي المزايا .

أقول : إن الكعبة إنما جعلت في الأرض (**مثابة للناس وأمناً**) أي مرجعاً للناس إذا تفرقوا عنه آبوا إليه ، ومحل أمن لأجل الانتقام فيه إلا ممن يجني فيه أو مرجعاً للخاطئين المريدين [المريدي] التوبة فيثابون بسبب توبتهم عنده ويأمنون من عقوبات الآخرة تشبيهاً بالبيت المعمور لأنّ الملائكة لما اعترضوا حين قال

الله تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ وقالوا : لو كان مِنّا لما عصى ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ وهذا الاعتراض منهم في أسرار أهل البيت عليهم السلام تردد في ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام فإنما [فإذا] [فلما] ترددوا حُجِب عنهم النور ، وهو عند العارفين نور القرآن فلاذوا بالعرش وطافوا به سبعة آلاف سنة يعني سبعة أشواط فرحمهم وأمرهم أن يطوفوا بالبيت المعمور ، فمكثوا يطوفون به سبع سنين يستغفرون الله مما قالوا ثم تاب عليهم من بعد ذلك ورضي عنهم .

ثم إنه سبحانه جعل البيت الحرام حذو الضراح الذي هو البيت المعمور توبة لمن أذنب من بني آدم إذا طافوا به سبعة أشواط فكان البيت المعمور في السماء الرابعة مثالاً من العرش ومثابة لمن لم يصل إلى العرش من الملائكة أو أنزل من جوار العرش بسبب توقفه في الولاية كالملائكة الذين اعترضوا وهم طائفة من الملائكة ، وروي أن المعترض ملكان فكان الضراح الذي هو البيت المعمور ، أنزل رتبة من عرش الله له [العرش] لأنه مثاله ومثابة لمن لم ينل العرش من الملائكة وكان البيت الحرام مثالاً من بيت [البيت] المعمور ومثابة للناس فهو أنزل من البيت المعمور رتبة وشرفاً ، كما أنه أنزل من العرش رتبة وشرفاً ، وكانت السبعة الآلاف السنة في العرش سبعة أشواط والسبع السنين في البيت المعمور سبعة أشواط فنسبة السبعة الآلاف سنة ، إلى السبع سنين والسبع سنين إلى السبعة الأشواط حول البيت في القلة والكثرة ، كنسبة العرش ظاهراً إلى البيت المعمور والبيت المعمور إلى البيت الحرام في الفضل والشرف .

وإنما قلت ظاهراً لأن العرش في الباطن لا يدخل تحت الحد في

العد ومع هذا كله فإنما استوى الرحمن على العرش بالقرآن فافهم الإشارة إلى ذلك في قوله صلى الله عليه وآله : (**إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي مبني كل منهما على صاحبه لن يفترقا حتى يردا على الحوض**) ، فإن ما هو قرين محمد وآله صلى الله عليه وآله كيف يحسن مقايسته بالكعبة وإنما شرّفت بكونها لهم عليهم السلام هذا الجواب على سبيل الإشارة والتلويح .

وأما في الظاهر فالقرآن أفضل بمراتب لا تحصى وكون الكعبة يجب التوجه إليها في الصلاة ، ويحرم استقبالها في الخلاء واستدبارها وأمثال ذلك لا يلزم فيه [منه] أنها أفضل فإن بعض الأشياء لها خواصٌ لا يلزم منها أن ما هي فيه أفضل من غيره مما ليست فيه ، بل قد يكون فيما خلا منها خواص أعظم منها ، ولأنّ الكعبة لمّا كانت بقعة شريفة وكانت الصلاة يحتاج الآتي بها إلى جهة كان التوجه إلى جهتها أولى وليخبر الله عباده بالطاعة في امتثال الأمر بالتوجه إلى جهة بخصوصه [مخصوصة] على أنّ ذلك ما كان مختصاً بها بل كانوا يتوجهون إلى بيت المقدس ، وإنما عدل إليها لمّا عيره المشركون من أهل الكتاب وأنه يتوجه إلى قبلتهم فاقتضت المصلحة العدول إليها ولأنها أفضل من بيت المقدس لكونها مأوى لشريك القرآن وهي محصورة بخلاف القرآن فإنه وجه الله إلى عباده فلا يختص بجهة دون جهة ليتوجه إليه بل كل الجهات جهاته على أن وجوب الاستقبال [الاستقبال إليها] في الصلاة وتحريم الاستقبال والاستدبار في الخلاء ليس لعين الكعبة وإنما هو للقبلة احتراماً لجهة الصلاة ، ولهذا يحرم استقبال القدر الذي يظن من [في] جهة القبلة في حال البعد واستدباره [استدباره

ويكفي] في الصلاة استقباله مع القطع بأنه أوسع من قدر الكعبة ألف [بألف] مرة ولا يكون ذلك لخصوص مظنة كون الكعبة فيه لأن الانحراف اليسير في حالين لا يغتفر كل منهما في الاستقبال بالغائط والبول مع القطع بخروج أحدهما عن الكعبة في البعد ويكفي كل فيهما [منهما] في الاستقبال [استقبال] الصلاة في فريضتين اختياراً مع القطع بخروجها عن أحدهما في نفس الأمر وإن كان جواز استقبال كل منهما لمظنة عدم خلوه عنها إلا أحدهما لا على التعيين لم تكن فيه قطعاً .

وقوله سلّمه الله تعالى : مع اشتراكها مع القرآن في بعض المزايا فيه أنها لا تشارك القرآن في كل مزاياه ولا في معشارها فإنه طبق العالم التكويني وفيه تفصيل كل شيء وهو الثقل الأكبر ، وكتاب الله وآية نبوّة محمد صلى الله عليه وآله ومعجزة الباقي إلى آخر الدهور والنور الذي يهدي الله به من يشاء إلى غير ذلك من المزايا التي لا تحصى ، وليس في الكعبة منها شيء ، وأيضاً إنما شرفت الكعبة به وإنما جعلت قبلة به وإنما وجب قصدها لأداء مناسك الحج به بل كل حرمة لها ، فإنما هي من القرآن وهذا إجمال لا يسع بيانه والاستدلال عليه لاستلزامه التطويل الكثير ولأدائه إلى كشف الأسرار على أنه لا يجوز مسّ خطه لصاحب الحدث الأصغر ، ويجوز مسها له وإن اكتفيت بهذا الدليل على الأفضلية غير المحدودة كفاك ويؤيده أنه شريك المعصوم عليه السلام ، ولهذا ورد النص بتحريم مسه عليه السلام [السلم محدثاً] ، والدخول عليه للجنب والكعبة إنما شرفت بانتسابها إلى المعصوم عليه السلام وبالجملة فلا شك في أفضلية القرآن .

قال سلّمه الله : ما يقول سلطان العلماء في الاجتهادات الظنية والأمارات العقلية والاستنباطات الاستحسانية ووجوب العمل بقول المجتهد الحي وبطلان فتاوى الأموات ؟ .

أقول : مراد العلماء رضوان الله عليهم بالاجتهادات الظنية أن العالم يستفرغ وسعه في تحصيل الظن بحكم شرعي ، ومعناه أن الأدلة التي يمكن استنباط الحكم منها أربعة الكتاب والسنّة ودليل العقل والإجماع ، أما الكتاب فهو وإن كان في نفسه قطعي المتن لأنه [لأن متنه] متواتر لا يحتمل الريب لكن دلالته على الحكم ليست قطعية بل تحتمل الاحتمالات الكثيرة فإن فيه النص والمحكم والظاهر والمجمل والمؤول والمتشابه والناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمطلق والمقيد والمبهَم والمسكوت عنه والمقدم والمؤخر والحذف وتغيير اللفظ وتغيير المعنى وحرف مكان حرف والمؤقت وغير لمؤقت والحد والمطلع والتلويح والإشارة واللحن والإيماء والرمز والمكتوم وما حكمه .

(**فذروه في سنبلة إلا قليلاً مما تأكلون**) والحقيقة والمجاز وحقيقة الحقيقة ومجاز المجاز وحقيقة هي المجاز [مجاز] ومجاز هو حقيقة إلى غير ذلك وما كان هذا سبيله لا يكن القطع لشيء [بشيء] من دلالته لغير المعصومين عليهم السلام إلا أن [إذا] انضم [إلى] ذلك إجماع من المسلمين أو من الفرقة المحقة ، وما يحصل في [من] ذلك من [في] بعض الأحكام وإنما [فإنما] هو لقرائن انضمت إليه فسترت وجه الاحتمال بمعونة الأنس [الأنس بها] والرضا بها ولو قطع النظر عن ذلك قام عنده الاحتمال وأما السنّة فهي ظنية المتن والدلالة .

وأما المتن فمن المعلوم أنه لم يكن فيها خبر متواتر إلا قوله صلى الله عليه وآله : (**فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده في [من] النار**) على خلاف فيه مع أن كثيراً من أخبارها منقول بالمعنى وفيه الغلط والسهو والنسيان والشك والوهم والترديد والتبديل والأحاديث الموضوعة والمرسومة [المدسوسة] كثيرة جداً ولم تعلم بأعيانها فتجتنب وهو [هذا] مشهور مذكور في الأحاديث فإن كان ذلك حقاً دلّ على الزيادة والوضع الكثير والكذب وإن كان باطلاً فهو كذب ووضع .

وأما الدلالة فهي ظاهرة قابلة للاحتمالات المتباينة ، ولهذا اختلف في فهمها مع ما فيها من الخلط والزيادة والنقصان والوهم والجاري مجرى التقية من المخالف والموافق ، ويكفيك في هذه الدعوى ما روي عنهم عليهم السلام ما معناه ، (**إني لأتكلم بالكلمة وأريد بها أحد سبعين وجهاً إلى كل [لي من كل] منها المخرج**) وفي بعضها (**إن شئت أخذت هذا وإن شئت أخذت هذا**) وفي بعضها (**فلو شاء لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب**) وفي بعضها (**إنا لا نعد الرجل من شيعتنا فقيهاً حتى يلحن له ويعرف اللحن**) وفي آخر (**حتى يكون محدثاً والمحدث المفهم**) وإن في كلامه محكماً ومتشابهاً ومجملاً ومبيناً وناسخاً ومنسوخاً ، والحاصل فيها كلام تقدم في القرآن وما كان هذا حاله كيف يقال إن دلالته على الحكم قطعية مع كثرة الاحتمالات في دلالتها واختلافها في أنفسها ، ومنافاة بعضها لبعض واختلاف رواتها في إفهامها بالنسبة إلى نقلها بالمعنى أو في التلقي من الإمام عليه السلام ، نعم لو حصل الإجماع أو القرائن فإنها مع انضمامها إلى ذلك يفيد [تفيد]

القطع في بعض المسائل ، وأما دليل العقل فهو بنفسه [في نفسه] مجرداً [مجرد] عن الاستناد لا يكون دليلاً إلا في شاذ من المسائل لأسباب يطول الكلام بذكرها ، وأما مع استناده إلى الأدلة فهو حجة قطعية أو ظنية وورد في تفسير قوله تعالى : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (**إن النعم الظاهرة الأنبياء والرسل والنعم الباطنة العقول**) ومعنى استناده إلى الأدلة أنه ينظر في الكتاب والسنّة ويستنبط من منطوقهما ومفهومهما ضوابط تكون آلة له في الاستنباط للأحكام الشرعية وأدلة له عليها كدليل الاقتضاء ودليل التنبيه ودليل الإشارة ولحن الخطاب وفحوى الخطاب والمفاهيم ، وكذلك من العمومات والإطلاقات وغير ذلك فيدرك الأحكام بملاحظة ما حصل له من القواعد فينسلك [فيسلك] في ذلك سبيل [سبل] ربه لا يعتمد على محض إدراكه بدون ما يستند إليه مما ذكر فلا ريب في حجيته حينئذ إلا أنه لا يحصل له القطع في كثير لاختلاف التعلقات وتفاوت مراتب العمومات والإطلاقات .

وأما الإجماع فهو وإن كان قطعي الدلالة كما قررناه في رسالتنا الموضوعة في الإجماع لأنه إنما كان حجة لكشفه عن دخول قول المعصوم عليه السلام في جملة أقوال جماعة بحيث لا يتعين قوله عليه السلام من بين أقوالهم لأنه لو تعين قوله لم يتعين العمل بقوله ، بل قوله عليه السلام خبر لا فرق بينه وبين أن يروي الثقة عنه عليه السلام فإنه حينئذ لا يتعين العمل بذلك الخبر ، وإن كان صحيحاً إلا إذا لم يكن معارضاً يساويه أو أقوى منه كما هو شأن الأخبار لجواز أنه جرى مجرى التقية أو أراد به أحد المعاني السبعين المحتملة من اللفظ الواحد عنده عليه السلام .

وأما إذا لم يتميز قوله من أقوال الجماعة الموافقين له إلا أنه دلّ الدليل القطعي على أن قوله عليه السلام في جملة أقوالهم لا على التعيين [التعين] فإنه يتعين العمل بذلك القول ، لأنه لا يجوز أن يريد بقوله عليه السلام معنى غير ما أرادوا وإلا لكان مغرياً بالباطل وهو لا يكون منه أبداً فلا يحتمل مراده من كلامه شيئاً من الوجوه السبعين غير ما طابق كلام من هو معهم في ذلك القول ، وهم لا يريدون معنى من كلامهم غير ما ذكروا فلا يحتمله ولا يحتمله أيضاً ، فتعين الأخذ بذلك فسألته [فدلالته] قطعية إلا أنه إن كان الإجماع الضروري من المسلمين أو من الفرقة المحقة ، وأما إن كان مشهورياً فبشروطه التي ذكرناها في رسالة الإجماع لا مجرد الشهرة ، فإنها ليست بإجماع ، وأما المحصل الخاص فهو حجة لمحصّله لا غير ، وأما غيره فهو كالرواية في باب الترجيحات وإن كان بعد اعتماده قطعي الدلالة بخلاف الرواية ، وأما المركب فمع حصول الدليل القطعي بانحصار الحق في القولين فيحتاج في اختيار أحدهما إلى الدليل المرجح لأحدهما وهو في الغالب ظني ، وأما المنقول فما ثبت بالتواتر أو بالآحاد المفيدة للظن إن اعتبرت هنا فحصول القطع بتعينه [تبعيته] يتوقف على معرفة المنقول كما [ما] هو من أي الإجماعات وذلك بالاطلاع الابتدائي ولو بنقل الثقة المميز له .

وأما السكوتي فإذا اعتبرناه فبالشروط التي بيّناها في الرسالة المذكورة فإذا نظرت إلى مثل ما ذكرنا فتحقق ما يحصل به القطع من الإجماع قليل في المسائل فيما ذكرنا لك أن المجتهد والإخباري لا يمكنه في أكثر أحكامه الخروج عن الظن ودعوى

القطع في كل مسألة باطلة كيف والإخباريان يختلفان في مسألة واحدة في الوجوب والحرمة وكل منهما يدعي أن دليله قطعي وأن حكمه مطابق الواقع فهل هذا إلا القول بالتصويب وأن حكم الله الواقعي الوجودي متعدد وهو مذهب أهل الخلاف واختلافهم في المسائل لا تكاد [لا يكاد] تحصى منها .

إن الشيخ حسين بن عصفور رحمه الله أوجب الجهر بالتسبيح في الأخرتين تدعى [الأخيرتين مدعياً] القطع وحرم جلد الذبيحة مدعي [مدعياً] القطع وعمه الشيخ يوسف صاحب الحدائق رحمه الله أوجب الإخفات بالتسبيح في الأخيرتين مدعياً القطع ، وأحلّ الجلد كذلك فأيهما وافق حكم الله الواحد الذي لا يتعدد فإن كان كل واحد أصاب حكم الله الواقعي كما تدعي أهل الأخبار فقد تعدد الحكم الواحد الواقعي ، وإن أرادوا تسمية ذلك الظن علماً جازماً فلا ضرر ، إذ لا مشاحة في الاصطلاح .

فقوله سلّمه الله : الاجتهادات الظنية والأمارات القطعية [العقلية] فيه تعريض بطريق أهل الاجتهاد والأمر في ذلك إنما هو على نحو ما أشرنا إليه وهو بذل الجهد واستفراغ الوسع في تحصيل الحكم من الأدلة الشرعية لكن لمّا كان القطع بإصابة الحكم الواقعي الواحد في كل مسألة متعذراً لاختلاف الآيات والروايات واختلاف الأفهام في مداركها نظروا إلى أخس المقدمتين الذي هو الظن فقالوا : الاجتهاد تحصيل الظن بحكم شرعي وإن كان في بعض المسائل يحصل الجزم .

وقوله سلّمه الله تعالى : والاستنباطات الاستحسانية فيه أن ذلك ليس من مذهب أحد من الشيعة بل هو مذهب أصحاب الرأي

والقياسات ، وإنما نسب هنا [هذا] إلى العلماء جهلاً بطريقتهم فإن من جهل شيئاً أنكره ويحسن أن يقال لهم ما قال الشاعر :

إذا كنت ما تدري ولا أنت بالذي

تطيع الذي يدري هلكت ولا تدري

وأعجب من هذا بأنك ما تدري

وأنك ما تدري بأنك ما تدري

وذلك لأن الاستحسان لحكم إن كان لرجحان دليله فهو حكم الله في حقه وهو حكم الله الواقعي التشريعي المتعدد ولا يراد منه أزيد من بذل جهده وإلا لزم تكليف ما لا يطاق ، وإن كان الاستحسان لشهوة نفسه أو أغراضه الدنيوية فعلماء الشيعة مكرمون عن ذلك وإنما هو طريقة أعداء الدين ، وأما وجوب العمل بقول المجتهد الحي فهو مما لا ريب فيه على كل من لم يبلغ رتبة الاجتهاد فمن نقص عن الاجتهاد وأخذ برأيه واستدلاله فقد هلك وأهلك ، والآيات والروايات قد أشارت إلى ذلك فمن الآيات قوله تعالى : ﴿ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ وهذا في الحي لا في الميت وقوله تعالى : ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ والمسؤول حي وقوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ ﴾ أي بين الرعية والمقلدين ﴿ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ﴾ ، وهم الأئمة عليهم السلام ﴿ قُرًى ظَٰهِرَةً ﴾ وهم العلماء المجتهدون ﴿ وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ﴾ مثال لتكليف المقلد أي قدرنا على المقلد وأوجبنا عليه في القرى الظاهرة وهم العلماء السير أي الأخذ عنهم والرد إليهم ﴿ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ ﴾ يعني به خذوا عنهم ما أفتوكم به مما لم يظهر

لكم برهانه كالليل ﴿ وَأَيَّامًا ﴾ مثال لما أفتوكم به فأظهر لكم بينه كالنهار أو بالعكس على أحد التأويلين ﴿ ءَامِنِينَ ﴾ إذا أخذتم عنهم من تيه الضلالة وعمى الجهالة وغير ذلك من الآيات ومن الأخبار ما في مقبولة عمر بن حنظلة من قول الصادق عليه السلام : (**انظروا إلى رجل يروي حديثنا**) فإن المخاطبين بانظروا في كل عصر إنما أمروا بالنظر إلى من هو حي بين أظهرهم بدليل قوله : (**فإذا حكم بحكم فلم يقبل منه**) ، فإنه صريح في أنه حي ، ومنها ما رواه في الكافي في باب الحجة عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام إلى أن قال عليه السلام : (**رحمك الله يا أبا محمد لو كان إذا نزلت آية على رجل ثم مات ذلك الرجل ماتت الآية ومات الكتاب ولكنه حي يجري فيمن بقي كما جرى فيمن مضى**) انتهى .

يعني أن الرجل العالم بتلك الآية إذا مات ولم يقم بعلمه آخر ، ماتت الآية يعني العلم بها ، وليس المراد من قوله عليه السلام : (**ثم مات الرجل**) إلخ أن الآية لا تموت وإن مات الرجل ليكون على العكس وإنما هي في بيان القائم بالأمر ، وأراد بهذا الكلام أن حياة الآية بحياة القائم بها ، وقد أشير إلى هذا المعنى في تأويل قول علي عليه السلام : (**كذلك يموت العلم بموت حامليه**) وإنما قلت في تأويل قول علي عليه السلام لأن ظاهره أن العلم إذا لم يتحمل هو من [لم يتحمله من هو] أهله لم يكن علماً فقد مات بفقد أهله ، ولكنه يدل على ما ذكر لمن يفهم وذلك لأنه لو لم يمت بموت العالم به لما حسن هذا الكلام إذ لا تخلو [لا يخلو] الأرض من قائم به ما بقي النظام فلا يموت العلم ، وإن لم يوجد

له حملة في زمانها [زمانـنا] مثلاً لوجود الحامل له قبل ذلك فافهم . وقال المُلّا محسن في الوافي في بيان هذا الحديث قال : يعني أن كل آية من الكتاب لا بدّ أن يقوم تفسيرها والعلم بتأويلها بقيم عالم راسخ في العلم حي ، فلو لم يكن في كل زمان هادٍ عالم بالآيات حي ماتت الآيات لفقد المنفعة بها ، إنما مات [فمات] الكتاب ولكن الكتاب لا يجوز موته لأنه الحجة على الناس انتهى .

وفيه إشارة إلى ما قلنا : إن [إذ] يصدق الموت لها إذا مات العالم بها ، وإن بقيت آثاره وتفسيره لها ، ومن ذلك ما رواه في الكافي في باب أن الائمة عليهم السلام يورث بعضهم بعضاً من كتاب الحجة ما يشعر بذلك كصحيحة الحارث بن المغيرة النصري قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : (**إن العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع وما مات عالم إلا وقد ورّث علمه ، إن الأرض لا تبقى بغير عالم**) انتهى .

يعني أنه لو لم يقم به عالم ارتفع ذلك العلم سوى إن [سواء] وجد ذلك العلم مدوناً أم لا ؟ فإن قيل : إن هذا الحديث ومثله إنما هو في حق الأئمة عليهم السلام وذلك يجري فيهم عليهم السلام لأن الأرض تسيخ بدونهم ، قلنا : هذا في حق غيرهم بالطريق الأولى لأن سابقهم عليهم السلام لم يكن علمه ظناً بل مطابق للواقع فيكون علمه أولى بأن لا يحتاج إلى من يقوم به ، ولو أريد بقيام اللاحق مقام السابق لحفظ العلم خاصة لا لئلّا يموت العلم لما علل ذلك بموت الكتاب ، ووقع العلم لأن علم السابق يحتاج إلى اللاحق ليحفظه عن التغيير والتبديل في متنه ومعناه ودلالته ، وهذا جارٍ في العلماء من شيعتهم فافهم .

ومن ذلك ما روي [ما رواه] في الكافي عن داود بن فرقد قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : (**إن أبي كان يقول : إن الله عزّ وجلّ لا يقبض العلم بعد ما يهبطه ولكن يموت العالم فيذهب بما يعلم**) الحديث ، وهو شامل لمن كان علمه مدوناً ومما يدل على ذلك من جهة الاعتبار كثير منه أنه لو جاز الأخذ عن الميت لكان إذا وجد في المسألة أربعة أقوال مثلاً ، إما أن يعمل بأيها شاء أو ترجح [يرجح] أحدها فإن كان يعمل بأيها شاء فقد عمل المقلد بخلاف ما يقول صاحب ذلك الحكم الذي أخذه لأنّ ذلك العالم الميت مما يحكم به أنه لا يجوز الأخذ بغير دليل ولا اختيار من لم يكن مجتهداً ولا رد حكم [حكم الحاكم ولا الترجيح من غير مرجح ولا العمل بقول الميت وهذا المقلد خالفه في ذلك كله أخذ بغير دليل ، واختار ولم يكن مجتهداً وردّ حكم] من لم يأخذ حكمه وترجح الحكم الذي أخذه من غير مرجح وعمل بقول الميت ، فإن صح تقليد هذا الميت صحّ أنه لا يجوز الأخذ بقوله وإلا فلا يجوز تقليده وإن أخذ المقلد أحدها بترجيحه فلا خلاف بين العلماء أن ترجيحه لا يعتبر ولا أثر له وإن كان عارفاً فترجيحه وعدمه سواء .

فإذا وجد في وقته من يعتبر ترجيحه من العلماء المجتهدين وجب على المقلد الرجوع إليه لأن ظن الإصابة عنه [منه] ، مقطوع به وعدم الإصابة من المقلد مقطوع به إن أصاب في نفس الأمر كما يشير إليه الحديث النبوّي في تقسيم القضاء حيث قال صلى الله عليه وآله : (**ورجل قضى بحق وهو لا يعلم فهو في النار**) ومنه أنّ جواز تقليد الميت ليس قولاً للشيعة وإنما [إنما هو] قول للعامة ، وقد صرح بهذا كثير من العلماء وإنما القول به من الشيعة مستحدث

مستحسن وذلك لما قال به العامة كثر به النقض والجدال [الجدل] فيه بين الفريقين فسرت الشبهة في خواطر بعض من اختلاط الأدلة مع انضمام محبة النفس إلى سهولة الخطب واستصعاب [استصحاب] الاجتهاد ومشقة تقليد الحي لاستلزامه إلى المهاجرة عن الأوطان أو تكلف أحد [أخذ] الوسائط الثقاة لأن اشتراء كتاب من كتب المتقدمين بخمسة دنانير والاكتفاء بما فيه أسهل من تلك المشاق فيقرأ عليهم كتاب الله : ﴿ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ فقد مضى وقت طويل من الزمان لم يقل أحد من الشيعة به فدلّ على بطلانه كقوله [لقوله] صلى الله عليه وآله : (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم [يقوم] الساعة**) وقد دلّ الدليل على أنها الشيعة وقد مضى زمان على الشيعة وهم قائلون بخلافه ، تدل [فدل] على بطلانه وكذلك الأحاديث المتكثرة كما في علل الشرائع وغيره عنهم عليهم السلام المتضمنة أنه (**أن لا تخلو الأرض من حجة كي ما إن زاد المؤمنون ردهم وإن نقصوا أتمه لهم**) فلو كان القول بجواز تقليد الميت حقاً ، وقد تركه الشيعة المؤمنون لوجب على الإمام عليه السلام أن يتمه لهم وإلا لكان مخلاً بالواجب بالحكم [في الحكم] فعدم رده لهم إلى أن يمضي آن وهم عاملون بذلك دليل على أنه صواب وعدم خطأ .

ومنه أنهم اتفقوا على أن العالم إذا كان ميتاً لا يضر خلافه بالإجماع وإن كان مجهول النسب بحيث لو كان حياً لما صح الإجماع مع وجود خلافه ، ولو كان علمه معتبراً بعد الموت لكان مضراً بالإجماع فلمّا لم يضر بعد موته خلافه دلّ على عدم اعتبار قوله ، ومنه أنه إذا اتفقت الأمّة على قولين في مسألة ، وقد دلّ

الدليل على انحصار الحق فيهما وانقرضت إحدى الطائفتين أجمعوا على بطلان حكم الطائفة المنقرضة ، وأن الحق في الموجودة فلو اعتبر قول الأموات لما جاز الإجماع من الأمّة ، وأما الاستدلال على هذا القول بأن حكم الميت إنما اعتبر مع بقاء ظنه لأنه هو المرجح للحكم ولهذا إذا تغير ظنه في حياته تغير حكمه على نفسه وعلى مقلديه ، وإذا مات ذهب ظنه فيذهب ترجيحه فلا يعتبر قوله لذهاب علة اعتباره فهو دليل قوي جداً بل هو أصحها ولكنه دقيق المأخذ وبيان مأخذه يحتاج إلى تطويل فلهذا اعترضت [فلذا أعرضت] عنه والحاصل لمثل ما سمعت نقول بوجوب العمل بقول المجتهد الحي وببطلان العمل بفتاوى الأموات على من سمع بوجوب التقليد ، وأما من لم يسمع فكذلك عند الأكثر ، وأما عندي فالذي يرجحه نظري صحة عمل من لم يسمع بوجود [بوجوب] ذلك حتى يسمع [والله أعلم] .

قال سلّمه الله تعالى : يا سيدي هل يجوز العمل بالأصول المصنفة التي صنفها الثقاة من الفرقة الناجية قديماً وحديثاً كالكافي والتهذيب والاستبصار والوافي والوسائل والبحار وغيرها من مصنفات أصحاب [الأصحاب] الأبرار ؟ .

أقول : قد تقدمت الإشارة إلى الجواب وصريحه على سبيل الاختصار [الاختصار والاقتصار] أن العمل لا يجوز بشيء من الكتب ، لا فرق بين كتب الحديث وكتب الفتاوى ، ولا يجوز العمل إلا للمجتهد الذي يستنبط الحكم من الأدلة الشريعة ، أو لمن يأخذ عن هذا المستنبط أو جاهل لم يسمع وجوب ذلك ووافق عمله ظاهر الشرع عندي فإن لم يوافق عمله ظاهر المذهب لم يصح عمله

إجماعاً من العلماء ، والآيات والروايات تنادي بذلك من كان يستجيب للنداء ، والعلة فيما قلنا : إن الكتاب الذي تريد أن تعمل بما فيه لا يخلو ، إما أن يكون مؤلفه معلوماً أو لا ، فإن كان معلوماً فهو إنما جمع فيه من الفتوى ما رجحه بظنه ، وقد تقدم القول فيه وإن كان ما جمعه أحاديث فهو إنما روى من الأحاديث ما رجحه بظنه ، وترجيحه إنما هو بأمور اجتهاديات بنحو ما يرجح [يرجح به فتواه فكما لا يعتبر ترجيحه لفتواه بعد موته لا يعتبر ترجيحه للأحاديث حرفاً بحرف] وبيانه ، أنه إنما يرجح الأحاديث بحيث يكون [تكون] معتبرة عنده بقرائن اجتهادية من كون رواية ثقة والتوثيق اجتهادي ولهذا تراهم يختلفون في الرجل الواحد و [ومن] شهرة الرواية إما لكثرة رواتها أو تداركها [تداولها] في كتبهم أو أكثرية العاملين بها أو لأوثقية راويها وغير ذلك من المرجحات التي تذكر في كتب الأصول وهي كذلك ، ولهذا يختلفون في كل ذلك ولا تظن أن هذا إنما هو في المتأخرين وأهل الأصول بل هذا في المتقدمين والمحدثين وأنا أذكر لك بعضاً من ذلك في أصح ما عندكم من الكتب التي صنفها أوثق من تعرفون وأعلمهم .

قال الكليني رحمه الله في الكافي وقلت : إنك تحب أن يكون عندك كتاب كافٍ يجمع في فنون علم الدين ما يكتفي به المتعلم ويرجع إليه المسترشد ويأخذ عنه من يريد علم الدين والعلم به من الآثار [بالآثار] الصحيحة من الصادقين عليهم السلام والسنن القائمة التي عليها العمل وبها يؤدى فرض الله عزّ وجلّ وسنّة نبيه صلى الله عليه وآله انتهى .

فهذا نص منه أنّ كل ما أورده في الكافي آثار صحيحة معمول

بها وبعده أتى الصدوق رحمه الله وقال في كتابه الفقيه : لم أقصد فيه قصد المصنفين في إيراد جميع ما رووه بل قصدت إلى إيراد ما أفتي به وأحكم بصحته وأعتقد أنه حجة بيني وبين ربي تقدّس ذكره وتعالت كلمته انتهى .

فقد ذكر أنه فعل غير ما فعله من قبله لأنهم يجمعون جميع ما رووا ، وأنت سمعت كلام الكليني في اعتماده على ما أورده في كتابه وحكم بصحة جميع ذلك فلو كان فعله بغير طريقة اجتهاد لما قال الصدوق بعده ما قد سمعت وقد رد عليه في مواضع منها قال في مواضع [موضع] لا أفتي بما رواه ابن يعقوب وقال في موضع آخر : هذا الأمر [آخر ما رويت هذا إلا] من طريق ابن يعقوب ، وفي موضع قال : إن عندي خلاف ذلك ، ولو صح عنده جميع ما قال : لم يقل هذا الكلام مع من تتبع كلامه ظهر له أن كثيراً مما يحكم بصحته إنما صححه اعتماداً على تصحيح شيخه كما ذكره في كتاب الصيام منه في صوم يوم الغدير قال : وأما خبر صلاة يوم غدير خم والثواب المذكور فيه لمن صامه فإن شيخنا محمد بن الحسن رضي الله عنه كان لا يصححه يقول : إنه من طريق محمد بن موسى الهمداني وكان غير ثقة وكلّ ما لم يصححه هذا [ذلك] الشيخ قدس الله روحه ولم يحكم بصحته من الأخبار فهو عندنا متروك غير صحيح انتهى .

وإنما لم يعمل بهذه الرواية لأن محمد بن الحسن الصفار استثنى من رجال أسانيد نوادر الحكمة لمحمد بن أحمد بن يحيى الأشعري وهو الكتاب المعروف بدية شبيب استثنى منهم ثلاثين رجلاً [رجلاً وقال : لا يجوز العمل بما تفردوا به وتبعه تلميذه محمد بن

الحسن بن الوليد الصدوق تبع] في ذلك شيخه محمد بن الحسن بن الوليد ومن جملة الرجال محمد بن موسى الهمداني المذكور ، ورد روايته تبعاً لردّ مشايخه كما سمعت ، وقد جرى في جميع كتبه وأعماله على ذلك ومع ذلك كله ذكر في الفقيه في أوله في باب المياه ولا بأس بالوضوء والغسل من الجنابة والاشتباك [الاستياك] بماء الورد انتهى .

هكذا نسخة الأصل كما ذكره بعض المشايخ ومما ذكر ذلك المجلسي في شرح الفقيه وهذه رواية محمد بن عيسى بن عبيد عن يونس ، وكان ممن استثناه هو ومشايخه وأنه لا يجوز العمل بما تفرد به وهذه الرواية مما تفرد بها [به] العبيدي عن يونس للإجماع على عدم جواز الغسل والوضوء [الوضوء والغسل] بماء الورد مع أنه قد أورده في الكتاب الذي جعله حجة بينه وبين الله تعالى فإن جواز العمل بما هو خلاف المذهب من رواية من يحكم بعدم جواز العمل بما تفرد فما هذا هل هو اجتهاد أم نص ؟

فإن قلتَ : إنه اجتهاد .

قلنا : لك هذا ما ذكرنا .

وإن قلت : إنما فعل لقرائن حصلت له .

قلنا : نعم حصلت له ولكنها ليست روايات وإلا لحصلت لمن قبله ولمن بعده ، فإذا كان هذا حاله و[وهذا] حال الكليني عنده ظهر لك أن كل ما رجحوه في كتبهم أمور اجتهادية وأنا مع ذلك أشهد أنهم لم يكلفوا بما في ترجيح الأحاديث والعمل بها بأزيد من ذلك ، وأما الشيخ رحمه الله فقد قال : قد استوفينا غاية جهدنا فيما

يتعلق بأحاديث أصحابنا المختلف منها والمتفق وقد أورد كثيراً من الأحاديث في التهذيب والاستبصار وعلّل ضعفها بضعف رواتها وبإسناد بعضها إلى غير المعصوم عليه السلام وبالشذوذ وبمخافة المجمع عليه وكثيراً يكون من أتى من بعده من العلماء يضعّف كثيراً ممن يصحح ويصحح كثيراً ممن يضعف كما فعل هو فيما أخذ من الكافي والفقيه وهؤلاء المشايخ الثلاثة رحمهم الله أوثق العلماء وكتبهم الأربعة أوثق الكتب ونسبتها إليهم لا يختلف فيه أحد ، ومع هذا كله وقع فيها من التنافي بينهم وفي كتبهم وبين غيرهم من العلماء في هذه الكتب ، التي لم يوجد مثلها ما لا يخفى على أحد فما ظنك بغيرها من الكتب ، إذ فيها ما لا يقطع بنسبته إلى مؤلفه إلا بنقل وإن أوجب ظناً لم يوجب قطعاً وفيها ما يحتمل نسبتها إلى مؤلفها ، وفيها ما لا يعلم مؤلفها وما كان هذا سبيله لا يجوز العمل بما فيها ولا الأخذ فيها [منها] إلا لمن يعمل كعمل أصحابها من الترجيحات والأدلة والقرائن وهو المجتهد .

قال سلّمه الله تعالى : يا سيدي قال بعض العلماء : إن العلاّمة المجلسي رحمه الله كان مجتهداً كثير الطعن على الإخباريين وقد يظهر من أكثر كتبه أنه كان إخبارياً كثير الطعن على المجتهدين وقال طاب ثراه في صراط النجاة بما لفظه :

أقول : ثم أورد في سؤاله كلام المجلسي رحمه الله بلفظه إلى قوله : بخلاف همّه مسلمانان ومنافقان كه جائز ميدانند ، ومعنى كلامه قدّس الله روحه بالعربي : من المعاصي التي لا تغفر لا تفضلاً ولا بشفاعة الشافعين ولا بأعمال الخير ولا يرجى فيها النجاة ويستوجب الخلود في النار ، وهو أن يشك الشك

[الشخص] ويرتاب ويلحد ويعاند مع الله والأنبياء عليهم السلام والأئمة عليهم السلام ، وأن يبدع ويخترع في دين الله ويحدث مذهباً جديداً ويفتي بغير الحق في دين الله في الأصول والفروع ، إلى أن قال : أو يفتي بالرأي والقياس والاجتهاد والاستحسان أو يعتقد حجية هذه الأمور بدون الإجماع أو مع الإجماع بدون المعصوم عليه السلام ، وقال في موضع آخر في بيان عقائد الإسلام [الإمامية] خاصة بما لفظه : أيضاً يقولون : إن الرأي والقياس والاجتهاد والاستحسان العقلي والإجماع بدون دخول المعصوم عليه السلام ليست بحجة وإن الحسن والقبح ليسا بشرعيتين [بشرعيين] خلافاً لسائر المسلمين والمنافقين فإنهم يجوزونه ، انتهت ترجمة ما أورده في سؤاله من كلام المجلسي رحمه الله في صراط النجاة .

وأقول : إن المعروف من بعض مشائخنا أن الآخوند محمد باقر مجلسي رحمه الله إخباري وأنا لم أطّلع على أكثر من كتبه وما اطلعت عليه لم أجد فيه طعناً على أحد من العلماء الأصوليين والإخباريين ، وأما طريقته فطريقة الإخباري العالم وليست طريقته في الفقه طريقة أهل الأصول ، وأما ما ذكره في صراط النجاة فليس فيه دلالة على شيء من المطاعن على أحد من علماء الشيعة وإنما عنى العامة وكِلامه صريح [صريح فيهم] حيث قال : ويعاند مع الله والأنبياء والأئمة عليهم السلام ، إذ من المعلوم أنه ليس أحد من هذه الفرقة هذه الحالة وكذا قوله : ويحدث مذهباً جديداً ويفتي بغير الحق في دين الله في الأصول والفروع ، وكذا قوله : ويفتي بالرأي والقياس والاجتهاد والاستحسان ، فإن كل هذه إنما يراد بها

ما عليه العامة فإنهم هم الذين يحكمون بالرأي والقياس والاجتهاد بالرأي ، لا الاجتهاد بالأدلة الشرعية فإنها بأمر الإمام عليه السلام وهم يعملون بدون أمر الإمام عليه السلام ولهذا قال بصحة [يعتقد] حجية هذه الأمور بدون الإجماع يعني يعمل برأي غير مجمع عليه وكذا اجتهاد ، وأراد بالإجماع الكاشف عن دخول قول المعصوم عليه السلام بدليل قوله أو مع الإجماع بدون المعصوم عليه السلام وهو إجماع العامة وكذلك قوله في ص : [حق] الشيعة وأيضاً يقولون يعني الشيعة : إن الرأي والقياس والاجتهاد والاستحسان العقلي وأراد به غير دليل العقل عندنا فإنه يستند فيه إلى الكتاب والسنّة والإجماع بدون دخول الإمام عليه السلام بمعنى [يعني] الإجماع الذي لا يكشف عن دخول الإمام عليه السلام بقوله في جملة القائلين وهذا إجماع العامة ليس بحجة وهو صريح في أن هذه طريقة الشيعة وأصرح منه قوله : وإن الحسن والقبح ليسا شرعيتين [شرعيين] بل هما عقليان وهذا مذهب الشيعة فهو لا يعني بما نقل في أول كلامه سلّمه الله إلا العامة فلا يتوهم منه أنه عنى المجتهدين ولكن قلت مراراً : إن الرجل ليس من أهل الأصول .

قال سلّمه الله تعالى : ما يقول سلطان العلماء وقدوة الفضلاء في جهر الاستعاذة والتسبيحات وقد دلّت الأخبار أن الأئمة عليهم السلام كانوا يجهرون بالتسبيحات [التسبيحات] والاستعاذة وإجماع المحدثين من المتقدمين والمتأخرين منعقد على وجوب الجهر والشيخ علي الكركي رحمه الله أيضاً قال : إن الجهر واجب وهو من المجتهدين .

أقول : أمّا الجهر في الاستعاذة فقال الفاضل الأردبيلي

المشهور : استحباب الإخفات في التعوذ وفي بعض الأخبار الجهر واختيار ما هو ظاهر قوله تعالى : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾ الآية ، كان [كأنه] أولى ، انتهى كلامه .

وأراد أنّ في بعض الأخبار الجهر يعني مستحباً ، وقال الشهيد الأول رحمه الله في النفلية : التعوذ في الأولى سراً ، وقال الشهيد الثاني في شرح هذا الكلام : ولو في الجهرية عند الأكثر بل ادعى الشيخ عليه الإجماع .

وقال العلاَّمة في التذكرة : يستحب الإسرار بها ، ولو في الجهرية وهو أحد قولي الشافعية لابن عمر كان يتعوذ في نفسه ، والآخر يجهر به في الجهرية ، لأن أبا هريرة جهر به وعمل الأئمة عليهم السلام أولى انتهى .

وأراد عمل الأئمة عليهم السلام وهو الإسرار أولى ولا يعارضه فعل أبي هريرة ، وأما ذكر فعل ابن عمر فليس استدلاله [استدلال له] وإنما هو استدلال للشافعية على قولهم بالإسرار وأيضاً قال العلاَّمة في النهاية : ويستحب الإسرار به ولو في الجهرية لأنه ذكر مشروع بين التكبير والقراءة فيحسن [فيسن] فيه الإسرار وكدعاء الافتتاح عندهم انتهى .

وبالجملة المعروف من مذهب الأصحاب قديماً وحديثاً استحباب الاستعاذة [الاستعاذة سراً] ومن جوّز الجهر أو استعمله عنده على جهة التخيير أو الاستحباب عند نادر من الأصحاب لرواية حنان بن سدير قال : صليت خلف أبي عبد الله عليه السلام فتعوذ بإجهار ثم جهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم قليل مخالف لمن كان الآن شعاراً عند العلماء لأنه مذهب أئمتهم عليهم السلام وعليه

فتاويهم وعملهم كما سمعت قول العلاَّمة رحمه الله ، وأما هذه الرواية ففي طريقها عبد الصمد بن محمد وهو مهمل عن حنان وهو واقفي وهو من الأوعية السوء الذين أمرنا بأن ننكبها [نتنكبها] ومع هذا فيجوز أنه عليه السلام جهر بالاستعاذة للتعليم كما قال الملّا في المفاتيح : وهي سرية ولو في الجهر على المشهور ، بل نقل الشيخ عليه الإجماع كما على الاستحباب بها [استحبابها] فالخبر الفعلي بالجهر محمول على تعليم الجواز انتهى .

أو ليخالف بين شيعته وإذا قام الاحتمال بطل الاستدلال حتى إن المولى الأردبيلي رحمه الله جعل الجهر بالتعوذ من مطاعة [في مطاعن] الرواية وأنه قال في شرح الإرشاد لما استشهد بها على استحباب الجهر ببسم الله الرحمٰن الرحيم قال : وإن لم تكن صحيحة لجهل بعض رجاله وهو عبد الصمد بن محمد مع القول في حنّان بأنه واقفي ، واشتماله على جهر التعوذ المشهور خلافه أيضاً من صحيحة صفوان إلا أنه مؤيد وقد قال بإجهاره أيضاً ، ولكن الظاهر أن الإخفاء أولى لصحيحة صفوان مع الشهرة وتحمل هذه على الجواز انتهى .

وبالجملة فإدخاله مع جهر التسبيحات في الأخيرتين المدعى وجوبه غريب لم يعرف من مذهب أحد من العلماء كالقول بوجوب الجهر في التسبيحات .

وقوله سلّمه الله تعالى : وقد دلّت الأخبار أن الأئمة عليهم السلام يجهرون بالتسبيحات والاستعاذة يدل على أنه يريد أن الجهر بهما واجب وهذا لم يقل به أحد من المتقدمين ولا من المتأخرين قبل الشيخ عبد علي ابن الشيخ أحمد الدرازي أخي الشيخ يوسف

صاحب الحدائق رحمه الله ولا شك أن القول بوجوب الجهر بالأخيرتين مستحدث ، وأما ابن إدريس في السرائر فإنه إنما قال بجواز الجهر والإخفات لعدم الدليل على وجوب الإخفات ، وكذلك العلاَّمة في كرويه وما أستدل بها من الأخبار لا دلالة فيها بوجه وكان من أفاضل علماء أهل الأخبار الشيخ محمد المقاني [المقابى] رحمه الله قد ذكر في شرحه على الوسائل بعد أن بلغه فتوى الشيخ عبد علي وكان تلميذاً للشيخ محمد ويصلّي خلفه وهو يخافت .

قال في الشرح المذكور : ولم نعلم خلافاً في وجوب الإخفات في الأخيرتين إلا من ابن إدريس رحمه الله وقد سبقه الإجماع وتأخر عنه فلا عبرة بخلافه فقد [وقد] جمعنا من تتبع الأخبار عدة أحاديث تدل باللازم على أن الركعتين الأخيرتين إخفاتيتان لا يحضرني الآن وفي أخبار الباب خبر جميل بن دراج فإنه مع ملازمته للإمام عليه السلام وكثرة صلاته معه جماعة لم يعلم ما يقرؤه الإمام عليه السلام في الركعتين الأخراوين ولذا سأله عن ذلك وهل ذلك إلا لكونهما إخفاتيين [إخفاتيتين] ولو كانتا جهريتين لم يحتج إلى السؤال عن ذلك ومثله في الدلالة والتقريب [التقريب] صحيح ابن سنان فإن سؤاله الإمام عليه السلام عن أي شيء تقوله في الركعتين الأخيرتين دليل على أنهما إخفاتيين [إخفاتيتان] ومثله كثير وقد اشتهر القول والعمل في زماننا هذا بوجوب الجهر على الإمام بالتسبيح في غير الركعتين الأوليين حتى تمادى الأمر بهم حتى اعتقدوا فساد صلاة من أخفت بالتسبيح بقوله عليه السلام : (**ينبغي للإمام أن يسمع من خلفه**) كل ما يقول مع

أنّ علماءنا قديماً وحديثاً قد فهموا من لفظ ينبغي الاستحباب وخصوه بذكر الركوع والسجود والتشهد والتسليم والقنوت واستدلوا بهذا الحديث على استحباب الجهر للإمام في هذه الأشياء المخصوصة ونقلوا الإجماع على ذلك ولم يبالوا بخلاف الإجماع مرتين والحق أنّ إجماعهم قرينة على إرادة الاستحباب من لفظ ينبغي كما هو ظاهر فيه أيضاً والتكليف بشيء زائد على ذلك يحتاج إلى الدليل ولا دليل ، بل الدليل إنما هو قائم على خلافه وقد رجع أكثرهم عن ذلك من فعل [نقل] المعتبر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يخفت فيهما وقصرت ألسن الباقين عن التشنيع على المخفتين مع أنه دين آبائهم وأحبارهم [أجدادهم] وأسلافهم الأعلمين بل كان دينهم هم بالأمس وسبب ذلك عدم المبالاة بالخروج عن الجماعة في فهم معنى الحديث مع أن لفظ ينبغي محصل [يحتمل] عندهم للاستحباب أيضاً فكان الواجب عليهم أن يجعلوا فهم الأعلمين قرينة على إرادة الاستحباب لقربهم من أرباب النصوص وكونهم أعرف بمعاني كلمات أئمتهم عليهم السلام وأعرف بعرفهم ولو لم يكن من هذا إلا حصول الشك المؤدي [المؤدي إلى] عدم الجزم بذلك ، انتهى كلامه بلفظه .

وهذا كلام شيخ ذلك القائل بوجوب الجهر ومثله كلام شيخ عبد الله بن صالح السماهيجي شيخ المحدثين كثير الطعن في الأصوليين في أجوبة مسائل الشيخ محمد ابن الشيخ علي ابن الشيخ عبد النبيّ ابن الشيخ محمد بن سليمان المقاني [المقابي] رحمه الله بعد الاستدلال على وجوب الإخفات في الأخيرين [الأخيرتين] بمثل قوله صلى الله عليه وآله : **(صلاة النهار**

عجماء) ومرسلة ابن فضال السنّة في صلاة النهار بالإخفات وفي صلاة الليل بالإجهار وبما روي عن الرضا عليه السلام **(إن وجوب الجهر في الصلوات الثلاث دون الصلاتين الباقيتين)** وغيرها إلى أن قال: فثبت دعواهم في الأخيرتين من الظهرين، وانما قال ذلك لأنه سئل لِمَ أوجب الأصحاب الإخفات في الأخيرتين مع خلو الأحاديث من [عن] ذلك فأجابهم بما سمعت ومثله.

ثم قال: فاحتجنا إلى الاستدلال على وجوب الإخفات في الأخيرتين في العشاءين. لأن الأخبار إنما دلّت على وجوب الجهر بالقراءة خاصة فأقول: يمكن الاستدلال على الأخيرتين من العشاء بما رواه محمد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: **(كان أمير المؤمنين عليه السلام يقرأ في الأولتين من صلاة الظهر سراً ويسبح في الأخيرتين من صلاة الظهر على نحو من صلاة العشاء، وكان يقرأ في الأولتين من صلاة العصر سراً ويسبح في الأخيرتين على نحو من صلاة العشاء)**، ووجه الاستدلال أنه عليه السلام جعل ركعتي التسبيح في الأخيرتين من الظهرين على نحو من صلاة العشاء، وقد علمت أن الظهرين إخفاتيتان بأسرهما فتكون الأخيرتان من العشاء إخفاتيتين هذا ما أمكنني حينئذ في جواب سؤالهم فقالوا: سلّمنا ذلك في العشاء بقي الأخيرة في [من] المغرب فعجزت حينئذ عن الجواب.

أقول: الآن ويمكن الاستدلال عليه بما ذكره المحقق في المعتبر والعلاّمة في المنتهى بأن النبيّ صلى الله عليه وآله كان يجهر في هذه المواضع يعني الصبح وأولتي المغرب والعشاء ويسرّ في الباقي

وهو نقل منهما على سبيل البت والجزم فظاهرهما دعوى تواتر النقل به وهما ثقتان فلا يقصر خبرهما عن المراسل [المراسيل] المقبولة مع فتوى الطائفة بأسرها به حتى المحدثون فيفيد العلم بالحكم المذكور من طريقة [طريق] الرواية ومن الله نسأل الرشاد [الإرشاد] والهداية ، انتهى كلامه بلفظه .

وهذا هو شيخ ذلك المدعي وجوب الإجهار بالتسبيح وتدبر في معاني كلامه وهو صاحب الاطلاع والإحاطة بالأخبار [بالأخبار والأقوال] ولم يذكر قائلاً بهذه الدعوى من [لا من] الأولين ولا من الآخرين وشيخه المذكور أولاً الشيخ محمد المقاني [المقابي] الإخباري الصرف واسع الإحاطة كثير الاطلاع يدعي إجماع الأولين والآخرين على وجوب الإخفات في زمان ذلك المدعي ولا يعارضه بقول قائل من العلماء ، بل استند في دعوى الوجوب إلى الروايات وأخو المدعي الشيخ يوسف صاحب الحدائق رحمه الله المشهورة ذكر هذه المسألة وحكم بالإخفات ولم يخالف الأصحاب لعدم الدليل مع أنه الإخباري الصرف ، وأما شيخه وشيخ أخيه وهو الشيخ عبد الله بن صالح المذكور الذي سبق كلامه بقليل كان في التعصب للإخباريين والرد على الأصوليين في الغاية قد سمعت كلامه والشيخ علي ابن المتقدم ذكره الشيخ محمد المقابي قد وضع رسالة في هذه المسألة وذكر جميع ما له تعلق بهذه المسألة من الأخبار وهي عشرة أحاديث وتكلم على كل حديث بخصوصه بما يحتمله ورجح الإخفات إلا أنه قال : لم يظهر لي وجوب الإخفات وإن كان راجحاً وكان معاصراً للشيخ عبد علي القائل بوجوب الجهر قد ذكر في رسالته سبب عدول الشيخ عبد

علي عن الإخفات وكان فتواه وعمله عليه برهة من عمره وذكر سبب قوله بالوجوب وأنه ليس للدليل وإنما هو للتعصب ولا حاجة [حاجة لنا] إلى ذكر ، والحاصل أنه قال بالوجوب وتبعه بعض أهل وقته لهذه الاحتمالات وليس منها [فيها] دليل . ولكن على كل تقدير لم يقل أحد من العلماء بالوجوب لا من المتقدمين ولا من المتأخرين ، قبل الشيخ عبد علي فإن كان قوله حقاً فقد كانت الفرقة المحقة على باطل إلى زمانه ولم يقل بهذا أحد .

وقوله سلّمه الله تعالى : إن الشيخ علي بن عبد العال الكركي قائل بوجوب الجهر في الأخيرتين تحتاج هذه الدعوى إلى دليل إذ لم يوجد في شيء من كتبه إلا القول بوجوب الإخفات قال في شرح القواعد : [القواعد فروع] الأول : الظاهر وجوب الإخفات فيه كالقراءة خلافاً لابن إدريس انتهى .

وإنما قال خلافاً لابن إدريس [لابن إدريس لأن ابن إدريس] قائل بعدم وجوب الإخفات بل يجوز عنده الجهر والإخفات ولم يقل بوجوب الجهر وهذا معلوم ، وقال الشيخ علي في الرسالة النجمية : ويجزي في غير الأولتين : (**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**) ، مرة واحدة ويعتبر فيه الترتيب والموالاة وكونه بالعربية مع الإمكان وعدم الجهر به انتهى .

وقال شارح هذه الرسالة المذكورة في شرح كلامه هذا : وكذا لا يجوز الجهر به أي بالتسبيح مطلقاً أي سواء كان للرجل أو المرأة وسواء كان في الجهرية أو الإخفاتية وقيل بالتخيير بين الجهر والإخفات وليس بمعتمد عند المصنف انتهى .

وقال الشيخ علي في الجعفرية : ولا سورة في الأخيرتين بل

يتخير بين الحمد وبين تسبيحات أربع صورتها : (**سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**) ، ويجب فيها الموالاة والإخفات انتهى .

وقال الشيخ يحيى عشيرة البحراني شارح الجعفرية وهو من تلامذة الشيخ علي وكان قد أخذ ونقل عنه في الشرح المذكور وبين الشرح والتصنيف أربعون سنة قال : والظاهر وجوب الإخفات فيه كالقراءة خلافاً لابن إدريس انتهى ، وقال الشيخ علي في حاشيته على الإرشاد على قول العلاَّمة : والإخفات في البواقي قال : أي يجب الإخفات في القراءة والتسبيح في البواقي للرجل وغيره انتهى .

فليت شعري أي موضع قال فيه الشيخ علي بن عبد العال الكركي بوجوب الجهر بالتسبيح ، هذه الكتب التي وصلت إلينا منه في كلها يصرح بوجوب الإخفات كما سمعت ، فإن قال أحد : إن الشيخ علي قال بذلك فلا نقبل منه حتى يذكر لنا الكتاب الذي أخذ منه فلعله رأى فيستحب الجهر للإمام في الأذكار والإخفات للمأموم فتوهم أنه يجب لقرب شبه كتابة يستحب من يجب ، ولا سيما إذا كانت سين يستحب قصيرة فيتوهم الناظر أنها يجب والشيخ علي رحمه الله يريد بالأذكار [بالأذكار أذكار] الركوع والسجود وما أشبه ذلك لأنه ذكر ذلك بعد حكمه بوجوب الإخفات في التسبيح في الأخيرتين ولا يذكر بعده بلا فاصلة استحباب الجهر فيه أو الوجوب وليس هذا إلا حال لا يعلمه إلا الله .

أقول : والحاصل أنا أهون وجدي [وجدي وأقول] يجب الإخفات في الأخيرتين ولا قائل بوجوب الجهر [بالوجوب] من

المتقدمين ولا من المتأخرين إلى زمان الشيخ عبد علي وحيث ثبت هذا قلنا : إن القول بوجوب الجهر في الأخيرتين حكم جديد مستحدث فإن جاز استحداث قول جاز هذا القول وإلا فلا ولولا خوف الإطالة وعلمي بعدم الانتفاع لذكرت جميع الأخبار التي لها تعلق بهذه المسألة وبينت القول الحق فيه ولكن لا ينتفع به من سبقت الشبهة إلى قلبه وهذا آخر الجواب .

قال سلّمه الله تعالى : يا سيدي أدام الله وجودكم هل بمجرد سماع الغيبة يحكم بفسق المغتاب أم لا ؟ وهل يجب الرد حال السماع أم لا ؟ وهل السماع بقصد الرد من أحد وجوه الجواز أم لا ؟ .

أقول : من سمع الغيبة ولم يعلم أن من اغتيب متظاهر بالفسق ولم يكن ذلك في جرح شاهد ولا نصح مستشير ولا من باب ذكر فضل بعض العلماء على بعض ، وأمثال ذلك بل إنما كان ذلك مجرد إظهار عيوب مؤمن فإن ظهر له من المغتاب أمارات الندم والتوبة ، وإلا جاز الحكم بفسقه إن عين مؤمناً باسمه أو بإشارة مفهمة تعيينية للسامعين أو بعضهم ، ثم إن كان ذكر الغيبة بكلام لو بين وجه العذر فيه للمؤمن قبل ذلك المغتاب عذره ولم يغتبه جاز [جاز لك] استماعه حتى يستوفي [تستوفي] كلامه ثم يرده [ترده] وإن لم يقبل [ولو لم يقبل] المغتاب ولكن من السامعين من يقبل وإلا ترد [فرد] كلامه قبل إتمامه إن تمكنت من ذلك وإلا فقم عن المجلس إن تمكنت وإلا فسد أُذنيك ولو تعذر عليك وجه التخلص فالله أرحم الراحمين وخير الغافرين .

قال سلّمه الله تعالى : يا سيدي ذكر بعض المعاصرين من العلماء

في السرمدية ما لفظه أبدي سرمدي إذ مقتضى القدم ، عدم إمكان العدم وقد تقرر في المعقول [العقول] أن معلول الذات لا يحول ولا يزول هل لهذا توجيه بحيث لا يرد عليه الإيراد أم لا ؟ .

أقول : اعلم أن الأبدية هي الآخرية [التي هي] عين الأولية بلا اختلاف ولا تعدد وكلّ أمر [من] أخريته غير أوليته فهو مخلوق ، والأبدي من نسبت في وصفه إلى ذلك وأما السرمدي فهي عندهم الدوام والاستمرار من الأزل إلى الأبد وعندي أن السرمدية صفة هي حال الحق المخلوق ، لأن من كان بين أوليته وآخريته امتداد فهو مخلوق كما هو حال كل مستمر ويوصف الله بها كما يوصف بالإرادة ، فما هو سرمدي هو مريد إلا أنه لما كانت الارادة حالاً والسرمد ظرفه صح الفرق بين تسميته بمريد ونسبته في وصفه بسرمدي ، وأما على ما اصطلحت عليه مما استفدته من آثار أهل العصمة عليهم السلام أنّ السرمد هو الوقت الراجح وهو ظرف للمشيّة وهو الإمكان الراجح الوجود ولا واجب الوجود ولا جائز الوجود وهو للمشيّة كالدهر للعقول والذي أعرف من مراد هذا المتكلم بحسب مفهوم كلامه لا بحسب قصده ومراده [مرامه] لأنه ربما أراد معنى آخر أصاب أم أخطأ انتهى .

إن معنى هذا الكلام أن السرمد هو الدوام والاستمرار الذي لا آخر له والمنسوب إليه كذلك هو الله العليم [القديم] ومقتضى القدم أن العدم لا يجري عليه ولا يمكن في حقه تعلل [فلعل] دوام الموصوف بالبقاء بذلك وهذا كلام مليح في الجملة لكنه قشري لا يتمشى على طريقة أهل العصمة عليه السلام إلا ظاهراً ، لأن ظاهر كلامه إنه يخبر عن حال الذات البحت وذلك الشأن أجلّ وأكرم أن

يكون ما ذكره مكتنهاً لذاته ، لأن الذي يشير إليه أحوال الإمكان الراجح بل الجائز أيضاً يصدق عليه وصفه وأراد بقوله إن معلول الذات إلخ . إن البقاء الذي لا آخر له علة للذات [علته الذات] القديم بلا شرط فمعلولها لا يتغير وكل هذه قشور قد حالت دونها حجب من الغيوب ففي الظاهر هذا الكلام لا يتوجه عليه إيراد وأما في الحقيقة فكله مردود .

قال سلّمه الله تعالى : يا سيدي إن بعض العاصرين قال بثلاثية أصول الدين وثلاثية أصول الدين مذهب الأشاعرة ورباعيتها مذهب المعتزلة ، وخماسيتها مذهب الإمامية هل لهذا مذهب يعتمد عليه أم لا ؟ .

أقول : إن الأكثر من الشيعة على أنّ أصول الإسلام ثلاثة : التوحيد والنبوّة والإيمان بالبعث يعني [بمعنى أن] من أقر بالشهادتين وآمن باليوم الآخر فقد حرم دمه وماله وكان داخلاً في المسلمين ، والأخبار تدل عليه كثيراً من أراد ذلك فلينظر الكافي في باب الكفر والإيمان وقال قوم منهم وهم الأقلون : إن أصول الإسلام بعينها أصول الإيمان وهي خمسة : التوحيد والعدل والنبوّة والإمامة والمعاد ، إلا أن اعتقاد ذلك هو الإيمان والإسلام هو الإقرار بها فمن لم يقر بهذه الخمسة فهو كافر والذي يظهر لي من أحاديث أهل العصمة عليهم السلام أن الحق في هذه المسألة ما عليه الأكثر فمن أقرّ بظاهر التوحيد والنبوّة والمعاد ، فهو مسلم ما لم ينتقض إسلامه بأحد نواقض الإسلام كإنكار الضروري بين المسلمين لا بين الفرقة المحقة ومنها القول بالغلوّ المعروف والنصب وهو يتحقق في مواضع منها : أن ينكر الولي الحق من بعد

ما تبين له أنه الحق ، ومنها تقديم غيره عليه بعد المعرفة ، ومنها إنكار شيء من فضائله الظاهرة بعد العلم ، ومنها تفضيل من تقدم عليه بعد البيان ، ومنها بغضه أو [أو بغض] شيعته لأجله من بعد المعرفة وأمثال ذلك قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ الآية وقال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ﴾ .

أما لو قال بقول الأشاعرة بأنه سبحانه كذا في مسألة ما يلزم منه الجبر والظلم ، فإنه لا ينقض الإسلام لأنهم في الظاهر لا يقولون بأن الله يظلم العباد بل يقولون بما يلزم منه ، وهذا في الظاهر لا ينقض الإسلام ، وكذلك إذا لم يقل بالإمامة لكنه لا ينكر بعد المعرفة فهذا في الظاهر لا ينقض الإسلام بل قد دلّت الأخبار [الأخبار أن] من هؤلاء من يدخل الجنة من غير المستضعفين منها ما رواه القمي في تفسير قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمۡ تَفۡرَحُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَمۡرَحُونَ﴾ روي في الصحيح عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك ما حال الموحدين المقرين بنبوة رسول الله صلى الله عليه وآله من المسلمين المدنيين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولايتكم ؟ فقال : (**أما هؤلاء فهم في حفرهم لا يخرجون منها فمن كان له عمل صالح ولم تظهر [لم يظهر] منه عداوة فإنه يخدّ له خداً إلى الجنة التي خلقها الله بالمغرب فيدخل عليه الروح في حفرته إلى يوم القيامة حتى يلقي الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته ، فإما إلى الجنة وإما إلى النار فهؤلاء من الموقوفين لأمر الله قال : وكذلك يفعل بالمستضعف والبله والأطفال وأولاد المسلمين الذين**

لم يبلغوا الحلم ، وأمّا النصاب من أهل القبلة ، فإنه يخدّ لهم خداً إلى النار التي خلقها الله بالمشرق ودخل عليهم منها اللهب والشرر والدخان وفورة الحميم إلى يوم القيامة ، ثم بعد ذلك مصيرهم إلى الجحيم وفي النار يسجرون ، ثم قيل لهم : أين ما كنتم تشركون من دون الله ؟ أين إمامكم الذي اتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً) انتهى .

فقوله : ولا يعرفون ولايتكم نص فيما فصلناه ومثلها صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام إلى أن قال : (**أما لو أن رجلاً قام ليله وصام نهاره وتصدق بجميع ماله وحج جميع [بجميع] دهره ولم يعرف ولي الله فيواليه ويكون جميع أعماله بدلالته إليه ما كان له على الله حق في ثوابه ولا كان من أهل الإيمان**) ثم قال : (**أولئك المحسن منهم يدخله الله الجنة بفضل رحمته وقد يكون منهم المسلم الضال**) .

وفي رواية سنان [سفيان] بن السمط قال : سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن الإسلام والإيمان ما الفرق الفرق بينهما ؟ فلم يجبه إلى أن قال : (**فالقني في البيت**) فلقيه وسأله عن الإيمان والإسلام ما الفرق بينهما ؟ فقال : (**الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام**) وقال : (**الإيمان معرفة هذا الأمر مع هذا فإن أقر به ولم يعرف هذا الأمر كان مسلماً وكان صالحاً [ضالاً]**) انتهى .

وروي في روضة الكافي عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام إلى أن قال : (**وإنما هلك الذين ركبوا [ركبوا ما ركبوا] فأما من**

لم يصنع شيئاً ودخل فيما دخل فيه الناس على غير علم ولا عداوة لأمير المؤمنين عليه السلام وإن [فإن] ذلك لا يكفره ولا يخرجه عن الإسلام) انتهى .

إلى غير ذلك من الروايات الكثيرة والآيات العزيزة ، وبالجملة فمن أقر بالثلاثة فهو في ظاهر المذهب مسلم ولم يكن مؤمناً إلا بالخمسة فالأنسب في عبارة السؤال أن يقال بثلاثية أصول الإسلام لا بثلاثية أصول الدين لأن من قال بثلاثية أصول الدين ، فقد قال بالباطل وإنما أراد أصول الإسلام ، لأنّ أصول الدين عند الفرقة المحقة خمسة ولكن على ما فصّلنا وهذا التفصيل لا ينافي مذهب الإمامية في قولهم بخماسية أصول الدين فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : يا سيدي لو ظلم مؤمن مؤمناً لأنّ الظالم لا يعتقد ذلك ظلماً لشبهة عرضت له وهو من أهل العدالة الظاهرة هل يباح للمظلوم استغابته على طريق التظلم أم لا ؟ وهل يباح له الدعاء عليه أم لا ؟ .

أقول : لا يجوز للمظلوم استغابته إلا إذا طلب منه الترافع إلى الشرع وهو لم يكن حاكم شرع ، فإن امتنع تعصباً جازت غيبته لعله أن يرجع فإن أصرّ جاز الدعاء عليه وقبل ذلك لا يجوز وعلى تقدير الجواز يدعو عليه ببلايا الدنيا خاصة مما يخصه ولا يشرك معه أهله أو أقاربه أو مماليكه .

قال سلّمه الله تعالى : [قال بعض المعاصرين] : إن من لم يكن من نيته فعل الصلاة بعد الوضوء لا يجوز له الوضوء ولو فعله كان باطلاً بل لو كان نيته فعل الصلاة ولم يفعلها بعده تبين بطلانه هل لهذا مأخذ أم لا ؟ .

أقول : قد دلّت النصوص وكلام العلماء أهل الخصوص ، أن الوضوء محبوب عند الله سواء كان عن حدث أم لرفع كراهة [كراهة أم] للتجديد ، فإنه نور على نور فإذا فعل ذلك تقرباً إلى الله كان طاهراً وارتفع حدثه وإلا انتفت فائدته من الحكيم وكان عبثاً ، فإذا فعل ذلك كذلك فهل يكفي الصلاة [للصلاة] وإن لم يزدها [لم يردها] لأن المانع هو الحدث وقد ارتفع أم لا ، لأنه لم ينو به فعل الصلاة وإنما الأعمال بالنيّات ، والأصح عندي الأول مأخذ القائل عموم الحديث المذكور ، أما نحن فعندنا أنه لا يتناول إلا المحدث فلو أجريناه على ما أراد هذا القائل لكان [لكان إذا] أحدث شخص ببول أو غائط وتوضأ بنية رفع حدث الغائط خاصة ولم يعين شيئاً منهما لم يرتفع حدثه لأنه لم ينوه وإنما له ما نوى ، لكنه يرتفع حدثه وليس في الأحاديث والآيات شيء يدل على اعتبار غير القربة ، ولهذا كان أكثر العلماء على الاقتصار عليها في جميع الأعمال نعم الذي وقفت عليه من الأحاديث [الأخبار] ما يصلح مستنداً لهذه الدعوى ، ولعله لم يقف عليه هذا القائل وهو ما في كتاب دعائم الإسلام عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عن آبائه [آبائه عن علي] عليهم السلام أنه قال : (**لا وضوء إلا بنية فمن توضأ ولم ينوِ بوضوئه وضوء الصلاة لم يجز أن يصلّي كما لو صلّى أربع ركعات ولم ينوِ بها [لم ينوها] الظهر لم تجز عن الظهر**) انتهى .

وهذه الرواية صريحة في دعوى القائل لكن دعائم الإسلام اختلف فيه فبعض العلماء قال : هو للصدوق وبعضهم قال : هو من كتب أصحابنا وليس للصدوق ، وعلى كل تقدير لم يتحقق بالقولين

صحة نسبته إلى مؤلفه فتكون رواياته التي لم يوجد [لم توجد] في غيره ضعيفة مع أن في الرواية في نفسها عدم استقامة فإن مقتضى التشبيه والتنظير أنه يلزم أنّ الشخص لو لبس ثيابه لا ليصلّي فيها الظهر فصلّى فيها الظهر كانت صلاته لم يقصد بسترها الصلاة وهو شرط فيها ، كما أن الوضوء شرط فيها ولا يكفي إلا إذا كان المقصود منه الصلاة وهذا خلاف الإجماع ، فالتنظير في الرواية على ظاهر الحال يلزم أن كل ما لم يقصد به الصلاة كالوضوء ، والستر والمكان لا يجزي وهو خلاف المجمع عليه ومع تسليم الرواية ونسبتها وصحتها فكونها [وكونها] مؤيدة لتلك الدعوى فقوله : هل لو كانت نيّته فعل الصلاة ولم يفعلها بعده بين [تبين] بطلانه ظاهر البطلان لإجماع العلماء على صحة هذه [هذا] الوضوء وصحة الصلاة به ولو بعد يوم وليلة ما لم ينقض بأحد النواقض [والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب وكتب العبد المسكين أحمد بن زين الدين في العاشر من جمادى الثانية سنة خمس ومائتين وألف وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين] .

* * *

الرسالة القطيفية

في جواب الشيخ أحمد ابن الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح بن طوق القطيفي عن ٧٢ مسألة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين [الطاهرين الطيبين] .

أما بعد، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إنه قد أرسل إلي الشيخ الأرشد الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح بن طوق القطيفي مسائل قد تصعبت على الأذهان وقد أقر بالعجز عن أكثرها العلماء الأعيان وطلب الجواب عنها ، وبيان غامضها وشرح حالها وإظهار خافيها وكنت أسوّف به وقتاً بعد وقت لعدم توجه الخاطر ولكثرتها يتحير فيها الناظر ، فلما وفق الله تعالى للتشرف [للشرف] بزيارة ثامن الأئمة عليهم السلام تحرك خاطري بأن أملي على شيء منها ، فشيء على حسب التوجه والفراغ ، إذ لا يسقط الميسور بالمعسور وإلى الله ترجع الأمور فكتبت صورة خطه وجعلته متناً وجعلت جوابي شرحاً لأجل البيان والله سبحانه المستعان .

قال سلّمه الله تعالى : بسم الله الرحمٰن الرحيم ـ الحمد لله رافع درجات أوليائه السالكين منهج أحبائه على ما ألهمنا من الرجوع عند الحاجة لنوابه وأمنائه وصلّى الله على أبواب الجنان وينبوع الرحمة والإحسان الساقين بكأس السلسبيل من توجه بأمله إليهم ، الجاذبين إلى المعاني نفوس مواليهم الكاشفين للكربات الراحمين

للعبرات روح الأرواح وسفن النجاح محمد وآله مفتاح الامتنان وعلى أبوابهم ونوابهم والتابعين لهم بإحسان .

أما بعد فسلام عليك يا كافل أيام آل الرسول ويا مفتاح الوصول ويا ولي الولي على الأطفال ويا دواء الداء العضال ، ألا وإن نفسي قد كاعت فطمّنها وارتاعت فسكّنها فقد تحققت أنك المنزل الأول لقاصدي القرى الأولى وتيقنّت أنك الدليل إلى ذلك السبيل وقد عزّ الوصول ، وحرت الأنفاس لأمور لا أرى لكشف نقابها وجلاء ضبابها إلا أنت ، فلا تخيب من قصر نظره إليك وأم بقصده إليك فقد عودت الإحسان وأوليت الامتنان فهذه بعض المسائل ، أذكر منها العنوان وعلى سيدنا البسط في البيان فالكريم كلما اشتدت فاقة الوفد [الوافد] ، عليه كثر منه النائل إليه .

مسألة : ما الوجه في تعدد جهات المشيّة حتى ترتب على كل وجه شيء وهي صادرة من الواحد الحق الحقيقي .

أقول : اعلم أن المشيّة أول خلق خلقه الله تعالى بنفسه وهي الكاف المستديرة على نفسها تدور على نفسها على خلاف التوالي ونفسها تدور عليها على التوالي ، وهي وإن كانت مراتبها أربع [أربعاً] إلا أنها واحدة لأنه فعل الواحد سبحانه وهي الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر وهو الإمكان فهي طبقه وهو طبقها ، لا يزيد أحدهما على الآخر فلا يشاء إلا ممكناً ولا ممكن ، لا يمكن تعلقها به وكان مراتبها الأربع الرحمة وهي النقطة والألف وهو النفس الرحماني بفتح الفاء والرياح المثيرة للسحاب من شجر على البحر والسحاب المزجي الذي كان على شجر في البحر [البحر

ثم] والحروف المقطعة من الألف والسحاب المتراكم قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ أي الألف ﴿ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ أي النقطة ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا ﴾ والسحاب المزجي ذكر في غير هذه الآية في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا ﴾ والركام هو السحاب الثقال ﴿ سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ وهي أرض القابليات وأرض الجرز الموات ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ وهذا الماء جهة أثر الفعل من الفعل وهي الدلالة ومثاله إذا قلت لك كلاماً مفيداً فهمت معناه أني أخذت من الهواء إلى جوفي فأول حركة هو النقطة ثم امتد إلى الهواء وهو الألف ثم قطعته حروفاً مناسبة للمعنى الذي أريد أن أخرجه إليك .

وهذا السحاب المزجي ثم ألفته على هيئة المعنى المقصود إيجاده لك و[وهو] السحاب الثقال والسحاب المتراكم فوجهته بالوضع إلى المعنى المعدوم الذي أريد إيجاده لك فهذا ﴿ سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ ﴾ أي أرض الجرز وهو المعنى المعدوم ، ﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ ﴾ وهي دلالة اللفظ من خصوص المادة والهيئة المخصوصة المناسبتين للمعنى ، مناسبة ذاتية فحيي به المعنى فأخرجت به ما أردت إخراجه لك ، وهذا المعنى حدث من هذا اللفظ بمنزلة الثمرة من الشجرة وليس هو ما في خاطري وإنما هذا شبيه لما في قلبي ، ولو كان هو ما في قلبي لكنت لا أعرفه بعد إن أخرجته وإنما هو نظير النار الخارجة من الحجر والزناد بالحك فإنها ليست هي التي في الحجر وإنما هذا شيء حدث عنها من الهواء بصلابة الحجر والحديد فافهم ، فكان أثر تلك الدلالة هو الوجود والمعنى الظاهر به مركب من ذلك الأثر الذي هو الوجود ومن الماهية أي ماهية

ذلك الأثر وهي انفعاله لأنه لما أوجده انوجد فأوجد فعل وانوجد انفعال والمعنى مركب منهما والمشخصات لإفراد الوجود من مكان الوجود الخاص ووقته وجهته ورتبته وقدره في الكم ، وفي الكيف بالشدة والضعف وبقوة الماهية وضعفها ، لأنه لو تساوى في هذه الأمور السبعة [التسعة] لم يحصل التعدد ، ويأتي تفصيل ذلك إن شاء الله تعالى في خلال الأجوبة فالمشيّة واحدة ووجهها واحد وإنما تعددت جهاتها لتعدد مرايا القابلين فهي تظهر لكل واحد بنفسه كالوجه الواحد إذا قابل المرايا المتعددة ، تعددت الصور فكل صورة ظهر لها الوجه بنفسها واحتجب عنها بها وإن كان الوجه واحداً لشخص واحد فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما وجه اختصاص لفظ الله والرحمٰن به تعالى ؟ .

أقول : وجه الاختصاص أن الله اسم لذات اتصفت بصفات القدس كالقدوس والسبحان والعزيز والعلي والمنزه [المتنزه] ، وأمثال ذلك وبصفات الإضافة كالعلم والقدرة والسمع والبصر ، فإن العلم يقتضي مفهومه اللغوي معلوماً والقدرة مقدوراً والسمع مسموعاً والبصر مبصراً ، وهكذا وبصفات الخلق كالخالق والرازق والمعطي ، فالذات الجامعة لهذه المراتب هو المسمى بالله فإنه يقتضي مألوهاً فإن العبادة إنما تكون بتنزيه المعبود عن المشاركة في الذات والصفات والأفعال والعبادة وهذه الأربعة هي مراتب الأحد وهذا التنزيه هو مقتضى [مقتضى صفات] القدس وإنما تكون العبادة أيضاً ، بمقتضى صفات الإضافة كالعلم والقدرة وهي الموجبة للتعظيم وتكون أيضاً بمقتضى صفات الخلق فيسأله المغفرة

والرزق ودفع البلايا وما أشبه ذلك فمن اتصف بهذه الصفات الثلاث فهو الله ، وأما الرحمٰن فهو اسم لذات اتصفت بصفات الإضافة وبصفات الخلق ، ولهذا استوى بروحانيته على عرشه فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه ، فمن اتصف بهذين النوعين من الصفات فهو الرحمٰن فكان الله موصوفاً بثمانية وتسعين اسماً فهو الله الرحمٰن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن إلى آخر الأسماء الحسنى ، وكان الرحمٰن موصوفاً بسبعة وتسعين اسماً فهو الرحمٰن الرحيم الملك القدوس السلام إلخ ، فتقول : يا الله ارحمني لأنه متصف بالرحمٰن الرحيم واغفر لي لأنه متصف بالغافر وأهلك عدوي لأنه متصف بالمهلك ، وهكذا إلى آخر الأسماء الحسنى وكذلك الرحمٰن وهو قوله تعالى : ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ فأي ذات اتصفت بجميع الأسماء الحسنى جاز إطلاق الله والرحمٰن عليها وذلك خاص بالله قال الله تعالى : ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ أي لا تسموا أحداً بالله إلا الحق فهذا وجه اختصاص هذين الاسمين .

قال سلّمه الله تعالى : وما الفرق بين الاسم والصفة ؟ .

أقول : اعلم أن الاسم وضع علامة على المسمى من حيث ذاته ، وقد يكون منقولاً بأنواع النقل وقد فصلناه في مسائل الأصول بما لا مزيد عليه ، وهذا المنقول قد لا يلاحظ فيه المناسبة وقد تلاحظ وما لوحظت [لحظت] فيه إما حال الوضع خاصة كزيد وعمرو أو خال الاستعمال إما لحصولها في المعنى المنقول إليه كالحسن والفضل وتدخل عليه الألف واللام لملاحظة تحقق

المناسبة عند الاستعمال ولو بالفرض ، وإن كان لمحض التفأل كصالح وسعيد وراشد وهذا لا تدخل عليه الألف واللام لبعد اعتبار الصفة ولمحها وعلى أي الأحوال ، فالوضع بإزاء الذات وإن كان منقولاً ولوحظت المناسبة في الاستعمال أو تحققت كالحسن فإن الصفة ليست مغايرة في الكون على تقدير تحققها ، فلا يكون الاسم موضوعاً إلا بإزاء الذات وإن لوحظت لأنها غير مغايرة ألا ترى أنك تقول : زيد لمسمّاه قام أو قعد أو نام ، وأما الصفة فإنها موضوعة بإزاء صفة الذات لا الذات فإذا قلت : جاء زيد القائم فإن القائم ليس اسماً لزيد فإنه حال قعوده لا يسمى به لأنه اسم صفة فعل ولو كان اسم زيد لكان مرفوعاً على البدلية ، كما تقول : جاء زيد أخوك ولكنه مرفوع بالتبعية لرفع زيد ، وذلك لأن قائم لم يسند إلى زيد ولم يرفع ضميره وإنما رفع كناية جهة فاعلية زيد وهي حركة [حركته] ولو رفع ضميره لكان مسنداً إلى ذات زيد وإنما استند إلى جهة فاعلية زيد أي ظهور فاعليته لأنك لا تنكر أن يكون قائم اسم فاعل لا اسم ذات ، فقائم اسم فاعل القيام أي محدثه والفاعل من أحدث حركة الفعل فهو اسم له من حيث حركته لا لذاته وتلك الحيثية ليست من ذات زيد فافهم فإن المسلك دقيق .

وبالجملة فالاسم موضوع بإزاء الذات وإن كان منقولاً عن صفته ولوحظت حال الاستعمال لعدم اعتبار خروجها عن المسمى عند الاستعمال والصفة موضوع بإزاء تلك الجهة المعتبر خروجها عنه عند الاستعمال ، ولهذا أهل العربية يفرقون في توجه العامل إلى اسم الذات فينسبونه [فينسبون] بالذات وإلى اسم الصفة فينسبونه بالتبعية .

قال سلّمه الله تعالى : إن كان المشخص للموجودات عدماً [عدم] فهو في نفسه غير متشخص وإن كان وجوداً فما المشخص له .

أقول : اعلم أن المشخصات للموجود سبعة أشياء الوقت والمكان والجهة والرتبة والمقدار في الكم والمقدار في الكيف والماهية ، ثم الماهية من حيث كونها مشخصة إنما تشخص بما يتشخص به الوجود من هذه المراتب الست ، فالتفصيل هنا واسع الذيل ولكن نشير إلى شيء في الجملة فنقول : قد سبق أن الوجود فعل أي أثر الفعل والماهية انفعال وهما متساوقان في الظهور وإن تقدم الفعل على الانفعال ذاتاً إلا أن أحدهما يتوقف [متوقف] على الآخر فبينهما تضايف وأفراد الوجود إنما تمايزت بتقدم بعضها على بعض وقتاً ومكاناً ورتبة وباختلافها جهة وكماً وكيفاً وذلك لاختلاف ماهياتها في الرتب الست فكلما لطفت الماهية ورقّت سبق الوجود إليها وقتاً ومكاناً وقوي كمًّا وكيفاً وبالعكس ، وذلك لأن الوجود لما فاض من مبدئه الذي هو المشيئة كان باعتبار تساوي كمّه كهيئة مخروط قاعدته العظمى عند المبدأ وكلّما بعد رقّ إلى نقطة ، وذلك من حيث الكم لا من حيث الحجم فإنه على العكس ظاهراً ففاضت الماهية من نفس الوجود بالإبداع على هيئة مخروط ، رأسه نقطة في قاعدة الوجود وكلّما بعد غلظ حتى ينتهي إلى رأس الوجود النقطة وذلك قاعدة الماهية ، وهذا أيضاً في الكم لا في الحجم على عكس الوجود فتتمايز أفراده بتلك الأمور الستة وباختلاف مراتب الماهية معاكسة لاختلاف مراتب الوجود في الكم والكيف ويتساويان في وسط امتدادهما وهذه الستة أسباب

للوجود ، لأنها تمام قابليته للإيجاد فهي موجودة بوجود كلها وكليها وفي خصوص أنفسها مساوقة لإيجاد الوجود وكذلك السابع الذي هو الماهية إلا أنها موجودة بتبعية إيجاد الوجود فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ هل جزئيات النفوس حادثة بالبدن أم سابقة عليه فإن كان الأول فظاهر بعض النصوص كأخبار الذر ينافيه ، وإن كان الثاني فبِمَ تمايزها حينئذ وكيف لا تكون معطلة حينئذ ؟

أقول : اعلم أن الله سبحانه بلطيف حكمته خلق تحت العرش شجرة اسمها المزن تقطر منها قطر كالطل على ما على الأرض من الثمار والحبوب فما أكل من تلك مؤمن أو كافر ، إلا خرج من صلبه مؤمن قال تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴾ وكانت هذه الشجرة عروقها في عليين ، ثم إنه سبحانه خلق شجرة الزقوم في سجين منكوسة هابطة إلى الجحيم تصعد منها أبخرة تقع على الثمار والحبوب ، فما أكل منها مؤمن أو كافر إلا خرج من صلبه كافر وهذه النطف من الطرفين تسري في الثمار والحبوب ونطف الآباء والأمهات والنفس غيبت [غيب] فيها كالنخلة في غيب النواة فإذا تمّت آلات البدن خرجت كالثمرة من الشجرة ، وتلك الأطوار التي تتقلب فيها مقامات الملكوت فإن عنيت بقولك حدثت أنها ظهرت كان الجواب : إن البدن سابق في الزمان وهي سابقة في الدهر ومعنى ذلك أن وجودها الزماني مع وجود آلات البدن لا قبلها ولا بعدها ، وأما وجودها الدهري فهي قبل البدن وبعده فالقبل هنا هو نفس البعد بدون تعدد فالسبق الدهري هو القبل البعد ، والوجود الزماني هو اللاقبل واللّابعد ، وأما أحاديث

الذر فلا تنافي هذا لأن الله سبحانه يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ مثاله أنك تتصور وجود ابنك ووجود ابنه وابن ابنه وهكذا إلى مئة ، وتجمعهم في خيالك وتخاطبهم بما تريد فكذلك أخذ الله الذرية من الأصلاب إلا أنك أنت أخذتهم في الوجود الذهني وهو سبحانه أخذهم في الوجود الخارجي الدهري إذ لا ذهني له فهم هنالك هو القبل البعد الذي ذكرنا وكذلك ما عندك ، إلا أن الذي عندك انتزاعي لما قابلت مرآة خيالك أشباحها في الذر في عالم الدهر انتزعت صورها وبذلك تمايزت ولا تكون معطلة لأنها هناك في الفضاء الدهري على تلك الأشجار تغرد بألحان جميع الأطيار فمرة على شجرة الآس ومرة في شجرة طوبى وسدرة المنتهى ، ولا تعطيل هناك في الفضاء الواسع وقول علي بن الحسين عليهما السلام : (**إنها بدون الجسد لا تحس**) المراد به في الزمان .

قال سلّمه الله تعالى : **مسألة** ـ إن كان كل واحد من الثوابت مظهر عقل فذلك يقتضي تعدد الأفلاك الكلية بتعددها وإن كانت كلها مظهر واحد فمن أين جاء التعدد ؟

أقول : اعلم أن الثوابت ليست مظاهر عقول لأن العقول لا تتمايز بالصور إذ لا صور لها وإنما هي معانٍ مجردة عن المادة والمدة والصورة ، وإنما هي مظاهر نفوس ولكنها نفوس جزئية لا كلية ولو لزم تعدد أفلاكها الجزئية فلا محذور ، فقد قال به بعض علماء الهيئة نعم هنا اعتباران ينبغي التنبيه عليهما :

أحدهما : أن الكلية كلّيتان حقيقية وإضافية وكذلك الجزئية فالكلية الحقيقية ككلية الشجرة ، والإضافية ككلية الغصن الواحد

منها والجزئية الحقيقية كجزئية الورقة والإضافية كجزئية الغصن ، فإنه جزئي بالنسبة إلى الشجرة وكلي بالنسبة إلى الورقة هكذا باعتبار الغيب وباعتبار الشهادة فهو كل جزء .

ثانيهما : أن الافلاك الجزئية للثوابت ثابتة على أحد معنيين إما بثبوت أفلاك تداوير لكل كوكب منها ولا يضر تداخل الدوائر لما بين الكوكبين من التقارب الذاتي المقتضي لما بين الشخصين المنسوبين إليهما من التقارب الذاتي ودعوى الصلابة الياقوتية المانعة من التداخل غير مسلمة أو بثبوت خوارج مراكز لها محيطة بالعالم ، فيكون قولنا : جزئية ليس على معنى ما اصطلحوا عليه لأنها على اصطلاحهم حينئذ كلية ولكن على معنى عدم اشتمال حكمها لكل الأشخاص مثلاً بل لشخص أو أشخاص مخصوصة والحس والوجدان يشهدان بتعدد أفلاكها على أحد الوجهين .

قال سلّمه الله تعالى : إن مولانا عدّ فيما منح به سابقاً فلك البروج وفلك المنازل في خلال تعداد الأجسام فذكرهما بعد فلك الثوابت فما حقيقة الحال فيها [فيهما] ؟ وأيضاً فظاهر قول سيدنا وصدر بواسطة فلك الشمس فلك زحل وفلك القمر أنهما دفعة فما صريح العبارة وما الوجه في هذا الترتيب ؟

أقول : اعلم أن المراد بفلك البروج وفلك المنازل المغايرين للكرسي مع أنهما منه أن للكرسي باعتبار كونه الكل حكماً خاصاً مقابلاً لحكم الثور ، في العالم السفلي ولفلك البروج حكماً خاصاً مقابلاً للصخرة التي فوق الثور ، وتحت الملك الحامل للأرض أعني سجين كما أن فلك البروج هو عليون ولفلك المنازل حكماً خاصاً مقابلاً للملك الحامل للأرض وهذا هو المراد بذلك التعدد ،

وأما قولنا : إن فلك زحل صدر من الشمس فالمراد أنّا نقول : إن فلك الشمس أول فلك كان ثم دارت الأفلاك من فوقه ومن تحته وقبل خلق الأفلاك كانت الأنوار الأربعة التي هي أركان العرش وهي : العقل النور الأبيض ، والروح الكلية النور الأصفر ، والنفس الكلية النور الأخضر ، والطبيعة الكلية النور الأحمر ، أما النور الأصفر فهو برزخ بين الأبيض والأخضر فالحكم لهما والشمس لما كانت هي مظهر الوجود الثاني ، وجب أن تستمد الأفلاك منها فالشمس تمد زحل من نور ذات العقل ، وتمد القمر من نور صفة العقل ، وتمد المشتري من نور ذات النفس الكلية وتمد عطارد من نور صفة النفس ، وتمد المريخ من نور ذات الطبيعة ، وتمد الزهرة من نور صفة الطبيعة ، وإنما ذكر ذلك لما قلنا : إن الشمس هي مظهر الوجود الثاني ولكن استمداد زحل قبل استمداد القمر .

قال سلّمه الله تعالى : **مسألة** ـ ما بيان معاني لفظ الأرض والماء والهواء والريح والنار والسماء والكرسي والعرش وما يراد منها بحسب كل مقام ؟ .

أقول : إن الحق في الواضع أنه هو الله سبحانه وتعالى والمعروف من كلامه وكلام أوليائه ، أنه يطلق لفظ الأرض ويراد به هذه الأرض المعروفة ويراد به نفوسها أيضاً كما روي عن الرضا عليه السلام في تفسير ، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ [يتنزل] ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، بأن كل أرض محبوكة عليها السماء المقابلة لها وأن الأرض الثالثة فوق السماء الثانية والأرض الرابعة فوق

السماء الثالثة ، والأرض الخامسة فوق السماء الرابعة ، والأرض السادسة فوق السماء الخامسة ، والأرض السابعة فوق السماء السادسة فمنهم من جعل ذلك الاسم اسماً لمحدب كل سماء بالنسبة إلى مقعر ما فوقه فمحدب السماء الأولى ، أرض مقعر السماء الثانية وهكذا والذي يظهر لي أن ذلك ليس في الزمان وإنما هو في الدهر وأن هذه الفوقية ، فوقية الرتبة لا الجهة مثلاً فالأرض الأولى أرض النفوس وسماء الدنيا عليها قبة ، والأرض الثانية أرض العادات وهي فوق سماء الحياة التي [الذي] هي سماء الدنيا رتبة والسماء الثانية سماء الفكر فوقها قبة ، والأرض الثالثة أرض الطبع فوق سماء الفكر رتبة وسماء الخيال فوقها قبة ، والأرض الرابعة أرض الشهوة فوق سماء الخيال رتبة وسماء الوجود الثاني فوقها قبة والأرض الخامسة أرض الطغيان فوق سماء الوجود الثاني رتبة ، وسماء الوهم فوقها قبة والأرض السادسة أرض الإلحاد فوق سماء الوهم رتبة وسماء العلم فوقها قبة ، والأرض السابعة أرض الشقاوة فوق سماء العلم رتبة وسماء العقل فوقها قبة فهذا اللفظ يطلق على هذه الأرضين ويطلق أيضاً على الصور العلمية لأنها أرض للعقل أي المعاني قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ قال عليه السلام : **(أي بموت العلماء)** انتهى .

يعني أن الأرض تنتهي إلى الصور العلمية ويطلق على كل سافل بالنسبة إلى عاليه ، وعلى محدب الكرسي قال الله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ﴾ وهكذا إلا أنّ الأرض عند أهل اللغة حقيقة في هذه [هذه

الأرض] المعروفة وباقي الأرضين مجاز ، وأما عند غيرهم فليس كل ما يطلق هذا اللفظ عليه مجازاً [مجاز] بل أكثره حقيقة إلا أنّ فيها ما يكون من باب التشكيك ، كالأرضين المذكورة في حديث الرضا عليه السلام فإنها أقوى من الأرضين المعروفة وقد يكون من باب الحقيقة بعد الحقيقة كأرض العلم في قوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَاۚ ﴾ فإن تلك الأرض حقيقة ثم من دونها هذه الأرض حقيقة وقد يكون من باب المجاز مثل الأرض المقدسة عند أهل الصناعة .

والماء يطلق على معان منها يطلق على الماء الذي كان العرش عليه ، وهو الباب الذي ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ ، ويطلق على المادة الجسمانية التي خلق منها الجهل الأول وإنما كانت ماء لقبولها لتشكلات لا نهاية لها ويطلق على العلم قال تعالى : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ أي العلم ويطلق على الماء المعروف إلى غير ذلك .

والهواء يطلق على هذا العنصر المعروف وعلى النفس الرحماني أي المرتبة الثانية من مراتب المشيّة وعلى فضاء الإمكان وعلى ما في الدهر وعلى الطبائع وغير ذلك .

والريح يطلق على الهواء المتحرك وهو هذا المعروف وعلى الطبائع وعلى عالم المثال السفلي وهو الريح العقيم وما أشبه ذلك .

والنار يطلق [تطلق] على كرة الأثير وعلى نار الكواكب وعلى نار الآخرة وعلى نار البرزخ وعلى نار الحجر وعلى نار الشجر الأخضر وعلى المستحيلة من الهواء وعلى نار العشق ونار المشيّة وما أشبه ذلك .

والكرسي يطلق على فلك الثوابت ، وعلى العلم الظاهر وعلى الصدر وغير ذلك .

والعرش يطلق على محدد الجهات وعلى العلم الباطن الذي فيه علم الكيفوفة وعلل الأشياء والبداء وعلى الدين وعلى قلب المؤمن وعلى عالم الأجسام وعلى خزانة الوجود وعلى مجموع الأنوار الأربعة ، وعلى مظهر الرحمانية وغير ذلك وكلّ هذه المذكورة وما لم يذكر منها على نحو ما ذكرنا في الأرض من جهة الاشتراك والتشكيك والحقيقة بعد الحقيقة والمجاز وتفصيل هذه يطول به الكلام ويعرف أكثرها من خلال كلامنا مما يأتي .

قال سلّمه الله تعالى : وما الفرق بين التأويل وباطنه والباطن وباطنه والظاهر وظاهره .

أقول : المراد بالتأويل صرف بعض الكلام إلى معنى غير ما يدل عليه ظاهره ولا يلاحظ فيه تمام الكلام اللغوي كما قال علي عليه السلام فيمن أدرك القائم عليه السلام وما ينالون من العلم عند قيامه وأنه يستغني كل أحد عن علم الآخر قال عليه السلام : (**وذلك تأويل قوله تعالى يغن الله كلّا من سعته ، وأما**) باطن التأويل فكذلك إلا أنه تفسير باطن وذلك كما قال الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .

قال عليه السلام ما معناه : (**هو الحسن بن علي عليهما السلام أمر بالكف عن القتال وصلح معاوية وحقن دماء المسلمين فلما كتب عليهم القتال قال هو الحسين بن علي عليهما السلام كتب عليه القتل والله لو برز معه أهل الأرض لقتلوا**) وكما في قوله

تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ قال : (**هما محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام أبوا هذه الأمّة**) وهما أبَوَا العقل ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ ، وهما أَبَوَا النفس الأمارة بالسوء وهما الشمس والقمر بحسبان ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ وهما أَبَوَا الجسد وكما ورد في قوله تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾ (**قال الإنسان رسول الله صلى الله عليه وآله ووالديه الحسن والحسين عليهما السلام**) وهو كثير فهذا ومثله هو تفسير باطن التأويل لأنه تأويل الباطن .

وأما تفسير الباطن فمعلوم مثل قوله تعالى : ﴿حمٓ﴾ وهو رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾ هو علي عليه السلام ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ وهي فاطمة عليها السلام ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي إمام حكيم بعد إمام حكيم والأحاديث مشحونة بذلك وهو أن تجري على طريقة اللغة بمعان باطنة غير ظاهرها ، وأما تفسير باطن الباطن فيجب كتمانه لأنه إذا سمعه الناس كفروا كما روي أن الحجة عليه السلام : (**ليلة عاشوراء إذا خرج نادى أصحابه نصف الليل فيسمعونه أصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر فلا يتم صوته إلا وقد اجتمعوا عنده من مشرق الأرض ومغربها منهم من تحمله السحاب ومنهم من تنطوي له الأرض وهو تأويل قوله تعالى : ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ فيقولون له : مد يدك لنبايعك ، فيقول لهم : تبايعوني على كذا وكذا فينفرون منه ولم يثبت عنده إلا المسيح عليه السلام وأحد عشر نقيباً فيجولون الأرض ولم يجدوا ملجأ فيرجعون إليه ويبايعونه**) .

قال الصادق عليه السلام ما معناه : (**والله إني لأعرف الكلمة التي قالها لهم فيكفرون فانظر كيف لم يحتمل باطن الباطن الأخيار المصطفون الذين اختارهم الله من أهل الأرض أنصاراً لوليه عليه السلام**) ، وقال الصادق عليه السلام في حديث جابلسا قال عليه السلام : (**وإنا لنعلّمهم بشيء من تفسير القرآن ما لو سمعتموه لكفرتم**) ، وبالجملة القرآن مشحون به ولكن لا يجوز بيانه و[ولأنه] لا يحتمله أصحاب العلوم ولا أصحاب القلوب وإنما يحتمله أصحاب الأفئدة وأخاف من أن أفضح بالسرّ ولولا ذلك لأظهرته ومنه قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ فإن قدر الله ملاقاة قبل الموت أخبرتك به مشافهة ، وإلا فلا يحسن كتابته نعم قد أشرت إلى ذلك في أجوبة مسائل الشيخ عبد علي التوبلي رحمه الله وهذا هو الذي عناه عليه السلام في قوله : (**ولو يعلم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله**) وفي رواية لكفره وقال عليه السلام : (**ما أفشى أحد سرنا إلا أذاقه الله حرّ الحديد**) انتهى .

وأما تفسير الظاهر فهو الذي ذكره المفسرون على ظاهر اللغة وأما ظاهر الظاهر فأن تأخذ مادة الكلمة وتتصرف بها فيما تريد إذا كنت تعلم المراد كما روي عن الصادق عليه السلام ما معناه في قوله تعالى : ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ قال عليه السلام : (**ميثاقاً هو العقد وغليظاً هو المنى**) ومثل قوله تعالى : ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ قال : (**هي الفروج**) وكقوله تعالى : ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ أي أغرقوا

في ماء الخطايا وهو ماء أُجاج وكقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴾ قال الصادق عليه السلام : (**تبقى الأرواح ساهرة لا تنام**) وأمثال ذلك .

قال سلّمه الله تعالى : وما الفرق بين جسم الكل وشكل الكل وطبيعة الكل وهيولى الكل ؟

أقول : جسم الكل هو معروض عالم المثال ومحله وهو مجموع عالم الأجسام وشكل الكل هو عالم المثال ، وهو فوقه وهو البرزخ بين النفوس والأجسام [الأجسام والنفوس] وهو التخطيطات الجسمانية والصورة في المرآة منه فهي وراء محدد الجهات وما ترى في المنام هو ذلك العالم وهورقليا ، بجميع ما فيه من المقادير منه وما يقع في الحس المشترك منه ، وأمّا ما في الخيال فليس منه وإنما هو من الملكوت ، وأما طبيعة الكل فهو الركن الأيسر الأسفل من العرش وهو النور الأحمر ، وهو الملك الذي على ملائكة الحجب وهو الموكل بالإيجاد ويخدمهم جبرئيل عليه السلام وأما هيولى الكل فهو مادة الأجسام وهي الكسر الثاني وهو جوهر الهباء وهو آخر المجردات .

قال سلّمه الله تعالى : ما الجمع بين ما دلّ على سبق خلق السماء على الأرض من الأدلة وبين قوله تعالى : ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ وما يراد بهذه السماء وهذا الاستواء ؟

أقول : الجمع بين الدليلين أنه لما رمق الماء بعين الهيبة فذاب وزبد وارتفع دخانه وكان الزبد الدخان فصعد الدخان ، وكان الدخان قد أخذ في الصعود لطيفه قبل بدءِ الزبد وارتفع آخره عند

انتهاء الزبد خلق الأرض وأقواتها من الزبد في أربعة أيام ثم توجه وجه المشيّة إلى الدخان الصاعد فخلق من وسطه فلك الشمس ، وذلك لاستوائه في اللطافة والغلظ وخلق فلك القمر وفلك زحل وفلك عطارد وفلك المشتري وفلك الزهرة وفلك المريخ فصار الاستواء إلى السماء بعد الأرض والسماء دخان موجودة وهو قوله تعالى : ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾ إلى ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ۝١٠ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ فكان كون السماء قبل كون الأرض ، وكان عين الأرض قبل عين السماء فكلما لطف وعلا تأخرت صورته الجسمانية [الجسمية] ولذا قلنا : فلك القمر وفلك زحل وهذه السماء هي المعلومة وإذا أريد بالسماء غير المعلوم ، أريد بالأرض أرض المراد ، وأما الاستواء هنا فالمراد به الالتفات أي توجه وجه المشيّة والقدر .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما معنى دحو الأرض من تحت الكعبة وأي كعبة هي ؟ وما معنى خزن الرياح في الأركان وما معنى إلقام الحجر للعهد والميثاق وما حقيقة ذلك الميثاق ؟

أقول : معنى دحو الأرض من تحت الكعبة : بسطها من تحت الكعبة تنبيهاً على أن أول ما خلق الله من السفلى الكعبة ثم بسط الأرض من تحتها هذا معنى للتحت والمعنى الثاني هو أن الكعبة لما كانت متصلة بالبيت المعمور وهو متصل بالعرش كانت الأرض تحت الكعبة لأنها جعلت في الأرض صورة للبيت المعمور ، والناس يطوفون بها تشبيهاً بالملائكة الطائفين بالبيت وهو جعل لأهل السماء صورة من العرش لأن الملائكة المقربين يطوفون

بالعرش ، فكان البيت المعمور في السماء الرابعة وفي السماء الدنيا للملائكة كالعرش للمقربين وكانت الكعبة في الأرض كالبيت المعمور ، ثم إن أريد بالكعبة هذه المعلومة فالأرض هذه المعلومة ، وإن أريد به القلب الصنوبري في الصدر فالأرض المفروشة من تحته الجسد لأنه مخلوق من قبضة من المحدد للجهات فتكون الأرض أي الجسد المخلوق من هذه الأرض مفروشة تحته أي تحمله ، وإن أريد به القلب المعنوي الذي هو العرش فالأرض المدحوة تحته أي المفروشة هي النفس لأنها مركبة .

وأما خزن الرياح فاعلم أنه لما كان الظاهر طبق الباطن ومتقوماً به وجب أن تظهر صورته وصورة أثره في الظاهر ، وهذا الظهور هو أثر التعلق والارتباط ، وقد ذكرنا في كثير من أجوبتنا وتقدمت الإشارة ويأتي إن شاء الله تعالى أن العرش مركب من أربعة أنوار مجموعها هو العرش نور أحمر منه احمرت الحمرة ، ونور اصفر منه اصفرت الصفرة ، ونور أخضر منه اخضرت الخضرة ، ونور أبيض منه البياض ومنه ضوء النهار والعرش هو القلب الباطن الذي أشار إليه تعالى في الحديث القدسي ، (**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**) وهو ما قال تعالى : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ ولما كانت الكعبة هي القلب وجب أن يكون القلب مشتملاً على الأنوار الأربعة قوة المرة الصفراء وقوة الكبد وهي الدم وقوة الرية وهي البلغم وقوة الطحال وهي [هو] السوداء فالنور الأحمر هو الصفراء ، والنور الأصفر هو الدم ، والنور الأبيض هو البلغم ، والنور الأخضر هو السوداء ، ولما كانت

الرياح الأربعة [الأربع هي] بمنزلة الطبائع الأربع فالجنوب هو الدم وهو النور الأصفر ، والصبا هو البلغم وهو النور الأبيض ، والشمال هو السوداء وهو النور الأخضر ، والدبور هو الصفراء وهو النور الأحمر ولأجل هذا التناسب ورد في تعليل تربيع الكعبة (**أنها إنما كانت مربعة لأنها بإزاء البيت المعمور وهو مربع**) ، وإنما كان مربعاً (**لأنه بإزاء العرش**) وهو مربع وإنما كان العرش مربعاً (**لأنه بإزاء الكلمات التي بني عليها الإسلام وهي أربع : سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر**) ، فلأجل ما أشرنا إليه وجب في لطيف الحكمة أن يكون ينبوع الرياح الأربع من الكعبة وإلا لم تكن مظهراً للقلب الذي هو ينبوع الطبائع الأربع ، وإنما كانت من الركن اليماني لأنّ الركن اليماني في القلب هو باب الوجود الذي تكون منه الأنوار ، والطبائع الأربع وهذه الملائكة التي هي الجنوب والصبا والشمال والدبور تخدم الملائكة الأربعة ، فالدبور يخدم جبرئيل ويعينه الشمال والجنوب بنصف قوتهما ، والجنوب يخدم إسرافيل ويعينه الدبور والصبا بنصف قوتهما والصبا يخدم ميكائيل ويعينه الجنوب والشمال بنصف قوتهما ، والشمال يخدم عزرائيل ويعينه الصبا والدبور بنصف قوتهما فعلى هذه الإشارات يتطابق الظاهر والباطن .

وأما معنى إلقام الحجر للعهد والميثاق فهو أنه لما كلف الله الخلق في الذر وقال لهم : ألست بربكم ومحمد نبيكم وعلي وليكم وإمامكم والأئمة أئمتكم ؟ قالوا : بلى ، وكان في كل عالم لم يختلف الخلق في الله ولا في الرسول ، وإنما اختلفوا في الولي فلمّا أقر من الخلائق أجمعين كان ممن [مما] أقر الملائكة وكان

أشدهم حباً لمحمد وعلي وآلهما عليهم السلام الملك الذي هو الآن الحجر الأسود فكان كل من أقر بالتوحيد والنبوّة والولاية كتب ذلك الإقرار في رق وألقم الحجر تلك الإقرارات لشدة محبته لمحمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فكان الحجر قد ألف بآدم في الجنة لأن آدم يكون في صلبه ومن ذريته من يحبهم فلمّا أكل آدم من الشجرة فأهبط [وأهبط] من الجنة هبط معه ذلك الملك فجمد حجراً ، فلمّا نزل آدم بقي يسعى في الأرض لطلب حوّاء فرأى هذا الحجر الأبيض المشرق فوقف عليه ينظره ، فقال له الملك : نسيتني أنا صاحبك فعرفه آدم فحمله وكان إذا تعب أعانه على حمله جبرئيل عليه السلام حتى أتى به إلى الكعبة فوضعه في الركن العراقي ، ولهذا يقول الحاج عند استلامه : (**أمانتي أديتها وميثاقي تعاهدته لتشهد لي بالموافاة**) فقوله : (**أمانتي**) وهي [هو] قوله تعالى : ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ﴾ أي الولاية وكان الإقرار بالولاية أمانة عند المقر بها مكتوباً في رق فإذا استلم الحجر وقال ذلك : أدى الأمانة إليه وقوله : (**وميثاقي تعاهدته**) يعني الذي عاهدت الله عليه في عالم الذر وفي الدنيا أجدّده لتشهد لي بفعل ما أمرت به من ولاية أولياء الله ومن الاقتداء بهديهم والميثاق المأخوذ توحيده في المراتب الأربع .

الأولى : توحيد الذات سبحان الله ولا إله إلا الله .

والثانية : توحيد الصفات الحمد لله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله .

والثالثة : توحيد الأفعال لا إله إلا الله علي ولي الله الأئمة حجج الله .

الرابعة : توحيد العبادة ولا يشرك بعبادة ربه أحداً والله أكبر أُوالي من والواو أجانب من جانبوا[١] ، وكذلك جميع ما أراد الله من المكلف من الأعمال والاعتقادات والإرادات والأحوال والأقوال .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما معنى (اعرفوا الله بالله) إلخ ؟

أقول : معنى (**اعرفوا الله بالله**) أن الشيء إنما يعرف بصفته فالأحمر يعرف بالحمرة والطويل بالطول والعريض بالعرض والمتحرك بالحركة والمتحيز بالأين والمؤقت بمتى والجسم بالأبعاد الثلاثة ، والمخلوق يعرف بصفات الخلق من الحركة والسكون والإشارة [الإشارة إليه] والنسبة إليه وبه وبالإدراك له بأي طور كان وما أشبه ذلك فإذا قلتُ لك : أخبرني الله تعالى طويل ؟ قلت : لا وإذا قلتُ : هو متحرك ؟ قلتَ : لا ، وإذا قلتُ لك يصح نسبته إلى شيء أو نسبة شيء إليه ؟ قلتَ : لا ، وإذا قلتُ لك : يجوز عليه الشبه أو المساواة أو الإدراك ؟ قلتَ : لا فقد عرفت الله بالله لأن الشيء ، إنما يعرف بما هو عليه ، فلو عرفته بغير ما هو عليه لم تعرفه والدليل على أنك عرفته أني لو قلت لك الشيء الذي [الذي قد] كتمته في بيتي ما هو طويل أم قصير أم متحرك أم ساكن أذو لون أم لا لون له ؟ لكنت تقول : لا أعلم وهو حق لأنك إذا لم تعلم بالشيء لا يمكنك أن تصفه أو تحكم عليه والله سبحانه ، نفيت وصفه بصفات خلقه لأنك عرفته به ، ولو قلتُ لك : ما هو ؟ قلت

(١) فيه الإشارة إلى الركن الرابع وأنه من الميثاق المأخوذ من الإنسان في الذر ، وأنا العبد زين العابدين (أعلى الله مقامه) .

لي : لا أعلم لأنك تعرفه أنه لا يدرك بالكنه فقد عرفت الله بالله وقوله سلّمه الله تعالى إلخ أي : (**اعرفوا الرسول بالرسالة وأولي الأمر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) والمراد أن الرسول يعرف برسالته فإذا أثبت رسالته بفعل المعجز ، عرف أنه رسول وإذا رأيت الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يخل بواجب في حال من الأحوال فهو من أولي الأمر ، والدليل على ذلك أن الله سبحانه لا يضل عن سبيله من اهتدى ، ولو وفق المدعي الكاذب للإتيان بالمعجز الحق لتدافع القولان لأن الله لا يصدق الكاذب ، فإن صدّقه فهو صادق فلا يصدق إلا صادقاً ولا يخلي إلا كاذباً فإذا وفق رجلاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بالطريق التي أمر الله تعالى بها لا يفارق الحق أبداً فهو الدليل القطعي على أنه من أولي الأمر وإلا لاختلف في وقت ما وهذا ظاهر .

قال سلّمه الله تعالى : ما معنى اتحاد العاقل بالمعقول واتحاد النفوس بالعقل الفعال ؟ .

أقول : اعلم أن العقل عبارة عن المعاني المجردة عن المادة والمدة والصورة والنفس اعني الصدر الذي هو محل العلم هو الصور العلمية المجردة عن المادة والمدة قال الله سبحانه : ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ﴾ فجعل الكتاب هو الكتابة لا القرطاس ولا هي مع القرطاس وقال تعالى : ﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ فالكتاب المسطور هو الكتاب لا غير فمعنى اتحاد العاقل بالمعقول ، إن أريد به اتحاد العقل بالمعقول على [على معنى] أن العقل هو نفس المعاني وأن العقل الذي هو المعاني قائم بالعاقل ، من جهة جانبه الأيمن المعبّر عنه بالوجود فهو حق وإن أريد به

اتحاد العاقل نفسه بقصد إرادة الذات فباطل [فهو باطل] لأن الذات ليس فيها غيرها والغير في الغير ، والمراد من المعقول هو المعنى المعقول لا المعنى الخارجي ، فإنه ليس بمعقول والكلام في المعنى المعقول كالكلام في الصورة العلمية من أن المعنى هل هو أصل للخارجي أم الخارجي أصل له أم التفصيل بأن العاقل إن كان علة للخارجي كان المعنى الذي هو عقله أصل المعنى الخارجي ، وإلا فالخارجي أصل له وهذا هو الأجود ، والحاصل أن الحق اتحاد العقل بالمعنى المعقول بل هو نفسه لا العاقل فإنه غيره لأن المعنى هو من العاقل كيَدِك منك فافهم .

وأما اتحاد النفوس بالعقل الفعال ، فلم يثبت ، لأن النفوس هي مظاهر العقل الفعال والمظهر لا يتحد بالظاهر والعقل الفعال وجه من وجوه عقل الكل الكلية والنفس الصادرة عنه مظهر له ، والظاهر صفة العقل لا ذاته ، وذلك لأن الأثر غير الفعل والفعل غير الذات والنفوس الكلية قائمة بالعقل قيام تحقق وقيام عروض والعارض لا يتحد بالمعروض .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ الصورة التي ترى في المرآة قائمة بأي شيء وهل هي عين المرئي أم لا ؟ وهل يجوز النظر إلى عورة الأجنبية في المرآة أم لا فقد جرت هذه المسألة ؟ .

أقول : اعلم أن الصورة المرئية في المرآة هي صفة صورة الوجه وأصلها مركبة من مادة هي هيئة صورة الوجه ، وصورة هي نور المرآة ووضعها والصورة قائمة بالفضاء البرزخي وهو ليس بمكان جسماني ولا زمان ولا هواء وإنما هو من جنس ما وراء محدد الجهات لأنها ليست من هذا العالم وإنما هي من عالم المثال ،

وهو برزخ بين الزمان والدهر فليس من الملك ولا من الملكوت وليست هي عين المرئي وإنما هي صفة صورة المرئي ، فلو نظر في المرآة إلى عورة أجنبية لم ير نفس العورة ، وإنما يرى صفة صورة العورة فالتحريم راجع إلى إدراك وصف العورة وإلى إثارة الريبة [الرئبة] لا إلى إدراك نفس العورة ، والدليل على ذلك أن الناظر فيها إلى العورة لم يكن ناظراً إليها وإنما يرى مثالها ما رواه المفيد في الاختصاص ، بسنده إلى موسى بن محمد الجواد أنه سأل أخاه أبا الحسن العسكري عليه السلام عن مسائل سألها عنه يحيى بن أكثم فكان من جوابه عليه السلام أن قال : (**وأما قول علي عليه السلام في الخنثى أنه يورث من المبال فهو كما قال وينظر إليه قوم عدول فيأخذ كل واحد منهم المرآة فيقوم الخنثى خلفهم عرياناً وينظرون في المرآة فيرون الشبح فيحكمون عليه**) انتهى .

فقوله عليه السلام : (**فيرون الشبح**) صريح في أن المرئي هو صفة صورة الشخص فتحريم النظر إلى العورة فيها ليس لأنه يرى الشبح نفسه ولكن رؤية شبح العورة لنفسه محرم ، وتظهر الفائدة فيما لو نذر أنه إن رأى زيداً ليتصدّقن بكذا ، والمفروض رجحان رؤية زيد فعلى ما اخترناه لو رآه في المرآة لم يجب عليه شيء لأنه لم ير زيداً وفيه احتمالات واهية وهذا هو الذي يدل عليه الدليل النقلي والعقلي .

قال سلّمه الله تعالى : ما الفرق بين كلّ من المادة والصورة والجنس والفصل والآخر ؟

أقول : المادة هي ما يتكون الشيء منها وهي الوجود على الصحيح وقيل : هي الماهية وأعلى مراتب المادة ، ثمرة الماء

الأول الذي نزل من سحاب المشيّة على أرض الجرز ثم مظاهر المعاني العقلية ثم مظاهر الرقائق الروحية ثم مظاهر الصور النفسية ثم كيفيات الطبيعة الكلية ثم حصص جوهر الهباء ثم المقادير المثالية ، ثم قبضات الأفلاك المقدرة بحركة محدد الجهات المسخرة ثم العناصر الأربعة ، والمادة هي الأب وهي الكون للشيء والصورة هي ما بها العين للشيء على الصحيح ، وقيل : هي الوجود وأعلى مراتبها الأرض الجرز ثم الحضور العقلي ثم كينونة ورق الآس ثم نور النفس وكينونتها ثم كم الكيفيات الطبيعية المشكك ثم خصوص [كم حصص] جوهر الهباء وكيفها ثم نور المقادير المثالية وكينونتها ثم كمّ القبسات من الأفلاك المشكك ثم أوضاع العناصر وكيفياتها .

والصورة هي الأم التي أشار إليها بقوله عليه السلام : (**السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه**) ، وهي العين للشيء وكلّ شيء فهو مركب من مادة وصورة لا فرق في ذلك بين الأشياء المستقلة كالسماء والأرض وزيد والهواء وما أشبه ذلك وبين الغير المستقلة كالمادة نفسها فإنها مركبة من فعل وانفعال أي من مادة وصورة كالفعل فإنه مركب منه ومن نفسه ، فنفسه مادته وهو صورته وكالصورة فإنها مركبة من هيئة الظاهر ومن نور القضاء وطبيعته إلا أن التركيب في المادة الأولى والصورة الأولى تضايف وما سوى ذلك فعلى حقيقة [حقيقته] .

ثم اعلم أن الوجود والماهية هو الفعل والانفعال بمعنى أن الوجود لما خلقه انخلق فخلقه هو الوجود وانخلق هو الماهية وذلك لمّا سأله أجاب ، أي سأله الله فأجاب بسؤاله لله الذي أجابه

بألست بربكم ، فالحكم دوري بالتضايف ولهذا خلق المطيع من طينة الطاعة التي هي فلك البروج والصورة الإنسانية وطينة عليين ، وخلق العاصي من طينة المعصية التي هي الصخرة تحت الأرض والصورة الحيوانية وطينة سجين ، والجنس هو ما اشتمل على مختلفي الحقيقة واختلاف الحقائق المشتمل عليها الجنس إنما هو بعد المشخصات من الفصول ، وأما قبل المشخصات وقبل ملاحظة عروض المشخصات فالمروي عن أهل العصمة عليهم السلام يدل على أنها متساوية في وجه الجنس بجهة الجمعية والعلة في ذلك أنك إذا تصورت حقيقته [حقيقة] فهي البتة من حيث هي ، هي واحدة لا تعدد فيها فإذا لحظت مبدأ المأخذ وهو الحقائق المختلفة التي تحت تلك الحقيقة وجدتها متعددة متباينة في أنفسها بالمشخصات فصارت تلك الحقائق مركبة من جامع لها ومميز لأفرادها من بعضها بعضاً ، والجنس هو تلك الحقيقة الجامعة والكلي المنطقي عارض لتلك الحقيقة ومنشؤه من المشخصات فيكون الجنس ينقسم إلى حصص لا تتمايز من بعضها بعض [بعضاً] إلا بالمشخصات وإلا فهي من جهة الجامعية متساوية الحقيقة فلا فرق في الرتبة الجنسية بين حيوانية الإنسان وحيوانية الفرس وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾ فيما روي عن الصادق عليه السلام في تأويلها ويحتمل أن تكون جهة الجامعية في الحصص إنما هو في صفاتها لا في ذواتها ، لأن حيوانية الإنسان ليست في ذاتها كحيوانية الفرس لقبول حيوانية الإنسان للمعقولات وإدراك المعلومات ، ولا يمكن ذلك في حقيقة حيوانية الفرس ، وإنما جامعية الجنس إنما هو في التحرك بالإرادة ، ويقوي

الأول أن الحصة ليست مذوتة بنفسه للذات وإنما تحققت الذات بها مع الفصل .

فالفصل هو منشأ القبول للمعقولات ألا ترى أن السامري صنع العجل من ذهب فلما حيى بالتراب خار لأجل الصورة العجلية لأنها لا تقتضي إلا ذلك ، ولو صنع الذهب إنساناً ووضع فيه التراب وحيى تكلم وأدرك المعاني المعقولات ، لأن ذلك هو مقتضى الصورة الإنسانية فالمادة في الاثنين ذهب وإنما الصورة التي هي الفصل هي التي بها تختلف حقائق المواد وعلى هذا جرت الأحكام الشرعية والخطابات الإلهية ، ويقوي الثاني أن المعلوم الذي بنيت عليه حقائق المعارف والأصول أن حيوانية الحيوانات من فاضل حيوانية الإنسان واحد من سبعين ، وأن التسمية من حيث الذوات من باب الاشتراك اللفظي ، وقول : إن الأجناس إنما تتقوم بالفصول إنما هو تقوّم جهات التعلق والارتباط بالفصول لا نفس الحصص فإنها على ما هي عليه وإنما صلحت تلك الجهات للتعلق الخاص بالفصل الخاص ، وإلا لصلحت حصة الحيوانية الصالحة للناطق للصاهل هذا خلف ومثال ذلك أن نوع الخشب إذا أخذت منه حصة للسرير إنما تصلح له إذا اختصت به وإنما تختص به إذا قطعت وقدّرت بمقاديره وتلك التقديرات هي الصلوح ، فإذا قدرت كذلك اختصت بالسرير وإذا اختصت به لم تصلح للباب فحقيقة السرير مركبة من وجود وماهية ، فالوجود هي الحصة الصالحة لا مطلق الخشب والصورة هي الماهية ، فالإنسان هو المركب من حصة حيوانية إنسانية وحقيقتها هي الحيوانية الصالحة للإنسان لا مطلق الحيوانية ومن ناطق وهو الفصل وهو الصورة الإنسانية التي

هي الرحمة وطينة عليين ، أو من طينة خبال التي هي الغضب وهي الصورة الحيوانية أي كالحيوانية لثبوت التشبيه في القرآن إن هم إلا كالحيوان [كالأنعام] المقتضي للمغايرة بين المشبه به والمشبه وذلك لأن الحصة الصالحة ليست بسيطة ، وإنما هي مركبة من حصة وصلوح خاص لأن مطلق الصلوح بعيد لا يتركب منه السرير ، وإنما يتركب من القريب من الصلوح والاحتمالان عندي صحيحان إلا أن الأول طريقه الظاهر والثاني طريقه الكشف .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما كيفية تولد آدم عليه السلام عن [من] عنصر واحد بسيط حتى تركبت فيه العناصر ؟

أقول : اعلم أن آدم عليه السلام خلقه الله من تراب إلا أن ذلك التراب قد استجن فيه الماء والهواء والنار وسائر القوى الفلكية ، كما يأتي ، وذلك لمّا صعدت الحرارة والرطوبة التي هي علة الكون وسفلت البرودة واليبوسة التي هي علة الفساد واحتاجت الأجسام إلى أرواحها ، والسفلي إلى العلوي والأنثى إلى الذكر سألت السفليات من بديع السماوات حياتها فدارت بأمره الأفلاك الثمانية على التوالي بأمره في تقدير الأقوات ودار المحدد الجهات [للجهات] على خلاف التوالي بأمره لتسخير المقدرات فألقت الأفلاك أشعتها على مشاكلها من السفليات واستجنت الأرواح والقوى في تلك الأشعة فاختلط به نبات الأرض فجرت تلك الأرواح والقوى في ذرات الأرض فكانت غيباً في شهادتها فظهرت في المعادن والنبات والحيوان كل ذرة تسري بها ستة مكونات في ستة أكوان فالمكونات الأولى ، (**أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد**) ولكلّ من الملائكة جنود لا يحصي عددهم إلا الله

وما يعلم جنود ربك إلا هو ، والأكوان الكون النوراني والكون الجوهري والكون الهوائي والكون المائي والكون الناري والكون المثالي ، فأما الكون النوراني فهو مختص بآدم الأول ولا كلام لنا فيه ، وأما الكون الجوهري فهو النور الأبيض ، والكون الهوائي هو النور الأصفر ، والكون المائي هو النور الأخضر ، والكون الناري هو النور الأحمر ، والكون المثالي هو الأظلة في ورق الآس والذر في التكليف الأول ، والكون السادس الذي يحمل الخمسة الأكوان من الستة المذكورة هو الجسم .

وإنما كان حاملاً لأنه [لأنه خلق] من عشر قبضات قبضة من جسم العرش خلق منها قلبه ، ومن الكرسي قبضة خلق منها صدره ، ومن فلك زحل قبضة خلق منها عقله ، ومن فلك المشتري قبضة خلق منها علمه ، ومن فلك المريخ قبضة خلق منها وهمه ، ومن فلك الشمس قبضة خلق منها وجوده الثاني ، ومن فلك الزهرة قبضة خلق منها خياله ، ومن فلك عطارد قبضة خلق منها فكره ، ومن فلك القمر قبضة خلق منها حياته والحاصل فالعنصر الواحد الذي خلق منه آدم عليه السلام هو التراب كما قال تعالى : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يعني في التكون من غير نكاح ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ﴾ يعني آدم ﴿مِن تُرَابٍ﴾ الآية .

ولكن هذا التراب قد اختلطت به جميع العناصر والطبائع واستجنت فيه جميع القوى وتعلقت به جميع الأرواح كما سمعت مما أشرنا إليه وما لم تسمع ، ولكن نظيره في التدبير والتركيب كالإكسير دبّره الحكيم حتى استخرج من الهيولى البسيطة جميع أركانه وكيانه وقواه وطبائعه في حلّيْن وعقدَيْن فكان ذهباً خيراً من

المعدني وآدم عليه السلام دبره الحكيم سبحانه كذلك في حلين وعقدين الحل الأول في الماء الأول ، والدواة الأولى والأرض الجرز والعقد الأول في العقل طبائعه وفي الروح ألوانه وفي النفس تمامه ، والحل الثاني في الطبيعة الكلية وفي المادة والعقد الثاني في المثال ألوانه وفي الجسم تمامه ومثال ما سواهم ممن تولد بالتناكح كمثال الذهب في المعدن يتكون من الزئبق والكبريت في معدنه بنظر الشمس وطول المدة هذا ، وقد قالوا كل معدن فهو متكون من أصلين الزئبق والكبريت لا فرق بين الذهب وغيره كذلك الإكسير متكوّن من ذلك الأصلين في معدن هيولاه كذلك الذي يتكون منه الإنسان بالتناكح عين ما تكوّن منه آدم عليه السلام طبعاً بطبع وأركاناً بأركان .

قال سلّمه الله تعالى : والفرق بين علم الإنسان وعقله وحياته ووجوده وما وجه اختصاص كل قبضة من العشرة بما عين لها .

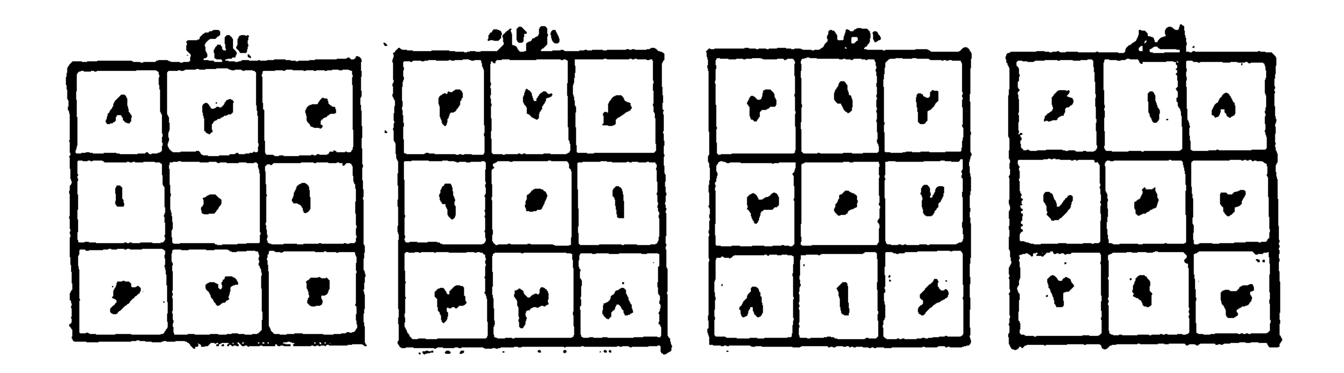
أقول : علم الإنسان هو صور المعلومات القائمة بنور خياله فالعلم هو تلك الصور انتزعتها مرآة الخيال من هيئات المعلومات ، وأما عقله فهو مجموع المعاني المجردة عن المادة والمدة والصورة وذلك لأن تلك المعاني التي هي رأس من رؤوس العقل انطبعت في وجه العقل الذي هو الدماغ وليس كانطباع الصور [الصورة] التي هي العلم فإن الصور تخطيط المعلوم والمعاني حقيقة مقصود المعلوم فالعلم نور أخضر منبسط كشكل الباء هكذا ـــب والعقل نور أبيض قائم كهيئة الألف هكذا ا وهيئة الروح وهو الرقائق والنور الأصفر هكذا ـــاــ والحياة هي الحيوانية المتحركة بالإرادة ومادتها من الملك المسمى بإسماعيل بواسطة القمر ابتداء ، والجو

زهر انتهاء وتقديرها بحركات فلكه الأربع وتسخير محدد الجهات ، وأما وجوده الزاني الذي به الكون في الأعيان فمن فلك الشمس على نحو ما مر عن أمر جبرئيل عن أمر الله وأما وجه اختصاص كل قبضة بما عين لها فلأن الواقع هكذا بأن الفلك التاسع هو القلب لقوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ وهو العرش أي استوى برحمانيته على عرشه فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل مخلوق رزقه إليه الإشارة بقوله تعالى : (**ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن**) وهو العرش وهو قلب محمد صلى الله عليه وآله فإذا ثبت هذا كما هو ظاهر لا يجوز أن يخلق القلب الإنساني من قبضة من غيره وهكذا ، ولمّا كان الكرسي هو الصدر خلق منه الصدر ولمّا كان فلك زحل من نفس العقل خلق منه العقل وهكذا ، فهذا وجه الاختصاص فافهم لأن العالم الإنساني الصغير خلق أنموذجاً من العالم الإنساني الكبير .

قال سلّمه الله تعالى : وما كيفية تولد حواء ومعنى ضلع آدم الأيسر ؟ .

أقول : اعلم أن الله سبحانه لمّا خلق الوجود كانت عنه الماهية لأنها ضده ولما خلق وجه الوجود الذي هو العقل كانت عنه النفس الأمّارة التي هي وجه الماهية والإنسان مركب منهما ، ولكن كلّما قرب من الفعل ضعفت الماهية فيه وقوى الوجود لقربه من النور كلّما بَعُد قويت فيه الماهية ، ولما خلق آدم عليه السلام كان لقربه من النور فيه الوجود والعقل أكثر من حواء لبعدها بالنسبة إليه عن النور فكان [فكان فيه] ثلثان من العقل وثلث من النفس قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ فكان قد خلق حواء من

نفس آدم عليه السلام لا من عقله فكان فيها ثلثان من النفس وثلث من العقل ، فالخلق من آدم عليه السلام من النوع والمقدار والوضع لا من الذات والمثال الجامع لذلك شكل المثلث وهو باعتبار وضعه أربعة أقسام ناري وترابي وهوائي ومائي :



فمثال الأول فالناري الذي مفتاحه البيت الأوسط من الضلع الأعلى والترابي مفتاحه البيت الأوسط من الضلع الأسفل ، والهوائي مفتاحه البيت الأوسط من الضلع الأيمن ، والمائي مفتاحه البيت الأوسط من الضلع الأيسر وعدد كل واحد خمسة وأربعون عدد آدم والضلع الواحد خمسة عشر عدد حواء ، والناري هو صورة آدم لظهور المفتاح في الأعلى والمفتاح صورة العقل وحواء خرجت في المائي في الضلع الأيسر لظهور المفتاح الذي صورة عقلها في الوسط الأيسر لقوة النفس لأنها ثلثان ، ولما كانت صورة المثلث لا تتم إلا بالأضلاع الثلاثة فلو أخذ منه ضلع نقص كان آدم حال تمامه هو مجموع المثلث ولمّا خلقت حواء من ضلعه الأيسر أي من الشكل المائي من ضلع مفتاحه ، كان ظاهر ذلك صورة جسد آدم عليه السلام وهي ناقصة منها الضلع الأيسر للدلالة على أنها [أن] خلقت من الضلع الأيسر أي من نفسه لأنه خلق من العقل ثلثان ومن النفس ثلث .

فإن قيل : إن صورة آدم في المثلث تامة ولو أخذت منه لكان اسمه ثلاثين ، قلنا : إنها لم تؤخذ من ذاته وإنما أخذت من ظاهر الضلع ، فلهذا كان هو في نفسه تاماً وفي صورة جسده نقص منه الضلع الأيسر إشعاراً بأنها إنما أخذت من ظاهره أي من صفته لا من جسده كما يقوله الجاهلون وبيان ذلك كما أشرنا إليه سابقاً أن القوى والأرواح بحركات الأفلاك استجنت في الأرض فلمّا خلق جسده من أرض النفوس صار جانبه الأيسر من الطينة التي سكنتها النفوس وجانبه الأيمن من الطينة التي تعلقت بها العقول بدون حلول ، ولمّا خلقت حواء من الأرض التي استجنت فيها النفوس التي خلق منها جانب آدم الأيسر ، ولم تكن تخلق من كل طينة النفوس وإنما خلقت من البعض الأيسر الذي هو ضلع في المثلث صدق أنها خلقت من ضلعه وكانت الطينة التي خلقت منها لو لم تخلق منها لخلق منها لآدم ضلع فلمّا خلقت لم يخلق له شيء فهذه هي الإشارة إلى ما سألت عنه فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما حقيقة الحورية والجنية اللتين تزوجهما أولاد آدم عليه السلام وكيف يلد غير البشر بشراً؟ ولِمَ اختص آدم بالتولد من التراب دون ذريته وفي أي بقعة تولد ؟ .

أقول : أما الحوراء التي تزوجها شيث بن آدم عليه السلام التي اسمها نزلة فإن الله سبحانه خلقها من علّيين من تراب الجنة وأنزلها عليه يوم الخميس بعد العصر أما ذكر يوم الخميس فالذي يظهر لي أنه [أنها] إشارة إلى أن ذلك الجزء الأول من المركب والثاني يتم به المركب وهو يوم الخميس لأنّ النسل لا يتم بدون ذلك ويوم الجمعة هو اجتماع الأجزاء وتمامها ، وأما بعد العصر فلأن العصر

فيه إشارة إلى أن الظهر هو وقت الوجود والعصر ثانيه وهو وقت التزويج والعصر هو التوليد ، إذا لوحظت البعدية أي بعد التوليد أنزلت للتزويج والعصر هو الضم والراد بعد أن ضم حكم نزلة إلى شيث ومنزلة إلى يافث أو كتب في اللوح المحفوظ بأن كل واحدة تضم إلى زوجها وأنزل على يافث بن آدم حورية من حور الجنان واسمها منزلة يوم الجمعة لأنها هي الجزء الأخير لتمام النظام خلقت من تراب عليين أرض جنان الحظائر ، وذلك لأن الدور يوم القيامة والآن كذلك تسعة وعشرون داراً لجنان الخلد ثمان : جنة عدن ، وسبع جنان ، وسبع حظائر لسبع الجنان وجنة عدن لا حظيرة لها فالسبع الحظائر يسكنها المؤمنون من الجان والمؤمنون من أولاد الزنى والمجانين ، والجنان السبع يسكنها المؤمنون الطاهرون من الإنس ، وجنة عدن للأنبياء والمرسلين والأوصياء عليهم السلام ، فهذه خمسة عشر داراً والنيران سبع ولكل نار حظيرة ، فالنيران السبع مأوى الكفار والمنافقين أهل الخلود ، وحظائر النيران السبع يطهّر فيها عصاة المحبين حتى يطهّروا من المعاصي فيخرجون ويدخلون الجنة ويبقى فيها عصاة الجان الذين حكمهم الخلود ولا ينافي هذا قوله تعالى : ﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ إشارة إلى الشيطان المقيض وإلى من أغواه لأن ذلك في حق الظالمين من أئمة الضلال وشياطينهم منهم فافهم .

ولو تنزلنا على الظاهر قلنا : إنه لا تنافي بين اشتراك العذاب في جهنم والحظائر فإنها نار كما روي ما معناه : (**إن أهون الناس عذاباً لرجل في ضحضاح من نار عليه قميص من نار في رجليه**

نعلان من نار ، شراكهما من نار ، يغلي دماغه منهما غلي المرجل لا يرى أن في النار أحداً أشد عذاباً منه وليس في النار أحد أهون عذاباً منه) انتهى .

وقوله : وكيف يلد غير البشر بشراً ؟ جوابه : أن الحكم في كل شيء للصورة فالجنية إنما نزلت بصورة البشر فالصورة البشرية تلد البشرية ولو نزلت بصورة الجنية مثلاً ونكح جنية وحملت من الإنسان مثلاً لم يجب أن تلد بشراً بل قد يكون المولود جنيّة ويحتمل أن يكون حيواناً مركباً كما قد وجد حيوان نصفه الأعلى امرأة جميلة في غاية الجمال ونصفه الأسفل عقرب ، وأمثال ذلك من الحيوانات المركبة المخلوقة من البرازخ فلما نزلت منزلة بصورة البشر وجب أن لا تلد إلا بشراً ولما كانت أصلها وطبيعتها من الجان كان ما يكون في الذرية المتولدة منهما أي من ابنتها من يافث ومن زوج ابنتها وهو ولد شيث من الحورية من قبح صورة وسوء خلق ، فمن طبع الجنية وما كان فيه من حسن صورة وحسن خلق فمن طبع الحورية .

وقوله سلّمه الله : لِمَ اختص آدم بالتولد من التراب ؟ جوابه : أما اختصاص آدم بالتولد من غير أب ولا أم ، فلأنه الأول من هذا النوع ولا يجوز أن يتولد من غير نوعه ولا من أب وأم وإلا لزم التسلسل وأما أنه من التراب فلأنّا قلنا : إن خلقه من تراب كخلق سائر ولده من تراب ، وإنما كان ولده تولد من النطفة المتولدة من الغذاء المتولد من التراب فكان التراب لمّا نزل عليه الماء من السماء واختلط بالتراب وذاب الجميع فكان سلالة حتى جرى في الشجر والنبات فكان منه الثمار والحبوب وتولدت منه النطفة ،

وبهذه الطريقة خلق آدم بأن أخذ من سلالة الطين ودبر على هيئة تدبير النطفة كما ذكرنا سابقاً في مثاله ، فمثال المولود بالتوالد مثل تكوين الذهب في معدنه من الكبريت والزئبق الأصليين ، ومثال تولد آدم مثل تولد الإكسير ، فإنه ذهب وأعلى من الذهب وتكوين الإكسير كتكوين الذهب في المعدن وكون مما كون منه الذهب كذلك آدم عليه السلام كون من الذي كون منه الولد بالتناكح .

وقوله : وفي أي بقعة تولد فاعلم أن آدم عليه السلام تولد في الأرض في الجنة وهذه الجنة من جنان الدنيا التي ذكرها الله سبحانه بقوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ وهي جنة البرزخ التي تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي في المغرب والفرات يأتي منها وتطلع عليها الشمس وتغرب ولكنها غير شمسكم هذه لأن من كان فيها لا ترى [لا يرى] فيها شمسكم هذه فإذا نزل منها رأى شمسكم وهي البلاد التي إذا نام الإنسان رآها وهي هورقليا بعبارة السريانية ومعناه ملك آخر والذي يظهر لي من تلويح بعض الروايات أنها هي المدهامتان ولكن إن لم تكن هي فهي معها في عالم واحد وفي رواية المفضل بن عمر في حديث الرجعة وذكر آخر الرجعات قال ما معناه : وعند ذلك (**تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله**) انتهى .

قال سلّمه الله تعالى : وما حقيقة الجنة والشجرة والحية وإبليس والملائكة الذين أمروا بالسجود له ؟ وما معنى استنكارهم وحججهم ولواذهم بالعرش ؟ وكيف يدخل إبليس الجنة ويصعد إلى السماء ؟ وكيف يتحقق له ظهور آدم عليه السلام ؟ وما

معنى عبادة إبليس وقد أدبر واستكبر ؟ وما معنى بدو العورة وورق الجنة والتناول ؟ وكيف ينهى عن أطيب أشجارها وكيف يكون في الجنة محظور ؟ .

أقول : إن حقيقة الجنة قد ذكرناها وإنها من جنان الدنيا تطلع الشمس عليها وتغرب وهي عند مغرب الشمس (**وأما الشجرة**) فهي شجرة علم آل محمد صلى الله عليه وآله كما أشار إليه سبحانه : ﴿ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴾ أي العلم ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا﴾ أي قلب الإمام عليه السلام ﴿ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴾ أي علماً جماً وحباً لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وأوليائه ومحبيهم ومعرفة الله ورسوله وآله صلوات الله عليهم وعلوماً ذوقية ﴿ وَعِنَبًا ﴾ ، تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً وذلك معرفة الله بكشف سبحات الجلال من غير إشارة ﴿ وَقَضْبًا ﴾ من ظواهر الأحكام الشرعية والأعمال البدنية ﴿ وَزَيْتُونًا ﴾ من علم اليقين والتقوى والمرادات الإلهية والسخاء بالنفس في المجاهدة في الله واحتمال الأذى في جنبه وتأليف الفرقة وشعب صدع الدين ﴿ وَنَخْلًا ﴾ من معرفة هياكل التوحيد والانطباق عليها وهو معرفة الأوطان والصدق في معرفة المعاني والبيان والأنس بما استوحش منه الجاهلون ﴿ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴾ ، كانت قد غرستها يد الحكمة (**في جنان الصاقورة التي ذاق روح القدس منها الباكورة**) كما قال العسكري عليه السلام : ﴿ وَفَٰكِهَةً ﴾ من ثمار الحدائق ﴿ وَأَبًّا ﴾ من ظاهر القصص والأمثال والأحكام من الحرام والحلال وهذه هي شجرة الحسد قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ﴾ لأنها أمنية من يتمنى وكلّ من نال منها فهو محسود وهي شجرة الكافور يعني المعرفة الحقة بغير إشارة ولا كيف ،

وهي شجرة الحنطة أي المحبة الحقيقية وهي شجرة التين والضياء المبين إشارة إلى العلم الذاتي الذي كشف الشبهات والظلمات فهو فجر الأزل وعلة العلل .

وأما الحية فإنها كانت من أحسن حيوانات الجنة وهي إشارة إلى الحياة وكان أصل منبع الحياة ومظهرها من الإبداع هو الركن الأيمن الأسفل من العرش وهو النور الأصفر وحامل لوائه إسرافيل وله أجناد كثيرة ومقدمهم في عالم الكون والفساد إسماعيل وهو صاحب هيمنة القمر وله في تقدير ذلك أربع حركات إحداها : الخارج المركز ، والثانية : لتدوير القمر ، والثالثة : لممثله والرابعة : للجوزهر وهو الحية فأول الحياة القمر وآخرها الجوزهر وأوسطها التنين الذي خلقه الله في البحر ومسكنه السحاب ليس له عظم ولا مفصل يسير في الهواء بين الأرض والسماء ، فلهذا كانت الحية تدخل الجنة ولهذا توصل بها إبليس [إبليس إلى آدم] لقربها منه من جهة الحياة وبعدها عن مقتضى العقل كإبليس فلذلك صلحت واسطة بين آدم وإبليس والحية هي نفس الحياة .

وأما إبليس فهو الجاهل الكلي المطلق لأن الله سبحانه لمّا خلق العقل من النور وهو أول خلق من الروحانيين عن يمين العرش لأنه الركن الأيمن الأعلى وهو النور الأبيض وهو العقل الأول أسكنه جسد محمد صلى الله عليه وآله ، فهو العاقل المطلق ، ثم إن الله تعالى خلق من خلف العقل من الظلمة من الماء الأُجاج الجهل وأسكنه جسد إبليس فهو الجاهل المطلق ، فكان للعقل جنود كلية روح ونفس وطبيعة وكان للجهل جنود كلية [كلية ما] تحت الثرى والثرى والطمطام ولمّا خلق الله آدم وأمر جبرئيل فجعل نور آدم

الأول ، بعد أن نزّل من الأكوان الستة الكون النوراني ، والكون الجوهري ، والكون الهوائي ، والكون المائي ، والكون الناري والكون المثالي في صلب آدم عليه السلام ، أمر الملائكة فسجدوا لآدم فسجد جميع الملائكة منهم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل تكرمة لذلك النور إلا الملائكة العالين الذين أشار تعالى إليهم في عتاب إبليس لما امتنع من السجود قال : ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ ، الذين لا يسجدون لآدم فإنهم لا يحسن منهم السجود لأن السجود لأجلهم فلا يسجد الشيء تكرمة لنفسه ، وهم الروح الذي هو من أمر الله تعالى والروح ، الذي هو على ملائكة الحجب وهو اثنان الأعلى منهما خلق من نور عقل علي عليه السلام والثاني من روحه وبعد الروح الذي هو من أمر الله ملك تحته فالأعلى خلق من عقل محمد صلى الله عليه وآله والثاني من روحه .

وأما معنى استنكار الملائكة لخلق آدم عليه السلام لأنهم أكلوا من ورق تلك الشجرة التي أكل آدم عليه السلام من ثمرتها [ثمرها] فلهذا وجدوا في أنفسهم لمّا رأوا طاعتهم وعصيان الجن والنسناس فباعدهم من [عن] العرش خمسمائة عام فلاذوا بالعرش وأشاروا بالأصابع فنظر الرب إليهم فنزلت الرحمة فوضع لهم البيت العمور وهو صورة العرش فقال : طوفوا به ودعوا العرش فإنه لي رضا ، وكان أولئك بعضاً من الملائكة ومعنى لواذهم بالعرش أنهم مدّوا أعينهم وأيديهم بالرجاء إلى باب الكرم فرحمهم .

وأما دخول إبليس الجنة فإنه إنما دخل بواسطة الحية كما أشرنا إليه وصعوده إلى السماء إلخ ، إنما هو بالملائكة فيصعد بالإذن الخاص وبالإذن العام وهو التخلية كما في قصة أيوب للابتلاء وإلا

فكل شيء إذا ترك ومقتضى طبعه لا يتجاوز أصله ، وإبليس لم يخلق من العرش ولا من الجهة العليا ، وإنما خلق من الجهل الأول وهي [هو] أسفل السافلين ومما تحت الثرى ، والثرى والطمطام وجهنم والريح العقيم والبحر والحوت والثور ، والصخرة ولكنه بالقاسر والحامل والمتمم يصل الشيء إلى غير موضعه فافهم .

وأما ظهوره قبل آدم فإن أريد آدم الآخر أبونا فلا ريب أن ابليس يتحقق قبله لأن مادة [مادته] الجهل الأول الذي هو مقابل العقل الأول وإن أريد آدم الأول فهو قبل وجود إبليس .

وأما عبادة إبليس فهي صورة عبادة لم يقصد بها وجه الله وإنما قصد بها أن يثيبه الله التمكين في الأرض فهي في الحقيقة إدبار واستكبار ومعنى بدو العورة أن أهل الجنة لباسهم التقوى وهي خير الملابس لكنها لا تجتمع مع المعصية لأنها من باطن نعم الجنة .

وأما تستره بورق الشجر لأن الورق ظاهر النعم وصورة الندم فلمّا بدت عورته بسبب تناوله ما ليس له ندم .

وأما التناول فهو تمني مقامٍ من مقامات آل محمد صلى الله عليه وآله وليس أنه يريده ويطلبه منَ الله ويدّعي الأهلية لذلك وإلا لدخل في قوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ الآية ، وإنما ذلك ذكر وخطور وهو ذلك التناول فالأكل الظاهر هو ذلك الخطور ، وإنما نهي عن أطيب أشجارها لأنها وإن كانت أطيب الأشجار ولكنها لأهلها لا لغيرهم ألا ترى أن الرجل إذا رأى زوجة الغير وإن كانت [كان] أجمل أهل زمانها لا يجوز له النظر إليها فإنه نظر قبيح .

وأما كون الخطور [المحظور] في الجنة لا يكون فلأن ما في الجنة يجري على حكم لزوم الصفة للموصوف وهو حكم أخروي بعد التعديل التام للطباع حتى لا يرى لذة غيره في خاطره وإن رآها أحسن مما هو فيه وهذه الجنة من جنان الدنيا فلهذا جرى فيها التكليف والأمر والنهي .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما معنى قصة أيوب عليه السلام وما هذه السماوات التي اخترقها وصعدها إبليس حتى وقف تحت العرش وكيف يسلط على نبيّ الله ؟

أقول : اعلم أن عند الله منازل في الجنة ورضاه لا ينال إلا بالبلايا وكان في علمه أن أيوب عليه السلام ممن ينال أوفر النصيب من تلك المنازل فجرى عليه ما سبق له في بدء شأنه في علم الغيب كا هو مشهور .

وأما هذه السماوات التي اخترقها فهي هذه السماوات المعلومة ولكن الصاعد فيها ، يصعد في ظاهر غيبها بأن تظهر له سكانها ولولا استبطانه لما رأى الملائكة ووقوفه تحت العرش عند المكان الذي تكتب فيه الأعمال ولهذا لما رأى عمل النبيّ أيوب عليه السلام حسده وإنما سلطه الله على نبيّه عليه السلام ليرفع درجته بصبره على أذية الشيطان في جنب الله وهذا ظاهر .

قال سلّمه الله تعالى : لِمَ خص التكليف بالشرع بالإنس والجن وما حقيقة الجن ؟ .

أقول : اعلم أن الله كلّف جميع ما خلق من الإنس والجن والشياطين والملائكة وسائر الحيوانات من جميع ما خلق الله

سبحانه والنباتات والمعادن والجمادات وخاطب كل جنس بما يفهم ، وأرسل إلى كل نوع نذيراً من نوعه ليبين لهم قال الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ وحيث أثبت إلى كل نوع أمم كبنيّ آدم عمم التكليف وإرسال النذر إلى كل أمة قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ وقال في بيان أن كل نذير من نوع من أرسل إليهم ، ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ ولما كانت الخطابات الإلهية على حسب لغة المكلفين كان هنا [هذا] التكليف الخاص مختصاً بالإنس والجن [الجن والإنس] ، لأن هذه لغتهم [لغتهم وتعارفهم] وتفاهمهم وتفاهم الطيور بالأصوات والصفير فيكون نذيرهم منهم بلغتهم وكذا سائر المخلوقات إلا أنّ جميع النذر تأخذ الأوامر والنواهي من نذير بني آدم عليه السلام لأنهم العلة في وجود سائر المخلوقات فيجب أن يكون النذير المرسل إليهم علة لسائر النذر وهذا مما لا ريب فيه ، وأما حقيقة الجن فإنهم مخلوقون من مارج من نار أي الخالص من الدخان ، لكن هذه النار هي التي ذكرها تعالى أنها من الشجر الأخضر ، فالجان خلق من نار الشجر الأخضر والشجر الأخضر خلق من التراب ، فالجن من فضلة الفضلة من الإنس ولهذا كان الإنس أفضل وأعلى رتبة وأكمل ، لأنّ ذلك الشجر الأخضر خلق من فاضل التراب ، الذي خلق منه الإنسان يعني بعد أن صفي التراب سبعين مرة جمع ثفله بعد سبعين نخلة فخلق من تلك النخالة الشجر الأخضر .

قال سلّمه الله تعالى : ما معنى الشياطين الذين يسترقون السمع

ويصعدون إلى السماء ؟ وما معنى حجبهم بولادة النبيّ صلى الله عليه وآله وما معنى رميهم بالشهب وما تلك الشهب ؟ وما معنى كون النجوم رجوماً وأي نجوم هي ؟ .

أقول : الشياطين هي مظاهر الجهل الأول كما أن الملائكة مظاهر العقل الأول ، وقد تولدوا من إبليس وكان اسمه قبل المعصية عزازيل فلمّا طرد سمي بإبليس والإبلاس هو القنوط من رحمة الله ونقل أنه كانت له زوجة صلماء كالحية واسمها طرطبة فنكحها فباضت ثلاثين بيضة ، عشر في المشرق وعشر في المغرب وعشر في وسط الأرض ، وخرج من كل بيضة جنس من الشياطين كالغيلان والعفاريت والغطارفة وأسماء مختلفة ومنهم الشيصبان وساجيا وزربا ومسمار وديهيش وزوبعة وزيغة وصبصار وسمدون وصعصعة وقيراط ورياط [رياح] وسلاهب وأصعر وسلهاب ومذهب وعمر ومنسويه والرها وهطهط وبهرام وطايوس ومهبل [مهيل] وقابوس ودمار وفروة وفرة وسرياط وقاطرس ودهار وعافر وعسريج وعسطيج ونهوس [نهرس] ونهروس وأبطهر ومهلب ومهيل والحارب والحويرب وعيص والهرليس [الهريس] والهرسم وبهرز ونعمان ولصيق [يصق] وعريس وعوسن وطهار وفرطس والسامر والهائم والأقبس وبهيم والهام وعليس والأقبض وهامة بن الأقبض ، وبلدون وهو الموكل بالسوق ودفليس وابنته أم الصبيان ، وغيرهم ممن لا يحضرني ذكره حال التأليف وهم أجناس كثيرة تفرعوا من الثلاثين البيضة ومنهم المشارك في إلحاقه ووصلته ونسبته ونطفته وماهيته وروي في الخصال عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**الآباء ثلاثة آدم ولد مؤمناً والجان**

ولد مؤمناً وكافراً وإبليس ولد كافراً وليس فيهم نتاج إنما يبيض ويفرخ وولده ذكور ليس فيهن إناث) انتهى .

أقول : المعروف أن أم الصبيان أنثى وأخرى لم يحضرني اسمها ويمكن الجمع بأن يقال المذكور في الحديث أن ولد إبليس ليس فيهم إناث وأم الصبيان بنت دفليس بن إبليس والأخرى بنت ولد من أولاده ثم نقول ما [من] كان من إبليس وحده فإنهم أخف أجناس ولده غواية وضلالة لضعف كيده وما [من] كان منهم بمشاركة الجن فإنه أقوى كيداً وأشد ضرراً وما [من] كان منهم بمشاركة الإنس فإنه أقوى من الكل كيداً وأشد ضرراً على الإسلام ولهذا قدمه الله تعالى في كتابه إشعاراً بذلك قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ ﴿ شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ الآية .

فالشياطين الخالصون من إبليس يخترقون السماوات الجسمانية وسماوات الجسم [الحس] المشترك ولا يصلون إلى سماوات الخيال والشياطين المشترك [المشتركون] من الجن يصلون إلى سماوات الخيال و [والشياطين] المشتركون من الإنس يصلون إلى مقابلة العقل الشبيهة بالعقل التي سمّاها عليه السلام بالنكراء والشيطنة ، وأما حجبهم عن السماوات بولادة النبيّ صلى الله عليه وآله لأنه صلّى الله عليه وآله لمّا ظهر أشرقت السماوات بنوره والشياطين خلقوا من الظلمة ، والظلمة تضمحل عند النور فلا يقدرون أن يصلوا إلى السماوات لأجل ذلك وإنما يصلون إلى ما تحت كرة النار فيستمعون وأكثرهم يتقوّل ولا سمع ، ومنهم من سمع شيئاً ، وأضاف إليه من نفسه أشياء فلذا قال الله تعالى : ﴿ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾ وأما رميهم بالشهب فلأن الله وكّل ملائكة

النجوم بهم فإذا خطف الشيطان خطفة لاستراق السمع رمته الملائكة بشهاب فاحترق لأنه من نار الشجر ، ونار الكواكب من الشعلات التي استجنت في زبد الماء من نار الهيبة والعظموت وهي أقوى من النار التي من الشجر .

وأما تلك الشهب فإنها من نار الكواكب اشتعلت لأنّ الأشعة النارية من الكواكب ، تقع على الأرض فتمر بكرة النار فتؤجج ما يليها منها وكان عند كل كوكب ملك موكل به وهو روحه ، وذلك الكوكب جسده فيقع شعاع جسده على ما يليه من كرة النار أبداً فيشتد حرّها بذلك ثم يتجاوز نازلاً إلى الأرض فيصعد أبخرة مائية فلقوة حرارته يلطفها ويجفف كثيراً من رطوبتها حتى تغلظ وتكون لزجة بما فيها من الأجزاء الأرضية المصاحبة لها فتكون دهناً فيجتمع محفوظاً بما يمده الكوكب من المتصاعد السيال بأشعته فإذا خطف الشيطان قبض الملك الموكل بذلك الكوكب قبضة من ذلك الدهن الخاص به فأشعله من كرة النار من ذلك المكان المحاذي لذلك الكوكب المتأجج بأشعته فقذفه به فاحترق فكانت تلك الكواكب رجوماً للشياطين فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى ظهور إبليس يوم الشورى والسقيفة في صورة البشر وأي إبليس ذاك ؟

أقول : أما ظهور إبليس فإنه يلبس صورة من صور أوليائه قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ وقال تعالى : ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ ﴾ ولهذا لا يتصور في صورة المعصوم ولا أحد من شيعته لا في النوم ولا في اليقظة والمناسبة بينه وبينهم أنهم ظهروا

ذلك اليوم بالحقيقة الشيطانية فظهر لهم بصورتهم ليتمكن منهم ، كمال التمكن ويحصل الاتحاد التام ، وأما إبليس فهو المعلوم لأن صورته عندهم فظهر لهم بكله ومعنى كون صورته عندهم أن إبليس له رؤوس بعدد الخلق وكل شخص فله مرآة عن شماله وذلك الرأس مكتوب عليه اسم ذلك الشخص في جهة [جبهة] ذلك الرأس وعلى وجهه غشاوة زرقاء وتكشف تلك الغشاوة عن ذلك الوجه القبيح شيئاً فشيئاً حتى يبلغ ويتم كشفها ، فتنطبع في مرآة ذلك الشخص صورة وجه ذلك الرأس من الشيطان ، وقد قيض له الشيطان لا يزال مع تلك المرآة فهي النفس الأمّارة والشيطان الخاص بها يقوّيها ويزين لها المعصية فإذا كانت المعصية كلية تدخل تحتها كل المعاصي لا يقدر الشيطان الجزئي على القيام بتشييدها فيقوم الشيطان الكلي الذي ظهر فيه كل الجهل الكلي وهو إبليس ويتصور بصورة من يريد غوايته ليقوى بذلك على التي عجزت عنها السماوات والأرض والجبال ﴿ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ يعني كان معه الجهل الكلي وهذه الحالة بعكس الطاعة الكلية وتأسيسها والقيام بها [بها والعقول] والعقل الكلي في انطباع صورة وجه من جوهه وتأييده في عظيم الخطر والشأن وهذا معنى أن روح القدس يكون مع الأنبياء والرسل يسددهم .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما معنى حقيقة معراج محمد صلى الله عليه وآله بجمسه من غير لزوم خرق والتئام وما معنى رؤيته صلى الله عليه وآله للأنبياء في كل سماء شخص معين وما معنى صلاته بالملائكة وما صلاة الرب ووقوفه صلى الله عليه وآله ؟

أقول : إن حقيقة المعراج هو العروج على ظاهره ولا جهل فيه وإنما الجهل في معرفة جسد النبيّ صلى الله عليه وآله وفي معرفة الأفاعيل الإلهية وفي معرفة الخرق والالتئام فنقول : اعلم أن الله سبحانه خلق قلوب المؤمنين من فاضل طينة جسم محمد صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والفاضل إذا أطلق في الأخبار وفي عبارات العارفين بالأسرار يراد به الشعاع وهو واحد من سبعين ، مثلاً جسم النبيّ صلى الله عليه وآله قرص الشمس وقلوب شيعتهم خلقوا من الشعاع الواقع على الأرض من قرص الشمس (**فإذا عرفت**) هذا عرفت أنه يصعد بجسم ولا يكون خرف ولا التئام [التئام بقي شيء] وهو أنّا نقول : الجسم هو كذلك ولكنه لبس الصورة البشرية التي تحس وهي متجسدة وحكمها حكم سائر الأجسام الجمادية والصعود بها يلزم منه الخرق والالتئام ونجيب بأن الصورة البشرية عند إرادة صعوده يجوز فيها احتمالان في الواقع هما سواء وفي الظاهر الأول أبعد من [عن] العقول والأخير [الآخر] أقرب .

فالأول : أن الصاعد كلّما صعد ألقي منه عند كل رتبة ما منها فيها ، مثلاً إذا أراد تجاوز كرة الهواء ألقى ما فيه من الهواء فيها ، وإذا أراد تجاوز كرة النار ألقى ما فيه منها فيها وإذا رجع أخذ ما له من كرة النار فإذا وصل الهواء أخذ ما له من الهواء لا يقال على هذا أنّ هذا قول بعروج الروح خاصة لأنه إذا ألقى ما فيه عند كل رتبة لم يصل منه إلا الروح لأنا نقول : إنا لو قلنا بذلك فالمراد بها إعراض ذلك لأن ذوات ذلك لو ألقاها بطلت بنيته بالكلية فيجب أن يكون ذلك موتاً ، لأن القائلين بعروج الروح يقولون : إن بنيته باقية

لا تتفكك [لا تنفك] وإنما مرادنا أن الجسم بالنسبة إلى عالم الفساد يتلطف إذا صعد إلى عالم الكون وإلا فهو على ما هو عليه من التجسد والتخطيط .

والثاني : أن الصورة البشرية التي هي المقدار والتخطيط تابعة للجسم في لطافته وكثافته فإن الملك الأعظم مثل جبرئيل إذا خرج في صورة البشر كصورة دحية بن خليفة الكلبي يخرج بقدر دحية مع أنه يملأ ما بين السماء والأرض ، ولو شاء حينئذ دخل في ثقب الإبرة أصغر لأن الأجسام اللطيفة النورانية تكون بحكم الأرواح لا تزاحم فيها ولا تضايق ولهذا يبلغ المعصوم عليه السلام من مشرق الدنيا إلى مغربها في أقل من طرفة عين ولا يستغربه السامع وهذا هو ذاك بعينه فافهم .

وأما معرفة الأفاعيل الإلهية فلأنه ، إنما توهم من توهم من جهة أن العالم على وضع واحد لو اختل اختل النظام فإذا خرق حصل حال مروره فرجة بانحباس الأجزاء المختلفة فإذا وقفت وقف جميع الفلك على أنه لا فرجة فيه ولا يمكن تخلل أجزائه ولا تلززها فأين تذهب أجزاء الفرجة المفروضة ومع هذا كله فيلزم فساد النظام والالتئام وإنما يكون بانبساط الأجزاء إلى الفرجة ولا يكون ذلك إلا مع التخلل والترقق ولا يمكن فيه ذلك ، وأمثال ذلك وهذا جارٍ على حسب أفاعيل العباد ، وأما أفاعيل إلهية [الأفاعيل الإلهية] على تقدير تسليم امتناع الخرق والالتئام فنقول : على ظاهر العبارة أن المعراج معجز للنبيّ صلى الله عليه وآله والمعجز يجري فيه ما لا يجري في العادة وفيما تعرفه الناس فيجوز أن تكون [يكون] الأجزاء التي كانت بقدر جسمه الشريف حال مروره فنيت في بقاء

جسمه كما فنيت الحبال والعصي في جسم عصا موسى عليه السلام وكان جسمه الشريف قائماً مقامها في إمداد العالم السفلي من أحكام الحياة في سماء الدنيا ، والفكر في الثانية ، والخيال في الثالثة ، والوجود في الرابعة ، والوهم في الخامسة ، والعلم في السادسة ، والعقل في السابعة ، والصور في الثامنة ، والتسخير في التقدير في التاسعة ، بحيث لا تفقد قوة منها لأن جسده هو علة هذه في هذه الأسباب فهو أقوى منها قطعاً وكلّما تعدى شيئاً رجع ما فني منه بحيث لا يحصل خرق ولا التئام ويكون سيره في ذلك كله موازياً للخطوط الخارجة من مركز العالم إلى المحيط بها في كل فلك فيدور معها على التوالي وعلى خلاف التوالي ولو قلنا : إنه يسير على خط مستقيم جاز وكان ما اعترضه من الأجزاء التي تكون [يكون] اصطفافها بالنسبة إلى خط سيره المستقيم مؤرباً يكون مستهلكاً في بقائه وعائداً بعد تجاوزه كما مرّ على حدٍّ واحد ، ولمّا كان جسده الشريف علة لوجود جميع الأجساد وجسمه علة لجميع الأجسام ، كان محيطاً بجميعها فلا يكون منها جزء إلا وهو محيط به فكان صلى الله عليه وآله في عروجه محيطاً بجميع الأجسام والأرواح والنفوس والعقول لأن عقله علة العقول ، وروحه علة الأرواح ، ونفسه علة النفوس أحاطه المنير بأشعته فمرّ في عروجه بكل شيء ورأى كل شيء فرأى الأنبياء عليهم السلام كلًّا في رتبته لأن من غلب عليه الفكر مثلاً رآه في السماء الثانية ومن غلب العلم رآه في السماء السادسة ، ومن غلب العقل رآه في السماء السابعة ، وهكذا ومعنى صلاته بالملائكة صلاة الظهر وهو إنما عرج بالليل لأن عروجه على سمت بدء الوجود وكان بدءُ الوجود والشمس

قائمة على قمة الرأس في التاسع عشر من برج الحمل والسرطان طالع الدنيا فأول ما تحرك الفلك وجب فرض الظهر فهو أول فريضة فرضت وهو أول صلاة صلّاها صلى الله عليه وآله .

فإن قلت : كيف تكون هذه أول صلاة صلّاها وهو إنما عرج إلى السماء بعد النبوّة بسنتين ؟ .

قلتُ : هذا في الزمان والتي صلّاها ليلة المعراج في الدّهر وذلك قبل خلق الأجسام بألفي عام وليلة المعراج عرج صلى الله عليه وآله في الزمان بجسده ، وفي الدهر بجسمه وفي السرمد ، بروحه بعروج واحد وصلّى بالملائكة في الدهر وسبغ الوضوء من صاد وهو بحر تحت العرش ، وعروجه إنما كان في الليل بجسده وأما جسمه الشريف فهو في النهار قبل الزوال بقليل قدر ألفي عام .

واعلم أن هذا الجواب لا يمكن بيانه لكل أحد ومن يجوز البيان له لا يكفي فيه الخفاء بل لا بدّ من المشافهة لأنّ الفرق بين الزمان والدهر مما انسد بابه عن فحول العلماء ، وإن عبروا عنه بعبارة حسنة مأثورة عن الوحي ولكن أكثرهم لا يعلمون ومعنى صلاة الرب أن الاسم المربي له الذي هو روح القدس العقل الأول وهو اسم الله البديع لقيه في أعلى مراتبه وهو مقام أو أدنى أعني فلك الولاية المطلقة وهو يصلّي لله ومعنى آخر يصل ما أمر الله به أن يوصل يصل الولاية بالنبوّة ، ومعنى آخر يصل الولاية بالألوهية فهو من الصلة أو من الوصل أو هما معاً ومعنى صلواته يقول : (**سبوح قدوس أنا رب الملائكة والروح سبقت رحمتي غضبي**) ، وكان محمد صلى الله عليه وآله واقفاً لانقطاع سيره واتصاله بذلك الرب

فكان بينهما حجاب النفس المطمئنة حجاب من زبرجد ، وإن أريد بالرب هنا الكلمة التي انزجر لها العمق الأكبر وهو المشية جاز لأن الاسم البديع هو كينونة هذه الكلمة وهو الماء الأول وهذه الكلمة هي السحاب المتراكم الثقال ، وإن أريد به المعبود الحق [بالحق] سبحانه وتعالى فمعنى يصلّي يفيض الرحمة التي هي صفة الرحمٰن وهي التي وسعت كل شيء والتي هي صفة الرحيم وهي الرحمة المكتوبة للمؤمنين ولهذا قال في الحديث ما معناه : (**من لأمّتك يا محمد من بعدك ؟ قال : الله اعلم ، قال الله تعالى : علي بن أبي طالب عليه السلام**) الحديث .

قال سلّمه الله تعالى : والجمع بين تعليل كون الصلاة [الصلوات] خمس فرائض بإشارة موسى وبغير ذلك فكيف يكون موسى عليه السلام حينئذ شفيعاً لأمّة محمد صلى الله عليه وآله ؟

أقول : اعلم أنّا قد أشرنا في كثير من أجوبتنا في هذه الأجوبة وفي غيره بأن قوله تعالى عبارة عن فعله كن أن الكاف إشارة إلى الكون ، وأن النون إشارة إلى العين والكون هو الخلق الأول والعين هو الخلق الثاني وهو صبغة الله وغمسه لعبده المؤمن في رحمته وهو خلقه كهيكل التوحيد وهو المشار إليه بالنون وعددها خمسون ، ولمّا كانت الصلاة هي حقيقة تلك الصبغة وجب أن يكون عددها خمسين [خمسون] وكان الله سبحانه أجرى عادته بحكمته وعدله أنه لا يوحي إلى نبيّ من أنبيائه إلا ويكلفه مع أمّته بمعنى هذه الآية ، ﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ ﴾ الآية ، فيعتذر منها ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله هو وأمّته

فيشدد عليهم التكليف ، ولمّا عرج النبيّ صلى الله عليه وآله عرض الله عليه التكليف بهذه الآية فقبل ورضي وعلم الله من أمّته الرضاء والقبول فأنزل : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ ﴾ إلى آخر السورة خفف عليه وعلى أمّته التكليف كما ذكر سبحانه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾ يعني الذين لم يقبلوا منك إصر التكليف الذي في الآية المتقدمة ولمّا أمره بالخمسين الصلاة لموافقتها لسر الصبغة لم يحب رسول الله صلى الله عليه وآله أن يردّ رحمة الله لأن الصلاة رحمة الله وإن كان فيها مشقة على أمته موافاة لرضاه ورضا أمّته بتكليف تلك الآية الشاقة ، فألهم الله نبيّه موسى عليه السلام أن يلتمس نبيّنا محمداً صلى الله عليه وآله أن يسأل التخفيف لأمّته فلمّا سأله ذلك أحب رسول الله صلى الله عليه وآله أن لا يرد شفاعة أخيه موسى عليه السلام في التخفيف عن أمّته فإذا سأل الله تعالى التخفيف لأجل شفاعة موسى عليه السلام لم يكن ذلك منافياً للموافاة المذكورة وإنما ألهم الله موسى عليه السلام ذلك ليعرف رسول الله صلى الله عليه وآله أثر التخفيف الناشئ عن الرضا بإصر التكليف ولأنه سبحانه علم أن نبيّه صلى الله عليه وآله لا يسأله ذلك من نفسه ولا أمّته يسألونه لأن ذلك هو مقتضى الرضا الصادق وإنما خص بذلك الإلهام موسى عليه السلام دون سائر الأنبياء عليه السلام لأن أمّته أشد الأمم امتناعاً من قبول التكليف بتلك الآية وجرى عليهم أشق التكليف فكلفوا بقرض لحومهم من إصابة البول وتوبتهم القتل وأمثال ذلك ومع ذلك فقد قال لربه في مناجاته على الطور في حقه وفي حق وصيه

وحق أمّته حتى أجابه الله سبحانه بتفضيل محمد صلى الله عليه وآله [آله عليه] وبتفضيل وصيه عليه السلام على وصيه وبتفضيل أمّته على أمّته فسأل ربه أن يجعله منهم فأجابه سبحانه وأن يريه إياهم .

فقال تعالى : (**إن زمانهم متأخر عن زمانك ولكن إن أحببت أن أسمعك كلامهم أسمعتك فقال : نعم يا رب فقال : نادهم فأجابه من في الأصلاب والأرحام بالتلبية**) فقال سبحانه : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾ يعني أمّتك ونوهناه باسمهم فلمّا كان ذلك أحب سبحانه أن يعرفه سر ذلك التفضيل وأن يشركه في تلك الفضيلة بسبب توسطه وبسبب رضاه بأن يكون منهم فلذلك خص بأن يشفع في أمّة محمد صلى الله عليه وآله عنده ليشفع لهم عند الله وهنا أسرار كثيرة ولكن المراد بيان المسألة وروي ، (**أنه لما ردّت إلى الخمس قال له موسى عليه السلام : ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فقال : قد استحييت من ربي ولكن اصبر عليها**) ، فلصبره جعل ثواب الخمسين في الخمس ولأجل ذلك الرضا والصبر كانت حسنتهم بعشر فمن هنا كانت الخمس بخمسين ، وإنما جعلت الخمسين خمساً بنقل العشرات إلى الآحاد إشعاراً بأن ثواب الخمسين في الخمس ، وإنما نقلت بصورتها لذلك ولو نقلت إلى الأربع أو الست أو العشر لدلّ على تغيير التكليف بالنسخ لا بالتخفيف فجعل كل فعل وركن من الخمس قائماً مقام ركعة من الخمسين ، مثلاً تكبيرة الإحرام والقراءة والركوع والسجود والقراءة في الثانية والقنوت والركوع والسجود والتشهد والتسليم ، فهذه عشرة بعشر ركعات فكل ركعتين بعشر فكانت الخمس قبل أن يزيد فيها النبيّ صلى الله عليه وآله تساوي ثواب الخمسين وتقوم مقامها

في كل رتبة ثم زاد رسول الله صلى الله عليه وآله من قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ في الظهر ركعتين وفي العصر ركعتين وفي المغرب ركعة لا تسقط في السفر فهي اثنتان وفرض الصبح تكتبها ملائكة الليل ركعتين وملائكة النهار ركعتين فهي أربع ركعات فتكون الصلوات الخمس بحكم عشرين ركعة تعدل مئة ركعة الخمسين ، التي جرى بها التكليف وضعفها قال الله تعالى : ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى البراق وما معنى ثقل الوحي حتى إن الناقة تبرك ؟

أقول : اعلم أن البراق فرس الحياة وحيزوم فرس الحياة من شيعتها وبرقة من البراق كالحياة من الحياة ، والبراق إذا أطلقت عند أهل العرفان يراد بها الروح الكلية وهو الركن الأيمن الأسفل من العرش وهو النور الأصفر قال النبيّ صلى الله عليه وآله : (**الورد الأصفر من عرق البراق**) وهي حيوان جناحها بين فخذيها وعينها في حافرها وأُذناها تتحرك أبداً ومعنى جناحها بين فخذيها وفي رواية من خلفها أي طيرانها في سعيها ومعنى عينها في حافرها تسير ببصيرتها ومعرفتها المستقيم [المستقيمة] وأُذناها تضطرب لإصغائها لما يرد عليها من الملك القائم الكاتب من صاد ما كان وما يكون إلى يوم القيامة فهو أبداً يجري وهي أبداً تدري فافهم .

وأما معنى ثقل الوحي فاعلم أنه كلما اشتد إحساس الشخص كان تأثره بما يرد عليه من فرح وحزن [حزن وخوف] وطلب ورجاء ورضى وغضب وغير ذلك أشد وأعظم حتى أنه إذا عظم إحساس الشخص ظهر غيبه في شهادته ويكون المعنى عيناً والعرض

ذاتاً وهذا مما لا يرتاب فيه العارفون كما ورد في تفسير قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ﴾ روى القمي عن الباقر عليه السلام : (**وذلك أن أهل السماوات لم يسمعوا وحياً فيما بين أن يبعث [بعث] عيسى ابن مريم عليهما السلام إلى أن بعث محمد صلى الله عليه وآله فلما بعث الله تعالى جبرئيل إلى محمد صلى الله عليه وآله سمع أهل السماوات صوت وحي القرآن كوقع الحديد على الصفا فصعق أهل السماوات**) الحديث .

فلما كانت الملائكة شديدي الإحساس والشعور سمعوا الوحي كما في الخبر وذلك لاجتماع القلب وكذلك إذا كان المنزل والباعث قوي الشعور والتوجه قال الله تعالى : ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾ فيكون الثقل بمعنيين :

أحدهما : أن يكون الوحي بقوة إحساس النبيّ صلى الله عليه وآله أو [و] تجانس ذاته للوحي يزيد كمّه لثقل التكليف ومشقة النزول فتقوى مواده الحاملة له بتلززها وإمرارها وصلابتها حيث إنها لا يزيد حجمها بما ينزل به الوحي من القوى الجسمانيات لأنه لا يظهر الغيب في الشهادة إلا بالشهادة وإلا كانت الأشياء مقسورة ولمّا لم يزد حجمها مع زيادة كمّها وجب تلززها وصلابتها فتثقل الأعضاء بذلك وذلك لأن الغيب يتجسد في الشهادة كما هو شأن الأرواح ولهذا كان الحجر الأسود قبل أن يهبط إلى الأرض هو ملكاً روحاياً والروح لا تزيد ثقلاً إذ لا وزن لها وإنما هي بمنزلة الهواء كما دلّ عليه النص فلما هبط كان حجراً ولمّا حمله آدم عليه السلام أتعبه لثقله وكان جبرئيل عليه السلام يعينه على حمله وقبل

هبوطه لا يعدل قيراطاً وعن أمير المؤمنين عليه السلام : (**لقد نزلت سورة المائدة وهو على بغلة شهباء وثقل عليه الوحي حتى وقفت وتدلّى بطنها حتى رأيت سرتها تكاد تمسّ الأرض**) انتهى .

ومعنى هذا ظاهر أن الوحي ينزل من العلوّ فيضاً قوياً ودفعاً شديداً إلى السفل فيدفع النازل عليه إلى الأرض وهو معنى الثقل ولهذا إذا انقطع الوحي ، ذهب الثقل لذهاب الدفع الجسماني من الوحي ولو حصل هذا الدفع على جبل لتفتت وتصدّع ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أقوى خلق الله وهو الحامل لثقل ذلك الدفع ، وإنما يحصل للبغلة أو [و] الناقة ثقل احتمال رسول الله صلى الله عليه وآله لا ثقل الوحي . ..

الثاني : أن الوحي ينزل بالعظمة فإذا نزل من العلوّ على شيء طلب ذلك الشيء السفل وهو الخشوع والذلة فيحصل الثقل على الحيوان من الشخص لا من الوحي ، وإن قيل : ثقل الوحي فالمراد به السبب ، ويحتمل معنى ثالثاً وهو أن ثقل الوحي عبارة عن ضعف قوة ما ينزل عليه فكما أن رسول الله صلى الله عليه وآله في كثير يقول : (**زملوني دثروني ويغشى عليه من الخشية**) كذلك الحيوان إذا نزل الوحي وهو راكب عليه تضعف قوّته عن حمل رسول الله صلى الله عليه وآله حتى تبرك الناقة فتفهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما كيفية نزول جبرئيل عليه السلام وما كيفية نزول النجم وانشقاق القمر من غير لزوم خرق والتئام ؟

أقول : أما كيفية نزول جبرئيل فهي أن يهبط إلى المحل الأسفل من مقامه وهو هبوط رتبي يستلزم الهبوط المكاني لأنّ الأرواح إذا

تجسده نزلت من رتبتها واستلزم ذلك الهبوط المكاني ولهذا لا ينزل إلى الأرض إلا في صورة البشر ، نعم له أن يظهر في صورته التي خلقه الله تعالى عليها وفي هذه الحالة هبوطه الرتبي لا يستلزم الهبوط المكاني لجواز أن يظهر بصورته التي خلق عليها في عالم الملكوت ، إلا أنه يظهر في عالم الملك بالصورة الجسمية وفي الملكوت بالصورة النفسية المجردة عن المادة والمدة .

وأما نزول النجم والقمر للمعجز فينتزع القوى صاحب المعجز بأمر الله تعالى صورة النجم والقمر مع ما فيه من النور إلى الموضع الذي [الذي أراد كما أراد فإذا] أراد ردّه رجعت تلك الصورة مع ما فيها من النور إلى المادة أعني مادة النجم والقمر [القمر وهي] حين انتزع منها الصورة والنور لا ترى لأنها حينئذ مساوية للفلك الحامل لها وإنما استبانت منه بذلك فإذا ردت انطبقت على المادة كما كان ، كما إذا التفت الخيال إلى شيء غابت وانتزع منه صورته فإذا رآه صاحب الخيال انطبقت صورة الخيال على المرئي وهذا إن شاء الله تعالى ظاهر .

قال سلّمه الله تعالى : وما الوجه في تزويجه [تزوجه] صلى الله عليه وآله للمرأتين وتزويجه للاثنين ؟

أقول : الوجه [الوجه فيه] ارتكاب أقل المحظورين لأنه صلى الله عليه وآله لو لم يتزوج لم يتمكن من إقامة الإسلام فلما تزوج هدأت فورة النفاق في الجملة زعماً منهم أنهم ينالون بالنسبة مرادهم وإن كانوا على شك من التحصيل ولكنه أسهل خطباً فلمّا تبين لهم اليأس بذلوا الجهد في إفساد أمره صلى الله عليه وآله ولكن لا ينفعهم بعد أن تمكن الإسلام وانتشر ، والله متمّ نوره ولو

كره الكافرون هذا ظاهر العبارة وباطنها أنه من خواصه أنه أحل له ذلك من تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ﴾ إلى قوله : ﴿ خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ ﴾ فإن أحللنا لك ليس في التأويل محصوراً على مدلول الظاهر ، وخالصة ليس مقصوراً على الهبة بل هذا التحليل يشمل ما نفاه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ ﴾ لا أنه ارتكاب أقل المحظورين بل هو معنى (**خالصة لك من دون المؤمنين**) وفيه وجه آخر وهو تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ ﴾ وقد تشير إليه الأخبار والإشارة تكفي أهل الإشارة والتلويح أبلغ [أبلغ من] التصريح .

قال سلّمه الله تعالى : وكيف يتولد من الإمام فاسق أو يكون فلان أحد آبائه ؟ .

أقول : قال الله سبحانه : ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ ﴾ وقال تعالى : ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ فأخبر أن الإنسان خلق من نطفة الرجل ونطفة المرأة ، وفي الحديث عن الحسن عليه السلام ما معناه : (**إن الله خلق الإنسان من أربعة عشر شيئاً أربعة من أبيه** : **العظم والمخ والعصب والعروق ، وأربعة من أمه** : **اللحم والدم والشعر والجلد وستة من الله الحواس الخمس والنفس**) ، فإذا ثبت ذلك قلنا : إنا قد بيّنا أن نطفة المؤمن تنزل [نزل] من الشجرة المسماة بالمزن فتقع على البقول والثمر والحبوب فما أكلها مؤمن أو كافر إلا وخرج من صلبه مؤمن ، وأن نطفة الكافر تصعد من شجرة الزقوم فتقع على البقول والثمر والحبوب فما أكلها مؤمن أو كافر إلا أخرج من صلبه كافر .

واعلم أن النطفة إذا وقعت في رحم المرأة وكانت نطفة الرجل

حارة يابسة كالنار ونطفة المرأة باردة رطبة كالماء لا يمكن الاجتماع بينهما ، أمر الله سبحانه ملكاً فقبض من الأرض قبضة من البقعة التي يدفن فيها ذلك المولود فماثها في النطفتين فيبوستها [فبيبوستها] توافق نطفة الرجل وبرودتها [ببرودتها] توافق نطفة المرأة فيحصل العقد .

ثم اعلم أن تلك القبضة تسري في غذاء الأم فتخرج مع نطفتها لأنها بلطف الله تعالى تتكون من غذائها .

ثم اعلم أن الولد لا يجب ألا يوجد إلا من نطفة المني بل إنما يوجد من الرائحة التي هي حاملة نطفة المزن والزقوم قد ذكرنا بأن الشقاوة والسعادة ليست من المادة التي هي من الأب ، وإنما هي من الصورة التي هي من الأم لأن الصورة للسعادة والشقاوة تتكون في بطن أمه من غذائها من حيضها فإن كان معتدلاً كان الولد مستقيماً ، وإن زادت رطوبته خرج بليداً ، وإن زادت يبوسته خرج مجنوناً ، أو ذا وسوسة وأفكار رديّة ، وإن شابها شيئاً محرماً سرى في الولد ، وبالجملة فالصورة من الأم وهي مناط السعادة والشقاوة قال عليه السلام : (**السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه**) فإذا كان الفاسق من ولد الإمام عليه السلام فلك أن تقول من نطفة أمه ولك أن تقول من صورته ، لأن الإمام عليه السلام منه المادة والصورة ليست منه ، ولك أن تقول لعلّه لم يتكون من النطفة ، وإنما تكون من الرائحة وهي لا تماس شيئاً من الإمام عليه السلام بل النطفة الخبيثة كامنة في غيب نطفته حتى تقع في الرحم ولا محظور ، فإنك تقر بأن إبليس بال في أصل الكرم وله فيه ثلثان ولكنه كامن في غيب العنب ، فإذا أكل الإمام عليه

السلام لا يمسه [لا يمس] شيئاً منه شيء مما لإبليس وإنما يظهر بول إبليس إذا غلى العنب فكذلك هذه النطفة [النطف] الخبيثة في صلب المؤمن والنطفة [النطف] الطيبة في صلب الكافر فافهم ، فقول الصادق عليه السلام : (**ولدت من أبي فلان مرتين**) يريد أن أم فروة أمه عليه السلام بنت القاسم بن محمد [محمد بن] أبي فلان تكونت من أربعة أشياء من القاسم والقاسم من أربعة من محمد ومحمد من أبيه فتولد محمد من أبيه ، هذا تولد ولكنه جرى من شجرة المزن في غيب طعام أبيه ولم يماس شيئاً منه كما مثلنا في العنب وتولد القاسم من محمد فهذا التولد الثاني .

فقول الصادق عليه السلام : (**مرتين**) يدل على أن قوله تولدت يريد به أمه لا نفسه وإلا لقال ثلاث مرات أو يكون قوله : (**من أبي فلان**) أن المعنى تولدت من محمد بن أبي فلان مرتين فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه فيكون تولد من أمه ، وأمه تولدت من محمد أبيها وعلى هذا فيكون ثلاثاً أيضاً فالأولى أن يكون الثاني للأول ، فيكون تولدت أمي من محمد [محمد أبيها] وتولد أبوها القاسم من أبيه محمد وأما [أما على] ما اشتهر من تفسيره بالإرادة [بإرادة] أن أمه أم فروة كان أبوها القاسم بن محمد بن أبي بكر فهذا التولد الأول وكانت أمها أسماء بنت عبد الرحمٰن بن أبي بكر وهذا هو التولد الثاني فهو ظاهر بل هو على الظاهر هو المراد إلا أن فيه أنه ينبغي أن يقال : ولدت من أبي بكر من جهتين من جهة أن أمه من جهة أبيها وأمها لأن الأم تتولد بتمامها من محمد وبتمامها من عبد الرحمٰن ، نعم يمكن القول بذلك بناءً على ما هو الظاهر أو على إرادة جزء أمه كما أسند ذلك

إليه في قوله ولدتُ وإنما ولد جزؤه والجزء الآخر الأعلى من أبيه عليه السلام فيكون بعضها من أبي بكر بواسطة محمد ، والبعض الآخر منه بواسطة عبد الرحمٰن ، وفيه احتمال ما تقدم وشبهة تخلق المعصوم عليه السلام من مثل ذلك تقدم بيانه فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى قبة الحسين عليه السلام واختصاص إجابة الدعاء بها ؟ .

أقول : اعلم أن الله سبحانه نبه على معنى لو لم ينبه عليه لم تدركه القلوب ولم تعه الأسماع ولم تلحقه الأفهام وهو (**ادعوني استجب لكم**) لأنه نوع انفعال لا تجوز العقول نسبته إلى القديم سبحانه ، فلمّا نبه عليه أدركت الأفئدة وجه ذلك وذلك لأن استجابة الدعاء إنما تكون مع الخشية والخضوع لأنّ الانفعال يقتضي الإجابة أي الفعل فإذا اقتضى حال الداعي الإجابة أجابه سبحانه فهو باستدعاء حال الداعي يجيب فيكون ذلك انفعالاً وإن كان فعلاً لأنه فعل استدعاء انفعال ، ولمّا كان الخضوع والخشوع هو علة الاستجابة لأنه أجمع لمشاعر الداعي ولم يكن أشد حصولاً منه لمن هو تحت قبة الحسين عليه السلام ولا أشد استجماعاً منه لأن ذلك هو المستدعي للإجابة ، ولمّا كان الحسين عليه السلام هو مظهر الخشوع والخضوع كان كل [كلما] من دعا مخلصاً خاشعاً كان تحت قبة الحسين عليه السلام ، [وإن كان] في مشرق الأرض أو مغربها وقد أشرت إلى ذلك في قصيدة لي رثيت بها الحسين عليه السلام على طريقة الرمز قلت :

كل انكسار وخضوع به

وكل صوت فهو نوح الهوا

فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وكيف يقبل أكثر الناس التوحيد والنبوّة ويأبون من [عن] الولاية ؟ .

أقول : إن التوحيد يشترك فيه النوع الإنساني فلا يدّعيه أحد له فيخف على النفوس وإن كانت متكبرة الانقياد له والإقرار به ، لأنه إقرار لمن ليس من نوعه فيسهل على النفس والنبوّة وإن كانت نسبته [نسبة] إلى النبي صلى الله عليه وآله لكنه يدعو إلى من ليس من النوع فيهون على النفس والولاية إقرار بعبودية مطلقة لمن هو من النوع فتأبى النفوس الخبيثة قبول ذلك لأنها إنما تنظر إلى نفسها ففي الأولين لا تجد على نفسها وهنا في الانقياد لمن لا يشاركه في حال بخلاف الولاية فلذا لا تقبلها [لا يقبلها] إلا نفوس المتّقين الذين لا يستكبرون عن الحق هذا في الظاهر ، وأما في التأويل فلأن النفوس خلقت من ظل الربوبية فلهذا تدعي الربوبية ولا تقبل الدخول تحت الطاعة بالاختيار ففي التوحيد والنبوّة لا يكون الإقرار بهما منافياً لتلك الإنية المدعية بخلاف الإمامة ، لأنها [فإنها] على الضد من دعوى تلك الإنية فإن مقتضى الإمامة دخول التابع تحت محض العبودية الذي هو ضد دعوى النفس .

قال سلّمه الله تعالى : وما الوجه في تسارع أكثر النفوس لقبول المعصية وتفرقها من الطاعة ؟ .

قال : إن النفس الأمّارة التي هي وجه الماهية وهي ملازمة للإنية فمتى عرف المولود نفسه ظهرت فيه الأمارة شيئاً فشيئاً وهي شأنها المعصية والعقول شأنها الطاعة لكنها لا تظهر إلا عند البلوغ أو

غريب منه فلا تظهر [فلا يظهر] إلا بعد تمكن النفس الأمّارة التي تطلب المعصية ولا ترضى إلا [إلا بها] وتستأنس بها فإذا عرضت الشخص [للشخص] معصية سارعت النفس إليها لأنسها بها ومجانستها لها ، ولو كانت طاعة نفرت منها لاستيحاشها ، والعقل وإن كانت الطاعة هي مطلوبه ولكنه حديث عهد بالشخص فلا تطيعه النفس غالباً إلا إذا كان الشخص يخالف نفسه في أكثر مطالبها فإنها تضعف ويقوى العقل فيطلب الطاعة فيفعلها العبد ، وبالجملة إذا راض نفسه حتى أنساها أنسها بالمعصية وخالف هواه حتى اعتاد ذلك كان مسارعاً إلى الخيرات وإلا غلبته نفسه لسبقها وتقدمها على العقل حتى استأنس الشخص بداعيها وهذا حال الأكثر لقلة من غلب هواه وخاف مقام مولاه فلهذا كان أكثر النفوس كذلك .

قال سلّمه الله تعالى : وما الدليل على أن أئمتنا عليهم السلام أفضل من أولي العزم مع تلقي النبيّ صلى الله عليه وآله الوحي بنفسه ومعاينته للملك دون الإمام عليه السلام ؟ .

أقول : قد دلّ الدليل العقلي والنقلي على أن نبيّنا [نبينا محمداً] صلى الله عليه وآله خير الخلق من جميع ما خلقه [خلق] الله من غائب وشاهد ومتحرك وساكن ، ودلّ الدليل أيضاً على أن الأئمة عليهم السلام مساوون له في جميع ما له من الفضائل والمراتب إلا الخواص التي اختص بها ولم يكن لأحد من خلق الله ذلك لا ملك مقرب ولا نبيّ مرسل أولي العزم وغيرهم حتى إن علياً عليه السلام قال ما معناه : (**وإنما أوتي موسى عليه السلام مما أوتيت أقل من جزء من مئة ألف جزء من مثقال الذر**) ، وما قال الملك لموسى والخضر في قصة الطائر الأخضر ونص القرآن والأخبار بأن إبراهيم

خليل الرحمٰن من شيعته وأعلى مراتب الشيعة أن يكون واحداً من سبعين من واحد من سبعين ، وتجلّى للجبل في قصة سؤال موسى عليه السلام للرؤية رجل من الكروبيين من شيعتهم من الخلق الأول ، وهو بمنزلة خرق الإبرة أو الدرهم من نور العظمة الذي هو نورهم ، فالعارف لا ينبغي له أن يذكر المعادلة والتفضيل وإنما أقول [قول] : إنهم أفضل من أولي العزم من خطا [حظ] العوام انظر إلى قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ ﴾ .

وما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري أن مروان بن الحكم صعد في خلافته في منبر [في خلافته صعد بمنبر] رسول الله صلى الله عليه وآله وخطب وسبّ علياً عليه السلام فخرجت من القبر الشريف يد كل من حضر عرف ، أنها يد رسول الله صلى الله عليه وآله مكتوب عليها يا عدوّ الله : (**أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً هو والله علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام وسيد الوصيين**) ، ثم عقد بيده ثلاثاً وعشرين فما لبث مروان إلا ثلاثاً وعشرين ليلة ثم مات وفي دعاء رجب : (**فجعلتهم معادن لكلماتك وأركاناً لتوحيدك وآياتك ومقاماتك التي لا تعطيل لها في كل مكان يعرفك بها من عرفك لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك فتقها ورتقها بيدك بدؤها منك وعودها إليك أعضاد وأشهاد ومناة وأذواد وحفظة ورواد فبهم ملأت سماءك وأرضك حتى ظهر أن لا إله إلا أنت**) ، تأمل هذه الفقرات العجيبة وانظر أين أولو العزم وآل محمد عليهم السلام وقد ملؤوا السماوات والأرض ، وتأمل تلك العظمة التي انزجر لها العمق الأكبر ليس في

محال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب ، وأما تلقي الأنبياء للوحي بأنفسهم فإنما هو قليل من كثير ونبيّنا صلى الله عليه وآله تلقى بنفسه جميع ما يمكن من الوحي من قوله تعالى : **(ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن)** وهو هو عليه السلام ونفسه علي عليه السلام ومع هذا فلم يصل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وحي ولا خطاب إلا بلسان الولي والأنبياء عليهم السلام [كلها] ما هم منه إلا ذرات من الوجود ومعنى أن النبيّ صلى الله عليه وآله يرى الملك والإمام يسمع الصوت ولا يرى الشخص أن الملك ما يظهر بالوحي إلا للنبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام يسمع كلام الملك بالوحي [في الوحي] إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وإنما لم يظهر له لأنه إنما جاء للوحي فظهوره بالوحي لمحمد صلى الله عليه وآله لأن [لا إن] الإمام عليه السلام لا يراه كيف ولا يصدر إلا بإذنه كما قال علي عليه السلام : **(والله ما أعلم أن ملكاً في السماء يخطو قدماً بدون [بغير] إذني إلا واحترق)** انتهى .

لكن لمّا كان رسول الله صلى الله عليه وآله لم يمت حتى كمل الدين وانقطع الوحي عند موته انقطاع كمال وتمام لا انقطاع نقصان ، وإلا لم يكن خاتم النبيين صلى الله عليه وآله فلا يحتاج إلى نزول الملك في تأسيس الأحكام ، وإنما تنزل الملائكة على الإمام بالأمر واليسر افعل ولا تفعل عن أمر أجراه ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قال سلّمه الله تعالى : وما الوجه في اختصاص محمد صلى الله عليه وآله بجواز أخذ أكثر من أربع ؟ .

أقول : اعلم أن الأحكام تجري في أصل التكليف على نحو الأحكام الوضعية وإن كنا نسميها باعتبار الأحوال اقتضائية فإذا علم حال المكلف في الجهة التي يتعلق بها التكليف كلّفه على حسب ما يقتضيه حاله في تلك الجهة فكان أحوال هذه الأمّة تقتضي تحليل الأربع بالدائم لا غير مع العدل ، فأحل لهذه الأمة مع العدل الأربع وأما رسول الله صلى الله عليه وآله فإن حكم تكليفه جارٍ على نحو غير نحو تكليف أمته ، بل له خواص اختص بها دون أمّته ومع ذلك فهي جارية في حقه بالاقتضاء والوضع كما قلنا إلا أنّ حاله حال أبناء جنسه ، ولهذا المعنى أشار سبحانه في قصة زيد بن حارثة وزينب بنت جحش وهي مشهورة فقال سبحانه : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ إلى أن قال تعالى : ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ يعني تجري فيك سنّة الأنبياء فلا يكون حالك حال سائر الناس من حب النساء وكثرة الطروقة والزيادة على الأربع كأبناء جنسه الأنبياء وهو قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ فأشار إلى أن حاله كحال من تقدمه من الأنبياء فكانت سنّة الله في الأنبياء عليهم السلام إباحة الزيادة على الأربع ، ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ وذلك جارٍ بالحكم الوضعي كما قلنا ، فما ساواهم فيه شاركهم في أحكامه وما زاد عليهم به اختص بحكمه وذلك [لذلك] تعليلات بعيدة خفية لا يحسن ذكرها أعرضنا عنها .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى ليلة القدر ونزول الملائكة فيها على الإمام عليه السلام؟ وهل يزداد فيها شيئاً لم يكن عنده وهو بالفعل في كلّ ما يمكن له ؟ .

أقول : معنى ليلة القدر ليلة الضيق من قوله تعالى : ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ وذلك أن الملائكة نزل [تنزل] على صاحب الوقت عليه السلام بما يرد منه عليهم من محتوم الأمر في تلك السنّة فتضيق السماوات والفضاء والأرض بالملائكة لكثرتهم فكلّ يؤدي إلى الإمام عليه السلام ما أودعه ، فالإمام عليه السلام أبداً طري التلقي والمدد والله سبحانه يمده منه كما يمد الشجرة من ثمرة التي منها فالله سبحانه : ﴿خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴾ والإمام عليه السلام نهر فيض تجري من تحت الأزل يعني من المشيّة مستديراً صحيح الاستدارة فيرد عليه ما يصدر منه والملائكة تغترف من ذلك النهر فكل [كل] ملك بقدره وتفرغه فيه فإذا اغترف الملك وأفرغه فيه لم يكن في تلك المغرفة [الغرفة] بداءً في عالم الغيب ولله فيه البداء في عالم الشهادة ، ولا ينافي هذا حديث فإن الله لا يكذب نفسه ولا يكذب أنبياءه وملائكته ، لأنه إنما يخبر به إذا علم عدم المانع للمقتضي الإثبات في عالم الغيب فلهم أن يخبروا به ولله فيه البداء في عالم الشهادة ، لأنه أخبر بالمانع وقال : إن الصدقة تردّ القضاء وقد أبرم إبراماً ، وإن الدعاء يرد القدر وهو من القدر وقد أمر أنبياءه [أنبياءه وأولياءه] بتبليغ ذلك إلى المكلفين ، فإذا علم عدم المانع في الغيب وأخبر به أنبياءه وأولياءه وأخبروا به بأن أخبر أن زيداً يموت غداً ، ثم أخبروا به فتصدق زيد بصدقة ترد القدر أو دعاء [دعا] كذلك فمدّ له في أجله فإنه صدق سبحانه وصدق أنبياءه لأنه أخبرهم أن الصدقة ترد المحتوم فإذا أخبر بالحتم دلّ على عدم وجوب المانع في الشهادة ولكن هنا دقيقة يعرفها العارفون ، وهي أنه سبحانه

سبب من لا سبب له وسبب كل ذي سبب ومسبب الأسباب من غير سبب فما لم يقع الشيء في الوجود العيني الذي هو الكون في الأعيان لا الوجود العيني الأوّلى الذي هو في الإرادة ، فللّه فيه البداء مطلقاً فإذا وقع العين المدرك فلا بداء في أن لا تقع العين المدرك .

ثم اعلم أن لكل غرفة ملكاً خاصاً بها لا يغترف غيرها ولا يصلح لغيرها فمغترف بقاء زيد اليوم لا يغترف عدمه اليوم ، فقبل أن يغترف فالغرفة جارية على ما هي عليه في [من] الإمكان والصلوح لطرفين فإذا اغترف وأفرغه في النهر المستدير فقد المانع لأن المانع إنما يقتضي قبل الغرف ، فإن وجد لم يغترف ذلك الملك فإذا اغترف انقلب الحكم وكان المقتضي للاغتراف مانعاً لمقتضى المنع فعلى ما أشرنا إليه [إليه أن] قلت : إنه يزاد صدقة لأن الذي أتت به الملائكة من محتوم ما كان مشروطاً عنده لم يكن موجوداً في بشريته وظاهره قبل أن يأتي به الملائكة فإن قلت : لا يزاد إلا ما كان يعلمه صدقت ، لأن الذي أتت به الملائكة إنما كان عن جبرئيل عليه السلام عن ميكائيل عن إسرافيل عن روح القدس الذي هو من أمر الله الذي هو عقلهم وذلك الملك يقذف الله الوحي في قلبه قذفاً بكلمته التي هم محلها ولنقبض العنان فللحيطان آذان وتعيها أذن واعية؟

وقوله سلّمه الله : وهو بالفعل في كل ما يمكن له كلام متين ومعنى ذلك هو ما أشرنا إليه لأن عقلهم بالفعل في حالتهم العليا وأما في حالتهم الدنيا فعقلهم مستفاد فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : والفرق بين كونه ناطقاً وصامتاً مع أنّ

الأثر دلّ على أنّ كل أمر ينزل لهم يترتب مروره عليهم حتى تصل [يصل] إلى إمام العصر عليه السلام فكل لاحق يأخذ عن سابقه .

أقول : إن كون الإمام عليه السلام ناطقاً عبارة عن الإذن العام في الكلام لملازمة روح القدس ، [القدس له] فهو أمن من التغيير والتبديل الناشئيْن من سر البداء والصامت إنما يكون مع وجود الناطق [الناطق ومع وجود الناطق] وجه الإذن إليه وإقبال روح القدس عليه ويكون الإقبال على الصامت والإذن بواسطة الناطق ، وليس العلم بالمسألة كافياً في حصول الإذن لأن الإذن أمر خاص غير العلم ، وأما ترتب مروره عليهم فلا يستلزم الإذن والنطق وإنما يستلزم العلم ولا شك فيه في حق الصامت وأما أنّ كل لاحق يأخذ عن سابقه ، فهذا يجري في الإذن لا في العلم لأن العلم قد يتخلف ، فإنه إذا تجدد علم بحادثة لم تكن فإنه ينزل على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على علي عليه السلام ثم على الحسن عليه السلام ثم على الحسين عليه السلام ثم على القائم عليه السلام ثم على الأئمة الثمانية الأب قبل الابن ثم على فاطمة عليها السلام ثم يظهر الحكم في الخلق لأنّ ترتب ظهور العلم ونزوله ، [نزوله عليهم] على حسب مراتبهم فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وكيف يكون الخلف أفضل التسعة مع أنه محجوج بمن قبله فلا ينطق إلا بإذنه ؟ وما معنى إن أخبرتهم بالاسم أذاعوه أو بالمكان دلّوا عليه فما المراد بالمكان وهل أخبروا عليهم السلام بذلك الاسم والمكان خواصهم أم لا ؟ فإن كان الأول فهل يجوز لمن أخبروه أن يخبر من يثق به أم لا ؟ .

أقول : إن الخلف عليه وعلى آبائه السلام أفضل التسعة لقوله

عليه السلام : (**تاسعهم قائمهم أعلمهم أفضلهم**) وغير ذلك مما يدل على الأفضلية وهو كثير ، وأما أنه محجوج بمن قبله فإنما هو في الإذن وحق الأبوة وذلك لا ينافي الأفضلية ، وقد بيّنا وجه الإذن فيما قبل هذا ، وأما معنى إن أخبرتهم بالاسم أذاعوه أو بالمكان دلّوا عليه فهذا في حق الاسم في الحجة عليه السلام وذلك في الغيبة الصغرى فإنه لو أخبرهم وقال : اسم الخلف الحجة محمد صلوات الله عليه ، تكلموا به شيعته فيؤخذ برقبته وإن أخبرتهم بالمكان دلّوا عليه فأخذ فلهذا ينهوا [نهوا] عن التسمية ، وذلك في زمان الغيبة الصغرى ولعامة الشيعة ، وأما الخواص فقد أخبروهم بالاسم ودلّوهم على المكان لأنهم يكتمون وفي الغيبة الكبرى أخبروا بالاسم مطلقاً لعدم المانع ويجوز لمن كان من الخواص تسميته لمثلهم حتى في الغيبة الصغرى ودلالة المكان كذلك وإنما منع من الإذاعة .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى رجوع الشمس في مغربها وهل يجري ذلك في الشمس [شمس] الآفاق أم لا ؟

قال : لهذا الكلام معنيان **أحدهما** : أن الشمس الراجعة من مغربها هو القائم عليه السلام الراجع من غيبته وهو الشمس الذي تستنير به الأرض وتستغني الناس بنوره عن نور الشمس (**والمعنى الثاني**) أن الشمس الافاقية تستتر ثلاثة أيام وذلك عند خروجه عليه السلام وهي علامة لأصحابه الثلاثمائة والثلاثة عشر فإنهم تلك الليلة يقومون من مضاجعهم لصلاة الليل على عادتهم ويفرغون وينامون [ينامون برهة] فيقومون ويرون الليل باقياً ويقولون : إنا صلّينا قبل الزوال فيصلّون ويفرغون وينامون برهة ويقومون والليل

باق فيقولون : لعلنا صلّينا قبل الزوال ولكن ما رأينا أطول من هذه الليلة فيصلّون الليل وينامون حتى يصبحوا وكانت تلك الليلة قدر ثلاث ليال لأنّ الشمس تظل ساجدة بين يدي الله تعالى فلا يأذن لها قدر ثلاث ليال ثم يأذن لها بالخروج من مغربها وهذه آية معجزه وعلامة ظهوره عليه السلام ، ولا ضرر على العالم العلوي والسفلي لما بينا سابقاً [سابقاً في] معراج النبيّ صلى الله عليه وآله ولأنّ الشمس في السنة التي يظهر فيها تنكسف في نصف شهر رمضان وينخسف القمر في الليلة الخامسة وروي آخر الشهر وذلك من آيات ظهوره ولا ضرر كما قلنا .

قال سلّمه الله تعالى : وهل فرق بين الرجعة وظهور الصاحب عليه السلام أم حقيقتهما واحدة ؟ وهل أحكام الرجعة من الدنيا أم الآخرة ، أم بين بين ؟ وكيف وجه عود بعض بني آدم إلى الدنيا بعد أن صارت نفوسهم في رتبة أعلى منها وقد صارت بالفعل فهل تعود بالقوة ؟ وما الفرق بين الجسمين السابق واللاحق ؟ وهل اللاحق من الأجسام الدنيوية أم الأخروية ؟ وما الفرق بين الأجسام الدنيوية والأخروية ؟ وهل أدلة الحكماء على عدم قبول الأفلاك للفساد يتم [تتم] فيها أجمع أم في بعض دون بعض ، أم لا يتم في شيء منها ؟ .

أقول : الرجعة تطلق على رجعة آل محمد صلّى الله عليهم ومختصر القول في بيانها على ما كنت أفهم من الروايات أن أول قائم منهم عليهم السلام بالحق هو القائم الحجة عليه السلام ومدة ملكه سبع سنين كل سنة عشر سنين ، فإذا مضى من حكمه تسع وخمسون سنة وبقي إحدى عشرة سنة خرج الحسين عليه السلام وفي الحديث ، (**أول من ينفض التراب عن رأسه الحسين**

عليه السلام وفي آخر السفاح وهو الحسين عليه السلام) ويبقى إلى آخر حكم القائم عليه السلام إحدى عشرة سنة صامتاً ، فإذا قتل القائم عليه السلام قيل : تقتله امرأة من بني تميم لها لحية واسمها سعيدة لعنها الله يتجاوز عليه السلام في الطريق وهي فوق سطح فترميه بجاون من صخر على أمّ رأسه فتقتله ، فإذا مات غسله الحسين عليه السلام وكفّنه وصلّى عليه ودفنه وقام بالأمر من بعده فإذا مضى من حكم الحسين عليه السلام ثمان سنين .

خرج علي عليه السلام في نصرة ابنه ثم يقتل علي عليه السلام وهو قوله عليه السلام : **(أنا الذي أُقتل مرتين وأُبعث مرتين ولي الرجعة بعد الرجعة والكرّة بعد الكرّة)** ثم يمتد حكم الحسين عليه السلام ففي رواية **(خمسين ألف سنة)** وفي أخرى **(ست وأربعين ألف سنة)** حتى أنه يربط حاجبيه بعصابة من الكبر عن عينيه .

والظاهر أن حكمه يمتد إلى آخر الرجعات ثم ترجع الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد إلا أن الترتيب لا أعرفه ، ولكن أمير المؤمنين عليه السلام يرجع آخر الرجعات مع جميع شيعته والأئمة معه ويقتتلون مع إبليس وشيعته في بابل عند الحلّة من الجانب الغربي ويرجع المسلمون القهقرى حتى يقع ثلاثون رجلاً منهم ، [منهم ثلاثون رجلاً] في الفرات فعند ذلك يأتي تأويل قوله تعالى : ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ والأمر المقضي رسول الله صلى الله عليه وآله ينزل من الغمامة وفي يده حربة من نار فيتبع إبليس فيولي ، فيقول له أصحابه : أين تذهب وقد آن لنا النصر ؟ فيقول لهم : إني أرى ما لا ترون فيتبعه رسول الله صلى الله عليه وآله :

فيقول أين ما وعدتم به من الأنظار إلى يوم يبعثون؟ فيقول : هو هذا اليوم فيطعنه بحربة من نار في ظهره تخرج [يخرج] من صدره فيقتله ويقتلون شيعته ويكون رسول الله صلى الله عليه وآله هو الحاكم في الأرض والأئمة عليهم السلام وزراؤه في أطراف الأرض وتبقى الدنيا في تمام الاستقامة فلا يموت الرجل حتى يرى ألف ولد ، [ولد ذكر] من صلبه وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما يشاء [شاء] الله ثم إذا أراد الله سبحانه فناء العالم رفع محمداً وآله صلى الله عليه وآله إلى السماء ، وبقي من بقي من الناس في هرج ومرج أربعين صباحاً ثم ينفخ إسرافيل في الصور نفخة الصعق ، هذا مختصر صورة ما وقفت عليه من خروج الأئمة عليه السلام لأنّ قوله عليه السلام : (**أول من ينفض التراب عن رأسه**) يعني من الأئمة وإلا فشيعتهم المبعوثون يخرجون قبل خروج الحجة عليه السلام بستة أشهر وعشرة أيام وذلك لأنه في تلك السنة التي يخرج فيها عجل الله فرجه وأعاننا على طاعته إذا كان العشرون من جمادى الأولى ، وقع مطر متوالي لا ينقطع أربعين يوماً إلى أول شهر رجب ، فبذلك تنبت لحوم الأموات الذي [الذين] يبعثون وهو قول أمير المؤمنين عليه السلام : (**عجب وأي عجب بين جمادى ورجب**) .

فقيل : وما هذا العجب يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال : (**وما لي لا أعجب من أموات يضربون هام أحياء**) والقائم عليه السلام يخرج في تلك السنة يوم الجمعة العاشر من محرم في فرد من السنين يوم النوروز ، والقائم عليه السلام ممن يرجع مع الأئمة عليهم السلام وهذا يدل على أن الرجعة غير قيام القائم عليه السلام

وفي بعض الروايات ما معناه (**يوم قيام قائمنا ويوم الرجعة**) وهو يدل على المغايرة والذي فهم [أفهم] من مضمون الروايات أن الرجعة أعلى درجة من يوم قيام القائم وإن كانا من نوع واحد .

وأمّا قولكم هل أحكام الرجعة من الدنيا أم من الآخرة ؟ فالذي يظهر لي أنها هي الأولى لا الدنيا ولا الآخرة المشار إليها في الزيارة الجامعة في قوله : (**وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأولى**) ، إن المراد بالأولى هي الرجعة ويحتمل أنها عالم الذر ولكن الظاهر الأول فهي برزخ بين الدنيا والآخرة وهي بحكم جنة آدم عليه السلام ومساوية لرتبة هورقليا ، ولهذا قال الصادق عليه السلام : (**وعند ذلك يظهر [تظهر] الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله**) انتهىٰ .

وقوله : بعد أن كانت نفوسهم في رتبة أعلى منها ، جوابه يظهر مما ذكرنا أن أيام الرجعة من درجات البرزخ وهورقليا وإن كانت في الدنيا لأن اللطافة والكثافة في الزمان والمكان إنما هما بلطافة الأجسام وكثافتها ، انظر في مقدار ما تقطع ببدنك الكثيف خطوة كم يقطع في تلك المدة محدد الجهات من ألف فرسخ لكثافة جسمك ولطافة جسمه ولو كان جسم ألطف من جسم الأطلس ، قطع أكثر منه من [في] ذلك الوقت كجسم النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام فلم تكن نفس [نفوس] الأموات من أهل البرزخ بأعلى رتبة منها إذا بعثت في الرجعة ورجعت إلى أجسامها لأن أجسامهم لطيفة كأجسام الأولياء والأنبياء عليهم السلام ، فإن صارت في الموت والبرزخ بالفعل وكانت في الدنيا بالقوة فإنها تكون في الرجعة بالفعل .

وقوله : وما الفرق بين الجسمين السابق واللاحق؟ جوابه : الفرق أن الجسم السابق مركب من الأجزاء الأصلية وهي الطينة التي خلق منها وهي من نوع الأفلاك ومن العناصر المتصادمة بالتركيب والتمازج فكانت بمنزلة الأرض المركبة ، هذه التي نحن عليها والجسد اللاحق ركب من الأجزاء الأصلية ومن عناصر جنة الدنيا وعناصر هورقليا والفرق بينهما بعيد ، فإن اللاحق أشرف وألطف من السابق ، وإن لم يكن مساوياً لأجسام الآخرة ، وأما الأجسام الأخروية فإنها لا تركب إلا بعد تصفية الجزأين بعد تصفية الأجزاء الأصلية والأجزاء العنصرية تصفي كل واحد سبع مرات ثم تركب لأن ذلك تركيب البقاء ، وأما في الرجعة فلا تصفّى الأصلية وتصفّى العنصرية مرة واحدة ولهذا تكون أعمارهم بالضعف من الدنيا ، وأما أدلة الحكماء على عدم قبول الأفلاك للفساد إنما يتم في الدنيا خاصة وأما في الرجعة فيحصل لها نوع تغيير [تغيير وكذلك يتغير] النظام إلى الصلاح لأن الأفلاك تصفو ، وأما في الآخرة فتصفى سبع مرات ولهذا قال سبحانه : ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ وقال تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ وقال تعالى : ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ وهذا جارٍ في كل شيء من عالم الزمان حتى الزمان نفسه فتكون الأجسام تساوي الأرواح في كثير من صفاتها والزمان يساوي الدهر في كثير من صفاته فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى انشقاق السماء وطيّها وتكوير الشمس ونسف الجبال ومدّ الأرض وكونها خبزة بيضاء نقية وما في بعض الآثار أن أرض المحشر كربلاء .

أقول : معنى انشقاق السماء انفطارها من المجرة ، لأنها هي شرج السماء وأمان لأهل الأرض فتنشق من المجرة وتكشط أي تزال بمعنى تبديلها فتكون وردة حمراء ، كلون الدهن الذي فيه شائبة حمرة أو كالأديم الأحر ، أو ذائبة كالدهن وطويت كطي الكتاب ويذهب بها والمراد من المذهوب به ظاهرها .

وكذلك نسف الجبال فإنه [فإنها] تكون هباء منثوراً [منبثاً] وتذهب وتمد الأرض أي تبسط للحساب لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً وتبدل السماوات بسماوات من ذهب والأرض بأرض من فضة وهي أرض لم يعص الله عليها وهي التي يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ووجهها خبزة تأكل بمنها الناس [الناس منها] حتى يفرغوا من الحساب لأنه سبحانه (**خلق ابن آدم أجوف لا بدّ له من الطعام**) ولما كانت السماوات ذائبة صافية وهي من ذهب مختلف كل سماء من لون ، كان أهل المحشر يرونها وردة حمراء كالدهان ولما كانت الأرض صافية شفافة وهي من فضة مختلفة فكل [كل] أرض من لون كان أهل المحشر يرونها كلون الخبزة النقية ، وأما أنّ أرض المحشر كربلاء فلأن الظاهر من الروايات ، أنّ المحشر ما بين كربلاء والشام بيت المقدس وما حوله وإنما خصّت كربلاء في بعض الروايات لأن ما سواها من الأجسام من أرض وغيرها تصفى وكربلاء أحبطت إلى الأرض صافية وترفع إلى الجنة بما فيها من غير تصفية إذ لا حاجة إلى تصفيتها وما ترى به في الدنيا من الكثافة فإنما هو من قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ فلو كشف للناس لرأوها صافية ولكن الله سبحانه يقول : ﴿ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴾ .

قال سلّمه الله تعالى : وما وجه (**تخففوا تلحقوا فإنما ينتظر بأولكم آخركم ؟**) .

أقول : معنى (**تخففوا**) أي تخففوا من الذنوب والتّبعات (**تلحقوا**) بالسابقين في درجات جوارهم ولا تسوفوا ولا تطيلوا آمالكم ظناً منكم ببعد يوم القيامة فإنها كلمح البصر ولولا أن يوم القيامة يوم الجمع بمعنى أن [أنه] يجمع الخلائق لكان ولكن ينتظر به لحوق الذين لم يلحقوا هذا ظاهره وتأويله (**فإنما ينتظر**) بمجازاة ما فعلتم من خير أو شر ما لم تفعلوا في مستقبل الأحوال فقد يفعل أعمالاً تكفّر سيئاته فلا يحاسب عليها وقد يعمل أعمالاً يستحق بها الخلود في النار فلا تنفعه أعماله التي عملها سابقاً .

قال سلّمه الله تعالى : وقول أمير المؤمنين عليه السلام لسلمان : (**أنا خازنها عليهم**) .

أقول : اعلم أن الولي المطلق قد جعلت عنده مفاتح [مفاتيح] الغيب لا يعلمها إلا هو فجميع خزائن الفضل والعدل بيد الولي فلا يدعو داع ولا يعي واع ولا يذود ذائد ولا يسبق رائد بإذن الولي فخذها قصيرة من طويلة .

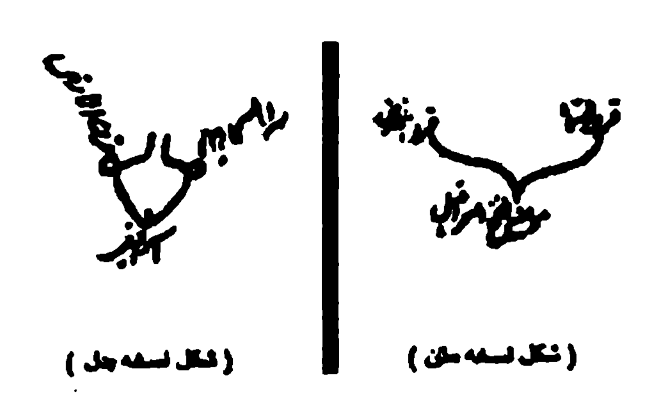
قال سلّمه الله تعالى [أيده الله تعالى] : وما الجمع بين ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ وبين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ .

أقول : معنى محجوبين عن ربهم أي عن ثوابه وعن جواره في دار كرامته ورضاه أو عن معرفة ربهم فإنها أعظم الثواب وأفضل اللذات وأوفر العطايا فلا يعرفه من يعصيه كما في الحديث القدسي ، (**إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم**) انتهى ،

أو يراد بربهم الولي فلا يوفّقوا لولايته التي هي الجنة ولا محبته التي هي الثواب الأعظم والنعيم الأكبر فيكون الرب هنا بمعنى الولي والمربي والصاحب ومعنى ﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا ﴾ إنك ساعٍ سعياً وعامل عملاً يسير بك إلى ربك فملاقي سعيك لأنه إنما يسعى في سعيه ويسير في عمله ، ومعنى ملاقيه أن الأشياء لها وجودان وجود تقوّمت به في أنفسها ذاتي لها ، ووجود صوري انتزاعي أو ذاتي على أحد الاحتمالين ، وهو زمام ذلك الذاتي فمن عمل بهذا الصوري حصل له الذاتي لأنه ثمن الذاتي ، فإذا كان يوم القيامة أتى الذاتي فينطبق عليه الصوري فيعرف أنه هو الذي عمله فهو معنى ملاقيه وإنما كان إلى ربه لأن كل سائر إنما يسير إلى الله من حيث يحب أو يكره وإلى الله المصير .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى رجوع الخلق إلى الله خصوصاً الكافر ؟ وما حقيقة الحشر الجسماني وما الدليل عليه ؟ و[وما] معنى الموت الطبيعي والفرق بينه وبين من يغتصب نفسه ونحوه ؟ .

أقول : معنى الرجوع إلى الله هو ما قلنا في ﴿ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ ، وأما حقيقة الحشر الجسماني فبيانه أن إسرافيل إذا نفخ نفخة الصعق فطايرت [تطايرت] الأرواح كلها من مات قبل ذلك ومن لم يمت ، وكان هيئة الصور [الصور هيئة] هكذا كما في الهامش :



وله قرن إلى الأرض وقرن إلى السماء وإسرافيل ينفخ عند النقطة التي في وسطه لأنّا وضعناها علامة لجهة النفخ والنفخة الأولى ، نفخة جذب فإذا نفخ تطايرت الأرواح [الأرواح إليه] وتقصد ثقبها لتدخل فيه ، وفيه ستة مخازن فتخلع في الأول صورتها وفي الثاني مادتها ، وفي الثالث نورها الأحمر وفي الرابع نورها الأخضر وفي الخامس نورها الأصفر وفي السادس نورها الأبيض ، وكل واحد من هذه الأركان الستة تعود إلى خزانتها عود مجاورة لا عود ممازجة ، وتبقى الأجزاء الأصلية في الأرض بعد فناء العوارض مثل سحالة الذهب في دكان الصائغ في قبره مستديرة وتبقى الأشياء ساكنة وسكن [تسكن] حركات الأفلاك ، ولم يوجد في الأرض ولا في السماء متحرك وذلك أربعمائة سنة فإذا أراد الله تجديد الخلق أمطر مطراً على الأرض من بحر صاد الذي تحت العرش ، حتى يكون الأرض كلها بحراً وتضربه الرياح وتعظم الأمواج وتجمع [تجتمع] طين الخلائق كل واحد في قبره وتنبت اللحوم بتلك الطين بفتح الياء ، حتى تتم الأجساد كأنه الساعة وضع في قبره فيبعث الله عزّ وجلّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ويأمر إسرافيل فينفخ في الصور نفخة دفع فتطاير [فتتطاير] الأرواح بعد تألفها إذ أول ما يخرج الركن الأبيض ، فيمرّ على الأصفر فيصحبه ثم على الأخضر فيصحبه وعلى الأحمر والمادة فيخرج فيدخل في جسدها فيتلازمان تلازم اشتياق واتفاق لا يفترقان أبداً .

وأما الدليل عليه فمن العقل والنقل ، أما العقل فلأن الدليل الدال [الكل] على حشر الأرواح دال على حشر الأجسام لأن الأجسام والأرواح شيء واحد أعلاه لطيف وهو الروح وأسفله

كثيف وهو الجسم فكما أن الأرواح تحشر لتجزى بأعمالها لأنها مختارة تحس بما تفعل ويفعل بها وكذلك الأجسام تحشر لتجزى بأعمالها لأنها مختارة تحس بما تفعل ، ويفعل بها إلّا أن إحساس الروح وإدراكها واختيارها أقوى من إحساس الأجسام وإدراكها واختيارها إذ الوجود شيء واحد مختار مشعر حساس دراك كالنور المنبعث من السراج كلّما قرب من السراج كان أقوى نوراً وحرارة ويبوسة كذلك الوجود بجميع مراتبه الثلاث ، عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الملك ، فالجبروت أقرب إلى المبدأ من الملكوت فيكون أشد وجوداً وشعوراً وإدراكاً واختياراً وكذلك مراتب أفراده ، والملكوت أشد من الملك وجوداً وشعوراً وإدراكاً واختياراً ومراتب أفراده مختلفة كذلك، والملك تختلف مراتبه فالنامي أقوى من المعدن وهو أقوى من الأرض .

وبالجملة إذا أذبت الجماد وحللته رجع إلى البساطة فهو وجود والمشخصات للأفراد والأنواع والأجناس ستة ، وواحد الوقت والمكان والجهة والرتبة والكم والكيف والواحد الماهية وهي تتشخص لتشخص [لتشخيص] فرد من الوجود أو نوع مثلاً بتلك المشخصات والمشخِّصات بكسر الخاء تتشخص في نفسها بالمشخَّصات بفتح الخاء من باب التضايف والمساوقة فلا يلزم الدور فكلّ مادته نفسه وماهيته وصورته انضياف الآخر إليه فافهم فإنه دقيق وكلّ هذه المشخّصات الستة والواحدة [الواحد] وجود والوجود بالتبعية وجود له شعور بالتبعية واختيار بالتبعية وإدراك بالتبعية .

والحاصل ليس في الوجود إعدام إنما الإعدام التي فيه وجود

ثاني وكل وجود ففيه الإحساس والإدراك والاختيار بالنسبة [بنسبته] فقد دلّ العقل بذلك على إعادة الأجسام لإيصال الثواب والعقاب إلى مستحقهما وهذا مما لا شك فيه .

وأمّا النقلي فالقرآن والأخبار والإجماع الضروري من المسلمين وسنكره كافر وهذا ظاهر .

وأما معنى الموت [موت] الطبيعي الظاهري فلأن الطبائع الأربع تعتور الإنسان وتختلف عليه وكلّما مرت عليه الأيام ضعفت تركبها [تركيبها] فيه وكلّما اختلفت تركبها [تركيبها] ، ضعف تعلّق الروح بها لأن الروح إنما تتعلق بهذا البدن مع سلامة الآلات فإذا اختلت الآلات ضعف التعلق وتحلل الآلات تدريجي فإذا كمل التحلل خرجت الروح ، فإن خرجت الروح والآلات تامة فذلك من غصبت نفسه فإن كان مقتولاً خرجت نفسه دفعة ، وإن مات فجأة خرجت بالتدريج ، ولكنها في مدة قليلة ويكون الموت أصعب من القتل فإن كان مؤمناً كان ذلك آخر ما يلقى من الشدة وإلا كان عقوبة مقدمة وأما الموت الطبيعي فتخرج الروح سهلة لضعف تعقلها [تعلقها] بالآلات شيئاً فشيئاً .

قال سلّمه الله تعالى : وما ماهية القبر وحقيقته ؟ وما معنى أن الروح ترد إلى الإنسان في قبره ، إلى حقويه ؟ وما الراجع وما المرجوع إليه ؟ وما ضغطة القبر ؟ وما معنى حضور أهل العصمة عليهم السلام عند القبور والاحتضار خصوصاً مع الكفار ؟ وكيف تتصل نفوس الكفار بالملائكة ؟ وما الفرق بين ملائكة الثواب والعقاب ؟ وكيف يغيب الإمام عليه السلام عن المؤمن بعد ظهوره له ؟ وكيف يظهر للكافر ؟ .

أقول : ماهية القبر محل سكنى الموتى ، وأول منزل من منازل الآخرة وأما في الظاهر فهو بيت الجسد وهو معروف ، وأما في التأويل فهو طبيعة الشخص وحياته وشهوته ، إن الله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ ، فقال تعالى : ﴿ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ .

وأما معنى أن الروح ترد إلى الإنسان إلخ ، فعلى ظاهره لكنها ليست في العالم الزماني السفلي ، بل في أعلى مراتب الزمان في هورقليا ، وإنما قلنا أعلى مراتب الزمان لأن هورقليا بين بين ، فقد يطلق عليه أعلى الزمان وقد يطلق عليه أسفل الدهر ، وهذا الإطلاق للمناسبة الصحيحة فإن النائم يكون منه الحركات الشديدة وجسده لا يتحرك وقد تحدث منه الحركة لقرب الجسم من الجسد فإن الإنسان إذا نام غرّدت روحه على غصن من دوحة المثال وتلك الدوحة مغروسة في الأجسام ، والأجسام متشخصة بالأجساد .

وأما الراجع فهو الروح في المثال والمرجوع إليه هو الجسم في الجسد .

وأما ضغطة القبر فحكمها حكم ما ذكرنا في رجوع الروح لأنّ كل عالم البرزخ وما يصير إليه هو منه وعلى الجسم تقع مع تعلق الروح به وقد تظهر في الجسد لمعجز ، وحضور أهل العصمة عليهم السلام في الاحتضار وفي القبر للمؤمن والكافر كل ذلك في ذلك العالم وإليه الإشارة بقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ ﴿ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾ وغير ذلك من الآيات والروايات بمعنى أن الملائكة لا تدرك لشخص في عالم الأجساد إلا إذا لبس الملك صورة الجسد كجبرئيل عليه

السلام في صورة دحية الكلبي ونزوله مع ميكائيل وكربيل إلى إبراهيم في البشرى ثم إلى لوط بهلاك [لهلاك] قومه وغير ذلك وكل نفس إنما تتصل بما يجانسها من الوسائط فأرواح المؤمنين تتصل بملائكة الثواب من جنود رضوان عند الاحتضار وعند الحساب ، وفي البرزخ ويوم القيامة وفي الدنيا وفي الجنة قال تعالى حكاية عن ملائكة الثواب : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾ الآية ، وأرواح الكفار تتصل بملائكة العقاب من جنود مالك عند الاحتضار ، وعند الحساب وفي البرزخ وفي الدنيا والآخرة على عكس المؤمنين ، وأما الفرق بين ملائكة الثواب وملائكة العقاب ، أن الوجود إذا تحققته وجدته ذاتيًّا وتبعياً ، والمراد بالوجود التبعي الوجود المتحقق الذي يكون إحداثه بإحداث الذاتي ، والمراد هو الذاتي والتبعي ليس مراداً لذاته ، وإنما أريد لتمام الذاتي فهما يظهران معاً وإن كان الذاتي متقدماً ذاتاً والعرضي الذي هو التبعي ذاتي في رتبته ولهذا قال : (**وكِلْتا يديه يمين**) بعد قوله : (**بيمينه وبشماله**) ثم إذا نظرت بالتزييل الحقيقي رأيت الوجود ينقسم إلى ذرات هي ملائكة فملائكة اليمين الذاتي ملائكة الثواب ، وملائكة الشمال العرضي ملائكة العقاب فالأول وجود الفضل والثاني وجود العدل ، ﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾ واعلم أن الإمام عليه السلام للكافر فإنما يظهر له بظاهره لأن باطنه للمؤمن فيه الرحمة وهي الولاية والمحبة وظاهره من قِبَله العذاب للكفار [للكافر] وظاهره براءة وعداوة فبهذا يظهر فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى تعاقب الملائكة على الإنسان بالليل والنهار؟ وما معنى قول من يريد الخلاء : أميطا عني ؟ .

أقول : إن النور كل جزء منه يحمله ملك والملائكة الحاملون لنور النهار المنبثون في ضيائه هم ملائكة النهار والظلمة كذلك ، والحاملون لظلمة الليل المنبثون في ظلمته هم ملائكة الليل فهم يسيرون مع النور والظلمة في سير الفلك ومن كل من النوعين حفظة أعمال تكتب ملائكة النهار أعمال العباد في النهار ، وملائكة الليل يكتبون أعمال العباد في الليل ويجتمعون ما بين طلوع الفجر الصادق إلى الأسفار فإذا امتد الضياء أي [إلى] الأفق الغربي ارتفعت ملائكة الليل ، فإذا زالت الحمرة المشرقية وتجاوزت قمة الرأس إلى جهة المغرب نزلت ملائكة الليل ومنهم حفظة الأبدان والأرواح عن الضربة والسقطة حتى ينزل القدر فيخلّون بينهم وبين القدر ومنهم حفظة الأسباب ومنهم حفظة القوى ، ومنهم حفظة الآجال والمدد والأرزاق والأعمار وهم أهل ألواح المحور والإثبات قال تعالى : ﴿ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤ ﴾ وقال تعالى : ﴿ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ۝١٠ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ﴾ وأما قول علي عليه السلام للملكين الكاتبين إذا أرادا الخلاء : (**أميطا عني ولكما علي أن لا أحدث ما يسخط الله**) ، فهو على ظاهره لأنه عليه السلام بجسمه من [مع] الملائكة بل لو قلت بجسده في وجود واحد يعني في كون واحد من الرتب لكنت صادقاً فلا يجب أن يشرف عليه في خلائه ناظر فيأمرهما فيميطان عنه وهذا يجري له ولأهل بيته الطيبين ولا يجري لسائر الناس .

قال سلّمه الله تعالى : وهل غير البشر من الجن والحيوان يحشر [يحشر ويثاب] أو يعاقب أم لا مع أنه لا موات في العالم فإن كان الأول فما ثوابها ؟ .

أقول : كل مخلوق يحشر لأن كل مخلوق مكلف من حيوان وجماد نام وغيره قال سبحانه : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ فاعلم أن الوجود كله من نوع واحد كما أن النور المنبعث من السراج من نوع واحد إلا أنه كلّما قرب من السراج كان أقوى وأضوأ ، كذلك الوجود يعني إحساساً وإدراكاً والتكليف على قدر الشعور والثواب والعقاب على قدر الشعور فكل شيء من الموجودات مكلف ومحشور ويثاب ويعاقب ولكن الثواب والعقاب على قدر شعور المكلف في الكم والكيف والبقاء والانقضاء فما كان حقيقة [حقيقته] دائمة كان ثوابه وعقابه دائماً ومن ينقطع عقابه يكون مثاباً للأفضل فإنما ينقطع [للأفضل ومن ينقطع] ثوابه فإنما ينقطع بالاستحقاق ويتصل به ثواب الفضل وهو لا ينقطع أبداً وأما ما تفنى موته كالجماد والنبات وسائر الحيوانات غير الإنس والجان فإنما تفنى مدته عند الخلق وحينئذ يفنى ثوابه وعقابه عند الخلق ، وبالجملة هنا حرف لا صلاح في بيانه والفائدة في جواب السؤال وهو أنّ كل متحرك وساكن فهو يحشر ، والآيات والروايات في بيان ذلك لا تحصى في الحيوانات وغيرها ففيها ، (**افتخرت زمزم فأجرى الله فيها عيناً من صبر ، وافتخرت أرض الكعبة على سائر البقاع أو على كربلاء فأوحى الله إليها اسكني وعزتي وجلالي لولا كربلاء لما خلقتك**) ومثله ما ورد من (**أن التمرة إذا تركت الذكر**

ذلك اليوم أرسل الله عليها ملكاً فضربها بمنقاره فكانت رماداً) ، ومثل البقاع السبخة بتركها الولاية والعذبة بقبولها الولاية نقلت ذلك بالمعنى والأحاديث ، في ذلك لا تحصى وثواب كل شيء بصفوة وجوده بمعنى أنه يثاب بملاءمة [بما يلائمه] أعلى مراتب الملاءمة في حقه على قدر طاعته فعلاً واستعداداً ويعاقب بما ينافر وجوده بقدر عصيانه فعلاً واستعداداً .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى النفخ في الصور ؟ وما الفرق بين النفختين ؟ وما معنى أن الأولى تنزع الأرواح من الأجسام والصور البرزخية ؟ وما المنتزع وما المنتزع منه ؟ وما معنى موت الملائكة وسكان السماوات بها وما معنى حياتهم بالثانية ؟ وما معنى موت الموت وذبحه في صورة كبش أملح ؟ وما معنى أن جهنم يؤتى بها في صورة بعير ؟ .

أقول : إن النفخ عبارة عن جذب لطيف أو دفعه بلطيف مثله في اللطافة والخفة وغير ذلك ، ولهذا قال الباقر عليه السلام لمحمد بن مسلم لما سأله عن قوله تعالى : ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ فقال له : ما هذا النفخ ؟ قال عليه السلام : (**إن الروح مجانس للريح**) فافهم الإشارة ، ونفخ إسرافيل عليه السلام في الصور للصعق هو جذب الأرواح بما يناسبها من نَفَس الحياة بفتح الفاء وهو المشار إليه في كلام الحسن بن علي عليهما السلام في تفسير ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾ ما معناه على بعض الروايات ، (**إذا أراد الله موته أمر الروح فجذبت الروح وأمر الروح فجذبت الريح فمات وإذا أراد رجوعه إلى الدنيا أمر الريح فجذبت الروح وأمر الروح فجذبت الروح**) ، ومثل معناه ما رواه العياشي عن الباقر عليه

السلام قال : (**ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء وبقيت روحه في بدنه وصار بينهما سبب كشعاع الشمس فإن [فإذا] أذن الله في قبض الروح أجابت الروح النفس وإن أذن الله في رد الروح [الروح أجابت النفس الروح]**) ، وهذا الجذب وهذه الإجابة مثل جذب نفخة الصور وإجابة الأرواح وهو مثل جذب المغناطيس للحديد ونفخة البعث والحياة نفخ دفع واستدعاء من الأرواح ، حين النفخ وإجابة من إسرافيل وقد تقدم بيان لهذه المسألة ، والأولى تنزع الأرواح من الأجسام مع الصورة [الصور] البرزخية فإذا وصلت إلى الصور دخلت في بيوتها الستة من ذلك الثقب المختص بها فيأخذ البيت الأول ، صورته البرزخية ، والثاني يأخذ المادة المجردة ، والثالث يأخذ الركن الأحمر وهو الأسفل الأيسر ، والرابع يأخذ الركن وهو الأعلى الأيسر ، والخامس يأخذ الركن الأصفر وهو الأيمن الأسفل ، والسادس يأخذ الركن الأبيض وهو الأيمن الأعلى ، ويكون بين النفختين أربعمائة سنة وروي أربعين سنة وهذا موافق لروايات [لرواية] العامة فهو محمول على التقية أو على أن كل سنة عشر سنين كسنيّ الرجعة وإذا أراد الله تجديد الخلق أحيى إسرافيل عليه السلام ونفخ في الصور نفخ الدفع وهو النفخ المعروف ، فإذا نفخ خرج الركن الأبيض لأن النفخ يمر عليه أولاً فيدفعه إلى الأصفر فيتركب معه بالطول ويدفعهما إلى الأخضر فيتركب معهما بالعرض ، ويدفعها إلى الأحمر فيتركب مع الأخضر بالطول ومع الأولين بالعرض ، ويدفعها إلى المادة وتمازجها وتدفعها إلى الصورة التي هو المثال فتقوم معلنة بالثناء على الحي القيوم ويدفعها وتقصد جسمها في قبره فتدخل فيه

فيتلازمان تلازم اشتياق ووفاق ، والمنتزع بالنفخة الأولى من الأجسام الروح المتركبة من الستة الأشياء المذكورة والأجسام هي المنتزع منه ، والمنتزع من الأرواح هذه الستة من كل واحد فينتزع الخمسة من المثال والأربعة من المادة والثلاثة من الطبيعة والاثنين من النفس والعقل من الروح .

وأما معنى موت الملائكة فالعقليون بانتزاع الوجود من الماهية والروحانيون بانتزاع المعنى من الرقيقة ، والنفسانيّون بانتزاع الرقيقة بما فيها من الصورة ، والطبيعيون بانتزاع مشاعر الملك الثلاثة من طبيعته [طبيعيته] ، والماديون بانتزاع الطبيعة بما فيها من ماديته ، والمثاليون بانتزاع المادة بما فيها من مثاليته ، والجسمانيون بانتزاع المثال مع ما فيه من جسمانيته كهيئة موت الإنسان ، وهكذا سائر مراتب الملائكة ومعنى حياتهم رجوع ما انتزع فيما انتزع منه .

وأما موت الموت فهو عبارة عن فنائه .

وأما ذبحه فإنه إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار مثل لأهل الجنة ، وأهل النار الموت في صورة كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال : يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت ، فهناك يشتد سرور أهل الجنة وحزن أهل النار ، وأما كون الموت المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ﴾ وهو الذي يذبح بين الجنة والنار في صورة كبش فالذي يظهر لي أن ذلك كناية عن احتقاره وضعفه إظهاراً للعظمة والقهر أن الذبح كذلك كما في قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ ، وإنما خص بالذبح دون الموت والفناء لأن الموت ليس فيه ما في الذبح لأن الموت

إنما يكون لذي الروح ولا يلزم منه عدم إيجاده مرة ثانية لعدم ظهور القهر الدال على إرادة عدمه أبداً والذبح أبلغ في هدم البنية وقد يستعمل في غير ذات الروح لاحتمال ذلك في الموت لأنه أمر نسبي ووجود ارتباطي ، وأما الفناء فهو وإن كان أبلغ من الذبح لكن يتوهم فيه الغيبوبة التي يظن منها العود لعدم ظهور القهر فيه .

وأما كونه أملح فلأن الموت هو الحائل بين الوجود والعدم والوجود بياض والعدم سواد وأملح هو الذي فيه بياض وسواد ، فلأجل كونه نسبة بينهما كان أملح وليس هذا معنى الكبش الأملح في فداء النبيّ صلى الله عليه وآله إسماعيل ، وفي عقيقة الحسن والحسين عليهما السلام ، وإن كان معنى أملح كذلك لأجل اختلاط النور والظلمة إلا أن ذلك من معنى آخر لأن البياض من الحق والنور والسواد من الباطل والظلمة أما النور والحق فمن شأنهما وفعلهما عليهما السلام .

وأما الظلمة والباطل فيما يجري عليهما من الظالمين وحالهما من الحالتين بياض وسواد فناسب أن يعق عنهما بكبش أملح كما ناسب أن يكون قصر الحسن عليه السلام في الجنة من زمردة خضراء كلون السم ، وقصر الحسين عليه السلام في الجنة من ياقوتة حمراء لحمرة دمه عليه السلام ، ولصبره ، وكبش إسماعيل هو من مظاهر الحسين عليه السلام ، لأن إبراهيم عليه السلام أحب أن يكون ابنه فداء للحسن عليه السلام ولكن الحسين عليه السلام كان فداء له ولشيعته [للشيعة] فكان السبق له عليه السلام فكانت صورة المذبوح كبشاً ، وأما اللون فمن لون الفجر لأنه أبيض مشوب بالسواد وهو قوله تعالى : ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ

كَانَ مَشْهُودًا ﴾ والفجر هو الحسين عليه السلام الذي كشف ظلمة الشبهة التي دخلت على الشيعة بمصالحة الحسن عليه السلام لمعاوية قال الصادق عليه السلام ما معناه : (**سورة الفجر سورة الحسين عليه السلام فمن داوم عليهما في فرائضه ونوافله حشره الله مع الحسين عليه السلام**) .

وأما معنى أن جهنم يؤتى بها في صورة بعير فهو أن أحوال الآخرة كلها حية لا موات فيها قال تعالى : ﴿ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِيَ ٱلْحَيَوَانُ ﴾ فإذا أريد الإتيان بها لا بدّ أن تكون في صورة حيوان ، وإذا كان كذلك فأولى أن تكون بعيراً لما بينهما من صورة المناسبة فإن البعير إذا هاج يكون في حال عجيبة لا يهاب شيئاً وتكون رؤيته حال هيجانه مهيبة جداً فناسب أن تكون جهنم كذلك وإن كانت جهنم أشد من البعير شدة لا تكاد تنضبط لكنها على هيئة هيجان البعير الذي يعرفونه الناس مع زيادة عظمة وهول لا يكاد يتناهى فيأتون بها إلى أرض المحشر تقودها الملائكة بسبعين ألف زمام في كل زمام سبعون ألف حلقة كل حلقة يمسكها ألف ملك ، ولكنها صورة صفة لا صورة مقدار ولهذا تكون محيطة بأهل الجمع مثل الحلقة تتضايق عليهم وتسوقهم إلى أرض المحشر فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعاً والحجب السبعين أو السبعين ألفاً وخصوصية العدد ؟ .

أقول : السلسلة المذكورة سبعون ذراعاً بذراع إبليس ، وأن الذي نزل فيه : ﴿ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ ، هو الرابع والأخبار بينت حكمها فعن الباقر عليه السلام قال : (**كنت خلف**

أبي وهو على بغلته فنفرت بغلته فإذا شيخ في عنقه سلسلة ورجل يتبعه فقال : يا علي بن الحسين عليهما السلام اسقني فقال الرجل : لا تسقه لا سقاه الله قال وكان الشيخ الرابع) ، وعنه عليه السلام أنه نزل وادي ضجنان فقال ثلاث مرات : (**لا غفر الله لك**) ، ثم قال لأصحابه : (**أتدرون لِمَ قلت ما قلت ؟**) فقالوا : لِمَ قلت جعلنا الله فداك ؟ قال : (**مرّ بي فلان بن فلان أبي فلان يجر في سلسلة قد دلى لسانه يسألني أن أستغفر له وإنه ليقال : إن هذا وادٍ من أودية جهنم**) وهذه السلسلة في التأويل كما قلنا سبعون ذراعاً ثلاثون ذراعاً من الشجرة الملعونة في القرآن ، وأربعون من الخلفاء الذين بعدهم من ولد سابع والجميع سبعون ذراعاً بذراع إبليس لأن هؤلاء ذريته وهم شياطين الإنس والسلسلة التي في عنق الرابع التي يجر بها لأنه ذراع منها تظهر سلسلة من حديد الذي مسخ من العذاب ، الذي نزّل على قوم يونس فلما آمنوا كشف عنهم عن الصادق عليه السلام ، (**لو أنّ حلقة واحدة من السلسلة التي طولها سبعون ذراعاً وضعت على الدنيا لذابت الدنيا من حرّها**) ، وهذه صفة تلك لعنهم الله ، وأما الحجب فإنها سبعة وسبعون ألفاً وسبعمائة ألف والحجاب الأكبر هو الستر وهو برزخ البرازخ واثنان وهما فعله و (**ومفعوله وثلاثة وهي فعله و**) صفته واسمه وأربعة النور الأبيض والنور الأصفر والنور الأخضر والنور الأحمر ، وبالجملة فالحجب كثيرة جداً وقد ذكرت الحجب التي بين العارف وبين مطلوبه في أجوبة مسائل الميرزا جعفر ، النواب اليزدي وأشرت إلى أسماء ثمانية منها ، والتاسع الأعظم فمن أراد ذلك طلبه هناك ، وأما وجه خصوص العدد فقد ذكرته في أجوبة مسائل

أهل أصفهان والإشارة إلى ذلك بكلام مختصر أن الشيء المكوّن لا يكون إلا ذا سبعة وإن كان في كل شيء بحسبه مثلث الكيان مربع الكيفية ، لأن السبعة هي العدد الكامل وإنما كانت كذلك لذلك ولأنها جمعت أول عدد فرد وهو الثلاثة وأول زوج وهو الأربعة فالثلاثة الكيان [للكيان] عقل [روح] ونفس وجسم والأربعة حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة وهذا جار حتى في العقل إلا أنه في كل شيء بحسبه وهذه السبعة هي مراتب الأصول فإذا أريد بها الفروع كالمسببات والآثار نقلت صورة العدد إلى الرتبة الثانية إشارة إلى أن المعلول ليس في رتبة علته وإنما هو في رتبة بعدها فيكون سبعين ولمّا كان الأثر والمعلول ليس جزءاً من المؤثر والعلة وإنما يكون السبعون ذلك المسبع رتباً ، آخرها الأثر المعلول فيكون واحداً من سبعين ، فالسبعون مراتب لذي السبعة ومظاهر له والسبعمائة للسبعين ، والسبعة آلالاف للسبعمائة والسبعين الألف للسبعة آلاف بهذه النسبة هذا أصل علة خصوص العدد ، وأما غيره فنقول : إن السبعة عدد كامل وكذا السبعون وما زاد عليه والكامل باعتبار الإطلاق والاستعمال يدل على إرادة دخول غيره فيه من حيث الأكملية وإن كان أكثر فيراد بالسبعين مجرد الكثرة لا خصوص العدد فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى كون الصراط أدق من الشعر وأحدّ من السيف ؟ .

أقول : اعلم أنّ الصراط المستقيم وهو طريق الله إلى خلقه وطريق خلقه إليه فيطلق ويراد به الإمام عليه السلام وقد يراد به ولايته الخاصة ، وقد يراد به الولاية العامة ، وقد يراد به ظواهر

التكاليف ، وقد يراد به بواطنها ، وقد يراد به معرفة النفس أو النفس وروي عن الصادق عليه السلام ، (**إن الصورة الإنسانية هي الصراط المستقيم إلى كل خير والجسر الممدود بين الجنة والنار**) ، فإن أريد به طريق الله إلى خلقه فالمراد به وجودهم التكويني والتشريعي وليس وجودهم من حيث هو صراطاً وإن صدق عليه ببعض التوجيهات بل من حيث هو نور الله (**كما قال**) عليه السلام : (**اتقوا من فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله**) ، وهو أبداً قائم بفعل ربه قيام صدور وتحقق أي طري أبداً وكونه طريقاً للخلق إلى الله أن استمداد وجودهم التكويني والتشريعي باستعداداتهم الأولية والعقلية والنفسانية والمثالية والجسمية والبشرية وبالمشاعر الأولية والعقلية والخيالية والفكرية وبالميلي الأولي ، الجزئي والتركيبي وبهيئاته وأوضاعه وأقواله وأعماله وحركاته وسكناته وخطراته ونسبه وإضافاته وكلّ ما منه وبه وله وإليه كل ذلك بتلك الاستعدادات والقابليات و[هو] طريقهم في ذلك التكويني والتشريعي إلى الله سبحانه وذلك هو ظهوره لهم بهم وإن أريد به الإمام عليه السلام فهو محل فعل الله والخلق آثار الفعل بشرطه أي عضده لهم في الظهور وعضدهم له في الاستظهار .

فطريق الآثار في الاستمداد وطريق الفعل في الإمداد هو الإمام عليه السلام وإن أريد به ولاية الإمام الخاصة التي هي المحبة والإيمان بأنه الإمام المفترض الطاعة الذي لا يقبل الله الأعمال إلا بحبه التام المشتمل على إثباته ونفي ما سواه فذلك صراط الله إليهم في التكليف وصراطهم إليه في القبول وإن أريد به الولاية العامة فهو الوجود المطلق الذي به الوجود المقيد ولا شك [لا شك في]

أنه أشد الأشياء استدارة على ربه فهو الذي خلقه بنفسه وهو الصراط الكلي الأول وليس صراط أدق منه ولا أحد منه وفيه عقبات كؤود لا يقطعها بسهولة إلا محمد وأهل بيته الطاهرين [الطاهرون] عليه وعليهم السلام وفيه عقبات يقف عندها كثير من آل محمد صلوات الله عليه وعليهم وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وآله : (**يا علي لا يعرفك إلا الله وأنا ولا يعرفني إلا الله وأنت ولا يعرف الله إلا أنا وأنت**) ، وإن أريد به ظواهر التكاليف فأنت تجد من نفسك أنك لا تقدر على أداء ركعتين من الصلاة تحفظ فيهما قلبك ، وإن أريد به بواطنه فأعظم وأعظم لأنه مرآة الوجود وشرح الوجود وإن أريد به معرفة الله التي هي كشف سبحات الجلال من غير إشارة بأن تخرق جميع الحجب وتكشفها .

ثم تكشف الحجاب الأكبر وتخرقه الذي هو وجودك بأن تراه به صادراً عن فعل الله حين الصدور بالفعل لا بالتصور فيلتبس عليك بوجه من وجوهه وبيانه أنك لا تراك مدركاً فهو أشد معتركاً وأصعب مسلكاً وإن أريد به معرفة النفس فهو أن تمحو الموهوم ليصحو المعلوم ، وإن أريد به النفس فهو معنى قول علي عليه السلام : (**لا تحيط به الأوهام بل تجلّى لها بها وبها ، امتنع منها**) وهذه الثلاثة الأخيرة متلازمة والبيان فيها واحد ، والمراد من كون ذلك صراط هو ما ذكرناه قبل ، وأنت إذا نظرت إلى هذه رأيتها أدق من الشعرة فهي عند النظر تمور موراً وتضطرب وتموج موجاً وأحدّ من السيف تشق قدم البصيرة وتفرقه وإن كان مجتمعاً وهو المراد من أنه أحدّ من السيف وإن أريد به الجسر الممدود على النار طريقاً إلى الجنة الذي يصعدونه ألف سنة وامتداده ألف سنة

وينزلون منه ألف سنة فهو إنما كان أحدّ من السيف وأدق من الشعرة لأنه عبارة عن تلك المذكورات إذ هو وجود من وجوداتها فمن مرّ على تلك مرّ على هذا ، ومن لم يمرّ هناك لم يمرّ هنا لأن المعارف الحقة صعبة المنال قل من يمرّ على صراطها المستقيم كمعرفة النفس ومعرفة المنزلة بين المنزلتين في القدر ومعرفة الطينة وإثبات الاختيار لجميع الخلق ومعلومية الخلق لله سبحانه وما أشبه ذلك مما اضطربت فيها الأنظار وتحيرت فيها الأفكار ، فإن مثل هذه أدق من الشعرة في صغرها وأشد اضطراباً وتموجاً منها وأحدّ من السيف أي تفرق القلب المجتمع وتشقه كحدّ السيف فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى (**حسين مني وأنا من حسين عايه السلام**) ولِمَ اختص الحسين عليه السلام بالقيام دون من قبله ومن بعده ؟ وما معنى (**كلنا محمد**) ؟ .

أقول : الظاهر أن معنى (**حسين مني**) أن الحسين عليه السلام من محمد صلى الله عليه وآله كالضوء من الضوء وكبدل الكل من الكل ، أو كالولد من الأب وهذا في أمر الوجود ، وأما معنى (**أنا من حسين**) فيحتمل أنهم لما كانوا من نور واحد ثم قسموا صدق [صدق على] أن كل واحد من الآخر ، ويحتمل أن يكون وجود كل واحد سبباً لوجود الآخر ومركباً منه ومتوقفاً عليه توقف معية وتضايف فتركب وجوده العيني من وجوده ومن وجود ما توقف عليه فيصدق على كل واحد أنه من الآخر ويحتمل أن يكون في باب الشهادة أنه من الحسين عليه السلام ، لأن الحسين عليه السلام [السلم هو] سيد الشهداء فكل شهيد فهو من ذرية الحسين عليه السلام وإلى ذلك الإشارة بقول الصادق عليه السلام ما معناه : (**إنه**

يكون اثنا عشر إماماً واثنا عشر مهدياً والقائم عليه السلام آخر الأئمة وأول المهديين وكلهم من ذرية الحسين عليه السلام) ، وقد أشرت إلى هذا المعنى في قصيدة رثيت بها الحسين عليه السلام قلت فيها :

لـــذاك كـــان أبـــوه مـــع أخـــيـــه كـــذا
بـــنـــوه مـــن نـــســلـــه حـــقـــاً وهـــابـــيـــل

ولأجل هذا قال ما قال صلى الله عليه وآله وإنما اختص الحسين عليه السلام بالقيام والجهاد في هذه [هذه الدنيا] تبياناً للموافاة التي عاهد عليها في عالم الذر بأنه اشترى شيعته من النار بقتله وسبي نسائه ، ولهذا قام بالجهاد وإنما اشترى شيعته من دون سائر الأئمة عليهم السلام لمقتضى طبيعته للخشوع والخضوع المستلزم لجليل البلايا والرزايا ولهذا جرى خطاب الحضرة الإلٰهية[1] ، في ذكر شأن الحسين عليه السلام بنوع الشكاية والانكسار لأن ذكر الشيء من العليم الحكيم من نوع طبيعته وهو شأن القضاء المبرم والعلم المتقن فافهم .

(١) هو : المراد من خطاب الحضرة الإلهية لعله من نحو قوله تعالى خطاباً إلى آدم عليه السلام (**ولذلك هذا يصاب بمصيبة تصغر عندها المصائب لو تراه يا آدم وهو يقول واعطشاه واقلة ناصراه حتى يحول العطش بينه وبين السماء كالدخان فلا يجبه أحد إلا بالسيوف وشرب الحتوف**) الحديث ، اللهمَّ العن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وآخر تابع له على ذلك ، اللهمَّ العن العصابة التي جاهدت الحسين ، اللهمّ اجعلنا من خالصي ناصريه الطالبين بثأره مع وليه الغائب المنتظر صلوات الله عليهم ، وأنا العبد زين العابدين بن كريم (أعلى الله مقامه) .

وأما معنى (**كلنا محمد**) فهذا يشير به إلى استفسار قولهم عليهم السلام: (**أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد وكلنا محمد**) والإشكال في (**كلنا محمد**)، ولهذا ذكره وبيانه أنهم باعتبار نوع النور والولاية المطلقة والرد إليهم والإفاضة عنهم واحتياج الخلق في البدء إليهم والعود إليهم، ووجوب الطاعة وغير ذلك هم محمد صلّى الله عليهم (**لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون**)، ووجه آخر أن كل واحد منا اسمه محمد لما روي أنهم إذا أتاهم ولد سموه محمداً وبعد السبعة الأيام يغيرون اسمه إن شاؤوا فلا يبعد إرادة هذا المعنى مع ذلك المعنى وإن كان الأول هو المقصود لكن مع الثاني ينطبق الظاهر على الباطن.

قال سلّمه الله تعالى: وما معنى الأمانة التي اختص بها الإنسان فإن كانت التكاليف الشرعية أو الولاية فما وجه تفسير الإنسان بالأول؟ وكيف يختص الإنسان والجن مشاركوه في ذلك وما معنى كونها أمانة؟.

أقول: الأمانة هي الولاية الخاصة أو [و] العامة أو التكاليف الشرعية من المعارف والأعمال والأقوال والأحوال أو المحبة لعلي وأهل بيته عليهم السلام أو بغضه أو [و] بغضهم وعداوتهم، فعلى الأول والثاني، وقد مرّ الإشارة إلى تعريفهما يكون المعنى، إنا أمرناهم وكلفناهم بذلك فقبلوا ولم يعملوا بل تركوا وأهملوا كما قال سبحانه: ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾، فمعنى (**حملها**) يعني تعهد بالقيام بها ولم يقم بها بخلاف السماوات والأرض والجبال فإنهن استقلن من حملها ومثل ذلك التكاليف

والمعارف والأعمال وغيرها وكذا المحبة ، ويحتمل أن المراد بحملها دعوى ذلك لا حمله أو تمني ذلك وليس بأهل ذلك كتمني منزلتهم عليهم السلام من الإنسان الخاص أو أعم أو انتصابه منصبهم فإن الله سبحانه لما خلق الأشياء خلق لكل شيء ضدًّا فلمّا خلقهم عليهم السلام وخلق لهم منصبهم فهم يتمنونه بحق وضدهم يتمنى منصبهم بباطل فيقعدون في ضد منصبهم وهم لا يعلمون وذلك لهم لا لغيرهم ، وقد جعل الله ذلك أمانة يجب على كل مخلوق إن تمكن من شيء من ذلك من منصب أو تمنى رتبة [رتبة أو دعوى ذلك] أو دعوى شيء مما لهم عليهم السلام أن يؤديه إليهم عليهم السلام فلو خطر بباله شيء من ذلك أن يصرفه إلى أهله قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ وقال : [عن] الرضا عليه السلام : (**الأمانة الولاية من ادعاها بغير حق كفر**) .

وفي المعاني (**الأمانة الولاية والإنسان أبو الشرور المنافق وهو الثاني**) .

وفي البصائر ما معناه (**أبين أن يحملنها كفراً**) أي حمل الإنسان الكفر بها ويدخل في ذلك المعنى بالعرض تمني آدم عليه السلام وحواء ذلك وهو الأكل من الشجرة لأنه ليس الأمانة وإنما يلزمه [يلزم] منه ولو كان الأكل هو نفس المنزلة لكان ادعاء ، ولو كان كذلك لكفر آدم وحواء وإن أريد به التكاليف فلا يراد بالإنسان الخاص بل العام ، وإن فسّر بالخاص فيراد أنه أصل كل قصور وتقصير وإغواء وضلالة وما سواه تابع له ، وإن فسرت الأمانة ببغض علي وأهل بيته عليهم السلام فتفسير الإنسان بالخاص

ظاهر ، وإنما أريد بالأمانة البغض لعلي عليه السلام لأن الله تعالى لما خلق حبه عليه السلام حمله المؤمنون وخلق ضده وهو بغضه ولا بدّ أن يكون له حامل فعرضه على السماوات والأرض والجبال فأبَيْن أن يحملنه وأشفقن منه ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ والإنسان في كل ذلك يختص بأولية ذلك وأصالته والجن تابعون فلذلك ذكر المتأصل .

قال سلّمه الله تعالى : وما الدليل على أن نوحاً عليه السلام أفضل أولي العزم الأربعة ثم إبراهيم عليه السلام إلخ ؟ وكيف تنسخ شريعة الأفضل شريعة الفاضل ؟ بل كيف يأتي الفاضل ويظهر بعد الأفضل ؟ .

أقول : اعلم أن المشهور عندنا أن إبراهيم أفضل الأربعة ، وظواهر الأخبار أكثرها دال على ذلك ثم نوح ثم موسى ثم عيسى عليهم السلام ، وقال بعض أصحابنا بأفضلية نوح عليه السلام ثم إبراهيم ثم موسى عليهم السلام وهذا الذي يقوى في نظري والدليل على ذلك من أمور :

الأول : أنه قدّمه الله سبحانه في الذكر في مقام لوحظ فيه ترتيب الأفضلية قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ ووجه الاستدلال أنه ذكر النبيين وقد دخل هؤلاء فيهم وإنما أبانهم وخصصهم بالذكر لتفضيلهم وزيادة الاعتناء بهم ، فلمّا اقتضى المقام التفضيل لوحظ فيه الترتيب ولأن ذلك هو المتبادر عند الإطلاق في مقام التفضيل ، ولهذا قدم ذكر محمد صلى الله عليه وآله ولو لوحظ التقديم للتقدم الزماني لما قدم ذكر نبيّنا صلى الله عليه وآله والتقديم في مقام التفضيل ولا

قرينة تدل على شيء يصرف عن الترتيب يدل على الترتيب في الفضل وكل من له بصيرة بالعربية يقول بهذا .

الثاني : أن الله سبحانه أتاه خمسة عشر حرفاً من الاسم الأعظم وإبراهيم ثمانية وموسى أربعة وعيسى اثنين وهو يدل على الأفضلية .

الثالث : أن رسالته عامة وليس في الأنبياء من رسالته عامة إلا محمد صلى الله عليه وآله ونوح عليه السلام ، وأما إبراهيم عليه السلام ففي الخبر (**إنما أرسل إلى قرية فيها أربعون بيتاً**) ولا ينافي هذا كون شريعة إبراهيم عليه السلام ناسخة لشريعة نوح عليه السلام وتأتي الإشارة إلى ذلك .

الرابع : من قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴾ وقد أجمع المسلمون من الفريقين أن إبراهيم عليه السلام أفضل من موسى وعيسى عليهما السلام فإذا ثبت أن إبراهيم الذي هو أفضل من موسى وعيسى من شيعة نوح عليه السلام ، ولا شك أنّ الذي من الشيعة مفضول وإمامه أفضل منه وبهذا يندفع ما ورد من الأحاديث المتكثرة على علوّ رتبة إبراهيم عليه السلام بأن يقال : قل ما شئت في شأن إبراهيم فإنه من شيعة نوح بنص الكتاب بكل معنى فسّرت المشايعة ، وأما قوله : وكيف تنسخ شريعة الأفضل بفتح شريعة مفعول تنسخ شريعة الفاضل بضم شريعة الثانية فاعل تنسخ مؤخر .

فاعلم أن النسخ لا تعلق له بمقام التفضيل لأن النسخ إنما يكون عند انقضاء مدة الحكم وإذا كان في الشريعة الناسخة أحكام متجددة لم يكن [لم تكن] فيما قبلها أو مغيرة فهو لاختلاف الموضوع في نفسه وفي زمانه وعوارضه فيختلق الحكم كما قيل :

إنما أمر الله سبحانه بني إسرائيل بقرض لحومهم إذا أصابها البول لأن جلودهم بالية كالأعقاب فإذا قطع منها شيء لا يحصل منه ضرر ولا يخرج منه دم ، ولما كانت هذه الأمّة جلودها طرية بحيث لو قطعت حصل منه الضرر العظيم ومنه يخرج الدم المنجس أمروا بالتطهير بالماء ، والله رؤوف بالعباد فكان على هذا تغيير الحكم لاختلاف الموضوع ولا ينافي ذلك [وذلك لا ينافي] الفاضلية أو [و] الأفضلية وعلى مثله جرى تأويل قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ وأما أنه كيف يأتي الفاضل بعد الأفضل فلا إشكال في هذا لأن تقدم الأفضل وتأخره وتوسطه لا يناط به عظيم أمر لأن مراتب الوجود [الوجود كل مرتبة] تحصل عند تمام قابليتها ولا ضابط لذلك نعم الأمر الطبيعي يقتضي طريقين :

أحدهما : أن يكون الأفضل أولاً والمفضول أخيراً والثاني : أن يكون الأفضل أولاً وآخراً لاختلاف قوابل مراتب الوجود .

قال سلّمه الله تعالى : وما الوجه في عموم الطوفان لأهل الأرض حتى الدواب دون سائر [سائر أمم] الأنبياء ؟ .

أقول : إن الوجه في عموم الطوفان هو أن النبيّ نوحاً عليه السلام كانت نبوّته عامة لجميع أهل الأرض بخلاف سائر الأنبياء عليهم السلام فإن أفضلهم إبراهيم عليه السلام ولم يرسل إلا إلى قرية فيها أربعون بيتاً وكذلك باقي أولي العزم كموسى وعيسى عليهما السلام وجميع الأنبياء عليهم السلام ، نبوّتهم خاصة إلا نوحاً عليه السلام ومحمداً صلى الله عليه وآله فإنه أرسل إلى ما سوى الله تعالى مما حواه الإمكان من [في] المفعولات ، والدليل

على ذلك قول أبي محمد العسكري عليه السلام : (**وروح القدس في جنان الصاقورة ذاق من حدائقنا الباكورة**) وموسى عليه السلام لمّا لم تكن نبوّته عامة كان طوفانه خاصًّا بقوم فرعون القبط .

فإن قلت : إذا كان نوح نبوّته عامة إنما أرسل إلى الإنس خاصة وأمّا الدواب فكيف يعمّها ولم يكن مرسلاً لها ؟ .

قلتُ : قد ذكرنا في مواضع من أجوبة بعض المسائل بل إن [بأن] كل متحرك بالإرادة أرسل إليه من الله من يبلغه ما يريد منه من التكليف وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ فقد نص على أن كل ما في الأرض من كل ذي روح أمم أمثالنا وقال تعالى : ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ فأخبر أنّ كل أمّة أرسل إليها نذيراً لأنه أخبر أن الكلّ يحشرون إلى الله يوم القيامة وليس ذلك إلا للفصل بينهم ، وقد دلّ الدليل العقلي الذي لا يدافع أنه لا يفصل بين من لا يرسل إليه رسولاً قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ وهو النذير المذكور في الآية السابقة فالدواب التي كانت في زمان نوح عليه السلام التي غرقت إنما غرقت لعدم قبولها للدعوة .

فإن قلتَ : هل كان نوح عليه السلام رسولاً إليها حتى بلغها فأنكرت أم لا ؟ فإن قلت : إنه رسول إليها فعليك الدليل إذ لا يدل عقل ولا نقل ، وإن لم يرسل إليها فكيف يعم العذاب من لم يعصِ ولم يكلف وهذا لا يجري على طريقة أهل العدل؟

قلتُ : لم يكن نوح عليه السلام رسولاً إليها ابتداء ولكن رسلها تأتيه فيأمرها كما قال تعالى : [تعالى حكاية] عن بعض النذر غير

الإنــــس ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ ﴾ الآية ، وكانوا من جن نصيبين فوفقهم الله للهدى وصرفهم إلى محمد صلى الله عليه وآله وهو في صلاته فسمعوا القرآن وآمنوا وتعلموا منه صلى الله عليه وآله دينهم ، وصرفهم الله تعالى إلى قومهم منذرين والأصل في ذلك أنه لا يرسل إلى أمة إلا من يقيم عليهم الحجة وذلك إنما يكون إذا كان مجانساً لهم يعرفون كلامه وهو قوله تعالى : ﴿ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ فكل نوع من الدواب أمّة وكلّ أمّة أرسل فيها نذير بلسانها ليبين لهم ولكن رسل غير الإنس تأخذ من رسل الإنس لأن الإنسان هو الواسطة بين الله وبين سائر الحيوانات إلا أنها في غير محمد صلى الله عليه وآله والنبيّ سليمان بن داود عليهما السلام ، غالباً بالترتيب الطبيعي مثلاً كان يأتي نذير الجن إلى نذير الإنس ويأخذ عنه ويأتي نذير الحيوانات إلى نذير الجن ويأخذ عنه ، وأما سليمان بن داود عليهما السلام فلا يجب في حقه ذلك لأنه قد عُلّم لغات الحيوانات فهو يبلغ نذرهم بلا واسطة ، وأمّا محمد وأهل بيته الطيبين عليهم السلام فكذلك لا يجب الترتيب الطبيعي معهم لأنهم يعلمون سائر اللغات فيبلغون نذر الحيوانات بأحد وجوه ثلاثة :

إن شاؤوا خاطبوها بلغاتها وإن شاؤوا نزلوا إلى رتبتهم فخاطبوهم بجهة المجانسة الحيوانية ، وإن شاؤوا رفعوا تلك النذر إلى مراتب الإنسانية فخاطبوها بجهة المجانسة الإنسانية ، فنوح

عليه السلام في زمانه قد عمّت نبوّته لجميع أهل الأرض من الحيوانات ونذر الحيوانات قد بلغت أمتها أوامر النبيّ نوح عليه السلام فلم يقبلوا فأخذهم الله بذنوبهم وما الله يريد ظلماً للعباد .

فإن قلتَ : فعلى قولك ما كان شيء من الحيوانات في [في غير] زمان نوح وسليمان ومحمد صلى الله عليه وآله مكلفاً لأنهم لا يكلمونهم بلغاتهم .

قلتُ : بل [بلى] هم مكلفون فمن أخذ نذره عن نبيّ من تلك الأنبياء عليهم السلام فذاك وإلا فإن الله سبحانه قد جعل أمر الخلق إلى محمد وآله صلوات الله عليهم فما نقص فعليهم تكميله فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما كيفية استنزال الأنبياء للوحي والعذاب ؟ وما الفارق بين المعجزة والسحر وكيف يتأتى للكاهن الإخبار عن الغايبات ؟ .

أقول : أما كيفية استنزال الأنبياء للوحي فبلسان أهل الظاهر أنه إذا بلغ ذلك النبيّ صلى الله عليه وآله أن يكون نبيّاً أرسل الله عليه ملكاً بما يريد تبليغه إلى الرعية واستنزال العذاب أن يسأل ربه أن ينزل على من عصاه من أمته العذاب وأما بلسان أهل التأويل أنه إذا كمل استعداده اقتضت قابلية نفسه إنزال الوحي عليه مثل من كملت فكرته فإنه [فإنها] تقتضي إنزال الواردات على قلبه وخياله بوجود قابلية ذلك أو جعل القابلية بتمامها سبباً لإنزال ذلك والعذاب كذلك وهو إخراج ما في القوة الغضبية لله من الانتقام من الجاحدين بجهة مثير تلك القوة الغضبية والإخراج يصدر عن النفس القوية على إخراج ما في الغيب إلى الشهادة .

وأما الفرق بين المعجز والسحر أن المعجز هو فعل ما يكون خارقاً لعادة الأسباب والمقتضيات بأن يكون بقوة استدعاء ذلك النبيّ سبب ومقتضٍ لفعل ذلك الخارق بأن يكون له جهتان جهة مانعة لمقتضاه الأول ، وجهة موجبة لإيجاد ما هو معجز والسحر قد يكون إذا لم يكن من السيمياء له هذه الجهتان لكنها ليست بقوة استدعاء الفاعل وإنما هي باعتياد [بإعداد] أسباب ومقتضيات ليميائية أو ريميائية أو هيميائية خاصة بذلك المحدّث المستغرب فلو أريد غيره احتيج إلى تدبير أسباب جديدة [جديد] خاصة بذلك الغير لا تصلح لغيره فلا يكون ذلك مقروناً بالتحدي لخصوص السبب ووجوب إعداده قبل الطلب ، وكذلك السيميا في إبراز شيء في الخيالات لأن ذلك ليس باستدعاء قوة الفاعل وإنما هو بتهيئة الأسباب الخاصة بخلاف المعجز فإنه باستدعاء قوة الفاعل ، ولهذا كان مقروناً بالتحدي لصلوح قوة نفس الفاعل وشدة ربطها بفعل الله تعالى لكل مطلوب فكانت بذلك الربط سبباً لذلك الإيجاد الخارق للعادة لا بتهيئة الأسباب .

وأما إخبار الكاهن عن الغائبات فليس لأن بين نفسه وبين حملتها ربطاً فيشافهونه بما يقول عنهم من الأسرار [الأمور] الغائبة وإنما كان بين نفس الكاهن وبين أضداد حملة الغيب ربط ومشابهة ، فكانت تلك الأضداد التي هي الشياطين تسرق من ذكر حملة الغيب وتسبيحهم كلمات أراد الله منهم إظهارها اختياراً للعباد فتأخذها الشياطين وتضيف إليها مشابهات لها لا من جهة الذات بل من جهة الصورة وإنما هي مشابهة لذواتهم فلا تكون كلها حقاً ولهذا قال تعالى : ﴿ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴾ لأنهم ما سمعوا الأكثر

وإنما قاسوا عليه نظائره لموافقة ذواتهم التي هي خلاف الحق .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى قول الصدر إن العالم تدريجي الحدوث وكلّ تدريجي الحدوث فزمان حدوثه زمان بقائه وهو ستة آلاف سنة منذ خلق آدم عليه السلام إلى زمان بعثة محمد صلى الله عليه وآله ؟ .

أقول : أما كون العالم تدريجي الحدوث في العالم العقلي والنفسي والمثالي والجسماني فمما لا ريب فيه إلا أنّ الظاهر أن المراد به في الزمان وإن كان في الدهر والسرمد كذلك ، وأن المراد بالعالم أجزاؤه يعني أن ظهور أجزاء العالم في الزمان تدريجي ، ويريد أن بقاء ما وجد منه زمانه ، زمان حدوثه أي ظهوره في الزمان ويريد أن ما قبل آدم أبي البشر عليه السلام من العالم ليس في الزمان وإنما هو في هورقليا فأول ظهور العالم وجود آدم عليه السلام في هذه الأرض بعد خروجه من الجنة لأن الجنة التي خرج منها من هورقليا وإن كانت تطلع عليها الشمس وتغرب ليست في الحقيقة تلك الشمس هذه الشمس المرئية بالأبصار فيكون على هذا زمان بقائه باعتبار ما وجد منه من الأجزاء زمان حدوثه زمان حصوله في الكون في الأعيان وهو ستة آلاف سنة إلى بعثة النبيّ محمد صلى الله عليه وآله تقريباً على ما نقله بعض المؤرخين وفي بعض الأخبار أيضاً على اختلاف فيها ولكن ليس مراده ضبط المدة بل بيان أن المراد [المدد] إنما هي في الزمان وما لم يوجد منه في الزمان وما وجد وفقد ليس له مدة وهذا كلام على ظاهره وليس به بأس ولكنه مجمل لم ينقح بالتفصيل والإشارة إلى ذلك على سبيل الاختصار والاقتصار هو أن

الدُّور داران دار الدنيا ودار الآخرة ، والعوالم عالمان عالم الغيب وعالم الشهادة ، فأما الدنيا إذا أطلقت فهي هذه الأيام المعروفة عند العوام التي أولها بالنسبة إلى الإنسان يوم الولادة وآخرها يوم وفاته ، والآخرة بالنسبة إليه إذا أطلقت أولها يوم حشره وآخرها مصيره إلى الجنة أو النار وما بينهما ، أي ما بين موته وحشره يوم ثالث لا من الدنيا لكونه قد قدم على ما قدم وعاين ما ستر عنه في الدنيا وكشف له عما كان خفي [خفياً] عنه ولا من الآخرة لأنه ذو ليل ونهار وعشية وإبكار والآخرة ليس فيها ذلك .

وأما عالم الشهادة فهو المحسوس بأبصار العوام في الدنيا وعالم الغيب هو الغائب عنها في هذه الدنيا فالبرازخ الموجودة كما في الحس المشترك ليس من عالم الغيب لوجود الزمانيات فيه كالأصوات والألوان والأذواق وغيرها ولا من عالم الشهادة لأنّ العوام لا تدركه بأبصارها في الزمان والمعروف من إطلاقات الأخبار والقرآن إلحاق البرزخ [البرازخ] باليوم الأدنى في الصورتين مثل قوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾ وكقوله عليه السلام في جنة آدم عليه السلام : (**إنها جنة من جنان الدنيا**) وكما قال عليه السلام في حكاية جابلصا وجابلقا : (**وإن كلّ واحدة يخرج منها كل يوم سبعون ألفاً لا يعودون إلى يوم القيامة ويدخل فيها [يدخلها] سبعون ألفاً لا يخرجون إلى يوم القيامة**) ، والمعنى أن الغربية جابلصا يخرج منها كل يوم سبعون ألفاً يمضون جابلقا ولا يعودون إلى يوم القيامة ، ويخرج من جابلقا سبعون ألفاً يمضون جابلصا لا يعودون إلى يوم القيامة ، وإنهم ليمرّون بين السماء والأرض

ويتلاقون في الهواء ويتخاطبون فإذا كنت في مكان خال عن الناس والحركات والأصوات سمعت دويهم كدوي النحل خصوصاً في الليل إذا هدأت العيون وهم من أهل البرازخ الدنيوية فتدرك دوي أصواتهم في الحس المشترك ولو كانوا من عالم الغيب وأهل الآخرة لمّا سمعت دوي أصواتهم وقف علي عليه السلام وعنده ضريس الكناسي وعلي عليه السلام ينظر إلى الأرواح محتبين بالغري وإذا سددت أذنيك بأصبعيك بحيث لا تسمع شيئاً من هذه الدنيا سمعت خرير ماء نهر الكوثر تصب [يصب] في الحوض وأمثال ذلك وكلّ هذه وأمثالها ليست من عالم الغيب البحت ولا عالم الآخرة الخالص ، وإلا لما أدركتها بحواسك الظاهرة بحال ، ولكنها ليست من دنيا العوام والنصوص من القرآن والأخبار تلحقها بالدنيا من وجه كما سمعت وبالآخرة من وجه (**مثل من مات فقد قامت قيامته**) وأن (**القبر أول منازل الآخرة**) الحاصل إن أراد المُلا بهذا العالم التدريجي الذي زمنه ستة آلاف سنة عالم العوام فحسن ، وإن أراد عالم الأجسام الزمانية مطلقاً فغير مسلم لأنه إن أراد أن العالم خلق في ستة أيام وكلّ يوم ، (**عند ربك كألف سنة مما تعدون**) لزم أن تكون بعثة نبيّنا صلى الله عليه وآله خارجة عن ذلك العالم فلا يكون نبيّنا صلى الله عليه وآله خاتم النبيين وهذا باطل لأن الخاتم داخل في المختوم وإن استند إلى قوله عليه السلام : (**إن الفلك استدار كهيئة يوم خلق الله السماوات والأرض**) ، فليس المراد به ذلك لأن المراد باستدارته استدارة استقامة في الأكوان التشريعية وإن كانت مبادئ الأحكام الوجودية [وجودية] وذلك بعد اختلافها بأعمال الظالمين وشرح الحال يطول

فقد ورد أن الجنتين المدهامتين في الرجعة (**تخرج عند مسجد الكوفة وما وراء ذلك بما شاء الله**) انتهى .

مع أنه قد ورد أن الأرض قبل آدم عليه السلام كان فيها عوالم كثيرة كالسلاحف وكالخلق الذين على صورة البقر وكالطائر المسمى بالقرا وكالجن الذين كان إبليس حاكماً عليهم ، وكالنسناس وكلّ هؤلاء قبل أبينا آدم عليه السلام وقد اشتهر بين أهل التواريخ بقاء بعض طوائف النسناس بعد آدم أبينا هذا الأخير واحتمال أنهم خلق آخر على شبه الماضين بعيد وخلاف الأصل وحمل هذه على نوع من البرزخ وإن كان غير بعيد ولكن تقدم بيان البرازخ فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى قوله : إن ثمار الجنة إنما نضجها وحلاوتها بسبب حرارة النار .

أقول : المراد بهذه النار نار الإرادة المشار إليها في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ﴾ وهي من الشجرة الكلية المعبّر عنها ببرزخ البرازخ ، وقد يعبرون عن هذه النار بنار العشق ولهذا قال شاعر أهل التصوف :

العشق نار الله أعني الموقدة
فطلوعها وغروبها في الأفئدة

وبالجملة فإرادته بهذا المعنى صحيحة ولا إشكال فيها لأن أصل الحرارة إنما حدثت من حركة الفعل فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى أن كل شيء عائد إلى ما منه بدئ وكما خلقنا أول خلق نعيده ومبدأ الكل وأول الخلق عقل

والمعاد الجسماني ثابت وما معنى رجوع الكفار إلى أهل البيت عليهم السلام ؟ .

أقول : إن كل فرع جاري [جار] مجرى أصله وأصل هذه المفعولات العقل الأول وهو لمّا خلقه الله (**قال له أدبر فادبر ثم قال له أقبل فأقبل**) فجرت هذه الكلمة في آدم الأول ، وفي ذريته فكل واحد من ذريته قال له : أدبر فأدبر فقال له : أقبل فالمطيع يقبل والعاصي يدبر ، أما المطيع فبرز من المبدأ الأعلى ويعود إليه ، وأما العاصي فبرز من المبدأ الأسفل المجتث وهو عكس الأعلى وضده ، وأقبل بظاهره بسؤاله الوجود ليقوى به على الإدبار إلى مبدئه فكان في إقباله ظاهراً مدبراً حقيقة وباطناً ، ولمّا كان المخلوق فقيراً في بقائه إلى دوام المدد المتصل كان أبداً في السير في سؤاله واستعداده منذ تميز [تميز من] جنسه سيراً مستديراً صحيح الاستدارة حتى يعود إلى ما منه بدىء فإن كان ذو نفس ناطقة عاد عود مجاورة لا عود ممازجة ، وإلا فيعود عود ممازجة لا عود مجاورة ولا عود فناء وعدم ، وإنما هو عود فناء وبقاء ثم البروز التشخص له مراتب تمايز أجسام كما ترى وتمايز أمثال وأشباح كما تحس ، وتمايز نفوس كما تعلم وتمايز معاني كما تعقل وتمايز حقيقة كما تعرف ، وليس لواحدة من هذه المراتب عند عودها إلى ما منه بدئت فناء عدم فيه ، بل فيما فوقه هذا بالنسبة إلى المعروف من أحوال هذه النشأة وأما بالنسبة إلى أحوال النشأة الأخرى فليس الأسفل بفانٍ في الأعلى بل يدرك الأعلى بطور من الأعلى كما يدرك الأعلى الأسفل بطور من الأسفل لقوة التشاكل والتلازم وعدم الموانع وقوله تعالى : ﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ

نُعِيدُكُمْ ﴾ معناه أنه بدأه من طين فأماته ورجع إلى ما منه بدئ ، ثم يعيده كما بدئ وبدئ تركيب روحه عند تمام بنيته ، فإذا كان يوم القيامة وتمّت بنيته في قبره الذي هو بطن أمه ، ركب روحه كما ركبها أولاً لأنها بنفخة الصعق تفككت كما ذكرنا سابقاً في المخازن الستة من الصور ، وقوله : ومبدأ الكل وأول الكل عقل بيانه أن العقل مبدأ العقول ، وأطواره مبدأ أطوار ما سواه من الرقائق والنفوس والذر والأجسام ، وأما رجوع الكفار إلى أهل البيت عليهم السلام فإنهم يرجعون إلى ما صدروا عنه منهم عليهم السلام لأنهم صدروا عن خلافهم وعداوتهم وإنكارهم فيرجعون إليه وكلّ شيء يرجع إلى ما صدر عنه من مؤمن وكافر .

قال سلّمه الله تعالى : ثم إن كانت الأجرام البسيطة غير قابلة للكون والفساد فما معنى كشط السماء وعودها ؟ وهل يجري ذلك في الأطلس والمكوكب أم لا ؟ وكيف لا تتناهى بقوة جسمانية ؟ .

أقول : اعلم أن معنى قولهم : إن الأجرام البسيطة غير قابلة للكون والفساد إنما هو في التدريجيين اللذين هما النمو والذبول أي الزيادة والنقصان لأنها غير قابلة للإيجاد والإعدام فكما جاز عليها الإيجاد وهو الصوغ الأول يجوز عليها الكسر وهو الكشط والطي والانشقاق والانفطار والسلخ ، فتنشر دخاناً كما كانت في ابتدائها دخاناً ويزال فتقها فتكون رتقاً ثم تعود إلى ما منه بدئت فتجاور الأرض بعد كشط زبد فيها [زبديتها] فيجاوران الماء الذي منه خلقتا إلا أنّ أوضاع الثلاثة باقية وهذا معنى المجاورة وذلك بعد النفخة الأولى ، ثم يصاغ في النفخة الثانية هي وما فيها من

الأرواح والأشباح والأجسام ، وهذا هو التبديل المذكور وهو المعنى المذكور في القرآن والأخبار ولا فرق في ذلك بين المكوكب والأطلس وبين الأرض ، وأما كيف لا تتناهى قوة جسمانية ؟ فالجواب : إن كل قوة حادثة روحانية أو جمسانية فإنها تتناهى ولكن لا تتناهى إلى الفناء وإنما تتناهى إلى البقاء وإن مردّنا إلى الله وإلى الله المصير .

قال سلّمه الله تعالى : وما وجه كون الحسنة بعشرة والسيئة بواحدة ؟ وما وجه تضاعفهما على نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وبني هاشم ؟ .

أقول : قد قدمنا أن الإنسان خلق من عشر قبضات من الأفلاك التسعة ومن هذه الأرض أرض النفوس وكانت هذه العشرة [العشر] متأصلات في الوجود والحسنة من الوجود ، وإليه تعود فإذا فعل الإنسان الحسنة كان أول مبدأها من القبضة الأولى التي من الفلك الأطلس ، التي خلق منها قلبه وهي متأصلة في الوجود والحسنة من الوجود فتكون ثابتة فيها فتكتب فيها حسنة وتنزل إلى قبضة المكوكب التي هي الصدر فتكتب فيها حسنة لتأصلهما وهكذا في كل قبضة ، فتكون عشراً فإذا فعل السيئة كانت السيئة مجتثة لا قرار لها لأنها من الماهية المجتثة الأصل وأول ابتدائها من المكوكب أي الصدر لا من الأطلس ، أي القلب فتمرّ على الصدر وما تحته ولا تستقر في شيء من ذلك لاجتثاث أصلها حتى تصل إلى قبضة الأرض إلى الجسد فيحصل لها نوع استقرار لقوة الإحساس بالنسبة إلى الجسد بخلاف ما قبله ، فإنها وجودات مجردة فلا يستقر فيها ما ليس من نوعها لانحطاط رتبته فإذا مضت

سبع ساعات في كل ساعة ينعكس بخار السيئة إلى ما فوق فيمرّ منعكساً من الجسد إلى الحياة ثم الفكر ثم الخيال ثم الوجود الثاني والوهم والهمة والنفس ، فإذا وصل بخارها من الجسد إلى النفس كتبت سيئة إذ لا تعدد لها ، وأما رجوع بخارها إلى المراتب السبعة فهو شرط ثبوتها في الجسد وإذا كثرت وتراكمت تكاثف البخار وطبع على المراتب السبعة ، ﴿ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾ ، وأما تضاعف العذاب على نساء النبيّ صلى الله عليه وآله وبني هاشم ، فلأن لهم من جهة القابلية جهتين الأولى جهة غيرهم من سائر المكلفين من التعريفات والقوى والقابليات وغير ذلك وجهة من جهة النبيّ صلى الله عليه وآله فلأن لها تأثيراً في تضعيف التعريفات والقوى والقابليات فإن قربه صلى الله عليه وآله مؤثر في ذلك كالقرب من السراج في تضعيف الاستنارة ، فإذا قبل ضوعف له الأجر ، وإذا لم يقبل ضوعف عليه العذاب مرتين : إحداهما : من ترك التكليف ، والثانية : من ترك القرب من المنير صلى الله عليه وآله فإنه حرمان للنور كالحرمان لنور الطاعة بترك الأمر فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى ما في بعض الأدعية : (**بالاسم الذي استويت به على عرشك واستقررت به على كرسيك**) وما المراد بذلك ؟ .

أقول : الاسم الذي استوى به على عرشه هو الاسم الأعظم الذي هو ذكر الرحمٰن في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ الآية ، وهو فلك المحبة الحقيقية وعالم فأحببت أن أعرف ، فاستوى به على عرشه فأعطى كل ذي حق حقه وساق إلى كل

مخلوق رزقه وهو الرحمة التي وسعت كل شيء ، قال الحسين عليه السلام في مناجاة يوم عرفة : (**يا من استوى برحمانيته على عرشه فصار العرش غيباً في رحمانيته**) ، كما صارت العوالم غيباً في عرشه وكان استواؤه على عرشه هو نفس ذلك الاسم فاستوى بظهور علل الأشياء وعلم الكيفوفة والبداء وهو العرش نفسه ، أي العلم الباطن وهو الباب الباطن من العلم واستقر به على كرسيه استقراره هو ذلك الاسم بظاهره وهو نفس الكرسي فاستقر بظهور صور الأشياء من الذوات والصفات والإضافات والنسب لأن نقش الصور هو تمام الاستقرار وهو الكرسي نفسه أي العلم الظاهر وهو الباب الظاهر من العلم كما قال [قاله] عليه السلام .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾ وكيف ينساها المعصوم أو ينسيه الشيطان ؟ .

أقول : إن المعنى أني تركت ما الأولى ذكره أو غفلت عما الأولى تذكره وهذا غير قادح في حق الأنبياء عليهم السلام حال النبوّة ، وإن كانوا يعدونه تقصيراً ومعصية ويعاتبون في سرّهم عليه ، وهم عليهم السلام يعلمون أنّ ذلك لم يقع من جهة وجودهم الذي هو نور الله وإنما يقع من جهة ماهيتهم التي هي من نوع الجهل الذي كان إبليس مظهراً له ، ومعنى كون ماهيتهم من نوع الجهل أنه من [أي] العدم لأن الماهية إنما وجدت بتبعية الوجود لكنها في حقهم عليهم السلام متلاشية تكاد تفنى لقوة نور وجودهم ولهذا كانت ، (**حسنات الأبرار سيئات المقربين**) فإذا كان منهم شيء من ترك الأولى أو فعل المباح عدوه ذنباً ونسبوه إلى الشيطان لأن منشأه من نوع حياة الشيطان فلذلك قال : أنسانيه ولم يقل نسيته ،

لأن الأنبياء لا ينسب إلى نفسه شيئاً بل ينسب الحق إلى الله وينسب ترك الأولى وفعل الجائز إلى الشيطان .

وأما الجواب عن أنه كيف ينساها فهو أن معناه [معنى] ينساها يترك [يتركها] ويعرض عنها إلى ما هو أهم منها من شغل وجوده بربه فإذا اشتغل بما هو أهم عن شيء فإن كان ذلك الشيء فيه نوع منفعة لم يجز أن ينسب تركه إلى الله ، لأنّ الله لا يتجاوز المنفعة ، وإن قلتَ لا يعزب عنه مثقال ذرة ولا إلى نفسه لأنه لا آنية له وإنما ينسبه إلى الشيطان ، وإن لم يكن ذلك الشيء فيه نوع منفعة فالصرف عنه من روح القدس فأشغله الله بذكره عن ذكر الحوت ونسب نسيان ذكر الحوت إلى الشيطان لما ذكرنا ، لأنّ الشيطان ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربّهم يتوكلون .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى ما في ظاهره نسبة المعصية إلى أهل العصمة عليهم السلام ؟ وما تأويل تلك المعصية وما معنى ذنوبهم واستغفارهم ؟ .

أقول : إن نسبة المعاصي إلى أهل العصمة عليهم السلام على وجوه .

منها : كونهم يشهدون أن لهم نوع إنية ولو في بعض الأحوال نظيره ما قال شاعرهم :

أقــول ومــا أذنــبــت قــالــت مــجــيــبــة
وجــودك ذنــب لا يــقــاس بــه ذنــب

وتفصيل مراتب هذا الوجه يطول به الكلام فلا يناسب هذه الأجوبة المختصرة المبنية على الإشارة والاقتصار .

ومنها : أنهم عدّوا فعل المباحات أو الراجحات الشرعية التي تكون مرجوحة بالنسبة إلى حالهم كالنكاح للسنّة ولكسر شهوة النفس وكالأكل للتقوية على الطاعة بالنسبة إلى الحضور بين يدي الملك الجبار ذنباً .

ومنها : ما تحملوا من ذنوب شيعتهم فإنها ذنوب حقيقية ضمنوها وهي تقصيرات في شأن جبر السماوات فلذلك يستغفرون ويبكون ولولا ذلك لأخذوا بها .

قال سلّمه الله تعالى : وكيف يكون الفلك التاسع في نهاية السرعة والثامن في نهاية البطء ؟ .

أقول : إنما كان الفلك التاسع في نهاية السرعة لخفّته وقوة تجرد معناه لأن جسمه لا شيء فيه من الكواكب ، فكان سيره واحداً ليس فيه دواعٍ مختلفة كالمكوكب فتعوقه في السير ولا عدم استواء في جرمه بالغلظ والرقة كالمتممات الحاوية والمحوية لالتواء دورته إذا كان متمماً واحداً ، ولتخلل الخارج المركز إذا ضم إلى المتمم الثاني ، وأما من جهة تجرد معناه فلأن معناه مجرد عن المادة والمدة والصورة لأن باطنه الأسباب والعلل ومعاني الأشياء ولا شيء أسرع دوراً منها لشدة دورانها وخفة جسمها وعدم العوائق مما ذكرنا وما لم نذكره كان أسرع الأجسام دوراً ، وأما الثامن فلثقله لأنه أثقل الأفلاك كلها لما فيه من الحركات المختلفة والمتحركات المتكثرة ، فإن كل كوكب فله حركة خاصة به وله فلك جزئي قد تداخلت التداوير وتصادمت التقادير فثقل جسمه من تصادم الحركات واختلاف المتحركات وأما معناه : المدير له فإنه وإن كان مجرداً عن المادة والمدة لكنه [لكن] ليس مجرداً عن الصورة فكان

في نفسه بطيئاً وكان تعلقه بجسمه تعلق ارتباط واقتران فعاقه الثقيل بثقله عن سرعة السير فكان بطيئاً لضعف حركة معناه وثقل جرمه لأن معناه كان تلك الصور المتكثرة المختلفة الذات والهيئات والحركات لأنها نفوس هذه الكواكب المتكثرة المختلفة وصفته هذه لا توجد في غيره من الأفلاك ، فلذلك كان أبطأ بالنسبة إلى رتبته .

قال أيده الله تعالى : وما تفصيل : (**لا يكون شيء في السماء ولا في الأرض إلا بسبعة**) أشياء فما تفصيل تلك السبعة في المجرد وفي الآفاق وفي الأنفس وفي الجنين ؟ .

أقول : اعلم أن قوله عليه السلام : (**لا يكون شيء في الأرض ولا في السماء إلا بسبعة بمشيّة وإرادة وقدر وقضاء وإذن وأجل وكتاب ، فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة فقد كفر أو فقد أشرك**) ، ونقص بالصاد المهملة أو [و] بالمعجمة يراد منه أن المشيئة في إيجاد الكون ، وهو الوجود والإرادة في العين وهو الذات أي تتميم الذات بإيجاد الماهية لأن الشيء لا تقوم عينه ولا يظهر وجوده إلا مركباً منهما والقدر في هندسته وحدوده والقضاء في نظمه وتمامه والإذن في إمضائه وإظهاره ، والأجل في مدة بقائه والكتاب لحفظه فكل شيء ظهر في الوجود من الإمكان فإنما ظهر بهذه السبعة لا فرق بين المجرد وغيره ، وإنما الخفاء في المجرد ونحن نشير إليه .

فاعلم أن أعلى المكونات العقل الذي هو عبارة عن المعاني المجردة عن المادة والمدة والصورة ، وهو إنما كان بهذه السبعة وكلّ معنى منه كان بالسبعة لأنه يكون [مكون] فهذا من المشيّة وإذا كان مكوناً إنما يظهر ويتشخص في نفسه بأنه هو ، وأنه كان وهذا

من الإرادة وأنه مقدر بأنه غير محدود بزمان ولا لزمان ولا في مكان ، وأنه قدر محدود في السرمد فهذا من القدر ، وأنه إنما كان هو هو لأنه تمّ ما له فهذا من القضاء ، وأنه إنما خرج في الوجود بالرخصة من الله وهذا من الإذن ، وأنه لا إلى غاية زمانية ، وأنه إلى غاية سرمدية وهذا من الأجل ، وأنه وضع قائماً لاستقامته فلا يكون مبسوطاً وهذا من الكتاب وكلّ معنى منه ، فعلى هذا الترتيب وكلّ شيء في الآفاق وفي الأنفس حتى الخطرة فإنها كذلك وكذلك الأجنة فمن عرف من هذه المسألة شيئاً عرف كل شيء مكون فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما حقيقة البداء وما يجري فيه وما لا يجري فيه ؟ وهل النسخ بداء أم لا ؟ وكيف يؤمر إبراهيم بالذبح ولا يقع ؟ .

أقول : حقيقة البداء ظهور ما كان خافياً ومن هنا قيل أشياء يبديها لا يبتديها ولكن لا يكون البداء المسؤول عنه إلا بعد المشيّة لما جرى فيه البداء فيمحو ما أثبت ويثبت ما محا ، وأما المخترع فلا يقال فيه : إن هذا من البداء على المعنى المتعارف وهو المسؤول عنه ، وأما على معنى آخر يحتاج إلى تطويل التأويل ولا طائل فيه في هذا المقام الذي نحن فيه .

واعلم أن البداء المسؤول عنه هو انقضاء مدة وجود الممحو وابتداء مدة وجود الثبت فالمحو إفناء الشيء ومحو ذكره من الألواح السماوية هي نفوس الملائكة الموكلين بذلك ، مثلاً الملائكة الموكلون بزيد نظروا إلى بنيته وتركيبه وعرفوا أن صاحب هذا البنية يعيش عشرين سنة ، وارتسم ذلك في نفوسهم وذلك هو

كتابة كون عمره عشرين سنة فعمل صالحاً وتصدّق ووصل رحمه وأحسن عبادته فقوي مدده من الفيض لقوة القابلية واقتضاء الاستمداد لقوة السبب بينه وبين المبدأ الفياض وهو العمل الصالح فنظر أولئك الملائكة إلى بنيته فوجدوها قد قويت فلما اختبروها عرفوا أن صاحب هذه البنية يعيش خمسين سنة فانمحت كتابة العشرين وانتقشت كتابة الخمسين فقد انمحى ما كان وثبت ما لم يكن وهذا معنى البداء .

إنه بدا له سبحانه في العشرين فمحاها وبدا له في الخمسين وأثبتها والعلة في ذلك أنه سبحانه يخلق الأشياء على ما هي عليه في الوجود وما هي عليه في الوجود لاقتضاء وجودها حين إيجاده بنفسه وبقوابله كالمشخصات الستة والسابع كما مرّ ، وبالعلل الذاتية وبالموانع فإن ذلك وما أشبهه هو ما هي عليه وتلك بما يقتضيه [تقتضيه] من نفسها وبإضافتها هي من حجاب [مرجحات] وجوده على عدمه أو بالعكس ، والشيء مراتب وجوده متعددة كما أشرنا إليه سابقاً فقد يوجد في مرتبة بأسباب مقتضية وتحصل في المرتبة الثانية موانع لإيجاده فيمحا أو موجب لتغييره فيغيره وعلى هذا النحو جرى المحو والإثبات فإن علم الله سبحانه بأن هذا الشيء يكون في عالم الغيب لعدم المانع أو المغير له هناك جاز في الحكمة أن يخبر به ملائكته ورسله وهو المحتوم ، لأنه إذا أخبرهم به علم أنه لا مانع له في عالم الغيب فيكون لأنه لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله وقد لا يكون لوجود مانع منه في الشهادة كالدعاء والصدقة ولا يلزم من عدم كونه في الشهادة التكذيب المذكور لأنه سبحانه أخبر على السنة حججه أن الصدقة مثلاً تردّ

البلاء وقد أبرم إبراماً والحجج عليهم السلام ، أخبروا الرعية بذلك عن الله تعالى فإذا أخبر وكان ما أخبر به فقد صدق نفسه وإن لم يكن فقد صدق نفسه وإليه الإشارة بقولهم عليهم السلام ما معناه : (**إن أخبرناكم بشيء وكان فقولوا صدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله وإن لم يكن فقولوا صدق الله ورسوله صلى الله عليه وآله تؤجروا مرتين**) ، فقد يخبر الله أنبياءه بشيء ولا يكون لأنه كما قال لهم فقد صدق نفسه وصدقهم كما روي : (**إن الله سبحانه أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام أن قل لفلان الملك أني متوفيه إلى [بعد] ثلاثة أيام فتصدق الملك فأنسئ في أجله ثلاثين سنة**) ، ومثله في ملك آخر فدعا فأنسئ في أجله وذلك هو ما قال سبحانه والسر فيه ما قلنا لك : إن الأسباب والموانع إن وجد منها شيء في عالم الغيب لم يخبر بذلك الشيء ، لئلّا يكذب نفسه وملائكته ورسله وإن لم يوجد منها شيء في عالم الغيب أخبر به كما مرّ ولا تكذيب بعد تعريفهم بأسباب الشهادة ومع هذا كله فالحادث ما لم يكن ففيه لله البداء إذا شاء وإن لم تكن [لم يكن] موانع لا في الغيب ولا في الشهادة لأنه سبب من لا سبب له ، سبب كل ذي سبب ومسبب الأسباب من غير سبب ، وهو السرُّ المكتوم والكنز المخفي فإذا وقع العين المبرم فلا بداء في أن لا يقع وله البداء في محوه ونفيه وتغيره [تغييره] فافهم ، واعلم أن فوارة البداء وشمسه التي في قعره تضيء على العمق الأكبر مشيّة الله سبحانه وذلك في أكوان الإمكان وإمكان الأكوان ، وأما النسخ فهو بداء تشريعي لانتهاء مدة الحكم ، كما أن البداء نسخ تكويني لانتهاء مدة المحكوم به أو عليه .

وأما أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه فاعلم أن هذه المسألة في جوابها شيئان ينبغي التنبيه عليهما :

أحدهما : أن الله سبحانه قد يأمر بالشيء ويحبه ولا يريد وقوعه ، وقد يأمر بالشيء ويحبه ويريد قوعه وقد ينهى عن الشيء ويكرهه ولا يريد وقوعه ، وقد ينهى عن الشيء ويكرهه ويريد وقوعه فمحبته لا تفارق أمره وكراهته لا تزايل نهيه وإرادته قد توافقهما فما أراد الأمر به خاصة كانت محبته في الأمر خاصة وفي الوقوع لو وقع وما أراد الأمر به ووقوع المأمور به كانت محبته فيهما وكذلك النهي ، أما المحبة والرضا فلها [فلهما] اعتباران اعتبار العلم واعتبار الخيرة وتسيره [يسر] المعلوم فبالأول لا يخالف شيء منها محبته كما في الدعاء وبالثاني قد يكون ما يحب وقد يكون ما لا يحب فأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه مما يحب الأمر به ولا يحب وقوعه لمحبة العلم بل يحب ألا يقع .

وثانيهما : أنه أمره محباً للأمر به وللوقوع من جهة محبة الخيرة للعبد واليسر ، ولمّا كان الأصل الداعي إلى الذبح إنما هو إرادة فداء الحسين عليه السلام ، وفيه محبة عظيمة راجحة ولكن فيها محذور وهو لزوم سبق إبراهيم عليه السلام وابنه للحسين عليه السلام ولجدِّه وأبيه وأمه وأخيه صلّى الله على محمد وآله الطاهرين ، وفيه اختلال الوجود وفساد النظام ولما انحطت درجة إبراهيم وابنه عليهما السلام عن ذلك أثيبا على العزم والصبر والجزع على الحسين عليه السلام بثواب الوقوع والفداء ، فجاء الكبش الأملح من أشعة الفجر فداءً لابنه عليه السلام وذلك هو الخيرة واليسر لإبراهيم وابنه عليهما السلام لأن الحسين عليه

السلام سبق السابقين فكل شهيد من ذريته حتى هابيل ، ولمّا كان الأمر لليسر والخيرة كان وقوع الأشياء على الترتيب الطبيعي فحصل من جهة الترتيب الطبيعي وأصابتهما بالثواب والفداء من حج [مرجح] للمقام الأدنى وهو الثواب والفداء على المقام الأعلى وهو الذبح فداءً للحسين عليه السلام ، وذلك هو الوزن بالقسطاس المستقيم في الاستحقاق وإعطاء كل ذي حق حقه ، فكان الثواب على الجزع على الحسين عليه السلام والفداء بالكبش الأملح أرجح والوجود لا يتعلق بالمرجوح للشخص ، وإن كان ذلك المرجوح أرجح في نفس الأمر ولشخص آخر فافهم ، فقد كشفت القناع لذوي الانتفاع والله خليفتي عليك يوفقك ويحفظك ويحفظ عليك .

قال سلّمه الله : وما معنى أن الصلاة أمير المؤمنين عليه السلام ؟ .

أقول : إن للصلاة [الصلاة] في الباطن [الباطن لها] إطلاقان :

إحداهما : [أحدهما] هو ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وهو المروي عنه حيث قال : (**والصلاة ولايتي فمن أقام ولايتي فقد أقام الصلاة**) ثم استشهد بقوله تعالى : ﴿ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴾ قال : (**وإن ولايتي لكبيرة إلا على شيعتي**) ، ومعنى ذلك أن الصلاة مشتقة من الوصلة أي السبب المتصل بين العبد وربه وذلك في الحقيقة هو معنى الولاية أو من الوصل وهو الاتصال والقرب ، أي الاتصال برحمة الله وهو معنى الولاية ، أو من الصلة وهو العطية أي عطية الله ونحلته لعبده التي بها ينال رحمته ، وهو معنى الولاية هذا في الجملة أحد الإطلاقين للصلاة في الباطن .

وثانيهما : يراد بها الإمام عليه السلام لأن الصلاة من الله هي الرحمة والإمام عليه السلام هو الرحمة التي وسعت كل شيء ، وهو الرحمة المكتوبة التي هي خاصة بالمؤمنين والرحمة المكتوبة باطن الرحمة الواسعة والإمام هو باب الله وباب مدينة العلم باب ﴿ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴾ فإذا قيل : الصلاة هي الإمام عليه السلام يراد بها ما يراد منها لأنها كمال العبادة والعبودية ، فهي وجود صوري للإمام عليه السلام ، أي لخدمة الولي لانها هي عمود الدين وهو الإمام عليه السلام ولأنها هي سبيل الله إلى عباده المؤمنين وسبيلهم إليهم [إليه] وهو الإمام عليه السلام فهذا معنى أن الصلاة أمير المؤمنين عليه السلام على سبيل التنبيه والإشارة لأن بيان ذلك يضيق به الدهر .

قال سلّمه الله تعالى : وإذا كانت الطاعة من الله فكيف تجري الإثابة والطاعة ؟ .

أقول : معنى كون الطاعة من الله أنها من ثمرة فعله وهو الوجود والنور وذلك النور لا يحس ولا يظهر إلا إذا وقع على شيء ينعكس عنه كشعاع الشمس وإن كان من الشمس لكنه لا يظهر إلا إذا وقع على الجدار وانعكس ، فلولا الجدار لم يظهر النور ، فاستنارة الجدار بالنور إنما توجد بالجدار وإن كان النور من الشمس فكذلك ذلك النور والمدد الذي هو أصل الحسنة والطاعة ، إنما يظهر بالعبد فكما تنسب الاستنارة بالنور إلى الجدار ، وإن كان النور من الشمس لأنه لا يظهر بدون الجدار كذلك تنسب الطاعة إلى العبد وإن كان مددها من فعل الله لأنها لا تظهر إلا بالعبد فتجري الإثابة وتتحقق الطاعة بهذا النحو فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وهل تكون الحروف قبل المعاني تجري في المجردات أيضاً أم لا ؟ فإن كان الأول فكيف ذلك مع أن غايتها سابقة أبداً ؟ .

أقول : إن الحروف خلقت قبل المعنى لأن الفاعل أي المتكلم يأخذ هواء فيصوغه أحرفاً ثم كلاماً يقوم في الهواء فيثمر معنى فهو محدث بالكلام ، وبيانه ، أن المعنى الذي عند المتكلم هو من قلبه والصورة التي عنده هي من علمه ، فإذا أراد أن يفهم زيداً مثال ما عنده أخذ هواء من الفضاء وقطعه حروفاً تناسب كينونة ما عنده وركبها على هيئة تناسب هيئة تلك الكينونة ، فإذا أبرزه دلّ اللفظ بمادته على كينونة وبهيئته على هيئة هذه الكينونة فيفهم زيد من هذه الكينونة وهيئتها معنى محدثاً ، هو ما أراد المتكلم وإنما فهم زيد لما في إمكان قلبه وعلمه من نظيره ولولا ذلك الإمكان لما فهم المعنى ، ولهذا كثيراً ما يخاطب بعض الأشخاص ولا يفهم لعدم إمكان نظيره في قلبه وعلمه والمراد بالإمكان القرب ، وإلا فقد يفهم بعد حين من لا يفهم في الحال وليس ما فهم زيد هو نفس ما عند المتكلم وإلا لكان إذا أخرجه إليه لم يوجد عند المتكلم ونظيره النار الخارجة عند القدح بالزناد والحجر فإنه [فإنها] مثال للكامن في الحجر لا نفسه فافهم .

فإذا عرفت ذلك فاعلم أن قولنا : إن الحروف قبل المعاني إنما هو في الزمان فإذا أخبرتك اليوم بكلام تفهم معناه مثلاً كلمتك بهذا في اليوم العشرين من شهر رجب السنة الثالثة والعشرين بعد المائتين والألف وهو يوم إملاء هذا الكلام ، كنت سمعته في هذا اليوم وأدركت معناه قبل خلق عالم الزمان بأربعة آلاف عام ،

فالقبلية التي نريدها إما في الألفاظ الزمانية فقبل سماع لفظها الدال عليها ، وقبل تخلق جسم السامع وانفعاله بالتأدية والقابلية ، وأما الحروف الدهرية فهي حروف دهرية هي أجزاء معانيها فسبقها عليها سبق الجزء على الكل وكون تلك المشابهة [مشابهة] لما عند المتكلم لا يتمشى به إن [إلى أن] الله سبحانه يحدث تلك الحروف على كينونة ما في علمه الأزلي الذي هو ذاته وصفتها كما مثلنا سابقاً بل هذا ينتهي إلى المشيّة وهو فعل الله سبحانه يصوغ من هواء الإمكان الذي هو العمق الأكبر حروفاً أي أجزاء تشابه ما في تلك الحركة الفعلية الخاصة بذلك الشيء من الكينونة والهيئة فيتركب المفعول على مثال الفعل كما يتركب ضرباً الذي هو المفعول المطلق على مثال ضرب ، وينحط عنه في القوة في كل شيء كما ينحطّ ضرباً عن ضرب بنسبة واحدة وكما ينحطّ المعنى الذي يفهم المخاطب عن المعنى الذي عند المتكلم لأنه مثاله وضرباً مثال ضرب ، وليس حروف ضرباً هي حروف ضرب بعينها بل هي مثالها بصنع ثانٍ فلما تلفظت بضرب تلفظت بضرباً تبعاً لضرب لا متأصلة ولا هي هي فكذلك الحركة الفعلية أي المشيّة الخاصة بهذا المشاء ليس وجود المشاء نفس وجودها ، وإنما هو مثال وشعاع من المشيّة الخاصة به فتدبر فقد ذكرت لك ما خفي عن الناس وإنما هو من سرِّ آل محمد صلى الله عليه وآله ، وقولك مع أن غايتها سابقة أبداً جوابه ، ما قلنا لك أن ذلك جارٍ حتى في المجردات إلا أن تلك الحروف في عالم المخلوقات والمفعولات أجزاء المجردات ، وأما الحروف السرمدية وعالم المشيّة فهي قبل المعاني الناشئة عنها فصارت الأقسام ثلاثة :

الأول : الحروف الزمانية وهي موجودة زماناً قبل المعاني الدالة هي عليها بمعنى أن تلك المعاني ثمرة لتلك الحروف كالثمرة من الشجرة ، والمراد بتلك المعاني ما هي طريق إلى المعاني الخارجية وهي تصورها بصفتها الذي هو طريق إلى إدراكها وإن لم تكن لها معانٍ خارجية كانت المفهومة من اللفظ الحادثة عنه طريقاً لنظائرها في إمكان السامع كما مرّ ، وهذه القبلية زمانية بالنسبة إلى إدراك ألفاظها المحدثة لتلك المعاني وإن كان إدراك المعاني في الدهر .

الثاني : الحروف الدهرية هي أجزاء معانيها لكونها من نوع واحدة [واحد] كأسماء الحروف ومسمياتها فإنها حروف أيضاً .

والثالث : الحروف السرمدية وهي السحاب المزجي وهي سابقة على مسمياتها بكل معنى كما مرّ فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى قول الصدر : إن العالم حادث زماني ؟ .

أقول : العالم إذا أريد به الأجسام أو مطلقاً وأريد التقدم الزماني كان حادثاً زمانياً أي حدث مع حدوث الزمان لا قبله ولا بعده ، لأن الزمان والجسم والمكان حدثت معاً مساوقة لبعضها بعضاً بل لا يمكن ظهور أحدها قبل الآخر ، لأن وجود كل واحد تمام لقبول الآخر للوجود فهي متلازمة كالتضايف في الأبوة والبنوّة ، ولا يصح أن يكون العالم حادثاً في الزمان بمعنى أن يكون الزمان سابقاً عليه وإن أريد غير الأجسام فهو حادث دهري وإن أريد به كلّ ما سوى الله فمنه حادث مع السرمد وهو فعل الله ومنه حادث مع الدهر وهو الجبروت والملكوت ، ومنه حادث مع الزمان وهو الملك ومعنى قول بعضهم : إن الزمان نهر يجري من تحت جبل الأزل وهو الماء

الذي قال الله تعالى فيه : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ أن الزمان لا بدء له مع الأجسام أي ليس مسبوقاً بالأجسام ولا بدء للأجسام مع الزمان أي ليست مسبوقة بالزمان بل حدثا معاً متساوقين في الظهور ومعنى الحادث قيل : هو المسبوق بالعدم وهذا ليس بشيء [لشيء] لأن العدم إن كان شيئاً فهو محدث ونقول فيه ما معنى حدوثه وإن كان العدم ليس بشيء [لشيء] كان المعنى أن الحادث ليس بمسبوق وإن أريد به أنه ليس بموجود في الرتبة التي قبله ، فالأولى في تعريفه أنه المسبوق بالغير والقديم هو الذي لا يسبق بالغير فيكون الحادث مسبوقاً بالغير ، فهو ليس بموجود في رتبة ذلك الغير ، هذا آخر المسائل الأولى .

فقال سلّمه الله : هذا ما قصدت عرضه على خليفة الخلف ومن يحفظ الله به من استوجب التلف وقد امتثلت قول الله : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فوالله ما وجدت أهلاً لهذا الذكر سواك وأنت الباب إلى تلك الأسباب والله يمنّ عليّ منك بالقبول ورحم ضعفي وهو الجواد ونعم المسؤول ، وأسأله أن يمنّ بالاجتماع ولا يحرمنا رؤيتكم ويجلو أبصارنا بالنظر إلى غرتكم .

إلى هنا انتهى [انتهى كلامه] في الكتاب الأول وفي الحديث عن علي بن محمد الهادي عليهما السلام : (**أحسن الظن ولو بحجر يطرح الله فيه سرّه فتنال حظك منه**) فقال السائل : ولو بحجر ؟ فقال عليه السلام : (**أما ترى الحجر الأسود**) انتهى .

وأقول اللهمَّ لا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون واغفر لي ما لا يعلمون إنك أنت الغفور الرحيم ستار العيوب غفار الذنوب وأنت حسبنا ونعم الوكيل .

الرسالة القطيفية
في جواب الشيخ أحمد ابن الشيخ
صالح بن طوق القطيفي
عن ١٦ مسألة منها ما أشكل له
في الموت والقتل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إن الابن الأرشد الأسعد الشيخ أحمد ابن المرحوم الشيخ الصالح بن طوق المذكور أحسن الله أحواله ، وبلّغه آماله في مبدئه ومآله قد ألحق المسائل المتقدمة بمسائل أخرى .

فقال بعد كلام طويل : وقد وفدت على بابك الذي هو للرحمة باب وقبلة الطلاب بمسائل منذ شهود ونحن لا نيأس من رحمة الله أن يمن علينا منك بنعمة الجواب ، جذبنا الله بمطالعتك من حضيض الجهل إلى أوج الفضل فانعموا بفيض الجواب أنعم الله عليكم بحسن الإياب إنه الكريم الوهاب ولا حرمنا نعمة إقبالكم ومنَّ علينا بوصالكم ، اللهمّ لا تخيّب رجائي منك ولا تبت سببي عنك إنك أرحم الراحمين قال : وهنا مسائل أيضاً أغفلت عرضها فيما مضى أرجو من الله أن تمنّ بجوابها وإنجاز الجميع .

أقول : إنما قال ذلك لأنه أرسل إلي بالمسائل الأولى ولم يحصل لي سعة في رد جوابها .

قال سلّمه الله تعالى : **مسألة** ـ إذا كان الموت الطبيعي نسبته من الحياة الدنيوية ، نسبة الكمال إلى النقص فهو استكمال وبلوغ رتبة

كمال ، فحينئذ ما حال من تغتصب نفسه بالقتل فيموت فجأة مع أن القتل كذلك سعادة ؟ وأيضاً فقد أو أحيى الأنبياء والأوصياء أناساً فرجعوا إلى الدنيا ثم ماتوا ثانياً فكيف ينتقلون من كمال إلى نقص ؟ .

أقول : قد تقدم بعض الإشارة إلى بيان ما تضمنته هذه المسألة وأقول : أما الموت الطبيعي فهو سير طبيعي تدريجي شيئاً فشيئاً فيفيد كمال ما اتصف به الشخص من الأعمال من خير أو شر ، وأما المغتصب نفسه بقتل أو فجأة فهو كذلك إلا أنه سير حثيث دفعي والأول تدريجي ، وأما من حيي في الدنيا بعد موته بمعجز من نبيّ أو وصي فإنه لا ينتقل إلى النقص الأول ، وإنما يكون منتقلاً من كمال إلى مساوٍ له أو أعلى منه فمن بعث ورجع في الدنيا إلى المعاصي والجهل بعدما عاين فقد انتقل من كمال [كمال أو] إدبار إلى إدبار أبعد من الإدبار الأول ، ولو فرض غلبة الأخلاط عليه في الرجوع إلى الدنيا حتى نسي ما عاين وانقلب إلى الحالة الأولى قبل الموت أو أنزل منها ففي الحقيقة والواقع هو كالأول ، (**ولو علم الله خيراً لأسمعهم**) وأما ظاهراً فليس رجوعه إلى نقصه بمجرد اقتضائه لذاته بل بواسطة فعل المحيي الذي رده على [عن] طريق طبيعته إلى ورائه .

قال سلّمه الله تعالى : **مسألة** ـ ما الوجه في صحة إطلاق سميع بصير عليه سبحانه دون باقي مشتقات الحواس الظاهرة والباطنة فإنّا لم نجد نصاً في جواز إطلاقها وهي أنواع العلم كلها ؟ .

اعلم : أن إطلاق أسماء المشاعر والإدراكات عليه تعالى على ثلاثة أقسام :

الأول : ما يصح إطلاقه عليه كالسمع والبصر والعلم والإدراك والحياة والقدرة لذاته بمعنى أنه عين ذاته .

الثاني : ما يصح إطلاقه عليه كالإرادة والكلام لفعله بمعنى أنها عين فعله أو صفة فعله .

الثالث : ما لا يصح إطلاقه عليه كالذوق والشم واللمس والتخيل والفكر وما أشبهها لا لذاته ولا لفعله والسبب في ذلك مع النص المبين ، ذلك أن المشعر الذي يراد للإطلاق إن طابق الذات بأن لا يراد منه إذا أطلق بعض الذات ، جاز إطلاقه عليه وهو عين ذاته كالسمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والإدراك . فإن واحداً من هذه إذا أطلق على الذات لا يراد منه بعضها فإذا قلنا : زيد حي لم نرد بالحياة بعض زيد بل كله حيٌ فهو الحي فهو الحياة وإلا لكان مغايراً لها فلم يرد منها الكل وكذلك باقي المذكورات وإذا كان الوصف مغايراً وكان جارياً مجرى الغير المغاير بشموله جاز إطلاقه على فعله لأنه ظهور الكل كالإرادة والكلام .

ولهذا قلنا : إنهما فعله وإذا كان المغاير يختص ببعض الذات كالشم والذوق والتخيل وما أشبه ذلك لم يجز إطلاقه على ذاته ولا على فعله لاستلزامه التجزية والتجويف والمداخلة ، ولهذا منع من إطلاق هذه ، لذلك وأما إطلاق اليد فإنما جاز لأن اليد لما جاز إطلاقها على القوة والنعمة جاز إطلاقها عليه أي على فعله وأثر فعله ، ولأنها آلة الفعل بخلاف الرجل فإنها لمّا لم تطلق على ما تطلق عليه اليد ، وإنما تستعمل للسعي والانتقال الممتنع على القدم والتجرد ومع هذا قد يخفى حال الوصف على المكلفين ، فلهذا عيّن أهل العصمة عليهم السلام الصفات فنصوا على ما يجوز

إطلاقه عليه لذاته أو لفعله وما يمتنع وذلك لما قلنا فافهم .

وقوله : وهي أنواع العلم كلها ليست أنواعاً للعلم من جنس واحد لأن العلم هو صور المعلومات المجردة عن المادة والمدة والشم لإدراك الروائح والذوق لإدراك الطعوم وما أشبه ذلك وهذه جسمانيات لا تدرك إلا بالأجسام أو الجسمانيات ولا يجوز ذلك عليه سبحانه .

قال سلّمه الله : مسألة ـ ما تحقيق معنى الاستطاعة ؟ وهل هي مع الفعل أو قبله والفرق بينهما [بينها] وبين العزم والإرادة والنيّة ؟ .

أقول : الاستطاعة التمكن من الفعل بالآلة والصحة وتخلية السرب وتعريف صفات الأفعال وتهيئة الأسباب فإذا وجد [أوجد] له الآلة الصالحة للفعل الخير والشر والإرادة الصالحة والمتعلق الصالح للخير والشر والأمر بالخير ، والنهي عن الشر وبيان جميع مواردهما فهي تمليك [فهذه الإشارة إلى] الاستطاعة لكنها قسمان : استطاعة قبل الفعل وهي ما ذكر فإنه يجب تقدمها قبل التكليف بالفعل إلا أنها بيد الله لا يملكها ولا يملك استعمالها لأنها قبل الفعل ليست له ، والثانية : استطاعة مع الفعل لا قبله ولا بعده وهي استعمال تلك في الفعل الذي خلقت له بالذات أو بالعرض فإذا استعمل ذلك كذلك كان مالكاً [ملكاً] له حين الاستعمال مع الاستعمال لا قبله ولا بعده كما قال الصادق عليه السلام : (**ليس له من الاستطاعة قبل الفعل ولا كثير**) وليست هي العزم لأن العزم بعض آلاتها وكذلك الإرادة والنيّة فتدبّر .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما معنى (**خالق إذ لا مخلوق**)

حتى صح ولِمَ لا تصح مفارقة الإرادة للمراد حتى قال عليه السلام : (**لا يكون المريد إلا والمراد معه**) .

أقول : قوله عليه السلام : (**خالق إذ لا مخلوق**) ليس حقيقة على ظاهره لأن خالقاً اسم فاعل ولا يكون فاعل ولا [فاعل إلا وله] مفعول ولهذا ورد عنهم عليهم السلام له معنى الخالقية ولا مخلوق ومعنى الخالقية هو العلم والقدرة أي كان عالماً بما يخلق قادراً عليه إذ لا يصح أن يقال : خلق ولا مخلوق لأنه معنى فعلي لا يتعقل بغير اقتران وعدم الاقتران وجوب ، فالحق فيه أن المراد له معنى خالق إذ لا مخلوق وأما أن الإرادة لا تكون إلا مع المراد فإن [فلأن] الإرادة طلب المراد ولا يعقل طلب لا يرد ولا يكون مراده ، وإلا كان له مردّ تعالى الله عن ذلك لأن الإرادة ليست حالاً ذاتياً وإلا لما اتصف بضده فلا يقال : لم يرد وإذا كان ثابتاً أنه يريد ولا يريد دلّ على الطلب [الطلب الفعلي] الذي لا مردّ له فلا يكون إلا والمراد معه فنقول : هل أراد أن يكون زيداً [زيد] اليوم ولا يكون إلا بعد سنين أم لم يرد أن يكون اليوم ، أم أراد اليوم أن يكون بعد سنين فمن الأول يلزم الامتناع من الممكن عن إرادته ، ومن الثاني يثبت أن الإرادة حادثة كما هو المطلوب ، ومن الثالث يلزم عدم تحقق الإرادة لأن الإرادة طلب الفعل وطلب الفعل اليوم لمفعول لا يفعل إلا بعد مدة لا يتحقق ، وإنما يتحقق العلم به كما قال الصادق عليه السلام لما سئل : لم يزل الله مريداً [مريداً عالماً] قال عليه السلام : (**لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد**) فظهر لمن فهم أن الإرادة لا تكون ولا تتحقق إلا مع المراد .

قال سلّمه الله تعالى : **مسألة** ـ هل يصح النسخ قبل مضي زمن

[زمن يسع] الفعل أم لا ؟ وما الفرق بينه وبين البداء ؟ .

أقول : النسخ بداء كما تقدم في المسائل الأولى والبداء نسخ إلا أن النسخ بداء تشريعي والبداء نسخ تكويني وهو كثير في الآيات قال تعالى : ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴾ أراد تعذيبهم بلا مهلة فسبقت رحمته غضبه فقال : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ وكذلك قوله تعالى : ﴿ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ ﴾ في النطف ﴿ رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ وما ذكره أهل الأصول مبني على أمور قشرية وهذا هو الواقع من أمر الله ومن فعله فهو بداء والبداء نسخ ، وشرح الحال يعلم مما تقدم فإنه [فإن] المنسوخ قد انقضت مدته في الوجود الزماني وكذلك البداء على نحو سواء .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ كيف يأمر الله تعالى خليله بذبح ابنه إسماعيل وهو لم يرد ذبحه ؟ .

أقول : قد تقدم جواب هذه المسألة ولكن هذا مما قلنا من جواز النسخ قبل الفعل وهو كثير .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما شرح معنى ما في الكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : (**لا بدّ لصاحب هذا الأمر من غيبة ، ولا بدّ له في غيبته من عزلة ونعم المنزل طيبة وما بثلاثين من وحشة**) ؟ .

أقول : أما غيبته فقد وقعت عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه وأعاننا على طاعته ، وأما العزلة فظاهر معناها بل قد لزمها في حياة أبيه عليهما السلام ، وفي بعد وفاة أبيه عليهما السلام وإن كان يرونه خواصه إلى حدود الثلاثمائة وثلاثين تقريباً ثم اشتدت الغيبة

ولزم العزلة بعد ذلك فلا يراه إلا المؤمنون من الجن والملائكة والأركان الأربعة وقد يظهر للإبدال لبعض الأوامر أو يكتب لهم أو يسمعون كلامه عليه السلام وقوله عليه السلام : (**ونعم المنزل طيبة**) يجوز أن يريد بها المدينة وأنه معتزل فيها مستتر عن الخلق واتخذها مأوى والخلق لا يعلمون بل قد يشعر [تشعر] بعض الروايات أنه نزل مدينة هورقليا فإذا جاء أمر الله وخرج ذو الفقار من غمده نزل إلى الأرض فتراه كل عين ويجوز أن يريد بها طيبة كرعة من اليمن في وادي شمراخ ، وشمريخ من هورقليا وقوله عليه السلام : (**وما بثلاثين من وحشة**) لعله يريد بذلك الأبدال الذين قد يشاهدونه ويأنس بهم وهم على ما في الكافي ثلاثون بدلاً والمعروف عند العلماء أنهم أربعون بدلاً لأنهم قالوا : إن الوجود والنظام لا يقوم إلا بعدد مخصوص لا ينقص قطب وهو الغوث وهو محل نظر الله من العالم ، وأربعة أركان وأربعين بدلاً وسبعين نقيباً وثلاثمائة وستين صالحاً والقطب لا تخلو الأرض منه ، والأربعة الأركان باقون ما بقي النظام ، والأبدال إذا مات أحدهم تفضل الله على واحد من النقباء وأيّده فقام مقام البدل وإنما سمي بدلاً لأنه يكون مثله في هيئته وعمله وملبسه وتفضّل الله على واحد من الصالحين فقام مقام ذلك الذي لحق الأبدال من النقباء فكان نقيباً مكانه وتفضّل الله على واحد من المؤمنين فقام مقام من تمم النقباء من الصالحين ، وفي حديث جابر ما يقارب رواية الكافي من كون الأبدال ثلاثين وإن سمّاهم بغير هذا الاسم ، وبالجملة فالظاهر أن المراد بقوله عليه السلام : (**وما بثلاثين من وحشة**) أنهم الأبدال والله أعلم .

قال سلّمه الله : [**مسألة** ـ] ما معنى قول صاحب الكشكول في فضل آل الرسول صلى الله عليه وآله [في أوله] إذا اعتبرنا مثلاً تعديل أجزاء الصورة البشرية في آدم عليه السلام وجدناها تسعمائة جزء من التراب [التراب وتسعين جزءاً من الماء] وتسعين جزءًا من الهواء [وتسعة أجزاء من الهواء] وجزءاً واحداً من النار إذا أردنا تعديل الصورة البشرية الإبليسية وجدناها سبعمائة جزء من التراب ، ومئة جزء من الماء ، ومئة وخمسين جزءاً من الهواء ، وخمسين جزءاً من النار ، أفحق هذا أم لا ؟ وما وجهه ومأخذه ودليله ؟ .

أقول : أما هذا التفصيل فلم أقف عليه إلا في هذا الكتاب المذكور ولم أعرف مأخذه ولا وجهه ولا دليله والذي في خاطري أن الترتيب غير هذا ولكن لا ينبغي أن يكذب الإنسان بما لم يعلم ، لأن الإنسان على هذا الترتيب ألف جزء والذي يفيده العلم الطبيعي المكتوم أن الإنسان مئة وستة وسبعون جزءاً في الذكر دون الأنثى ، وبالجملة فلا علم لي بتفصيل هذه المسألة والله أعلم .

قال سلّمه الله تعالى : ما حقيقة عالم الذر والميثاق ؟ وما رتبتهما في الإنسان [العالم] الكبير والصغير ؟ .

أقول : أما حقيقة الذر فالذر له ثلاث مراتب :

الأولى : ذر الرقائق في الحجاب الأصفر .

والثانية : ذر الصور في الحجاب الأخضر وعالم الأظلة وورق الآس .

والثالثة : ذر التكليف و[في] دار الدنيا وإنما أخذ الميثاق فهو الخلق الثاني والصبغة التي عليها مدار الثواب والعقاب والطينة التي

تجري عليها الأعمال الطيبة والخبيثة وذلك أن الله سبحانه خلق أكوانهم بماهياتها وهو قوله عليه السلام : (**جعل فيهم ما إذا سئلوا أجابوا**) ثم قال لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ فمن أجاب بقلبه ولسانه مطيعاً منقاداً خلقه من طينة الطاعة والإجابة أي من أعلى عليين ، ومن أجاب بلسانه وأنكر بقلبه خلقه من طينة المعصية والإنكار أي من طينة سجين وطينة خبال وعلى هاتين الطينتين جرى [خير] المكلف المختار كما قال صلى الله عليه وآله لسراقة بن مالك : (**اعملوا فكل ميسر لما خلق له وكلّ عامل بعمله**) فخلق كونهم ثم سألهم ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾ فخلقهم في السؤال والجواب الخلق الثاني في قربة [فرتبة] الذر الأول في الروح ، والثاني في النفس ، والثالث في الدنيا بهما .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى الحسبان في ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ ﴾ وفي ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا ﴾ وهم في الحقيقة على خلافه ؟ .

أقول : الظاهر أن هذا وأمثاله مثل لئن أشركت ليحبطن عملك كله [كلها] من باب إياك أعني واسمعي يا جارة .

أما الأول : ففي الظاهر ظاهر وفي الباطن أن الممكن الباقي محتاج في بقائه إلى المدد فهو أبداً نهر يجري مستديراً عوده على بدئه فهو موجود مفقود وهذا إنما يخفى على عامة المكلفين [الناس] لا على العلماء فضلاً عن النبيّ صلى الله عليه وآله حتى يظن خلاف الواقع إنما ذلك لأمّته .

وأما الثاني : فلأن أهل الكهف كانوا نياماً وأعينهم مفتوحة وشعورهم طويلة [الطويلة] وأمثال ذلك فإذا رآهم شخص من سائر

الناس استوحش منهم ورعب ، ولكن كيف يكون هذا في حق النبيّ صلى الله عليه وآله وليس في خلق الله أشد ثباتاً منه وإنما هو لأمّته وفيهم معنى آخر أن أهل الكهف التأويلي الذي هو الجسد ﴿ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ عقل وعلم ووهم ووجود وخيال وفكر وحياة ، وكلبهم هو الأثيرية ﴿ بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ وهو الغضب في الإنسان الصغير ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ وعرفتهم على ما هم عليه لما رأيت من شيء من [لشيء منهم] شعوراً ولا إحساساً ولا إدراكاً بل ولا وجوداً بل هم رقود ونحن نقلبهم جهة الخير وجهة الشر و﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا ﴾ ولم تعتمد على أحد منهم إذ العاقل لا يعتمد على ما ليس بشيء بل يولي عنه فراراً إلى الشيء الذي يصح الاعتماد عليه ويجب الالتجاء إليه ، ولو التجأت إلى أحد منهم ثم تبين حاله لك لملئت منه رعباً حيث التجأت إلى ما ليس بشيء ، وهذا لا يكون منه صلى الله عليه وآله وإنما يكون من رعيته غير العارفين فالحسبان منهم لا منه .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ إذا انتهى الزمان إلى الثابت فكيف ينحصر عدّ ما مضى من آدم إلى الآن وقد سألني عن هذه بعض المذاكرين ، إلخ ؟ .

أقول : إن قلنا بهذا القول بأن الحادث منته إلى القديم لم يمنع من عدّ الحادث لأن من آدم إلى الآن ليس هو القديم ولا هو من المجردات عن المدة إن أريد بالثابت المجردات فإنها لا ينسب إليها الماضي والحال والاستقبال لأن هذا حال الزمانيات فمن قال بالانتهاء إلى الثابت لم يمنع من عد المنتهى ، وإن منع من عدّ المنتهى إليه ، وأما على ما نقول من أن الزمان منتهٍ إلى الدهر فهو

معدود بالأجزاء الزمانية والدهر معدود بالأجزاء الدهرية والدهر منتهٍ إلى السرمد وهو معدود بالأجزاء السرمدية ، والسرمد منتهٍ إلى نفسه لا غير والكل قائم بالله قيام صدور فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما الوجه فيما يظهر من الأثر أن إبليس خلق قبل آدم عليه السلام ؟ .

اعلم أنّ إبليس لم يخلق قبل آدم بقول مطلق وإنما خلق قبل آدم أبينا الأخير لأنه خلق من نار وما يخلق من النار يسبق ما يخلق من التراب للترتيب الطبيعي ولأنه مظهر الجهل الأول الذي هو ضد العقل الذي قبل الموجودات ، ولأنّ آدم أبانا لو كان مخلوقاً قبل إبليس لما أمكن أن يتسلط عليه ظاهراً ولكن كل هذا على الظاهر [الظاهر وإلا] ففي الحقيقة آدم قبل إبليس في الدهر ، وإن كان إبليس قبل آدم في الزمان بناءً على أن النار قبل التراب وإلا ففي الحقيقة إنما خلق إبليس من نار الشجر الأخضر وذلك الشجر خلق من التراب ، فالتراب قبل النار التي خلق منها إبليس .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ أي المقابلات بين العقل والجهل تقابل ملكة وعدم أم تضاد أم نفي وإيجاب؟ .

أقول : اعلم أن الجهل له إطلاقان لكل واحد وجه : أحدهما : يراد شبه ضد العلم والتقابل بينهما تقابل ملكة وعدم ، لأن العلم هو الصورة المجردة عن المادة الجسمية والمدة الزمانية والجهل عدم الصورة ، وثانيهما : يراد به ضد العقل والتقابل بينهما تقابل تضاد لأن العقل هو المعاني المجردة عن المادة الجسمانية والمدة الزمانية والصور النفسية والمثالية وهو المعبّر عنه باليقين والثبات البات ، والجهل هو الشك والتردد بين طرفي النفي والإثبات كأنما

يصعد في السماء ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾ وإلى ذلك الإشارة بقوله عليه السلام في حديث الكافي حكاية عن الجهل : (**ولا قوة لي به وأنا ضده**) وقد يطلق الجهل في ظاهر اللغة أو مجازاً على ما قابل المعرفة فيقال : زيد يجهل هذا الشيء ولا يعرفه والأصل أن المعرفة تقابل بالإنكار كما قال تعالى : ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ و﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ فافهم .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ الجهل البسيط إن لم يكن فيه وجود فكيف يكون ؟ وإن كان فما الفرق بينه وبين المركب ؟ .

أقول : الجهل البسيط موجود وقولنا : إنه عدم الصورة ليس نريد أنه هو في نفسه عدم وإنما هو موجود ولكن لا صورة فيه بناءً على أن العلم هو الصورة النفسانية ، وإذا قلنا : إن الجهل البسيط موجود فالفرق بينه وبين المركب أن البسيط موجود لا علم فيه ولا يدعي العلم والمركب كذلك إلا أنه يدعي العلم فالتركيب بين عدم العلم ودعوى العلم والبساطة عدم التركيب بدعوى العلم .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ أهل [لأهل] المنطق على أن اللازم لا يكون أخص فأي رتبة من الوجود المقيد إن كانت من لوازم المطلق ، فكيف تفقد في غيرها وإن لم تفقد لم تتمايز الشخصيات ؟ وإن فقدت تحقق الانفكاك وكذا الأشخاص بالنسبة إلى الأنواع وهي إلى الأجناس ؟ .

أقول : إن مسألة كون اللازم لا يكون أخص لا ارتباط لها بهذه المسألة من وجهين :

أحدهما : أن هذه الرتبة ليست لازمة وإنما وجدت عند توفر أسبابها السبعة المتقدمة التي هي المشخصات .

وثانيهما : أن تعلق هذه الرتبة من المقيد بالمطلق إنما هو بجهة منه خاصة بتلك الرتبة فتنهدم المسألة من أصلها لأن الوجود المطلق إن أريد به المعنى الاصطلاحي فهو عالم المشيّة والإبداع وعليه فتعلقه بتلك المرتبة من المقيد إنما هو بجهة منه خاصة بها لا بكله من حيث هو ، وإن أريد به مطلق الوجود فهذا معنى اصطلاحي ليس له تحقق في الواقع وإنما يتصور في الفرض هذا على دعواهم ، وأما على الحق فلا يمكن فرض ذلك على معنى صحيح تبنى عليه مسألة ، بل الوجود الحق سبحانه في صقع لا يدخل فيه شيء ، ولا يدخل هو في شيء ، ولا ينسب إلى شيء ولا ينسب إليه شيء والوجود المطلق هو مشيّته وفعله ، وهو عالم متفرد كذلك والوجود المقيد هو المفعولات التي أولها العقل وآخرها ما تحت الثرى ولا ملازمة لواحد من هذه الثلاثة بآخر فكل رتبة من مراتب الوجود المقيد توجد في مرتبتها بذاتها وتوجد في ما تحتها بظهورها أو انعقادها فتكون بانعقادها ليست هي الذائبة بذاتها ، وإنما ذلك صفة الذائبة والذائبة من حيث هي فوق ذلك لا في السفلي وتوجد فيما فوقها بالإمكان والقوة لا بالفعل والأصل في ذلك أن الشيء إنما يكون هو هو بالمشخصات السبعة التي هي الوقت والمكان والرتبة والجهة والكم والكيف والماهية .

قال سلّمه الله تعالى : مسألة ـ ما تفصيل السبع التي لا يكون شيء إلا بها في مراتب الكبير والصغير وتحققها في المفارق [الآفاق] والأنفس بالنسبة إلى تعقلاتها؟ .

أقول : قد سأل أيّده الله عن هذه المسألة في المسائل الأولى وكتبنا جوابها فلا فائدة في ذكره .

هذا آخر المسائل الثانية والحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله .

* * *

الرسالة القطيفية

في جواب الشيخ

أحمد ابن الشيخ صالح بن طوق القطيفي

عن ١٥ مسألة منها في تولد عيسى عليه السلام من غير أب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين .

أما بعد ، فيقول العبد المسكين أحمد بن زين الدين الأحسائي : إن الشيخ أحمد المذكور الحق بذلك مسائل بعنوان : بسم الله الرحمٰن الرحيم ـ سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ما أوضحتم برهاناً وتلوتم وأقمتم سنّة وأوضحتم آية وتلوتم بعد الاستغفار في الأسحار قرآناً وتفكّرتم بالليل وأزلتم الأغيار ونشرتم العلم بالنهار ، وجذبتم النفوس القاصرة فصارت ببركتكم جناناً .

أما بعد أيها المولى المحروس وموقظ النفوس فإني كتبت لجناب نياط قلب الأحباب كتاباً فيه شيء من المسائل الدينية وإن كان غير مرتب العبارة ولا محرر الإشارة [بالإشارة] ثقة بعفوك وطمعاً في برّك وتوفيقاً ببيان المرام في الجواب فسنح لي أن ألحقه بهذا ليلحقه سيدنا بذاك [بذلك] لأن العلم بكرمك يطمع في قرع باب حرمك .

مسألة : ما الوجه في تولد عيسى من غير أب وهل الجنين من ماء الرجل أم [أو] من ماء المرأة أو منهما أو تارة كذا وأخرى كذا ؟ .

أقول : ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ، أراد أن يبين لعباده

قدرته وكيفية تولّد آدم عليه السلام والأب إنما يكون سبباً للتولد لأجل النطفة التي هي في صلبه وليست هي نفس المني ولكن المني حامل للنطفة التي هي روح الحياة المعبّر عنها ظاهراً بالرائحة لأنها لازمة للرائحة ، وهي التي تقع من شجرة المزن ومن هذا [هنا] كان أهل شهرزنان كلهم نساء وليس فيهم ذكور ، وإنما يحملن من شجر في بلادهن يكون في أصل الشجرة غصن كهيئة ذكر الرجل وله رائحة كرائحة المني فتمضي المرأة وتستعمله فتحمل ببنت وذلك للرائحة ولمّا أراد الله سبحانه إظهار قدرته أرسل جبرئيل إلى مريم عليها السلام ونفخ في جيبها أو في فمها على اختلاف الروايتين بهواء رائحته رائحة المني فتولّد منه عيسى عليه السلام وليس ذلك على خلاف المعتاد ، وأما الجنين فإنه يتولد ويتكون من أربعة عشر شيئاً ، أربعة من ماء أبيه وهي : العظم والمخ والعصب والعروق ، وأربعة من ماء أمه وهي : اللحم والدم والجلد والشعر ، وستة من الله تعالى وهي : الحواس الخمس والنفس الحيوانية وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴾ أي صلب الرجل وترائب المرأة أي صدرها لأن منيّها من صدرها ولا يكون الإنسان إلا من ذلك إلا لمعجز لأنّ صاحب المعجز بفضل قوة نفسه يكمل الناقص .

قال سلّمه الله تعالى : وما الوجه فيما ورد في بعض الآثار من أن يوسف أبا الحجاج أتى أمه ليطأها ذات ليلة فأخبرته أنه وطئها الثاني فكفّ عنها ، وأخبر مولانا زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام فأخبره أن الذي وطئها شيطان اسمه كذا فأمره

باجتنابها فاجتنبها حتى ولدت بالحجاج فكان لعنه الله من نطفة الشيطان وحده كذا نقل لي مضمونه بعض العلماء ؟ .

أقول : أما أصل هذا الحديث فليس ببالي حال إملاء هذه الكلمات ولكن لا منافاة فيه من جهة المعنى ، ولا غرابة فيه إلا أنها اخبرت أن الثاني وطئها وأخبر عليه السلام أن الذي وطئها [وطئها شيطان] ووجه [ووجهه] أن الشيطان تصور في صورة الثاني لأن الغائب طبق الشهادة ، ﴿ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾ أو أن الإمام عليه السلام أخبر عن الحقيقة بأن حقيقة الواطىء ليس ببشر وإنما هو كذا كما أن حقيقة اسمه كذا .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى أن المجامع إذا لم يسمّ أدخل الشيطان ذكره ؟ .

أقول : اعلم أن هذا الفعل شهوة حيوانية إنما تعلقت بالإنسان من جهة حيوانيته لعلة النسل ، إذ لو لم تكن الشهوة لكان أكثر الخلق لا يطلبون مجرد النسل فألقاها على الإنسان لنظام النسل وفي الحقيقة هي خلاف الإنسانية ، فإذا أتى الإنسان لذلك وغلبت عليه الشهوة ربما ضعفت فيه جهة الإنسانية وقويت فيه جهة البهيمية ، حتى إن منهم من يفعل فعل الحيوان [الحيوانات] في حركاته و شهيقه ونهيقه والشيطان يغتنم الفرصة فيه لقرب المشاكلة وإلى جهة المشاكلة بين الشهوة والشيطان الإشارة والإيماء بقوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَـٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَـٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ﴾ ولمّا كانت ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ هي المشتملة على أسرار الكتب المنزلة وسرّ القرآن

وكانت (**أقرب إلى الاسم الأعظم من سواد العين إلى بياضها**) وهي القرآن الذي قال الله تعالى فيه لنبيّه صلى الله عليه وآله : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴾ ، كان نورها يحرق الشياطين فإذا سمّى عند الجماع ولّى الشيطان على دبره نافراً لئلا يحترق من نورها لأنه لا يجد له ملجأ عند المجامع يتعلق به لأن المجامع إذا سمّى فقد اقتصد في جماعه وانكسرت عنه القوة الحيوانية المشاكلة للقوة الشيطانية فقويت فيه جهة الإنسانية ولا يكون للشيطان عنده نصيب ولا تعلق .

قال سلّمه الله تعالى : وإذا ثبت أن الحسن والقبح عقليان فما الوجه في الخلاف أنهما ذاتيان أم لا ؟ .

أقول : قد ثبت أن الحسن والقبح عقليان لشهادة العقل والنقل بذلك وإنما الخلاف حدث من احتمالات من لم يثبت عندهم كونهما عقليين لأصل مكابرة مقتضى العقل لأجل المخالفة والمفارقة فأخذوا يتأوّلون كل حجة ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ ، ومن ذلك أن الكذب قبيح عقلاً ولكنه يجب للدفع عن النبيّ صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام والمؤمن ، فقال : من أنكر كونهما عقليين هذا كذب واجب فيكون حسناً شرعاً ، ولو كان قبحه ذاتياً عقلياً لما حسن ولما وجب ، ولكن لمّا كان قبحه شرعياً لا لذاته كان حسنه شرعياً كذلك لدوران له ، وإن الحسن والقبح مدار الأمر والنهي ومن قال بأنهما عقليين لا يتم أصله إلا بكون ذلك ذاتياً فإذا وجب كما ذكر كان حسنه عرضياً لا

ذاتياً لنفي انقلاب الحقائق وإنما وجب من باب دفع الأقبح بالقبيح وهو على حقيقته ، ولهذا إذا أمكن التورية لا يجوز الكذب فلأجل هذا الأصل وقع النزاع بين المتنازعين بالنقض والإبرام حتى دخلت الشبهة على بعض من يقول بالعقلي بأنه ليس بذاتي وهذا كما ترى .

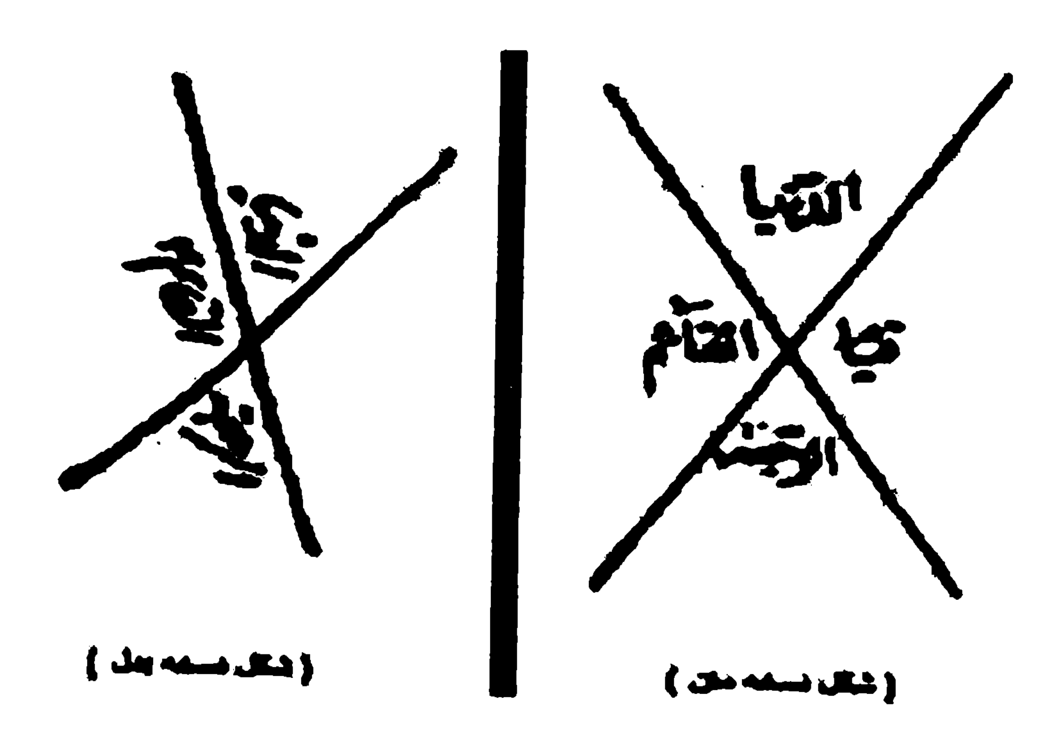
قال سلّمه الله تعالى : وهل يجري النسخ قبل حضور وقته أم لا ؟ .

أقول : هذه المسألة قد ذكرت في المسائل الأولى وتقدم جوابها فلا يفيده [فلا نعيده] هنا لأنا لسنا بصدد التطويل وإنما نحن بصدد الاقتصار والاختصار .

قال سلّمه الله تعالى : وما الوجه في أن الإمام عليه السلام لا يظهر حتى تمتلىء الأرض جوراً وظلماً ؟ وما الوجه في ما يظهر من بعض الآثار أنه عليه السلام يكون في بعض الأحوال هو الرئيس مع ظهور الأمير أو الحسين عليهما السلام ، وأن الأمير يقتل في عسكر ابنه عليهما السلام وكيف يقتل مرتين ؟ وما معنى أن لكل مؤمن قتلة وميتة ؟ .

أقول : الوجه في أن الإمام عليه السلام لا يظهر حتى تمتلىء الأرض جوراً وظلماً [ظلماً وجوراً] أن الدنيا آخرها قيامه عليه السلام لأن الأيام ثلاثة قال تعالى : ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ﴾ يوم الدنيا ، ويوم الرجعة ، ويوم الآخرة ، أو يوم قيام القائم عليه السلام ويوم لارجعة ويوم القيامة ، والحاصل أن هذه الدنيا ظهرت على اعتدال استدارة الفلك فلما كانت دولة الباطل تغيرت الحركة واشتد الباطل فأسرع الفلك وصار كل واحد مقتضياً للآخر ولِمَا

بعده يعني [حتى] أن الظلم الواقع أمس أسرع بحركة الفلك أمس والظلم الواقع اليوم يسرع بحركة الفلك اليوم ، هو والواقع أمس فتكون الحركة اليوم أسرع لوجود مقتضيين أمس واليوم لأن الظلم الذي لا ينتقم [لا ينقم] لا يرتفع سببه وكلّما أسرع الفلك قصرت الأعمال وتعسرت الأمور وقضاء الحوائج واشتدت الحال ويعظم الجور [الجور والظلم] وهكذا لأن الظلم يستجلب الغضب وهو يحدث سرعة حركة الذي غضب ولمّا كان الجبار جلّ وعلا لا يتداخله شيء ظهرت آثار الغضب في الأسباب وذلك يقتضي سرعة حركة الفلك ، ولا يزال ذلك يتضايق إلى نقطة وحينئذ لا تبقى [لا يبقى] ذرة في الأرض خالية من الظلم فهناك يأتي تأويل قوله تعالى : ﴿ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ فيخرج عجّل الله فرجه عند التقاء خطي الدنيا كما تراه في الهامشة :



فيأخذ الخطّان في الانفراج كما ترى [تراه] فتأنى الفلك في حركته فتطول الأعمار وتتيسر [ويتيسر] الأمور وقضاء الحوائج

وتجري المطالب على إرادة المؤمنين وهكذا حتى تكون السنة قدر عشر سنين من هذا الزمان وذلك لعلة ظهور حلم الله وأناته في الأسباب والمسببات ، فتعظم راحة المؤمنين ودعوى امتناع ذلك في الأفلاك غلط ظاهر لأنّا نقول : إن هذه الحركة هل هي للجسم الفلكي أم لنفسه أم للملائكة الموكّلين بتحريكه ؟ ، لا يخلو الحال من ذلك لا جائز أن تكون للجسم وحده وأنه مجبول عليها ليقال : إن الجبلة لا تتغير ولو سلّمنا ذلك جوزنا أن يغيّر جبلتها إلى ما تشاء لأن الجبلات في الحقيقة قائمة بمشيّة الله قيام صدور فإذا شاء الله تغيرها تحركت بتبعية تحريك مشيّته تحرك النور بتحرك المنير ، ولا محذور في تغيير الحركة إلا من وجهين : الأول : من جهة تعذر التغيير لعدم تغير المحرك كما لو قيل بأن حركة الفلك جبلية وقد أشرنا إلى جواز ذلك وعلّته ، وإن قلنا : بأن لها نفوساً تحركها بالاختيار أو قلنا : إن الملائكة تحركها زال المحذور ومن هذا الوجه الثاني من جهة توهم فساد العالم السفلي لاختلاف الأوضاع العلوية وهذا غلط ، فإن السفلي إنما ينتظم على استقامة العلوي إن أسرع مستقيماً انتظم ، وإن أبطأ مستقيماً انتظم ، وإن اختلف بأن أسرع متدرجاً أو أبطأ متدرجاً انتظم بالأول متضايقاً وبالثاني متسعاً ، وإن اختلف بالإسراع والبطء على غير استقامة بل يكون مثلاً يوماً مسرعاً وساعة بطيئاً ، ونصف ساعة بين الإسراع والإبطاء وثلث ساعة ماكثاً وبعدها مسرعاً بحيث يستدرك ذلك المكث وهكذا ويكون ذلك الاختلاف ليس بمتسق لا في الأفراد ، ولا في الأدوار ولا في أنفس الحركات فسد النظام إن أجرى أفعاله سبحانه على هذه الأسباب ، وإن شاء لم يفسد لأنه سبب من لا سبب له

وسبب كل ذي سبب ومسبب الأسباب من غير سبب وذلك لأنه [لأن] ذاته السبب الأكمل ومع ذلك كله فالأعمال الصالحة تصلح ما يكاد يفسد باختلال الأوضاع الفلكية ولهذا أمر الشارع عليه السلام عند الكسوف والخسوف بالصلاة لأنّ نور الشمس إذا انحبس في وقت عادته الظهور فيه تسري [يسري] البرودة والرطوبة في محل اليبوسة والحرارة وتقع أسباب الفساد والاختلال في الأنفس والأجسام وفي العالم الآفاقي ، وكذلك إذا انخسفت القمر انحبس نوره في وقت ما ينبغي ظهوره فتسري الحرارة واليبوسة في محال البرودة والرطوبة ، وتقع أسباب الفساد والاختلال أيضاً كذلك فأمر الشارع عليه السلام بأن يفزع المكلفون إلى الصلاة والدعاء ليدفع الله عنهم أثر غضبه الذي هو حبس ذلك النور ، في الوقت الذي ينبغي ظهوره فيدفع عنهم فتقوم الأعمال مقام الأسباب المصلحة للنظام .

فقد بينّا لك عدم المحذور لا من نفس اختلاف الحركة ولا من اختلال النظام ، وأما جواب أنه كيف يتقدم الحجة عليه السلام على الحسين عليه السلام الذي أفضل منه حتى يكون من عسكره وكيف يكون علي عليه السلام من عسكر ابنه الحسين عليهما السلام ويقتل في عسكره ؟ .

فاعلم أنهم عليهم السلام من طينة واحدة ونور واحد ، فهم شيء واحد وإنما تفاضلوا بالتقدم إلى المبدأ وبعد ذلك فهم في كل حال سواء والقيام بالأمر هم فيه سواء والحسين عليه السلام يخرج وقد بقي من مدة ملك القائم عليه السلام إحدى عشرة سنة فيخرج صامتاً إلى أن تنقضي مدته فلمّا قتل وغسله وصلّى عليه ودفنه قام بالأمر ،

وبعد مضي ثمان سنين من قيام الحسين عليه السلام بالحكم قام علي عليه السلام لنصرة ابنه عليهما السلام ويقتل ، وقد أخبر عليه السلام بذلك حيث قال : (**أنا الذي أقتل مرتين ، وأحيى مرتين ، ولي الكرّة بعد الكرّة والرجعة بعد الرجعة**) .

وأما أن لكل مؤمن قتلة وميتة فلأن الموت استكمال تدريجي وهو تربية [رتبية] للاستكمال كالاستغذاء بالطعام شيئاً فشيئاً فإنه مصلح ، ولكن لا لذة فيه وافرة وإذا اغتذى بالطعام على حسب شهوته فإنه ألذ ، وإن كان في طعام الدنيا قد يضر من بعض الأحوال لكنه في الآخرة لذة بلا مضرة ، فكذلك القتل فإنه استكمال دفعي وهو ألذ وهو أخروي لا ضرر فيه وكان عند الله درجات من ثوابه لا تنال إلا بالقتل وأخرى لا تنال إلا بالموت ، فأحب لعبده المؤمن أن تنال كل مرتبة من ثوابه وذل لمن محض الإيمان محضاً .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى أنه لا يسأل في قبره إلا من محض الإيمان أو الكفر وما سواهما يلهي عنه ؟ .

أقول : إن السؤال في القبر إنما هو عمّا كلّف به في دار الدنيا فإن كان الشخص قد عقل التكليف وعرف ما يراد منه صحّ عتابه وثبت سؤاله وحسابه لأنه محض الإيمان أو محض الكفر وإن لم يعرف [لم يعرفه] في دار الدنيا ما يراد منه بسرّه ولم يتبين له الهدى والضلالة وإن فهم ظاهر التكليف وعمل أو لم تعمل لكنه لم يعقل الأمر وإنما دخل فيه غيره والسؤال إنما هو لمن عرف ليسأل عما يعرف فذلك ممن لم يمحض الإيمان والكفر ، ولا يجوز أن يسأل عما لا يعرف أو يعاتب عنه فيلهى عنه ويترك في قبره حتى

تأكل الأرض ما فيه من الأعراض المانعة من فهمه للتكليف كالرطوبة الموجبة للبلادة المانعة من الفهم حتى يأتي يوم القيامة وهو كغير [كغيره] في قوة التعقل فيجدد له التكليف ويسأل بأن يؤمر بدخول النار المسماة بالفلق فإن أطاع دخل الجنة وإن عصي دخل النار ، نعم قد يسأل بعض من لم يمحض عما عرف وما لم يعرف يلهى عنه إلى يوم القيامة ولا يسأل عن الكل إلا من عقل الكل .

قال سلّمه الله تعالى : وكيف لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس وما معناه؟ .

أقول : لهذا الكلام معنيان :

أحدهما : المراد بالساعة قيام القائم عليه السلام التي لا يجليها لوقتها إلا هو وذلك لأنه يكون عذاباً على أعدائه الذين هم شرار الناس قال تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾ فيكون قيامه عليه السلام عليهم كذلك قال تعالى : ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

وثانيهما : يكون ذلك في آخر الرجعة بعد أن يرفع الله النبيّ صلى الله عليه وآله إلى السماء بعد فناء المؤمنين يبقى الناس في هرج ومرج أربعين يوماً ، ثم ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الصعق فتقع النفخة على الباقين كذا قيل ، إلا أن الذي أفهم هو الأول كما ذكرنا وكذا إن أردنا بالساعة يوم القيامة الكبرى لأنها سعادة للمؤمنين وإنما تكون على الكافرين وتقوم على شرار خلق

الله وهذا معنى صحيح أيضاً ، وأما ثاني الأولين فظاهر الروايات أنه لا يبقى إلى ذلك الزمان أحد من الأشرار والله أعلم .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى الرواية الدالة بظاهرها على أن بين كل سماءين أرض وليس تحتنا إلا أرض واحدة ؟ وما تفصيل السبع وما جبال البرد والثور والحوت وفلوسها والصخرة ؟ .

أقول : اعلم أن العلماء تكلفوا فهم ذلك كثيراً وغاية ما قالوا فيه : إن المراد بهذه الأرضين هي محدب الفلك الأسفل بالنسبة إلى مقعر الأعلى ، فيكون المراد بالست محدب السماء الدنيا إلى السماء السادسة ليكون [فيكون] مقعر السابعة سماء لها ولا يكون محدب السماء السابعة أرضاً لعدم وجود سماء من السبع فوقها ، فليست أيضاً وهذه الأرض التي نحن عليها هي السابعة السفلى ، وإنما كانت واحدة مع أنها سبع لملاصقة بعضها لبعض فهي بهذا المعنى واحدة ، هذا نهاية ما احتملوا في الحديث الشريف ، والذي عندي غير هذا وإنما المراد أرض النفوس والسماوات سماء العقول وكون كل سماء محبوكة على أرضها أنها في مقابلتها ، وأن ارتفاع ذلك السماء بنسبة انخفاض أرضه فسماء الحياة التي هي سماء الدنيا محبوكة على أرض النفوس التي هي تحتنا وسماء الفكر محبوكة على أرض العادات ، وسماء الخيال محبوكة على أرض الطبع وسماء الوجود الثاني محبوكة على أرض الشهوة ، وسماء الوهم محبوكة على أرض الطغيان ، وسماء العلم محبوكة على أرض الإلحاد ، وسماء العقل محبوكة على أرض الشقاوة وهي المشار إليه في حديث زينب العطارة وحبابة الوالبية فقد ذكر صلى الله عليه وآله : **(إن الأرض الأولى في الأرض الثانية كالحلقة**

الملقاة في فلاة قي والأولى والثانية على الأرض الثالثة كالحلقة الملقاة في فلاة قي) ، وهكذا ولو أراد بها الأرضين المعروفة لما حكم بأن الدنيا أصغر من التي تحتها بهذه النسبة لأن الأرضين الجسمية على العكس فافهم .

وأما جبال البرد فالمعروف عند الحكماء أن البرد إنما يكون إذا وصل البخار الصاعد بحرارة الشمس إلى الطبقة الزمهريرية انعقد برداً ، ولكن الشارع عليه السلام أخبر بأنها جبال وراء السماء السابعة وأن السماوات السبع على جبال البرد كالحلقة الملقاة في فلاة قي ، والمحسوس أن ليس ثَمّ جبال والذي فهمت أن السماء السابعة باردة يابسة ، وأن المراد بها خارج المركز لزحل وأن المتممين في ذلك الفلك بطبيعته كما كان كل متمم بالنسبة إلى خارج مركزه لأن الممثلات من نوع أفلاكها إلا أن ممثل زحل شديد اليبوسة والبرودة وهو علة جمود الماء ومنه تستمد الطبقة الزمهريرية وهي جبال البرد أي التي تحدث عنه في السحب ، والزمهريرية جبال البرد أو أصل ذلك أو أن تلك القوى المجمدة جبال معنوية فافهم .

وأما الثور فإنه مقابل فلك البروج وهو للإنسان السفلي المعبّر عنه بدائرة الجهل صدر أي نفس ونكراه هي الحوت المقابلة للعقل المشابهة له وفلوسه جهاته التي يختص كل فلس منها بأرض من الأرضين المذكورة سابقاً وبإقليم [بإقليم كل] منها فكل فلس نفس لتلك الحصة المختصة به والصخرة هي سجين في مقابلة عليين في دائرة العقل ، وسجين في دائرة الجهل كتاب الفجار وهي طينة خبال وهي أرض أهل النار كما أنّ عليين أرض أهل الجنّة فافهم .

قال سلّمه الله : وكيف تطبق مراتب الجنين على مراتب العالم ؟ .

[أقول] اعلم أن مراتب الجنين ست مراتب وهي الستة الأيام التي خلق فيها كما أن العالم خلق في ستة أيام فالأول : يوم الأحد وهو يوم النطفة في الجنين ويوم العقل الأول ويوم الوجود في العالم ، والثاني : يوم الاثنين وهو يوم العلقة في الجنين ويوم النفس الكلية ويوم الماهية في العالم ، والثالث : يوم الثلاثاء وهو يوم المضغة في الجنين ويوم الطبيعة الكلية ويوم فصل الربيع في العالم ، والرابع : يوم الأربعاء وهو يوم العظام في الجنين ويوم المادة الكلية ويوم فصل الصيف في العالم ، والخامس : يوم الخميس وهو يوم تكسى العظام لحماً في الجنين ويوم المثال ويوم فصل الخريف في العالم ، والسادس : يوم الجمعة وهو يوم ينشأ خلقاً آخر في الجنين ويوم فصل الشتاء ويوم الجسم [ويوم الجسم ويوم فصل الشتاء] في العالم فهذا مختصر الإشارة إلى المقابلة وإلا فالكلام في ذلك يطول .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى : (نصرت بالرعب شهراً) ؟ .

أقول : معناه أنه صلى الله عليه وآله [آله أيّده الله] ونصره بجنود كثيرة منها الملائكة ومنها آية الله علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهي كثيرة ومنها الرعب فإنه يسير أمامه إذا سار للجهاد شهراً يعني إلى مسافة شهر كلّ يخافه أي يخافه عدوه وبينه مسير شهر وكان ذلك من أعظم جنود [الجنود] كما قال علي عليه السلام : (**ما بارزني أحد إلاّ وأعانني على نفسه**) أي بشدة رعبه مني وخوفه والحمد لله .

وقد ألحق أيده الله بهذه المسائل مسائل آخر :

فقال : سلام عليكم ورحمة الله أبداً وما الوجه في دفن آدم عليه السلام في موضع ونقله إلى آخر ؟ وكيف تأكل الأرض لحمه حتى لا تبقى إلا عظامه ؟ وما معنى أن المرء يدفن في الموضع الذي أخذ الملك طينته منه ؟ وفي الناس من يأكله سبع أو نحوه وفيهم من يحترق [يحرق] ؟ .

أقول : أما الوجه في دفن آدم عليه السلام في موضع ونقله إلى آخر فاعلم أن كل مخلوق يدفن في الموضع الذي قبضت منه تربته التي تماث في نطفته ولكن قد تكون رياح شديدة تنتقل [تنقل] تراباً من موضع [موضع إلى] آخر والملك يقبض التراب للإنسان من الموضع الآخر لأنه لا يأخذ كل تراب إنما يأخذ تربته التي له من فاضل طينته في عالم الذر والخلق الثاني ، فإذا كانت في مكان عند خلق الأرض فإن بقيت حتى قبضها الملك من تلك البقعة ابتداءً ، دفن ذلك الميت فيها ولو كانت بلاده بعيدة عن تلك البقعة لا تزال نفسه تحن إلى تلك البقعة حتى يسير إليها ويدفن في ذلك الموضع وإن نقلت الريح تلك التربة إلى موضع آخر وقبضها الملك من المكان الثاني ومائها في نطفته إذا مات ، دفن في الموضع الثاني بقدر ما مكثت فيه نطفته ثم ينتقل [ينقل] إلى الموضع الأول الذي هو أصل تربته فهذا وجه دفن آدم عليه السلام في موضع ونقله منه إلى آخر وهذا جارٍ في بنيه إلى يوم القيامة .

وأما أنه كيف تأخذ الأرض لحمه ؟ فاعلم أنه لا دليل على هذا وأما ما نقل من أن نوحاً عليه السلام حمل عظام آدم عليه السلام فالظاهر منه أنّ المراد منه جسده وأطلق عليه العظم لأنها أشرف ما

فيه حتى إن جميعها يقوم مقام الجسد حتى في الأحكام كما روي من وجوب الصلاة على جميع عظام الميت إذا وجدت وإن لم يكن فيها قلب أو صدر ، وكذلك ما روي في نقل موسى عليه السلام عظام يوسف عليه السلام ، وأما الرجل الذمي الذي كان في زمن الهادي عليه السلام وأنه كان يمد يده إلى السماء فيقع المطر حتى اضطرب بعض المسلمين فأرسل المتوكل إلى الهادي عليه السلام أن أدرك دين جدّك عليه السلام فلمّا حضر قال للرجل : ادع فلمّا مد يده قبض عليها الإمام عليه السلام وأخذ منها عظماً فقال [وقال] له : (**ادع إن كنت صادقاً**) فلم يكن شيء فقال لهم عليه السلام : (**إن هذا عظم نبيّ من أنبياء الله تعالى وما كشف عظم نبيّ تحت السماء إلا ووقع المطر**) ، فيحتمل أن يكون ذلك الخبيث قطعه من جسد ذلك النبيّ عليه السلام وكشط ما به من اللحم ، ولو قيل به لكان المعنى أن جسده لا يبلى ولا تأكله الأرض أي لا تفنى منه شيئاً وإن تفكك واختلت بنيته فهذه باقية ، إذ لا عرض فيها لأنه عليه السلام صفّاها في الدنيا كمال التصفية فجسده كالذهب الصافي وإن تفرق بالتقطيع ، والمبرد لا يفنى منه شيء بل إذا جمعته وأذبته رجع بكماله فافهم .

وأما قولكم : ما معنى أن المرء يدفن إلى قولكم وفيهم من يحترق ؟ فالجواب : أن من أكله السبع إذا اغتذى به إنما يغتذي بأعراضه التي مزجت بطينته من العناصر من المأكل والمشرب [المآكل والمشارب] وأما طينته فإنها لا تتغير ولا يطرأ عليها الاضمحلال لأنها من جنس الفلك الأطلس فإذا اغتذى بالأعراض خلصت منه الطينة الأصلية ورجعت إلى قبره الأصلي أي طبيعته

التي أشار إليها سبحانه بقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴾ يعني بهم المنكرين الأحياء وتلك الطبيعة ظهرت في طينة قبره المحسوس وقبره موضع تربته التي ماثها الملك في نطفته فترجع تلك الطينة الأصلية إلى موضع تلك التربة ولا فرق بين من يأكله حيوان في برّ أو بحر أو يحترق لأن الطينة الأصلية لا تتسلط عيها معدة ولا نار .

قال سلّمه الله تعالى : وما المتولي لتدبير النطفة في الرحم أهو مزاج الأم أم النطفة وما يتغذى به الجنين في الرحم ؟ .

أقول : المتولي لتدبير النطفة بالحق هو الله سبحانه وتعالى ولكنه جلّ وعلا لمّا كان متوالياً [متعالياً] عن مباشرة المخلوقين وكّل عليهم ملائكة يفعلون ما يأمرهم ﴿ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ مما هم فاعلون وعازمون عليه ﴿ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ مما فعلوا وأرادوا فيقدر [فيقدر الله] الملائكة بفعل الله ومشيّته التي بها قوام الملائكة ووجودهم قيام صدور كقيام النور بالمنير فيفعلون ما يشاء الله تعالى ولما كانت الملائكة إنما تفعل الشيء على وفق الحكمة كما ألهمها وعلّمها سبحانه وجب أن يفعلوا بالطبيعة كما فعل هو بملائكته فالطبيعة للملائكة بمنزلة الآلة وهي متقومة بالمزاج الذي اشتملت عليه نطفة الأب ونطفة الأم والتربة المخلوطة بهما ، وأما ما يتغذى به الجنين فهو من دم حيض أمه لأن أمه أكلت طعاماً قد استجن فيه بأشعة الأفلاك وتقدير الأملاك عن الله سبحانه جميع مبادىء الطين التي تكون منشأ لما يكون عليه في الدار الدنيا من علم وعمل وصناعة ورزق وحرمان وسعادة وشقاوة وغير ذلك فتولد من ذلك الطعام دم الحيض فسرّت

فيه تلك القوى والطين فاغتذى به مع ما فيه ، (**السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقي في بطن أمه**) يجري ذلك له عن تلك الطين بفتح الياء والسارية بواسطة الأوضاع العلوية والقوابل السفلية في تلك المطاعم بالاقتضاء والنسبة [النسب] والإضافات بما يطول في شرحه المقام .

قال سلّمه الله تعالى : وما تلك التربة التي يرفعها الملك من موضع ما يدفن فيه ويلقيها في الرحم ؟ وكيف يدفن رجل من أقصى بلاد الغرب في أقصى بلاد الشرق ؟ والسلام .

أقول : معنى التربة هي البرودة واليبوسة وهي تنتقل من موضعها بالملك الموكّل بذلك حتى تكون هباءً ويصعد بالبخار الصاعد من حرارة الشمس إلى طبقة الزمهرير فتنحل اليبوسة المشاكلة في الرطوبة المشاكلة وتقع [يقع] من السحاب مطراً فيختلط به نبات الأرض بأن يغتذي بذلك النبات ومعنى تلك التربة وهي البرودة واليبوسة سارية في ذلك الماء ثم في ذلك النبات حتى أكلته أمه في طعامها والتربة محفوظة حتى صعدت إلى ترائبها فاختلطت [فاختلط] بمنيّها والعلة فيه ، أن مني الرجل حار يابس كالنار ، ومني المرأة بارد رطب كالماء والنار والماء [والماء والنار] لا يجتمعان فوضع الحكيم بينهما تربة باردة توافق مني المرأة لئلا تنفر منه وتكسر قوة حرارة مني الرجل لئلّا يحرق مني المرأة ويابسة توافق مني الرجل لئلا يستوحش بالبرودة ، وتكسر قوة رطوبة مني المرأة لئلّا تفسد يبوسة مني الرجل فكانت التربة جامعة بين الضدين النار والماء لأنها تراب ، ومن سرّ التركيب ما أريد أن أطلعك عليه فقد جهد من اطلع عليه في كتمانه ولكني أظهره [أظهره لك]

امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾ وهو أن الرجل دائماً يأتي أهله ويقع منه المني ويجتمع بمنيّها ولا يحصل الحمل والسر فيه أن شرط الحمل أن تكون نطفة الرجل بمقدار مخصوص ، ونطفة المرأة كذلك بأن يكون نطفته ثلثاً ونطفتها ثلثين ، وأما وزن التربة فبنسبة نطفة الرجل فإن كان مثلها حسن حال الجنين في خلقته وإلى ذلك أشار عليه السلام في جواب من سأل : (**إني أكلم الرجل فيفهم مرادي قبل أن أتم الكلام وقد أكلم الرجل فلا يفهم حتى أتم كلامي وآخر يقول أعد علي**) ونقلته بالمعنى فأجاب عليه السلام : (**فالأول من عجنت نطفته بعقله ، والثاني من أتاه عقله عند الولادة ، والثالث من أتاه عقله عند البلوغ**) ، هذا معنى الحديث فمن كانت التربة بقدر نطفة أبيه فهو من عجنت نطفته بعقله ، والسر فيه أن البرودة واليبوسة هي طبع العقل وإذا كثرا [كثرتا] قوي العقل لأن زحل الذي هو فلك العقل بارد يابس وقال عليه السلام : (**ما بعث الله نبياً إلا وهو صاحب مرة سوداء صافية**) فافهم وتفهم وإن كانت التربة مثل نصف نطفة أبيه أو ثلثها فهو من أتاه عقله عند الولادة ومن كانت التربة فيه بقدر السدس أو أقل فهو الذي يأتيه عقله عند البلوغ ويقول : أعد علي .

وقوله : حرسه الله وكيف يدفن رجل إلخ ، قد تقدم في ذكر جواب كيف آدم دفن في موضع ونقل في آخر فراجعه لأني أطلب الاختصار لما أنا فيه من شغل البال بالحِل والارتحال .

قال سلّمه الله تعالى : وما معنى نفي العلم عنه صلى الله عليه وآله في قوله تعالى : ﴿ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾ .

أقول : اعلم أن هذا الكلام يجري في كل شيء لكل أحد وهو

قوله تعالى : ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ فيؤول البيان إلى أحد وجوه :

الأول : أن كل شيء لا يعلم من ذاته إلا الله وإنما الله يعلم ويطلع من يشاء على ما يشاء من غيبه كما قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فيقول : المعنى أنت لا تعلمهم إلا أن نعلمك .

الثاني : أن الخطاب جارٍ على إياك أعني واسمعي يا جارة ، فيكون نفي العلم على حقيقته وهو لأمّته .

الثالث : أن العلم المنفي عنه هو العلم المطابق للواقع والشيء قبل وقوعه ، فالعلم به لغير الله يجوز عليه النفي لجواز البداء ، وإن أخبر الله بوقوعه كما تقدم لجواز الموانع في الشهادة لأن الله يجوز أن يخبر بما لا مانع له في الغيب ولكنه يكون من القضاء المبرم إلا أنه سبحانه أخبر على ألسنة أوليائه : (**إن الصدقة تردّ القضاء وقد أبرم إبراماً ، والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب**) .

الرابع : أن المنفي عنه العلم هو الرسول من حيث هو رسول فإنه من هذه الحيثية لا يعلم إلا بما يعلم ولهذا يأتيه جبرئيل فيقول : (**اقرأ يا محمد صلى الله عليه وآله فيقول وما اقرأ ؟ فيقول اقرأ كذا**) ، لأن الله تعالى قال له : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ وقال تعالى : ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ والنطق بما يعلم قبل التعليم أو الأمر بالنطق إنما [إنما هو] مرتبة الولي فإنه بمطلق ولايته يقول بما يعلم بخلاف الرسول فإنه لا يقول إلا بما يرسل به لا بما يعلم لأنها

ليست مرتبة الرسالة ومن هنا تأوّل بعض أهل العرفان أنّ نحن في قوله : (**نحن نعلمهم**) ضميره في غير مرتبة الرسالة وهذا التعليل الأخير يناسب الوجه الخامس فهو أولى بالذكر من هنا ولكنا ذكرناه للبيان ونذكره في وجه [وجهه] .

الخامس : أنه وأهلَ بيته عليهم السلام لهم حالتان حالة بشرية وهم فيها يجرون مع البشر في جميع أحوالهم فيقول : ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾ ويقول : ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ﴾ ويقول : ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ ، وأمره الله أن يقول : ﴿ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ﴾ ، يعني أنا وأنتم في ألا إله إلا الله سواء ، وحالة برزخية أولية وهنا يجري عليهم صفات الربوبية بما تدركه الخلق مثل ما في دعاء رجب (**لا فرق بينك وبينها إلا أنهم عبادك وخلقك**) ففرق في الحالة الأولى دون هذه فقد جمع ، وإلى ذلك أشار جعفر بن محمد عليهما السلام بقوله : (**لنا مع الله حالات نحن فيها هو ، وهو نحن ، ونحن نحن ، وهو هو**) ، فإذا كان الخطاب مع رتبة الفرق قال : (**لا تعلمهم نحن نعلمهم**) ، يعني رتبة الجمع وهذا ظاهر لمن عرف والحمد لله ربّ العالمين . [وفرغ من تسويدها العبد المسكين أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الأحسائي في الرابع والعشرين من شهر رجب في كاشان المحروسة من حوادث الزمان سنة ١٢٢٣ والحمد لله وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين] .

* * *

فهرس المحتويات